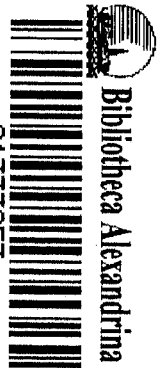


المسلمون في الهند

من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني

الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبري
لنظام الدين أحمد بن خنسي الهروي

ترجمه عن الفارسية
د. أحمد عبد القادر الشاذلي



الجزء الأول

المسلمون في الهند

من الفتح العربي إلى الإستعمار البريطاني

الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبرى

لنظام الدين أحمد بن بخشى الهروي

ترجمة عن الفارسي

د. أحمد عبد القادر الشاذلي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

الجزء الأول



المسئولة للمطبعة المشرفة للكتاب

١٩٩٥

الغلاف والاخراج الفنى

اميمة على احمد

إهداء

- الى كل من أسهم فى بناء الحضارة الاسلامية الزاهرة
- الى كل من شارك فى اثراء تراثنا الفكرى
- الى كل من نقب فى دررنا الثقافية الاسلامية
- الى كل من أزاح الستار عن نتاجنا العلمى والأدبى
- الى كل صناع الحضارة

د • أحمد الشاذلى

منهج ترجمة طبقات أكبرى

طبقات أكبرى كتاب جامع ، يتناول أكثر من عصر ، ويدير بأحداثه فى إقليم شتى ويمتد بأحداثه من القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الهجرى ، ونظرا لهذا التنوع والشمول ، فقد تعددت مصادره ، وتنوعت الأصول التى استمد منها مادته العلمية وقد لزم هذا أن أعود بالنص الى أصوله ومصادره بقدر المستطاع عند الترجمة وتحقيق الأحداث والأعلام .
وقد راعيت فى الترجمة الجوانب التالية :

أولا : ان طبقات أكبرى كتاب نادر ، لا تتوافر نسخه ، ولا يوجد بين يدي سوى نسختين ، احدهما ناقصة والثانية كاملة ، وقد اتخذت هذه النسخة الكاملة بمثابة النسخة « الأم » وهى نسخة « أوده » أما النسخة الناقصة فهى نسخة كلكتا ، واختيارى نسخة أوده كنسخة أم يرجع لاعتبارين :

الأول : انها النسخة الوحيدة الكاملة .

الثانى : انها أقدم نسخة موجودة فهى منشورة سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م بينما نسخة كلكتا نشرت سنة ١٩١١ م .

ثانيا : على الرغم من أن نسخة أوده هى النسخة الأقدم كما أنها النسخة الوحيدة الكاملة فانها مليئة بالألفاظ المحرفة والمصحفة ، وهذا ناتج عن جهل الناشر بأصول تحقيق النص .

ثالثا : ومن أجل ترجمة سليمة ، وتحقيق للملحقات والأعلام والمسميات تحقيقا صحيحا اتبعت ما يلى :

١ - مراجعة مصادر المؤلف :

نكر نظام الدين أحمد أنه رجع الى عدة مصادر ومراجع ، وهذه المصادر للأسف الشديد لا تتوافر بين يدي ما عدا ثلاثة مراجع وهى :

زين الأخييار ، وروضة الصفا ، وتاريخ يميني بالعربية ، وأحداث هذه الكتب الثلاثة تتلاقى مع أحداث طبقات أكبرى فى النذر اليسير ، وقد اثبت هذا فى موضعه بالحواشى .

٢ - مراجعة المؤلفات المماثلة :

صنفت عدة مصنفات فى عهد نظام الدين على شاكلة كتابه ، وان كانت تختلف عنه فى خطة البحث ، وهذه المصنفات أهمها : منتخب التواريخ وأكبر نامه وتاريخ كجرات وقد استخدمت هذه المصنفات فى تحقيق الأسماء والأعلام والأحداث واثبت ذلك فى الحواشى ، وأوضح الاختلاف والاتفاق بين هذه المصنفات وبين طبقات أكبرى .

٣ - مراجعة النقول من الكتاب :

نقل العديد من الكتاب والمؤرخين عن نظام الدين أحمد ، وقد جاءوا من بعده يزمين قصير ومن هؤلاء ملا عبد الباقي صاحب مآثر رحيمي ومحمد قاسم فرشته صاحب تاريخ فرشته وقد أوردت مدى الانساق والاختلاف واثبت ما قام به المؤرخون من بعده من نقل حرفى عنه أو اختلاف فى بعض الأحداث .

٤ - تخريج النص :

وهذا التخريج يقوم على تحقيق الأعلام والمسميات والأحداث التى لم ترد نكرها فى المصادر السابقة ، وشرح بعض المعلومات من المراجع القديمة منها والحديث والمعاجم منها والقواميس وقد اثبت ذلك فى الحواشى .

٥ - مقابلة نسخة أوده بنسخة كلكتا :

نسخة أوده غير محققه وغير مطبوعة ، كثرت فيها التصحيقات والتحريفات غير المتعمدة ، أما نسخة كلكتا « فهى نسخة مطبوعة وغير محققة » . أيضا وقد قابلت النص بين النسختين واثبت مدى التحريف والتصحيح فى حواشى الترجمة ، إلا أنه للأسف فان نسخة كلكتا أيضا لا تساوى سدس نسخة أوده حيث انها توقفت بالأحداث عند ذكر السلطان فيروزشاه وهو ما يعادل مائة وثلاث عشرة صفحة من نسخة أوده .

٦ - مقابلة نسخة أوده بما ترجمة اليوت الى الانجليزية :

قام اليوت بترجمة نماذج من الكتب التى ألفها وضمنها مؤرخون من الهند ، ومن ضمن هؤلاء نظام الدين أحمد وقد ترجم اليوت الى الانجليزية

جزءاً من طبقات أكبرى ، أسقط فيه كثيراً من الأحداث وإضاف فقـرات
وجمل أخرى غير موجودة فى نسخة أوده « وقد أثبت ما أضافه اليوت
فى الحواشى ، ولم أنكره فى متن الترجمة العربية والجزء المترجم فى
الجزء الخامس من كتاب :

« History of India As Told By Its Own Historians »

• وهو كتاب يقع فى ثمانية مجلدات ضخمة •

كما أن هناك نسخة أخرى لترجمة اليوت نشرتها الهند تحت عنوان
« أكبر » Akbar

٧ - النقد الموضوعى :

واقصد به نقد النص لنفسه ، وهو ما يتعلق بذكر الأعلام والمسميات،
فهو يذكر الاسم أكثر من مرة يقع فى التصحيف مرة أو أكثر وبذلك يكون
الاسم الأصوب هو حالته على ما ذكر به أكثر من مرة ، وهذا ينسحب
على السنوات التى أخطأ فيها فالمعروف أن الكتاب يتسلسل تاريخياً من
سنة إلى أخرى ، فى بعض الأحوال يذكر إحدى السنوات خطأ فعند
مقارنتها بالسنة التى قبلها والتى بعدها يتضح الصواب •

٨ - بقى لى أن أوضح اننى فى الترجمة أبقيت على المسميات الهندية
والتركية والفارسية والمغولية كما هى مع اثبات ترجمتها فى الحاشية فى
المرّة الأولى مثل كلمة « مندوى » المسئول عن السوق ، أو ذكر كوتوال
« رئيس المدينة » أو «بخشى» وأخته بيكى وخاصه خيل ، وداكجوى •
نظراً لأن اللفظ له دلالات تفوق دلالة اللفظ المترجم •

٩ - نسخة أوده يرمز لها بالرمز « ١ »

نسخة كلكتا يرمز لها بالرمز « ك »

ترجمة اليوت وهى ترجمة طبعة الهند وأخرى طبعة لندن ، وقد أثبت
ما هى طبعة الهند (ط - الهند) •

هذه هى ملامح ترجمة طبقات أكبرى ، وأسأل الله التوفيق والسداد،
فانه نعم المولى ونعم النصير •

وفى الختام أقدم خالص شكرى وتقديرى لهؤلاء الذين بذلوا جهداً
من أجل أن يرى هذا العمل الضخم النور وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور
السباعى محمد السباعى أستاذ اللغات الشرقية بأداب القاهرة ومدير

مركز الدراسات الشرقية لما بذله من جهد فى مراجعة ومتابعة هذا
العمل العلمى الكبير .

كما اقدم الجهود الطيبة التى بذلها الأستاذ الدكتور عبد العظيم
رمضان المؤرخ والأستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية لما بذله من جهد
لاظهار هذا العمل التاريخى الى النور . فجزاهما الله خير الجزاء .

د . أحمد عبد القادر السائلى

كلية الآداب جامعة المنوفية

مصطلحات

وردت بالكتاب عدة مصطلحات هندية وفرنسية وتركية وهى
أفتابكير : عاكس الشمس

الاع : جواد البريد

استيفاء كل : المستوفى العام

أشرفى : عملة ذهبية نسبة الى السلطان اشرف

أمراء بلينى : أمراء السلطان بليين

أمراء شمسية : أمراء السلطان شمس الدين التمش

امير صده : امير مائة

أمير هزاره : أمير ألف

ايلك : لفظ أولغورى بمعنى أمير

باره : عملة نحاسية

بخشى : المسئول عن رواتب الجند

بتوارى : المحاسب

تنخواه : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية يحصل منها صاحبها على
رزقه .

تنكه : عملة فضية

تواجيان : المسئول عن خيل السلطان

توره : جوال ملهى بالتراب

جتر : مظلة ترفع فوق الحاكم

جريب : مساحة تعادل ٢٥٠٠ متر

جلالى : نسبة الى جلال الدين اكبر

جمعكى : أيام الجمع

جودهرى : المسئول الهندى المشارك لرئيس القرية

جوه : حساء هندی

جوهر : طريقة قتل جماعى كان الهنادكة يستخدمونها عندما يضيق بهم
الحال فيشعلون نارا ويحرقون نساءهم وأولادهم قبل القدوم على
الحرب *

جيتل : عملة

خالصمة : أرض تابعة للسلطان

خالصات : أرض تابعة للسلطان

خان : أمير

خان خانان : أمير الأمراء - (وظيفة)

ختا = خطا : قبيلة تركية

داروغكى : مختار القرية ومسئول العسس

داكجوكى : جواد البريد

دبير : كاتب

دكن : أرض الجنوب ، وتطلق على جنوب الهند

دورباش : عصاة يمسكها الحاكم فى يده

دولت خانه : مقعد الحكومة

راجا : ملك هندوكى

راجوات : ملوك هنادكة

رانا : ملك هندوكى

رومى خان : الأمير المسئول عن المدفعية

زهنيداران : حكام القرى والمقاطعات من اهل البلاد

سراى عدل : قصر العدل

سرجاندار : رئيس حرس السلاح

سلاحدار : امير السلاح

سيرى : مكياى

الشالى : ارز غير مقشور

شاهرخى : عملة ذهبية نسبة الى الساطان هانمرخ

شحنة بازار غله : مسئول سوق الغلال

شحنة شهر : حاكم المدينة

شحنة قيل : المسئول عن الأفيال

شقدار : حاكم ناحية - اقليم

شكاربيك : امير الصيد

صوية دار : حاكم اقليم

صولجان : لعبة يلعبها الملوك وهى عبارة عن كرة تضرب بعصاة معقوفة
واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الأفيال .

عارض الممالك : المسئول عن المالية

عراق عجمى : ايران

علوف : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية أو مزرعة يعيش صاحبها
على ما تغله .

عمال : ولاة

فرمان : امر وحكم

فرمانات : احكام

فيلخانه : دار الأفيال

قزلباش : اصحاب القبعات الحمراء وتطلق على الجنود الفرس

قمرغه : طريقة صيد مغولية تعتمد على الألتفاف حول منطقة الصيد فى دائرة تضيق بالتدريج على الحيوانات داخل الدائرة .

كرور : عشرة ملايين

كوتوال : حاكم القلعة

لك . لكم : عشرة آلاف

انكاه : جماعة هندية مقاتلة

مدد معاش : معاش شهرى أو سنوى يؤخذ من البلاط دون مقابل يقدم للشعراء والأُمباء والعلماء وكبار السن .

مست : نوع من الأفيال الهندية القوية يقوم على خدمته خمسة أفراد وصيبي .

مشرف ديوان : المسئول عن الإيرادات والمنصرف فى الدين

مشرف المعالك : المسئول عن الشئون المالية .

مقدم : رئيس قرية

مندل : قلعة

مندوى : المسئول عن السوق

مهر : نوع من العملة

مير أخور : أمير الاضطيل

مير الحاجب : المسئول عن شئون البلاط

مير عرض : المسئول عن الشئون المالية للمقوات

مير صده : أمير مائة

مير هزاره : أمير ألف

نقاره : فرقة الطبول

نو مسلم : المسلم الجديد (المخول المسلمون)

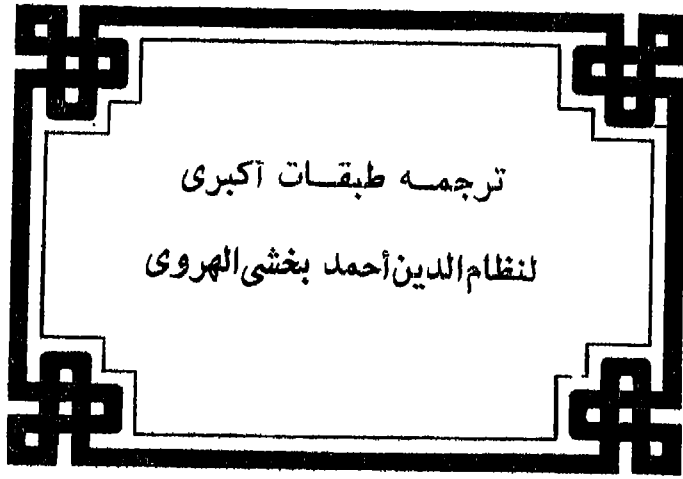
هزارستون : اسم قصر - الألف عمود

هندوستان : بلاد الهند وتطلق على الشمال

وقايح نوييس : كاتب الوقائع

وكيل نوييس : نائب البلاط

يوزباشى : أمير مائة



- ديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الرفعة اساس الملك الحقيقى ، وسلم زمام حل وعقد نظام العالم ، وضبط وربط بنى آدم ، فى الوجود العالمى لأهل العدل والانتصاف ، وجعل استمرار قوانين الدين والدولة واستحكامها فى اثر جلال وجمال ، ولطف وقهر ورحمة وسياسة هذه الطبقة العالمية ، وهدهام ليصعدوا بالعرش على قافلة الصراط المستقيم ، ويرشدوا الناس من ظلمات الضلالة الى نور الهداية ، وأفاض بالأنوار الربانية والأسرار الالهية على المنزل المقصود لهداية الضالين فى بادية الحيرة ، وأخص أكمل أفراد الكون وأتم مظاهر التأييد والمعون ، من هو جوهره على ، ونوره ربانى وعطره غالى وجوهره قدسى ، السماء والأرض ظل نوره ، الكون والمكان من نور ظهوره ، هو قدوة المرشدين الذين سلكوا سلوكه والتحقوا بركابه .

أما بعد ، يعرض العبد الفقير نظام الدين أحمد بن محمد مقيم الهروى ، من اتباع بلاط وأحابى جلالة السلطان الأعظم ، سلطان سلاطين العالم ، الظل الجليل للحق ، خليفة الله المطلق ، مشيد أركان العالم ، مؤسس قوانين العالمين ، ملك الدنيا والناس ، رب الزمان وأهل الزمان ، جامع الأسرار الالهية ، صاحب الملكات الروحانية ، الفاتح عظيم الصولة، الملك قوى الدولة ، الأسد المقاتل الغازى ، أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادشاه غازى (١) خلد الله سلطانه ، وأيد موافد عدله واحسانه ، أنه منذ صغر السن (٢) وبموجب إشارة الأب العزيز (٣) بأن يهتم بقراءة كتب التواريخ التى هى عقل أرياب الاستعداد ، وعبرة أصحاب البصيرة ، وأن يطالع أحوال المسافرين فى رحلة الوجود وهى السير المعنوية ، ولما كان السواد الأعظم للهندوستان مملكة واسعة مركبة من عدة إقاليم ومساحات

(١) بادشاه غازى - بالهاء المفردة أو المثلثة بمعنى واحد - السلطان الغازى .

(٢) يقصد نفسه - نظام الدين أحمد .

(٣) محمد مقيم الهروى والد المؤلف .

بسيطة فبراء يقولون انها أركان العالم الأربعة ، وقد استولى في أكثر الأزمنة والأوقات فرد من الأفراد على ناحية من هذه المملحة الواسعة ولقب نفسه بالسلطان ، وظل يحكم ، وارخ مؤرخو هذا العصر النوارىخ فى أحوال حكم وملك هذه الناحية ، تركوها نكرى ، ونظروا لان تاريخ دهلى (٤) وتاريخ كجرات ، وتاريخ مالوه وتاريخ البنغال وتاريخ السند وامتالهم من تواريخ سائر أقطاع واكتاف ممالك الهندوستان قد نكر منفصلا فى الكتب ، والأكثر من ذلك عجا هو أنه ما من كاتب نصدى لكتابة تاريخ يكون جامعا لأحوال ناحية من النواحي . كما أنه لم يزلف كتاب جامع قط فى الماضى أيضا عن الهندوستان ، وعاصمة هذه الممالك دار الملك دهلى ، والكتاب الذى اشتهر هو طبقات ناصرى الذى كتبه منهاج (٥) عن السبضان معز الدين غورى وتاريخ بهادرشاهى وتاريخ يهمنى، وتاريخ ناصرى، مظفر شاهى، وتاريخ ميرزا جيدر (٦)، وتاريخ كشمير، وتاريخ السند، ووقعات بابرى (٧)، وتاريخ بابرى، وتاريخ ابراهيم شاهى ووقعات مشتاقى ، ووقعات حضرت جنت آشبانى همايون (٨) بإيدشاه انار الله برهانه ، ولما كان هذا المؤلف مشتملا على طبقات جميع حكام الهندوستان وانتهاه جميع الطبقة العالیه لجلالة السلطان ، لذا سنى بطبقات أكبر شاهى ومن جملة الصدف السعيدة أن لفظ نظامى ، وهو نسب اسم المؤلف ، هو تأريخ لهذا الكتاب (٩) ، وآمل أن يصبح هذا الكتاب موجها لمزيد من المعرفة لأرباب العلم وجالبا للسعادة .

وموضوع هذا الكتاب اشتمل على مقدمة وتسع طبقات وخاتمة .

المقدمة : « فى بيان أحوال الغزنويين »

(٤) سقطت كلمة « تاريخ دهلى من نسخة كلكتا » ط ٢ ص

(٥) أبو عمرو منهاج بن سراج الدين الجوزجاني صاحب كتاب طبقات ناصرى وهو كتاب يقع فى ثلاثة وعشرين فصلا ، ويدور حول تاريخ بنى إسرائيل والسيخ ومحمد عليه السلام والمسلمين الأوائل والخلفاء الراشدين وبنى أمية وبنى العباس وملوك الفرس واليمن والدويلات الاسلامية فى ايران والهندوستان ، وكانت هناك نسخة بتأثر الكتيب المصرية برقم س ٦١٧٤ . ولكنها فقدت .

(٦) تاريخ رشيدى ويقع فى ٧٧٩ صفحة .

(٧) واقعات بابرى أو توزك بابرى الفه بالتركية السلطان بابر ، وهو سيرة ذاتية لصاحبه ، ترجم فى عهد السلطان أكبر على يد عبد الرحيم خانناران .

(٨) يوجد ثلاثة كتب باسم همايون نامه . أحدهما لجوهى والآخر لخزانده مير والثالث كليدن بيكم .

(٩) بحساب الحروف = سنة ١٠٠١ هـ

من بداية سيكتكين سنة ٣٦٧ هـ حتى سنة ٥٨٢ هـ (١٠) ، مائتان وخمسة عشرة سنة ، خمسة عشر حاكما .

طبقة دهلى :

من بداية عهد السلطان معز الدين غورى الذى استولى على بلاد دهلى وحكمها ، حتى عهد السلطان خليفة الهى ، ستة وثلاثون حاكما من سنة ٥٧٤ هـ حتى سنة ١٠٠٢ هـ ، أربعمائة وثمان وأربعون سنة (١١) .

طبقة الدكن :

سنة وثلاثون حاكما ، من بداية سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ١٠٠٢ هـ مائتان وأربع وخمسون سنة .

طبقة الكجرات :

مدة سلطنتهم من سنة ٧٩٣ هـ حتى سنة ٩٨٠ هـ ، مائة وسبع وثمانون سنة ، وستة عشر حاكما .

طبقة البنغال :

واحد وعشرون حاكما ، مائة وثمان وتسعون سنة ، من سنة ٧٤١ هـ الى سنة ٩٢٩ هـ .

طبقة مالوه :

اثنا عشر حاكما ، مائة وثمان وخمسون سنة .

طبقة جوتبور :

سبع وتسعون سنة ، خمسة حكام .

طبقة السند :

واحد وعشرون حاكما ، مائتان وست وثلاثون سنة .

طبقة كشمير :

سنة وعشرون حاكما ، مائتان وخمسة وأربعون سنة .

(١٠) اعمل المؤلف وضع علامة هجرى عقب التواريخ فى اغلب المخطوط ، مع العلم انه هناك عدة تقاويم كانت موجودة فى تلك الفترة أشهرها التقويمسمى بالالهى .
(١١) الصواب هو أربعمائة وثمان وعشرون سنة .

طليقة اللسان :

• خمسة حكام ، ثمانون سنة .

خاتمة :

• في ذكر بعض خصوصيات الهندوستان ومقالات متفرقة .

مقدمة

مقابلة في ذكر الغزنويين

ناصر الدين سيكتكين : مدة سلطنته عشرون سنة ، يمين الدولة
السلطان محمود ومدته خمس وثلاثون سنة ، محمد بن السلطان محمود
ومدة حكمه خمسون يوماً ، السلطان مسعود بن السلطان محمود ومدة
حكمه إحدى عشرة سنة ، السلطان مودود بن مسعود ومدة حكمه تسع
سنوات ، السلطان محمد بن مودود ومدة حكمه خمسة أيام ، السلطان
علي بن مسعود ومدة حكمه ثلاثة أشهر ، عبد الرشيد بن مسعود ومدة
حكمه أربعة أعوام ، فرخ نژاد بن مسعود (١) ومدة حكومته ست سنوات ،
ابراهيم بن مسعود ، ومدة حكمه ثلاثون عاماً ويقول آخر اثنتان وأربعون
سنة ، مسعود بن ابراهيم ومدته ست عشرة سنة ، أرسلان شاه بن
مسعود (٢) وحكومته ثلاث سنوات ، بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم
ومدة حكومته خمس وثلاثون سنة ، خسرو شاه بن بهرامشاه ومدة حكومته
ثمانى سنوات ، خسرو ملك بن خسرو شاه ، ومدة حكومته ثمان وعشرون
سنة .

ذكر الأمير ناصر الدين سيكتكين :

غلام تركى الاصل ، وهو مملوك البتكين غلام الأمير منصور بن نوح
السامانى ، وقد بلغ درجة أمير الأمراء فى خدمة منصور بن نوح ، وقد
وصل الأمير ناصر الدين الى بخارى مع أبى اسحق ابن البتكين فى أيام

(١) فرخ نژاد - نسخة ك من ٢٢ .

(٢) حكم شيرزاد قبل أرسلان شاه (بداوى جلد اول ص ٢٨) .

حكومة الأمير منصور (٣) ، وبلغ في خدمته درجة الوكالة ، « وعندما حكم أبو اسحق حكومة غزنين نيابة عن الأمير منصور ، ترك أمر الحكومة للأمير ناصر الدين ، واستقل بها استقلالاً تاماً » (٤) ، وعندما طوى أبو اسحق لباس أقامته الى العالم الآخر ، ولم يكن له وريث ، اختار الجيش والرعية راضين حكومة ناصر الدين ، واهتم بأمر الأمانة ، ورفع راية الحكم .

وفي سنة ٣٦٧ هـ فر طغان نامى - الذى كان يحكم ولاية بست - من يد بايتور نامى - الذى استولى على بست ، وجاء الى الأمير ناصر الدين ، وطلب منه المساعدة ، وقاد الأمير ناصر الدين الجيش ، وخلص بست من يد بايتور وسلمها لطغان ، وقيل طغان تقديم هدايا كثيرة ، وعاهد الا يخرج عن طريق الولاء ، ولما لم يف بوعده ، وصدر منه نقض العهد ، استولى الأمير ناصر الدين على بست وتركها لمنائيه (٥) ، ولما كانت قلعة قصدار (٦) فى جوار مملكته وكان حاكمها مستقلاً ، غافله الأمير ناصر الدين ، وقبض عليه ، وأخيراً انتظم فى سلك التابعين ، فعينه على « قصدار » ضمن ولاياته ، وعقد العزم على الغزو والجهاد ، فاتجه صوب الهندوستان ، وعاد بالأسرى والغنائم ، وبنى مسجداً فى كل مكان فتحه ، يرفع الأذان فى خراب ولاية راجه (٧) جييال (٨) ، الذى كان فى ذلك الوقت « راي » الهندوستان (٩) ، وضاق راجه جييال بالخراب والدمار الذى أحدثه الأمير ناصر الدين بولايته ، فتوجه لمهاجمة الأمير ناصر الدين بجيوش منظمسة وأفيال ضخمة وأسرع ناصر الدين أيضاً لاستقباله والتقى على حدود ولايته بجييال ، ووقعت معركة حامية ، وأبدى الأمير محمود بن ناصر الدين فى هذه المعركة شجاعة وبطولة ، ومرت عدة أيام والطرفان فى قتال وجدال ، ويقال انه كان فى هذه النواحي عين ماء ، وكان من المتفق عليه أن تلقى القاذورات والأوساخ فى العين ، وهبت الرياح وهطلت الأمطار وسقطت الثلوج ، وأمر السلطان محمود أن يلقوا القاذورات فى العين ، وسقطت أمطار وثلوج كثيرة ، واستاء جيش جييال الذى لم يعتد البارد.

(٣) حكم من ٣٥٠ هـ - ٣٦٥ هـ ويلقب بالأمير الشديد . (تاريخ بخارى - فامبرى ترجمة أحمد الساداتى ص ١١٧) .

(٤) الجزء بين علامتى التنصيص ورد بنسخة « ك » فقط ص ٥ .

(٥) تاريخ يمينى : العتبى ص ١٧ .

(٦) قصدار : احدى مدن السند (المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٥٧) .

(٧) راجه وراجا لفظ هندى لا يستخدم الا فى الهند ويطلق على ملوك الهنداكة فقط .

(٨) اجييال : زين الاخبار لابي سعيد عبد الحق بن الضحاك بن محمد كرنيزى

تحقيق محمد ناظم ص ٦٦ .

جييال : روضة الصفا لمحمد بن خاوند شاه بمبى ١٣٧١ هـ جلد چهارم ص ٣٦٧ .

(٩) راي ورائه ورائنا لفظ هندى بمعنى ملك ومؤنثه رانى .

ونفقت جياذ وحيوانات كثيرة ، واضطر جييال عقد الصلح ، وقرر أن يرسل خمسين فيلا ومبلغا كبيرا الى الأمير ناصر الدين ، وترك عدة أشخاص نوى شأن رهينة ، وأرسل عدة أشخاص الى الأمير ناصر الدين لدفع المال وتقديم الأفيال ، وعندما وصل الى مكانه ، نقض العهد ، وقيد نواب الأمير ناصر الدين عوضا عن رجاله الذين كانوا رهينة ، وعند سماع هذا الخبر قاد الأمير ناصر الدين الجيش بهدف الانتقام ، وطلب جييال أيضا المساعدة من راجوات الهند ، وجمع قرابة مائة ألف فارس وأفيال كثيرة ، وأسرع للمقتال ، ووقعت في نواحى لمغان معركة حامية بين الفريقين ، وحقق الأمير ناصر الدين الفتح والظفر ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والأفيال والأموال ، وفر جييال الى الهند ، واستولى الأمير ناصر الدين حتى لمغانات ونشر سكتة وخطبته في هذه الديار ، وبعد ذلك توجه لمساعدة الأمير نوح ابن نصر السامانى ، واتجهت الفتوحات الى خراسان وما وراء النهر (١٠) وفي شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لبي دعوة الحق ، وكانت أيام حكمته عشرين سنة .

ذكر السلطان محمود سبكتكين :

بعد وفاة سبكتكين ، حل الأمير اسماعيل الابن الأكبر لسبكتكين محل والده ، وأراد أن يحرم الأمير محمود من الميراث ، وتغلب الأمير محمود عليه ، وحل محل أبيه ، وقاد الجيش الى بلخ ، واستولى على ولاية خراسان ، وبعد أن طهر هذه البلاد من الأخصاء والأراذل المعارضين ، وبلغ صوت طبول دولته الى الأطراف ، أرسل خليفة بغداد القادر بالله العباسى (١١) ، خلعة فاخرة جدا لم يرسل مثلها قط خليفة الى أى سلطان من قبل ، ولقيه بأمين الملة ويمين الدولة (١٢) وتوجه السلطان فى أواخر ذى القعدة سنة تسعين وثلاثمائة من بلخ الى هراث ، ومن هناك ذهب الى سيستان ، وأدخل خلف بن أحمد حاكمها فى طاعته ، وجاء الى غزنيين ، وتوجه من غزنيين الى الهندوستان ، واستولى على عدة قلاع ، وعاد ، وتقارب مع ايلك خان وقرر أن تكون ما وراء النهر لايك خان (١٣) والباقى للسلطان ، وفى شوال سنة ٣٩١ هـ عاد من غزنيين الى الهندوستان ، وهجم

(١٠) ما وراء النهر ، سقطت من نسخة ١ ص ٥ .

(١١) القادر بالله تولى الخلافة من ٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ (الحضارة الاسلامية فى ظل

الخلافة العباسية أحمد الحفناوى ، ص ٥٢) *
(١٢) يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود ولي أمير المؤمنين (زين الاخبار

(٦٢)

(١٣) ايليك أو ايلك لفظ أيغورى بمعنى أمير أو حاكم أو وصى (تاريخ بخارى

ص ١٢٠) *

على « برشاور » بعشرة آلاف فارس ، وتقدم راجه جييال بعشرة أو اثني عشرة ألف فارس ومشاه كثيرين وثلاثمائة فيل لمواجهة ، وأعد ميدان المعركة ، والتحم الفريقان ، وقاتلا ببسالة . وكان الفتح والنصر احيرا من نصيب السلطان محمود ، وأسر راجه جييال وخمسة عشر شخصا من أبنائه وأخوته ، وقتل خمسة آلاف كافر في هذه المعركة ، ويقال أنه كان في رقبة جييال حمائل مرصعة يسمونها بلغة الهندوستان « مالا » وقيمها من شاهدها بمائة وثمانين ألف دينار ، ووجدوا في رقاب اخوته الآخرين أيضا حمائل قيمة ، وكان هذا الفتح يوم السبت الثامن من المحرم سنة ٣٩٢ هـ ، وتوجه من هناك الى قلعة بالهند (١٤) كانت مقررا لجييال ، واستولى على هذه الولاية ، وعندما حل الربيع عاد الى غزنين .

وفي المحرم سنة ٣٩٣ هـ ، عاد الى سيستان ، وأدخل خلف (١٥) في طاعته ، وأحضره الى غزنين ، وتوجه ثانية الى الهند ، وقصد بهاريتيه (١٦) وكان بجرا (١٧) راجه هناك مغرورا بكثرة جيشه ، وأفياله ومئاته قلعته ، وترك جيشه لمواجهة السلطان ، وتوجه بنفسه مع عدد معدود الى شاطيء نهر السند ، وأدرك السلطان هذا الأمر ، فأرسل جيشا لمهاجمته ، وعندما أحاط به جيش السلطان ، انتحر بطعنة خنجر ، وأحضروا رأسه الى السلطان ، وإحق السلطان تابعيه بالسيف البتار ، وقتل خلقا كثيرين ، واستولى على غنائم كثيرة من أسرى وأفيال ، ونفائس الهندوستان وتوجه الى غزنين وكان من جملة الغنائم مائتان وثمانون فيلا .

ويروى أنه لما كان حاكم الملتان داود بن نصر (١٨) من الملاحدة ، ويدرك ما لدى السلطان من حمية دينية. وأنه أيضا سيسعى لتأديته ، لذا عزم التوجه الى الملتان ، ومن الملاحظ أنه لم يكن يدرك أنه يسير على طريق العداء ، وكان آننديبال بن جييال يقف حائلا على رأس الطريق ، وأمر السلطان الجيش بالقتال والنهب والسلب ، وهزم آننديبال ، وفر الى كشمير وتوجه السلطان من طريق الهند الى الملتان ، وحاصرها سبعة أيام ، وقبل حاكم الملتان دفع عشرين ألف درهم سنويا (١٩) ، وتعهد بتنفيذ الأحكام

(١٤) « قلعة نهدة » ص ٩ ، ص ٥ ، « قلعة بهند » ص ٨ ، « بوهند » (زين

الأخبار ٦٦) .

(١٥) خلف بن أحمد (زين الأخبار ٦٦) و (تاريخ يميني ١٥٠) .

(١٦) بهاريتيه ص ٨ ، بهاطية (زين الأخبار ٦٦) .

(١٧) بحيرا ص ٨ ، مجراو (زين الأخبار ٦٧) .

(١٨) ساسند (زين الأخبار ٦٧) .

(١٩) داود بن نصر من غلاة الاسماعيلية الذين استغلوا ضعف الحكومة العربية

بالسند فأخذ الدعوة لذهب الاسماعيلية ، وقد سبقه في دعواه جلم بن شيبان والشيخ حميد

(تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ، أحمد السانداني ص ٥٧ ،

٥٨) (زين الأخبار ٦٨) .

الشرعية ، وتاب ، وعاد ، وبناء على هذا الصلح عاد السلطان الى غزنين ، وكان هذا فى سنة ٣٩٦ هـ .

ولما كان السلطان قد انشغل فى سنة ٣٩٧ هـ بميدان الحرب مع الأتراك ، طبقا لما هو مسطور فى الكتب باسهاب ، وفرغ من هذه الحرب فى ربيع الآخر سنة ٣٩٨ هـ بالنصر المظفر ، علم أن سوكمال حفيد راجه الهند (٢٠) الذى كان قد وقع أسيرا فى يد أبى على سمجورى (٢١) واسلم قد سلك طريق الارتداد وفر ، وتعقبه السلطان محمود ، وأسره ، وحبسه حتى مات فى هذا الحبس .

توجه السلطان محمود فى سنة ٣٩٩ هـ الى الهندوستان مرة أخرى ، وتقاتل مع آندنبال ، وهزمه ، وغنم منه ثلاثين فيلا وغنائم كثيرة ، وتوجه من هناك الى قلعة بهيم نكر ، وحاصرها وطلب أهلها الأمان ، وقتحوا الباب ، ودخلها السلطان مع عدد من خاصته ، واستولى على خزائن الذهب وفضة وماس وما كان مخفيا منذ عهد بهيم ، وعاد ، وأمر أن يضعوا القسيح والفضة فى البلاط ، وأن يصبوا جميع هذه الأموال فى ميدان فسبح ليتمتع الجيش والرعية بالتفرج عليها ، وكانت هذه الواقعة فى أوائل سنة ٤٠٠ هـ .

وتوجه السلطان محمود (٢٢) الغزنى سنة ٤٠١ هـ من غزنين قاصدا الملتان ، واستولى على ما كان قد بقى من ولاية الملتان ، وقتل أكثر القرامطة والملاحدة الذين كانوا هناك ، وقطع دابرهم ، وسجن البعض بالقلعة حتى ماتوا هناك ، وفى هذه السنة حمل داود بن نصر الى غزنين ، وأرسله حبيسا الى قلعة غورك حتى مات هناك ، وعندما علم السلطان أن تهانيسر مدينة بالهند بها معبد أصنام كبير فيه صنم اسمه « جكرسوم » يعبده أهل الهند ، جمع السلطان الجيش للجهاد ، وتوجه الى تهانيسر سنة ٤٠٣ هـ ، وعلم نرو جييال (٢٣) ، فارسى سفارة ورسالة قائلا « لو رجع السلطان عن هذا العزم ، أرسل اليه خمسين فيلا هدية » ، ولم يهتم السلطان بهذا العرض ، وعندما وصل الى تهانيسر ، رأى المدينة خالية ، فأغار على الجنود الذين كانوا بها ، وحطم الأصنام ، وحمل صنم جكرسوم الى غزنين ، وأمر السلطان أن يضعوا هذا الصنم تحت العتب ليطأه الناس .

(٢٠) سوكمال بن راجه هند « ١ » ص ٦ ، سوكمال حفيد راجه هند « ٤ » ص ٩ .

(٢١) أبو على سيمجورى بن أبى الحسن سيمجورى ، ويشتهر بسوم الخلو ، مثل

أبيه (تاريخ بخارى ص ١١٩) .

(٢٢) سقطت كلمة « محمود » من نسخة « ١ » ص ٤ .

(٢٣) بروجييال (زين الاخبار كريدزى (٢١) .

وفى سنة ٤٠٣ هـ فتح السلطان غرجستان ، وأسر « شار » حاكمها ،
وفى أواخر هذه السنة لجأ أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٢٤) الى السلطان
محمود من غلبة تسلط الأخوة ، وكتب السلطان الرسائل ليعقد المصلح
بينهم ، وفى هذه السنة أيضا وصل رسول عزيز مصر (٢٥) الذى كان
ماهرا فى الحديث ، وأسر العلماء والفقهاء الى السلطان من أن هذا
الرسول على مذهب القرامطة ، فأمر السلطان بالتشهير به وطرده (٢٦) .

فى سنة ٤٠٤ هـ هاجم السلطان قلعة نندنه فى جبل بالناتيه (٢٧) ،
وترك تروجييال رجلا محنكا للحفاظ على القلعة ، ودخل بنفسه وادى
كشمير ، ووصل السلطان الى نندنه ، وحاصر القلعة ، وشرع فى المنقب
والحصار ، فطلب أهل القلعة الأمان ، وسلموا القلعة ، فدخلها السلطان
محمود مع عدد من خاصته (٢٨) ، وحمل الأمتعة والأموال التى كانت
هناك كلها ، وأعطى صرة منها للكوئوال (٢٩) واتجه صوب وادى كشمير
حيث كان تروجييال هناك ، وفر تروجييال من هناك ، ودخل السلطان هذا
الوادى ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والذهب ، ودخل كثير
من الكفار دين الاسلام ، ورفع راية الاسلام ، وعاد الى غزنين ، واتجه الى
كشمير فى سنة ٤٠٧ هـ وحاصر قلعة كوة كوت (٣٠) التى كانت مشهورة
بالرقة والمتانة ، وعندما انقضى زمن على هذا واشتد البرد والمطر ،
ووصل المدد الى الكشميريين ، ترك السلطان الحصار ، وعاد الى غزنين
فى فصل الربيع .

فى نفس هذه السنة كتب ابو العباس بن مأمون خوارزم مشاه من
خوارزم رسالة الى السلطان محمود ، طالبا أخته ، ولى السلطان محمود
طلبه ، وأرسل أخته الى خوارزم ، وفى سنة ٤٠٧ (٣١) هـ هجم جمع من

(٢٤) أبو الفوارس بن بهاء الدولة « ١ » ص ٦ .

(٢٥) عزيز مصر - وهو حاكم مصر ، وكان الحاكم بأمر الله هو الخليفة فى ذلك
الوقت (٢٨٦ - ٤١٤ هـ) وكان المذهب الشيعى الاسماعيلى الفاطمى هو مذهبهم ، بينما
محمود الغزنوى سنى المذهب (القاهرة من جواهر القائد الى الجبرتي - أحمد زكى
ص ٢٢) .

(٢٦) أمر أن يسلموه لحسن بن طاهر بن مسلم العلوى (زين الاخبار ٧١) .

(٢٧) بالتائه ١ ص ٧ .

(٢٨) ينقل نظام الدين كثيرا عن زين الاخبار فى أحوال الغزنويين .

(٢٩) كوئوال هو حاكم المدينة أما حاكم القرية فهو مقدم ، وأفضل استخدام كلمة
كوئوال فى الترجمة لأن كوئوال هو الحاكم المدنى والعسكرى وهو لفظ هندى ولا يستخدم
الا فى الهند (ماجمدار - ص ٥٥٨) .

(٣٠) لوه كوت « ١ » ص ١١ ، زين الاخبار ٧٢ .

(٣١) سنة ٤٠٦ ، (زين الاخبار ٧٣) .

الأوياش على خوارزمشاه ، وقتلوه ، وجاء السلطان من غزنيين الى بلخ ، وتوجه الى خوارزم ، وعندما وصل الى « حصر بند » على حدود خوارزم عين ابراهيم الطائي على مقدمة الجيش وأرسله أمامه ، وعندما اتخذوا أماكنهم ، وأنشغلوا بإداء صلاة الفجر ، هجم عليهم خمارتاس (٣٢) الذي كان قائدا للخوارزميين (٣٣) من كمين ، وقتل جمعا كثيرا ، وفرق هذا الجماعة وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان ، عين جيشا كبيرا من خاصة غلمانه لتعقبه وتعقبوه ، وأسروه وأحضره عند السلطان ، وعندما وصل السلطان الى قلعة « هزاراسب » تجمع جيش خوارزم بكامل استعداداته وقامت معزكة حامية ، وأخيزا وقعت الهزيمة على جيش خوارزم ، وأمر الليتكين بخارى قائدهم ، وتوجه السلطان بجيشه الى خوارزم ، واقتصص أولا من قتلة أبي العباس ، ولقب أمير حاجب التونتاش (٣٤) بلقب « خوارزمشاه » وولاه ولاية خوارزم واركنج (٣٥) وجاء من هناك الى بلخ ، وأعطى ولاية هرات لابنه الأمير مسعود ، وأرسل يرفقته أبا سهيل محمد بن حسين روزني وكيلا له ، وأعطى ولاية جرجان (٣٦) لير محمد وجعل أبا بكر قسهتاني برفقته .

وفي سنة ٤٠٩ هـ . قاد السلطان محمود الجيش بعزيمة ، فتح ولاية قنوج ، وعبر سبعة أنهار كبيرة (٣٧) وعندما وصل الى حدود قنوج ، أطلعه « كوره » حاكمها ، وطلب الأمان ، وقدم الهدايا واتجه السلطان من هناك الى قلعة « برن » (٣٨) فسلم « هروت » القلعة الى قومه واختفى ، ولم يستطع أهل القلعة المقاومة ، فطلبوا الأمان وقدموا « ألف » حمل والفس درهم بما يعادل مائتين وخمسين ألف روبية ، وثلاثين فيلا هدية ، واتجه السلطان الى قلعة مهاون (٣٩) الواقعة على شاطئ جون (٤٠) ، فركب رأى هذه القلعة كلجندر فيلا وأراد أن يعبر النهر ، ويفر وهجم عليه جيش السلطان ، وعندما وصلوا اليه ، انتحر .

(٣٢) خمارتاس « ١ » ص ٧ ، خمار تاشي (زين الأخبار ٧٢) .

(٣٣) سبه سالار .

(٣٤) النويتاس « ١ » ص ٧ .

(٣٥) كركنج (زين الأخبار ٧٤) .

(٣٦) كوركمان (زين الأخبار ٧٤) .

(٣٧) عبر نهر السنه المتجه الى يشاورد ثم نهر جهيلم وبياه وجيناب وراوي وراهي

وستلج .

(٣٨) برن « ١ » ص ٧ ، زين الأخبار ٧٥ .

(٣٩) بهازن ص ٧ .

(٤٠) نهر جون فرع من نهر الجانج ويمر بدملي وأكره .

« عندما تكون الحياة بفضل العدو
فالموت أفضل كثيرا من الحياة »

وفتحت القلعة ، وسقط خمسة وثمانون فيلا وغنائم لا حصر لها في يد جيش الاسلام ، ووصلوا من هناك الى مدينة متورة (٤١) ، ومتورة ، هذه مدينة كبيرة تضم معابد أصنام كثيرة ، وهي موطن ميلاد كشن ابن ياس ديو ، الذي يبجله الهنود تبيجلا كبيرا ، المهم ، عندما وصل السلطان الى هذه المدينة لم يتقدم احد للقتال ، وأغار جيش السلطان على المدينة كلها ، وحرقوا المعابد ، واستولوا على أموال لا حصر لها ، وطمعوا بأمر السلطان صنما ذهبيا وزنه ثمان وتسعون ألف وثلاثمائة وخمسون مثقالا من الذهب ، ووجدوا قطعة ياقوت كحلية ، وكان وزنها أربعمئة وخمسين مثقالا ، ويقولون أن « جندارى » أحد ملوك الهندوستان ، كان لديه فيلا قويا جدا ومشهورا ، وأراد السلطان أن يشتريه بسعر مرتفع ، ولكنه لم يتيسر له ، وتصادف أنه عند العودة من رحلة قنوج ، فر هذا الفيل ذات ليلة بدون سائسه ، ووصل الى خيمة السلطان وامسك به السلطان ، فهدأ الفيل ، وأسماء « خداداد » (٤٢) ، وعندما وصل الى غزنين أحصوا (٤٣) غنائم رحلة قنوج ، فكانت عشرين « داند » (٤٤) أو ألف درهم وثلاثمائة وخمسين ألف أسير وثلاثمائة وخمسين « داند » فيل .

ويروى أنه عندما سنع السلطان محمود أن نددا نام راجه قد قتل رائ قنوج بسبب اطاعته ، وولائه للسلطان محمود ، صمم السلطان على استئصال نددا ، وتوجه الى الهندوستان سنة ٤١٠ هـ وعندما وصل الى نهر جون ، جاء نروجييال (٤٥) الذي فر عدة مرات من جيش السلطان ، لمساعدة ومعاونة نددا في مواجهة السلطان ، ولما كان النهر بينهما عميقا ، لم يدع السلطان احدا يعبر النهر دون أمره ، وتصادف أن عبر النهر سنقون شخصا من خاصة غلمان السلطان ، وهمجوا على جيش نروجييال وهزموه ، وفر نروجييال مع عدة أشخاص من الكفار ، ولم يأت الغلمان الى السلطان وتوجهوا الى مدينة كانت في هذه الناحية ، ووجدوا المدينة

(٤١) حاتوره (زين الاخبار ٧٥)

(٤٢) هبة الله

(٤٣) غير معروف ما هو المقصود من « داند » ربما يقصد بها « حمل » وربما

يقصد بها دائق ، لكن المعنى الاول اقرب للصواب ، واند (زين الاخبار ٧٥) وربما
يعنى «ونيف »

(٤٤) لم ترد كلمة « هزار » في نسخة « ١ » ص ٨ ، وُزِنَ الاخبار ٧٦ .

(٤٥) جاءت هكذا نزد ، ونزو ، في نسخة « ١ » .

خالية ، فانتهبوا ، وحطموا معايدها ، وتوجه السلطان الى ولاية ننذا ، وكان ننذا مستعدا للقتال وجمع جيشا كبيرا ، ويقال أنه كان لديه ستة وثلاثون ألف فارس ، ومائة وخمسة وأربعون ألف من المشاة ، وثمانمائة وأربعون فيلا ، وعندما نزل السلطان فى مواجهته ، أرسل اليه فى البداية رسولا ليدعوه الى الطاعة والاسلام ، ولوى ننذا عنقه عن الطاعة ، وقرر القتال ، بعد ذلك صعد السلطان على ربوة ، ليحصى جيش ننذا ، وعين كثرة جيشه ، وندم على المجيء ، وخفض جبينه خاشعا ، وطلب العون والمدد من الله ، وعندما حل المساء ، تسلل رعب كبير فى نفس ننذا ، فترك متاعه وأدواته ، وسلك طريق الفرار مع خاصته .

وفى اليوم التالى علم السلطان بهذا الأمر ، فركب ، وأرسل عدة كمائن لتعقب جيشه ، لما يعلمه من مكره وغدره ، وأطلق يد السلب والنهب ، وسقطت غنائم كبيرة فى يد جيش الاسلام وتصادف أن وجدوا فى غاية خمسمائة وثمانين من أفيال جيش ننذا ، فأخذوهم غنيمة ، وعاد السلطان بالمظفر والنصر الى غزنين .

فى هذه الأيام وصل الخبر أن قيرات ونور واديان أهلها جميعا كفار ، ولديهم حصون محصنة ، فأمر السلطان بجمع الجيوش ، وأخذ برفقته كثيرا من الخدادين والنحاتين والنحاسين ، وتوجه الى هذه البلاد ، وعندما اقترب من هذا المكان ، قصد أولا قيرات ، وهو مكان بارد وملىء بالثمار وأهالى هذه المدينة يعبدون الخمر (٤٦) ، وسلك حاكمها طريق الولاء وأسلم ، وسعد جميع أهالى هذه البلاد بالاسلام ، وأرسل صاحب على بن الت أرسلان (٤٧) لتسخير نور ، وذهب ، وفتح هذه البلاد وبني القلعة ، وعين على بن قدر جوق كوئوالا لهذه القلعة ، وانتشر الاسلام فى هذه الديار طوعا أو كرها ، وفى سنة ٤١٢ هـ توجه الى كشمير ، وحاصر كوه كوت ، وأقام هناك شهرا ولم يستطع تسخير القلعة لاستحكامها وارتفاعها ، وتوجه من هناك الى لاهور وبآكره ، وأشاع الجيش النهب والسلب فى هذا الجبل ، وسقطت غنائم لا حصر لها فى يد جيش الاسلام ، وعاد الى غزنين بالنصر والمظفر فى أول الربيع .

وفى سنة ٤١٣ هـ توجه الى ولاية ننذا ، وعندما وصل الى قلعة كواليار ، حاصرها وأرسل حاكمها الرسل بعد مرور أربعة أيام ، وقدم خمسة وثلاثين فيلا هدية ، وطلب الأمان وقيل للسلطان هذا الصلح وتوجه الى قلعة كلنجر (٤٨) التى لا يوجد مثلها فى الحصانة والاستحكام

(٤٦) زين الاخبار ٧٨ .

(٤٧) على بن إيل أرسلان (زين الاخبار ٧٨) .

(٤٨) كلينجر ، كلنجر ، قلعة حصينة فى الهندوستان .

وحاصرها ، وقدم نندا حاكم هذه القلعة ثلاثمائة فيل بعد مرور فترة على الحصار ، وطلب الأمان ولا كان قد قدم هذه الأفيال بدون حراسها ، أمر السلطان أن يركب الأتراك هذه الأفيال ويأخذونها ، وتعجب أهل القلعة مما يشاهدونه ، وأخذوا العبرة من الأتراك ، وقال نندا شعرا بالملغسة الهندية فى مدح السلطان ، وأرسله وعرض السلطان هذا الشعر على قسحاء الهند والشعراء الآخرين الذين كانوا فى ركابه (٤٩) ، وأثنوا عليه جميعا ، فسر السلطان ، وأرسل منشور حكومة خمس عشرة قلعة مع تحف أخرى إليه على سبيل الصلوة ، وأرسل نندا أيضا مالا وجواهر لا حصر لها إلى السلطان ، وعاد السلطان من هناك إلى غزني منصورا وظافرا .

وفى سنة ٤١٤ هـ استعرض السلطان جيشه والجيش التى كانت فى الأطراف فكانت أربعة وخمسين الفا من الفرسان ألف وخمسمائة فيل .

وفى سنة ٤١٥ هـ توجه إلى بلخ ، وتظلم أهالى ما وراء النهر فى ذلك الحين من على تكين ، وعبر السلطان جيحون لدفعه ، وأسرع حكام ما وراء النهر فرادى للاستقبال ، يقدمون الهدايا كل حسب سعته ، واستقبل يوسف قدر خان ، الذى كان سلطانا على جميع التركستان ، والتقىا على طريق المحبة والصداقة ، وسر السلطان لمجيئه ، ونظم الاحتفالات ، وقدم كل منهما إلى الآخر الهدايا ، وقدم السلطان من نفائس الهندوستان الجواهر القيمة والأفيال الضخمة واقتربنا بالصلح والرضا ، وعلم على تكين (٥٠) بالخبر ، وأرسل السلطان أشخاصا لتعقبه وأسره ، وحبسه السلطان وأرسله إلى قلعة من قلاع الهندوستان ، وعاد من هناك إلى غزني وقضى الشتاء فيها (٥١) .

وكعادته قاد الجيش إلى الهندوستان قاصدا تسخير بسومنا ، وسومنا هذه مدينة كبيرة على ساحل البحر المحيط (٥٢) وهى معبد للبراهمة ، وكانت فى المعبد أصنام ذهبية ، ويسمون الصنم الأكبر « منات » (٥٣) وورد فى الثواريخ أن هذا الصنم رفع فى عهد خاتم

(٤٩) عرض الشعر على شعراء الهندية والفارسية والعربية (زين الاخبار ٨٠) .

(٥٠) على تكين « ٩ » ص ٩ ، زين الاخبار ٨١ .

(٥١) يلاحظ أن نظام الدين ينقل عن زين الاخبار .

(٥٢) يقصد به المحيط الهندى .

(٥٣) يقصد ضم مناة الذى ورد ذكره فى الآية الكريمة « المراتم اللات والعزى ومناة

الثالثة الأخرى » النجم ٢٠ .

الأنبياء صلى الله عليه وسلم من الكعبة ، وأحضر الى هنا ، ولكن فى كتب السلف من البراهمة يتضح أنه ليس كذلك ، وأن هذا الصنم من عهد كشن الذى كان منذ أربعة آلاف سنة ، وهو معبود البراهمة ، ويقول البراهمة أن كشن قد اختفى هناك .

المهم ، عندما وصل السلطان الى مدينة نهرواله بتن (٥٤) رأى المدينة خالية ، فأمر بحمل الغلال ، وتقدم صوب سومنات (٥٥) وعندما وصل سومنات ، اغلق أهلها باب القلعة فى وجه جيش السلطان ، وبعد قتال وجدال فتحت القلعة ، وقام بالتهب والسلب وقتل وأسر خلق كثيرين ، وحطم المعابد واقتلعها من أساسها وكسر سومنات الى أجزاء ، ووضعوا جزءا تحت عتبة المسجد الجامع بغزنين ، وظل هذا الحجر هناك سنوات .

رفع السلطان لواء العودة من هناك ، وبسبب وجود « برم ديو » راجه من راجوات الهندوستان على الطريق ، وجد أن الوقت ليس فى صالحه للقتال فتوجه الى الملتان عن طريق السند ، وفى هذا الطريق واجه الجيش صعوبات بالغة فى بعض الأماكن بسبب نقص الماء وفى أخرى بسبب نقص العلف (٥٦) ، وجاء الى غزنين سنة ٤١٧ هـ بمشقة بالغة .

فى هذه السنة كتب القادر بالله رسالة الى السلطان محمود ، وأرسل لواء خراسان وهندوستان ونيمروز وخوارزم ، ولقب السلطان وأبناءه وأخوته فى هذه الرسالة بالألقاب ، لقب السلطان بكهف الدولة والاسلام ، والأمير مسعود بشهاب الدين وجمال الملة (٥٧) والأمير محمد جلال الدولة وجمال الملة والأمير يوسف بعضد الدولة ومؤيد الملة ، وكتب أن أى شخص توليه العهد ، نحن نرضى به أيضا ، ووصلت هذه الرسالة الى السلطان فى بلخ ، وفى هذه السنة قاد جيشا عظيما لتأديب الجته الذين أصابوا الجيش اثناء العودة من سومنات بأضرار ، فى الملتان وعندما وصل الى الملتان ، أمر بأن يصنعوا ألفا وأربعمائة مركب ، ويضعوا على كل مركب ثلاثة قرون حديدية كاملة وقوية ، الأول فى مقدمة المركب والاثنان على جانبيها ، وكلما كانت تقترب سفينة من هذه القرون

(٥٤) نهرواله بتن ٦ ص ٩ .

(٥٥) سومنات بالحصاد المهمة أو السين المهمة التعرف ببلاد « السار » وهى فى ناحية داخلية فى البحر . (العرب والهند فى عهد الرسالة - القاضى أظهر مباركجورى ص ٩٢) .

(٥٦) هى الديو أص ٩ .

(٥٧) جلال ك ص ١٧ .

تتحطم وتغرق ، وألقى بهذه المراكب فى نهر واسع (٥٨) وأجلس فى كل مركب عشرين شخصا بالسهام والأقواس وقارورة نسط ، وتوجه لاستئصال الجثة وعلم الجثة بالخبر فأرسلوا أهاليهم وعيالهم الى الجزر ، وتجردوا للمواجهة ، وألقوا بأربعة آلاف وبرواية أخرى ثمانية آلاف مركب فى النهر ، واستقرت جماعة مسلحة فى كل مركب ، وأسرعوا للمقاتلة ، وعندما التقى الطرفان ، والتحما فى قتال ، كانت كل مركب من مراكب الجثة تتحطم وتغرق عندما تقترب من مركب رجال السلطان ويصلها القرن ، حتى غرق الجثة جميعا ، وصار البقية منهم علفا للسيوف ، وتوجه جيش السلطان الى عيالهم ، وأسره جميعا ، وعاد السلطان الى غزنيين ظافرا .

وفي سنة ٤١٨ هـ أرسل السلطان محمود أمير طوس أبا الحرب (٥٩) أرسلان ليستأصل التركمان وكتب أمير طوس الى السلطان يعد معارك عظيمة ، ان تدارك فسادهم غير ممكن بدون توجه السلطان بنفسه ، وتوجه السلطان بنفسه لاستئصال التركمان ، ومن هناك اتجه الى الري ، واستولى بدون مشقة على خزائن ودفائن الري التى كان حكامها قد أندخروها فى سنوات طويلة ، وقتل كل من يثبت عليه أنه من أتباع مذهب القرامطة ، وأعطى ولاية الري وأصفهان للأمير مسعود الى غزنيين .

وفى فترة وجيزة أصيب بمرض السسل ، وكان يزداد عليه يوما بعد يوم ، وكان يتحامل على نفسه أمام الناس ، حتى وصل الى بلخ ، وعندما حل الربيع ، توفى بنفس المرض فى غزنيين يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ رحمة الله عليه ، وكانت مدة حكمه خمس وثلاثون سنة .

ويقال أن السلطان أمر وهو فى سكرات الموت أن يجمعوا الخزائن والأموال النفيسة أمامه وتحسر على مفارقتها ، وتأوه ، ولم يعط أحدا دنانقا (٦٠) سافر اثنتا عشرة مرة الى الهند للجهاد .

(٥٨) سيحون (زين الأخبار ٨٨) .

وربما يقصد نور السند . جيحون فى ما وراء النهر وليس فى الملتان ، كما أن الجثة هؤلاء من الأقوام التى سكنت الملتان والسند ويسمون الزط. والجات (العرب. والهند فى عهد الرمسالة تأليف : القاضى اطهر مباركيوري. الهندى. ترجمة عيد العزيز عزت ص ٤٥) -

(٥٩) أبو الحرب ١ ص ٩ ، أبو الحرث (زين الأخبار ٨٩) .

(٦٠) أقل شيء حيث أن المثقال = ٦ دانق (أبو الفضل بن المبارك شائين أكبرى

٢ ص ١٤) .

تذكر جلال الدولة جمال الملة محمد بن محمود سبكتكين (٦١) :

حين رحل السلطان محمود كان الأمير مسعود فى « سبأهان » (٦٢).
والأمير محمد فى كوركان (٦٣) ، استدعى الأمير على بن أيل (٦٤) أرسلان
- وكان قريبا للسلطان محمود - الأمير محمد ، وأجلسه على العرش فى
غزنين ، اهتم الأمير محمد أولا بالمظلومين ، ويحث شكواهم واهتم بتعمير
الولاية ، وفتح الخزائن ، وأقاد الوضيع والشريف ، وجعل يعقوب بن
يوسف بن ناصر الدين عمه « سبه سالار » وأنعم عليه بالخلع ، واختار
خواجه أبا سهيل أحمد بن الحسن الحموى (٦٥) للوزارة ، وسلمه
جميع مهام المملكة ، وظهر الغنى فى عهده ، وتوجه التجار من الأطراف
الى غزنين ، ونعم بالرفاهية الرعية والجيش ، وعلى الرغم من ذلك كانت
قلوب الناس تميل الى سلطنة الأمير شهاب الدين أبى سعيد مسعود ،
وبعد مرور خمسين يوما من وفاة السلطان محمود اتجه الأمير اياز مع
الغلمان الى مسعود ، وأقسم الايمان ، وأرسل شخصا الى أبى الحسن
على بن عبد الله المسمى بعلى دايه ، واتفقوا معه أيضا وفى اليوم التالى
تجمع الغلمان وركبوا الجياد الخاصة وخرجوا جميعا ، واتجهوا من
طريق بست ، وأرسل الأمير محمد سونديرى هندو (٦٦) بجيش جرار
لتعقبهم ، وعندما وصل سونديرى اليهم، قامت المعركة ، وقتل سونديرى
وجمع كبير من الهند ، وقتل أيضا جمع كبير من الغلمان ، وأرسلوا
رؤوسهم الى الأمير محمد ، وتوجه اياز وعلى داية بسرعة مع الغلمان
حتى وصلوا الى الأمير مسعود فى نيشابور ، وقدموا الولاء ، وسر الأمير
مسعود ، واعتذر بسبب الأحوال .

اهتم الأمير محمد فى غزنين باللهو والمرح ، وعندما مرت عليه
أربعة أشهر ، أمر أن يقيموا معسكرا فى جانب بست ، وخرج الجميع
من غزنين ، وعندما وصل الى تيكيناباد (٦٧) ، اتفق جميع قواد الجيش
وأرسلوا رسالة الى الأمير محمد أنه « لما كان جميع الناس طائعين
وموالين للأمير مسعود ، فمن الأجدر ألا تقاومه والصواب هو أن يخل
مملك ، وسنذهب اليه ، وسنعتذر نيابة عنك ، وسيدعوك ، حتى تأمن على

(٦١) لم ترد كلمة سبكتكين فى نسخة « ١ » ص ١٠ .

(٦٢) سبأهان اسم مدينة أصفهان القديمة .

(٦٣) كوركانان (زين الاخبار ٩٢) .

(٦٤) أصل أرسلان « ٦ » ، أيل أرسلان حاجب (زين الاخبار ٩٣) .

(٦٥) الميمندى - « ٦ » ص ١١ ، الحموى (زين الاخبار ٩٣) .

(٦٦) سونديرى (زين الاخبار ٩٤) .

(٦٧) نيكناباد « ١ » ص ١١ ، تيكينا باد « ك » ص ٢٠ ، تيكينا باد (زين الاخبار

أرواحنا وروحك » ، ولم يجد الأمير محمد أحدا بجانبه ، رحل الأمير يوسف وعلى حاجب وقواد آخرون لجيش الأمير محمد الى قلعة دنج ، وتوجهوا بالجيش كله والخزائن الى الأمير مسعود ، وتوجهوا الى هرات ، ولم تتعد حكومته خمسة أشهر .

ذكر أبي سعيد مسعود بن يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي (٦٨) :
عندما التحق اياز بن ايماق وعلى دايه بالأمير مسعود في نيشابور ، قوى ساعده ، وسعى للعدل والانصاف ، وبعد مرور عدة أيام ، جاء أبو سهيل مرسل بن منصور بن اقلج كرديزي (٦٩) بلواء من أمير المؤمنين القادر بالله ، فنال الانعام والاکرام ، وجاء الأمير مسعود من نيشابور الى هرات ، ووصل على حاجب في ذلك الوقت الى الأمير مسعود ، ونال كل الاكرام ، ووصل جميع حشم وخزائن الأمير مسعود من هرات الى بلخ ، وقضى الشتاء هناك ، واستدعى أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندي ؛ الذي كان قد سجن في قلعة كلنجر بأمر السلطان محمود ، وعينه على الوزارة ، وأمر الأمير جنك ميكائيل بالرحيل ، واستئصال شائفة الأشخاص الذين خالفوا الأمير مسعود واتفقوا مع الأعداء ، ونفى الأمير أحمد بن نيالتكين (٧٠) خازن السلطان محمود ، وأخذ منه أموالا كثيرة ، وأرسله الى الهندوستان (٧١) وعندما وصل أحمد الى الهندوستان أعلن العصيان .

جاء أبو طالب رستم مجد الدولة بأمر الأمير مسعود من الهند الى غزني ، وحضر الأمير حسين بن معدان أمير مكران الى الأمير مسعود للشكوى من اخوته ، فأمر الأمير مسعود أمير تاش فراش بالاقترصاص من اخوته وانصاف الأمير حسين ، ويجلسه على مكران ، وجاء الأمير مسعود من بلخ الى غزني ، وفرح أهل المدينة واستقبلوه ، ونشروا الدراهم والدنانير ، واتجه من غزني الى سباهان والري ، وعندما وصل الى هرات اشتكى أهالي سرخس وياورد (٧٢) من التركمان فأرسل الأمير أبا سعيد عيدروس (٧٣) بن عبد العزيز بجيش جرار لمهاجمة التركمان ، ووصل اليهم وقامت المعركة ، وقتل كثيرون من الطرفين ، وقاتل جيش الأمير مسعود عدة مرات ، وعاد .

- (٦٨) ذكر أبي سعيد مسعود يمين الدولة السلطان محمود « ١ » ص ١١ .
(٦٩) كردى « ١ » ص ١١ ، أبو سهل مرسي بن منصور بن اقلج كرديزي (زين الاخبار ٩٥) .
(٧٠) أحمد بن ماليكش « ١ » ص ١١ ، نيالتكين (زين الاخبار ٩٧) .
(٧١) محل الياروق (ارياق) حاجبها (زين الاخبار ٩٧) .
(٧٢) اعتقد أنها ابيورد وهي قرب سرخس .
(٧٣) عيدروس « ١ » ص ١١ ، أبو سعيد عيدروس بن عبد العزيز (زين الاخبار ٩٨) .

وفى سنة ٤٢٣ هـ (أصدر أمرا الى خواجه أحمد بن حسن بالتوجه الى خوارزم) (٤٧) ووزر محله خواجه ايا نصر أحمد بن محمد عبد الصمد الذى كان مشهورا برأيه الصائب وحسن تدبيره ، وتوجه الى خوارزم ، وعمر هذه النواحي ، وعاد من هناك الى الأمير مسعود ، وعاد الأمير مسعود الى غزنين .

وفى سنة ٤٢٤ هـ توجه الى الهندوستان ، وهجم على قلعة سرستى التى كانت فى وادى كشمير ، وحاصرها ، وفتح القلعة فى النهاية ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعاد من هناك الى غزنين .

وفى سنة ٤٢٥ هـ توجه الى أمل وسارى ، وتجمع اهالى هذه البلاد ، واستعدوا للقتال ، ونال جيش غزنين الفتح والنصر ، وأرسل كاليخا (٧٥) أمير طبرستان الرسل ، وقبل الخطبة باسم الأمير مسعود ، وأرسل ابنه بهمن وابن أخيه شروين بن سرخاب (٧٦) رهائن ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى غزنين ، وعندما وصل نيشاپور ، تظلم الأهالى من التركمان (٧٧) ، فأرسل الأمير مسعود بكتعدى (٧٨) وحسين بن على بن ميكائيل بجيش جرار لمهاجمتهم .

وعندما وصل الجيش الى « شنيد انفاق » جاء رسل التركمان ، وقدموا رسالة « اننا عبيد وطائعو البلاط ، فلو حددت لنا حدود المرعى ، فلن يكون لنا علاقة بأحد ، ولن نؤذى أى شخص » ولكن يكتعدى أجاب الرسل بقاء وقال « ليس بيننا وبينكم الا السيف ، فان أطعتم ، وعدتم عن أعمالكم القبيحة ، أرسلوا رسولا الى الأمير مسعود ، واحضروا من عنده مكتوبيا ، وعندئذ أكف عنكم» ، سمع التركمان هذا القول من أفواه الرسل ، وتقدموا ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على التركمان ، فتقهقروا ، وتعقبهم يكتعدى ، وأسر أهاليهم وزوجاتهم ، واستولى على غنائم كثيرة ، وأثناء العودة حيث كان جيش يكتعدى متفرقا وراء الغنائم هجم داود تركمان من ممرات الجبل على جيش يكتعدى ، واستمرت الحرب ليلتين ويوم ، وقال يكتعدى لحسين بن على ، « ان التوقف ليس مناسبا » وثبت حسين وقامت الحرب ، وأسر فى يد التركمان ، وفر يكتعدى الى الأمير مسعود .

(٧٤) جملة غير موجودة فى نسخة « ك » ص ٢١ ، وموجودة بزین الاخبار ٩٩) .

(٧٥) كالنجم (زين الاخبار ١٠٠) :

(٧٦) شهروين سرخاب (زين الاخبار ١٠٠) .

(٧٧) ينقل نظام الدين احمد عن كرديزى بتصريف .

(٧٨) يكتعدى « ١ » ص ١٢ بكتعدى (زين الاخبار ١٠٢) .

(٧٩) أحمد بن ماليك « ١ » ص ١٢ ، أحمد ينالكتين ، ينال تكين (زين الاخبار .

وعندما وصل الأمير مسعود الى غزنين ، بلغه خبر طغيان أحمد بن نيبالكين (٧٩) فأرسل الأمير مسعود بانيته بن محمد على قائد الهنود لمهاجمته ، وعندما التقيا ، والتحما فى القتال قتل بانيته (٨٠) وتفرق جيشه ، وعندما وصل هذا الخبر الأمير مسعود أرسل تلك بن حسين (٨١) قائد قواد الهنود ، فذهب وحارب ، وهزم أحمد ، وقطع أذن وأنف كل من وقع فى يده من جيش أحمد ، وفر أحمد الى منصوره (٨٢) بالسند وأراد أن يعبر نهر السند ، وتصادف أن حدث سيل ، فغرق وفقد ، وعندما ألقاه الماء على الشاطئ ، قطعوا رأسه ، وأحضرها الى تلك (٨٣) ، وأرسل تلك هذه الرأس الى الأمير مسعود .

وفى سنة ٤٢٧ هـ تم بناء القصر الجديد ، ووضعوا عرشا ذهبيا مرصعا بالجواهر فى هذا القصر ، وعلقوا تاجا ذهبيا مرصعا بجواهر وزنها سبعون منا (٨٤) يتدلى من أعلى هذا العرش بجنزير ذهبى ، وجلس السلطان على هذا العرش ووضع هذا التاج المعلق على الرأس ، وأعلن العفو العام ، وفى نفس هذه السنة سلم « الطبل والعلم » للامير مودود ، وأرسله الى بلخ ، وقاد الجيش نحو الهندوستان ، وعندما وصل الى قلعة هانسي (٨٥) فتحها ، وغنم غنائم كثيرة ، وقاد الجيش من هناك الى قلعة « سونى بت » وعلم حاكمها دانيال هرنام (٨٦) ، ففر ، واختفى فى الغابات ، وفتح جيش الاسلام هذه القلعة ، وحطم جميع المعابد ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعندما عرفوا بخبر دانيال ، هاجموه ، وأدرك ذلك ، ففر وحيدا وأصبح جميع جيشه ما بين قتيل وأسير ، وتوجه من هناك الى وادى « رام » وعندما علم رام قدم هدايا كثيرة وأرسل رسالة اعتذر فيها لشيخوخته وضعفه ، وقبل الأمير مسعود عذره وكف يده عنه ، وأعطى « الطبل والعلم » للامير أبو الحمد (٨٧) بن مسعود وأرسله الى لاهور وعاد الى غزنين .

وفى سنة ٤٢٨ هـ جاء من غزنين الى بلخ لتدارك فساد التركمان ، وترك التركمان بلخ بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوجهوا الى الأطراف ،

- (٨٠) قتله « ١ » ص ١٢ ، يانه بن محمد مللى (زين الاخبار ١٠٢) .
 (٨١) تلك بن جهلن (زين الاخبار ١٠٢) .
 (٨٢) يناها محمد بن القاسم سنة ٩١ هـ ، منصوره وسند (زين الاخبار ١٠٣) .
 (٨٣) ملك « ١ » ص ١٢ .
 (٨٤) المن نوع من المكاييل والأوزان مازال مستعملا حتى الآن فى بعض الدول وكان المن فى ذلك الوقت يساوى ٥٠ سيرا .
 (٨٥) قلعة هاسى « ١ » ص ١٢ .
 (٨٦) ديبال هريانه (زين الاخبار ١٠٤) .
 (٨٧) أبو الحمد « ١ » ص ١٢ ، مجدود (زين الاخبار ١٠٤) .

وفى تلك الأثناء ، جاء الخبر انه بعد أن مات قدرخان وحل بورتكين محله نفر الرعية منه ، واضطربت جميع بلاد ما وراء النهر ، وعبر نهر جيحون على أمل أن يسيطر على ولاية ما وراء النهر ، واتجه نحوها ، وأخلى المنردون جميعاً منازلهم وفرّوا ، ولم يتقدم شخص قط للمقتال ، وبعد أن مرت عدة أيام أرسل خواجه أحمد بن محمد عبد الصمد الوزير رسالة من بلخ ، وهى أن داود تركمان قد قصد بلخ بجميع جيشه ، وليس لدى مقدرة لمقاومة هذا العدو وهذه الآلات « فضل الأمير مسعود العودة من ولاية ما وراء النهر فى ساعته وتوجه الى بلخ ، وانصرف داود تركمان صوب مرو ، ووصل الأمير مسعود الى بلخ ، وتوجه عقب داود الى جورجان (٨٨) ، وهناك جاء عدة أشخاص الى الأمير مسعود للشكوى من ظلم على هندرى (٨٦) وكان على قندرى هذا ظالماً وعياراً ، وأطلق يده فى هذه النواحي ودعا الأمير مسعود لطاعته ، ولم يقبل ، وظل يؤذى الناس ، وحمل أهله وزوجاته الى قلعة ، كانت فى هذه النواحي وتحصن ، وأرسل الأمير مسعود جيشاً ، وسخر هذه القلعة ، وحملوه الى الأمير مسعود ، فقتله ، وعندما سمع التركمان بخبر تحرك الأمير مسعود الى مرو ، أرسلوا رسالة « اننا مازلنا اتباعك ، فلو حددت لنا مرعانا حتى يكون فيها دوابنا وأهلنا وعيالنا ، نكون دائماً فى خدمتك (٩٠) » وقبل الأمير مسعود التماسهم ، وأرسل رسولا الى بيغو قائدهم ، ليوثق العهد ، ولا يرتكبوا مثل هذه الأعمال القبيحة ، وعين لهم حدود مرعاهم ، وأقروا هذا العهد ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى هرات ، وتعرض فى الطريق جماعة من التركمان لجيش الأمير مسعود فقتل بعضهم ، وسلب بعض أمتعتهم ، وأرسل الأمير مسعود جماعة لتعقبهم ، فقتلهم جميعاً ، وأسروا أهاليهم وزوجاتهم ، وأحضروا رؤوسهم الى الأمير مسعود ، فأرسل الأمير مسعود كل هذه الرؤوس على حمير الى بيغو ، وأرسل رسالة « أن هذا هو مصير من ينقض العهد » واعتذر بيغو بأنه ليس عنده علم ، ولا نريد لهذه الجماعة الا ما أراه الأمير ، وتوجه الأمير مسعود من هرات الى نيشابور ومن نيشابور الى طوس ، وتقدم بالقرب من طوس جماعة من التركمان للمقتال ، فقتل أكثرهم ، وعلم فى ذلك الوقت أن أهالى باورد قد سلموا قلعته للتركمان ففتح الأمير مسعود هذه القلعة ، وقتل أهلها ، وعاد الى نيشابور وقضى الشتاء هناك .

وعندما حل الربيع فى سنة ٤٣٠ هـ توجه الى طغرل تركمان بجانب

(٨٨) داودتركمان (زين الاخبار ١٠٥)

(٨٩) على تعندرى « ١ » ص ١٣ ، على قهندرى (زين الاخبار ١٠٥)

(٩٠) وردت هذه العبارة من قبل « ١ » ص ١١٠ ، وردت بزین الاخبار

باورد (٩١) ، وعلم طغرل فتوجه الى ترن باورد ، وعاد الأمير مسعود من طريق مهته الى سرخس ، ولما كان أهالي مهته (٩٢) لم يذفعوا الخراج فقد قبض عليهم وقتل جماعة منهم ، وقطع أيادي جماعة أخرى وضرب قلعتهم وتوجه صوب ديدانقان (٩٣) وعندما وصلها ، هجم التركمان من جميع النواحي ، وسدوا الطريق أمام جيش غزنين ، رتب الأمير مسعود الصفوف واستعد للقتال ، ونظم التركمان أيضا صفوفهم وتقابلا ، ووقعت معركة حامية ، وأثناء ذلك تقهقر أكثر قواد جيش غزنين ، والتحقوا بالعدو وظل السلطان (٩٤) وحيدا في الميدان ، وضرب عدة أشخاص من قواد التركمان بالسيف والدبوس والحربة ، وتقهقر جمع من جيش غزنين خلف المعركة ، وفر الى غزنين ، ولما لم يبق أى شخص بجوار الأمير مسعود ، خرج من هذه المعركة بقوته وشجاعته ، ولم يستطع أى شخص أن يتعقبه لقتله ، وقد حدثت هذه الواقعة فى الثامن من رمضان سنة ٤٣١ هـ ، وعندما دخل مرو (٩٥) التحق به عدد من جنوده ، وتوجه من هناك عن طريق الغور الى غزنين ، وقبض على القواد الذين كانوا قد تقهقروا فى المعركة النكرة وهم على داية وحاجب برك سباهى ومكتعدى (٩٦) حاجب ونفاهم الى الهندوستان ، وحبسهم فى القلاع ، وماتوا فى هذا الحبس جميعا ، وأراد الأمير مسعود أن يرحل بجيشه الى الهند حتى يستعيد قوته ، وتجمع حوله جيش كبير ، وهجم على التركمان لكى يضعهم فى ذيل الزمان ، ثم أمر مودود امارة بلخ ، وأرسل برفقته خواجه محمد ابن عبد الصمد (٩٧) الوزير ، وعين وارتكين (٩٨) حاجب حاجبا له ، ورافقه اربعة آلاف شخص ، وعين الأمير محمد مع ألفين على الملتان ، وأرسل أمراء البلاد الى كوه بايه غزنين لكى يطلعوا على الأفغان العصاة هناك ولا يدعوهم يضررون البلاد ، وأحضر جميع خزائن السلطان محمود التى كانت فى القلاع الى غزنين وحملها على الجمال واتجه صوب الهند ، وأرسل أثناء الطريق رسولا ليحضر أخيه الأمير محمد من قلعة ترغغد (٩٩) ،

(٩١) ماورد « ١ » ص ١٣ .

(٩٢) مهندن « ١ » ص ١٣ .

(٩٣) دامغان « ١ » ص ١٣ ، داندانقان (زين الاخبار ١٠٧)

(٩٤) أول مرة يطلق عليه لقب سلطان ، أمير شهيد (زين الاخبار ١٠٧) .

(٩٥) مروا الرود : (زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٦) ورد من قبل باسم يكتعدى ، على دايه وحاجب برك شياش ويكتعد ، حاجب

(زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٧) هو أحمد بن محمد عبد الصمد .

(٩٨) وارتكين (زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٩) برغند (زين الاخبار ١٠٩) .

وعندما وصل الى رباط ياريكله (١٠٠) وصل غلماناه بالخرزانه ، وسلبيوا ،
الجمال ، واثناء ذلك وصل الأمير محمد الى هناك ، وعندما أدرك الغلمان
أن هذا التعدي لن يمر الا اذا كان هناك أمير آخر فتوجهوا الى الأمير
محمد ، وجعلوه يقبل السلطنة ، وهجموا على الأمير مسعود ، وتحصن
الأمير مسعود في هذا الرباط ، وهجم الجيش في اليوم التالي مرة أخرى ،
وأخرجوا الأمير مسعود من داخل الرباط ، وحبسوه في قلعة كرى ،
وظل هناك حتى الحادى عشر من جمادى الأول سنة ٤٣٢ هـ وأرسلوا
رسالة كاذبة بلسان الأمير محمد الى كوتوال كرى ليقتل الأمير مسعود ،
وأن يرسل رأسه اليه ، وبموجب هذه الرسالة فصل كوتوال رأسه وأرسلها
الى الأمير محمد ، وبكى الأمير محمد كثيرا ، ولام هؤلاء الذين سعوا
هذا السعى .

ذكر شهاب الدين والدولة وقطب الملة أبى الفتح مودود بن مسعود :

عندما وصل خبر قتل الأمير مسعود الى ابنه الأمير مودود فى
قهبستان ، أراد أن يتوجه الى ياريكله للانتقام لأبيه ، واثناءه أبو نصر أحمد
ابن محمد بن عبد الصمد عن عزمه ، وجاء الى غزنين ، واستقبله أهالى
غزنين جميعا ، وعزوه ، وبأيعوره ، وتوجه من هناك بجيش جرار باصدا
عمه الأمير محمد ، وعندما وصل الى دننور ، استقبله الأمير محمد ، وأعد
الصفوف ، وتقاتلا ، وكانا يتقاتلان طوال النهار ، وعندما يحل المساء ،
يبتعد كل منهما عن غريمه ، ويعود الى مكانه وأرسل الأمير مودود فى
ليلة الى ميراجل (١٠١) سيد منصور ، الذى كان فى جيش الأمير محمد
رسولا وجعله يآزره ، وعندما اتخذ ميراجل سيد منصور أثناء الحرب
جانبا ، وأخذ يتفرج ، لم ير شجاعة فى أى جانب ، والتقى الطرفان فى
اليوم التالي ، وتقاتلا ببسالة وأخيرا صار النصر حليفا للأمير مودود ،
وأرسل الأمير محمد ابنه أحمد وسائر أعيان الجيش ، وقتلهم وبني الأمير
مودود هناك رباطا وسوقا ، وأسماه فتح آباد (١٠٢) ، وأمر باحضار

(١٠٠) اباركه « ١ » ص ١٤ ، أما الرباط فهو منطقة على الحدود ، وقد أنشئت
الرباط فى الاسلام لجمع الاهالى للعلم والجهاد ، وهو مكان يجتمع فيه الفرسان متاهبين
للقيام بحملة من الحملات ، وهى ايضا منشأة دينية وحريرية والرباطات تعد من الثغور
الاسلامية .

(١٠١) مراحل « ١ » ص ١٤ ، سيد أبو منصور (زين الاخبار ١١١) .

(١٠٢) فتح باد « ١ » ص ١٤ .

تابوت أبيه وأخوته من كرى (١٠٣) الى غزنين ، وكان هذا النصر فى شهر شعبان سنة ٤٣٢ هـ .

وفى سنة ٤٣٣ هـ استاء الأمير مودود من خواجه أحمد عبد الصمد ، فحبسه فى قلعة غزنين ، ومات فى الحبس ، واختار أبا طاهر بن محمد مستوفى للوزارة ، وأرسل فى نفس هذه السنة أبا نصر محمد بن أحمد الى الهند لمحاربة نامى محمد بن محمود ، وقتل نامى فى هذه الحرب وفى سنة ٤٣٤ أرسل الأمير مودود ارتكين الى طخرستان (١٠٤) وعندما وصل ارتكين (١٠٥) الى طخرستان علم أن ابن أبى داود تركمان جاء الى « أرمن » فهاجمه ، وعندما اقترب منه تنبه ، فترك الجيش هناك ، وفر مع عدد معدود ، وتعبه ارتكين وقتل كثيرا من جيشه ، وعاد من هناك الى مدينة بلخ ، واستولى عليها ، وقرأ الخطبة باسم الأمير مودود ، وبعد فترة توجه اليه التركمان ، واقتربوا من بلخ ، ولما لم يكن جيشه كبيرا ، طلب المدد من الأمير مودود ، ولما لم يجد قبولا لطلبه ، جاء الى غزنين بجيشه ، وفى سنة ٤٣٥ هـ بوشاية البعض استاء من أبى على « كوتوال » غزنين وحبسه ، وأخيرا عندما علم براءته ، أطلق سراحه وجعله « ديوانا للمملكة » و«كوتوالا » لغزنين ، وحبس سورى بن العبر الذى كان ديوانا من قبل حتى مات فى الحبس ، وصدرت من ارتكين اشياء ساءت خاطر الأمير ، فاطاح برأسه أمام الجميع .

وفى سنة ٤٣٦ هـ وزر خواجه (١٠٦) طاهر ، وعين خواجه امام (١٠٧) سيد أبا الفتج عبد الرازق بن أحمد حسين محله بالوزارة ، وأرسل فى نفس السنة طغرل حاجب الى بست ، وأسر أخو أبى الفضل درنكى (١٠٨) أبا منصور ، وجاء الى غزنين ، وفى سنة ٤٣٧ هـ تجمع التركمان ، واتجهوا الى غزنين ، وعندما مروا من بست ، وانتهبوا رباط الأمير (١٠٩) وصل اليهم جيش غزنين ، ووقعت معركة حامية ، وأصاب الهزيمة التركمان ، وقتلوا أكثرهم ، وبعد هذا النصر توجه طغرل الى كرمسير ، وقتل تركمان هذه الولاية والذين يسمونهم « سرخ كلاه » (١١٠)

(١٠٣) كراى « ١ » ص ١٤ .

(١٠٤) طخرستان « ٩ » ص ١٤ . وربما يقصد طخرستان .

(١٠٥) وردت ارتكين، ووارتكين بالكاف الفارسية .

(١٠٦) خواهر « ١ » ص ١٥ .

(١٠٧) أيام « ١ » ص ١٥ .

(١٠٨) ورنكى « ١ » ص ١٥ .

(١٠٩) رباط امر « ١ » ص ١٥ .

(١١٠) اصحاب العمامة الحمراء .

وأسر كثيرين وعاد إلى غزنين ، وفي سنة ٤٣٨ هـ أرسل الأمير مودود طغرل ثانية بجيش جرار إلى هذه الناحية ، وعندما وصل طغرل إلى بتكينا باد (١١١) أبدى العصيان ، وعلم الأمير مودود بهذا الخبر ، فأرسل عدة أشخاص إليه لاستمالته ، فأجاب طغرل : « طالما أن الجماعة التي تلازم الأمير تضم إلى العذاء فلن أستطيع الملائمة » وبعد هذا أرسل الأمير مودود على ابن ربيع بعشرة (١١٢) آلاف فارس طالبا طغرل ، وعندما اقترب على بن ربيع من طغرل ، فر طغرل مع عدة أشخاص ، واقتحم على جيشه ، وانتهبه ، وأسر عدة أشخاص ، وجاء إلى غزنين ، وفي نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود حاجب بزرك بايتكين إلى الغور ، وعندما توجه إلى الغور ، اتبعه بشيربجه ، ووصل إلى قلعة « أبي على » وفتح هذه القلعة ، وأسر أبا على ، وهذه القلعة لم يستطع أحد أن يسيطر عليها منذ سبعمائة سنة ، وقيد شيربجه أبا على ، وجاء إلى غزنين ، وفي نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود أمير حاجب بايتكين لمهاجمة « بهرام سال » قائد التركمان ، والتقى الطرفان في نواحي بست ، وتقابلا ، وفر التركمان مهزومين ، وفي سنة ٤٣٩ هـ تمرد أمير قزدار (١١٣) فأرسل الأمير مودود ، حاجب بزرك بايتكين لمهاجمته ، وقاتل قزدار ، وهزم ، وبعد فترة ، دخل من طريق الطاعة وقبل دفع الخراج فعاد أمير حاجب إلى غزنين .

وفي سنة ٤٤٠ هـ ، سلم الأمير مودود ولديه أبا القاسم محمود ومنصور في يوم واحد « الخلعة والطبل والعلم » وأرسل أبا القاسم محمود إلى لاهور ، ومنصور إلى برشور (١١٤) وأرسل أبا على حسن كوتوال غزنين إلى الهندوستان ، ليؤدب المتمردين في الهند ، واتجه أبو على إلى قلعة ماهية (١١٥) وعندما علم أهنيين حاكم القلعة ، فر وحيدا ، وفر كل قائد هندي كان يلازمه في عهد السلطان محمود وقضى عمره في خدمته ، وبسبب بعض الأمور استاء ، وفر إلى الهندوستان ، واختفى في جبال كشمير ، وأرسل الكوتوال رسولا إليه ، واستماله كثيرا ، واستدعاه لديه ، وعاهده وأرسله إلى غزنين ، ورعى الأمير مودود مقامه ، واهتم به ، وخلال هذه المدة التي كان فيها أبو على كوتوال في الهند ، سعى الأعداء بالوشاية به عند مودود ، وعندما جاء أبو على

(١١١) بكتاباد « ٦ » ص ١٥ .

(١١٢) دو « ٦ » ص ١٥ ، ده « ك » ص ٢٩ .

(١١٣) أمير قزدار « ٦ » ص ١٥ ، قزدار (روضة الصفا حلد جهارم ٣٧٤) .

(١١٤) برسوز (١) ص ١٥ . برشور « ك » ص ٣٠ .

(١١٥) ما هيته « ٦ » ص ١٥ .

كوتوال الى غزنين ، أمر الأمير مودود بحبسه ، وسلمه الى ميرك حسن ، وبعد عدة أيام قتله الأعداء فى هذا الحبس ، ولما كان ارتكاب هذا الفعل دون موافقة الأمير مودود ، سعوا لاختفاء هذا الأمر وحرصوا الأمير على السفر ، لأنه لو سافر الأمير من غزنين فان عملهم سيظل مستورا ، وأخيرا فضل الأمير السفر الى كابل ، وعندما وصل الى قلعة سانكوه ، أصابه مرض القولنج وأخذ المرض يزداد يوما بعد يوم ، واضطر الأمير مودود للعودة الى غزنين ، وعندما وصل الى غزنين ، كلفه ميرك وهو فى اثناء المرض ، أن يطلق سراح أبى على كوتوال من الحبس ويحضره ، واحتال ميرك ، وطلب أسبوعا مهلة ولم يكده يمر أسبوع حتى توفى الأمير مودود وفى الرابع والعشرين من رجب سنة (١١٦) هـ ، ووصلت أيام حكومته تسع سنوات ، وجلس ابنه محمد بن مودود ، الذى كان فى الثالثة من عمره بسعى على بن ربيع على عرش السلطنة ، وبعد خمسة أيام تغير رأى الأمراء ، ورفعوا على بن مسعود على السلطنة .

ذكر على بن مسعود :

عندما استقر على الحكم كان عبد الرزاق بن أحمد ميمندى ؛ الذى كان الأمير مودود قد عينه فى سيستان ، قد وصل الى قلعة بين بست وأسفراين (١١٧) ؛ وعلم أن عبد الرشيد محبوس فى هذه القلعة بأمر الأمير مودود ، فأطلق سراح عبد الرشيد ، وجعله يقبل السلطنة ، وأمر الجنود أيضا بطاعته ، وأخذ منهم البيعة ، وأيام حكومة على قرابة ثلاثة أشهر .

ذكر عبد الرشيد بن مسعود :

بعد أن وصل الى الحكم ، توجه مع عبد الرزاق والجنود الآخرين الى غزنين ، وعندما وصلوا الى غزنين ، فر على بن مسعود من المعركة ، وحكم عبد الرشيد واتجه طغرل حاجب الذى كان من أفراد السلطان محمود الى سيستان ، وسخر طغرل سيستان ، وتجمع له جمع ، وتوجه من هناك الى الأمير عبد الرشيد ، للغدر به وعندما اقترب من غزنين ادرك الأمير عبد الرشيد غدره فدخل غزنين مع تابعيه وتحصن ، وأخذ طغرل المدينة ، وقتل الأمير عبد الرشيد مع أولاد السلطان محمود الآخرين ، وتزوج ابنة مسعود ، وجلس يوما على العرش ، وأعلن العفو

(١١٦) روهتا الصفا جلد چهارم ١٣٧٤ .

(١١٧) سفراين ١١٦ ، أسفراين ك ٢١ .

العام ، ولكن جماعة من الأبطال الغيورين دخلوا عليه ، ومزقوه اربا
بالسيوف والقوه على تراب المنذلة ، وأيام حكومته (١١٨) أربع سنوات .
نذكر فرخ بن مسعود (١١٩) .

عندما قتل طغرل ، اطلق أمراء وأعيان الدولة سراح فرخ زاد الذي
كان محبوبا ، واجلسوه على العرش ، وتوجه جيش كبير من
السلاجقة (١٢٠) الى غزنين وأرادوا النهب والسلب ، وتوجه « حرجر »
بأمر فرخ زاد لاستقبالهم ، وقتل أكثرهم ، وأسر عددا من أعيانهم ،
وأحضرهم أمام الأمير (١٢١) فرخ زاد ، فأمر الأمير بحبسهم ، وتوجه اللب
إرسالن مرة أخرى بجيش عظيم لمحاربة الغزنويين ، وغلبهم ، وأسر
كثيرا من قواد غزنين ، وحملهم الى خراسان ، وأخيرا قرر الصلح
وتحرر الأسرى من الطرفين ، ولم تكد تمر ست سنوات على حكم فرخ
زاد حتى انتقل من العالم الفاني ، وجلس أخوه إبراهيم بن مسعود
مكانه على الحكم .

نذكر إبراهيم بن مسعود ابن السلطان محمود :

كان سلطانا عادلا وزاهدا ، اشتهر بحسن التدبير واصابة الرأي ،
وكان يكتب خطا جميلا ويرسل كل عام مصحفا وأمولا كثيرة الى مكة ،
المهم ، بعد ما عقد الصلح مع السلاجقة ، ارتاح خاطره ، وتوجه الى
الهندوستان ، وفتح كثيرا من القلاع والبقاع منها مدينة في نهاية
المعمورة كان سكانها من نسل الخراسانيين ، الذين طردهم
أفراسياب (١٢٢) من خراسان ، وكان في هذه المدينة حوض ، قطره نصف
فرسخ ، مهما شرب منه الانسان والحيوان ، لا ينضب ماؤه قط ، ويسبب
كثرة الغابات ، التي كانت حول القلعة ، لم يظهر طريق الذهب والاياب ،
وفتح هذه القلعة بالقوة ، وأسر مائة ألف شخص ، وجاء الى غزنين ،
واستولى على غنائم أخرى ، وكانت وفاته سنة ٤٨١ هـ ، حكم ثلاثين
عاما ، وپرواية صاحب (١٢٣) بناكتي اثنتين وأربعين سنة .

(١١٨) أيام حكومة عبد الرشيد ، اعمل محمد خاوندشاه ذكر على بن مسعود
وعبد الرشيد .

(١١٩) فرخزاد « ك » ص ٢٢ .

(١٢٠) وهم الترك الغز في بلاد ما وراء النهر من سنة ٣٩٥-٥٢٨ هـ (تاريخ
بخارى ص ١٢٧) .

(١٢١) روضة الصفا ٤/٣٧٥ ١ .

(١٢٢) بطل أسطوري توراني حارب رستم حروبا طويلة وأخيرا قتل على يديه .

(١٢٣) لم ترد كلمة « صاحب » بنفسه في ١ .

ذكر مسعود بن ابراهيم :

حل محل الأب ، ولقب بالسلطان جلال الدين ، ولم نجد أحوالا له أكثر من ذلك مدة حكومته ست عشرة سنة (١٢٤) .

ذكر أرسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم :

حل محل ابيه ، وقفز على كرسي الحكم ، وقبض على جميع اخوته ، وحبسهم الا بهرامشاه الذي فر وتوجه الى السلطان سنجر (١٢٥) بخراسان ، وكلما كتب الرسائل وألح حول أمر بهرامشاه يرفض أرسلان شاه ، وأخيرا هجم السلطان سنجر بجيش جرار على أرسلان شاه ، وبمجرد أن اقترب بمسافة فرسخ من غزنين حتى خرج أرسلان شاه بثلاثين ألفا ، وصف الجيش ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على أرسلان شاه ، وتوجه الى الهندوستان ، ودخل السلطان سنجر غزنين ، وتوقف هناك أربعين يوما ، وسلم هذه الولاية لبهرامشاه ، وعاد الى ولايته ، وعلم أرسلان شاه بعودة السلطان سنجر ، فجاأ الى غزنين بجيش جرار من الهندوستان ، ولم يجد بهرامشاه نفسه قادرا على المقاومة فترك غزنين ، وذهب الى قلعة باميان ، وعاد لمهاجمة غزنين بمساعدة جيش السلطان سنجر ، فاخلى أرسلان شاه المدينة خوفا من جيش السلطان سنجر ، واختفى ، وتعقبه السلطان سنجر ، وقبض عليه ، وسلمه الى أخيه بهرامشاه ، وقتل بيد أخيه ، وكانت مدة حكومته ثلاث سنوات .

ذكر بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم :

كان سلطانا صاحب شوكة ، صاحب العلماء والفضلاء ، وقال الشيخ ثنائى شعرا باسمه ، وصنفت فى عهده كتب كثيرة ، وألف باسمه كليلة ودمنة ، وأنشد سيد حسن غزنوى يوم جلوسه قصيدة مطلعها :

« هبط النداء من السماء السابعة ، ان بهرامشاه ملك للعالم »

قائد الجيوش الى بلاد الهند ، وسخر الأماكن التى لم يستطع أن يستولى عليها أسلافه ، وترك أحد أمرائه لضبط ممالك الهندوستان (١٢٦) ، وعاد الى غزنين ، وبعد فترة طويلة كفر هذا الوالى بالنعمة ، وسلك طريق العصيان ، وتوجه بهرامشاه بمجرد سماع هذا الخبر الى

(١٢٤) مدة سلطنة مسعود خمس عشرة سنة (روضة الصفا جلد چهارم ١٣٧٥) .

(١٢٥) حكم من سنة ٤٨٢ هـ - ٥٢٢ هـ .

(١٢٦) كان هذا أول والى من قبل الغزنويين يحكم الهندوستان .

الهندوستان لدفعه ، وعندما وصل الى الملتان ، وقعت بين الطرفين معركة حامية ، وأسر هذا الشخص من شؤم بغيه ، وقتله ، وتوفى سنة ٥٤٧ هـ كانت مدة حكمه خمسة وثلاثين سنة .

نكر خسروشاہ بن بہرامشاہ بن مسعود بن ابراهيم :

ارتقى السلطان بعد أبيه ، وعندما توجه علاء الدين غورى الى غزنین ، فر الى الهندوستان ، وحكم فى لاهور ، وعندما فضل علاء الدين حسين العودة ، عاد خسروشاہ الى غزنین ، وعندما أسر « الغز » السلطان سنجر توجهوا الى غزنین ، ولم يجد خسروشاہ طاقة لمقاومتهم ، وتوجه الى لاهور ، وتوفى سنة ٥٥٥ هـ ، وامتدت حكومته الى ثمانى سنوات (١٢٧) .

نكر خسروملك بن خسروشاہ :

جلس فى لاهور بعد وفاة والده ، واتصف بالحلم والحياء ، وأصاب الفساد التام المملكة بسبب كثرة النهو والطرب :

« شاع الفساد فى هذا العرش والملك ، لأن تدبير الملك كان أقل من راعى الغنم » .

وعندما اتخذ السلطان معز الدين محمد سام غزنین حاضرة له ، وقاد الجيش الى الهند استولى على ما هو حول لاهور ، وطلب خسروملك الأمان ، وتوجه اليه فى سنة ٥٨٣ هـ ، وأرسله السلطان معز الدين محمد الى غزنین ، وتجرع من كأس الغناء ، وكانت مدة حكومته ثمان وعشرين سنة ، وولت دولة الغزنويين ، وانتقل السلطان من أسرتهم ٠٠٠ والله أعلم (١٢٨) .

(١٢٧) وردت بنسخة « ١ » « بيست » وفى خطأ ص ١٧ ، وفى نسخة « ك » بهشت

ص ٣٥ .

(١٢٨) والله أعلم وردت بنسخة « ١ » ص ١٧ ، ولم ترد فى نسخة « ك » .

- طبقة سلاطين دهلي
حتى جلال الدين أكبر

طبقة سلاطين دهلى

ذكر السلطان معز الدين محمد سام غورى :

اشتهر بشهاب الدين ، كان له أخ يسمى شمس الدين ، أصغر منه ، اطلقوا عليه بعد السلطنة غياث الدين ، بعد أن وصل السلطان غياث الدين الى حكم الغور وضم بعض الولايات ، ترك أخاه الأصغر معز الدين فى تكتناباد من بلاد كرمسير ، وعندما حكم السلطان معز الدين تكتناباد أخذ يهاجم غزنين ، ويقود الجيش من تكتناباد ، وأخذ فى مضايقة هذه البلاد ، حتى سنة ٥٦٩ هـ حيث فتح السلطان غياث الدين غزنين ، وترك أخاه الأصغر سلطان معز الدين محمد هناك .

وعندما حلت سنة ٥٧٠ هـ حكم معز الدين حكومة غزنين نيابة عن أخيه « وبعد سنة قاد الجيش صوب أجه » (١) واستولى على الملتان من يد القرامطة ، وتحصنت طائفة بهاتيه (٢) فى قلعة أجه ، وحاربت عدة ايام (٣) وأخيرا تم الفتح ، وسخر الملتان أيضا ، وسلم أجه والملتان الى على كرماسخ ، وعاد الى غزنين ، وفى سنة ٥٧٤ هـ عاد الى أجه والملتان ، وتوجه الى الكجرات من طريق صحراوى ، وتقدم رأى بهيم ديور حاكم هذه الولاية لمقاتلته ، وبعد المقاتلة وقعت الهزيمة على السلطان ، وعاد السلطان بمشقة بالغة الى غزنين ، واستقر عدة ايام ، وفى سنة ٥٧٥ هـ قاد الجيش الى ناحية بشاور ، التى تشتهر فى كتب السلف بىكرام (٤) وپرسور وفرشور ، وسخر هذه الناحية .

وفى السنة التالية هاجم لاهور ، وتحصن السلطان خسروملك ، وكان من نسل السلطان محمود الغزنوى ، ويحكم لاهور ، فى قلعتها ،

(١) سقطت هذه الجملة من نسخة « ١ » ص ١٨ .

(٢) مهنته « ١ » ص ١٨ .

(٣) سيعد روز « ١ » ص ١٨ ، چند روز « ك » ص ٣٦ .

(٤) بىكرام ١ ص ١٨ .

وبعد الرسل والرسائل أرسل خسرو ملك ابنه بفيل هدية ، وعقد السلطان معز الدين الصلح ، وعاد ، وفى السنة التالية قاد الجيش الى ديول وهى جزء من تهته (٥) واستولى على جميع بلاد شاطيء البحر ، واستولى على أموال كثيرة ، وعاد ، وفى سنة ٥٨٠ هـ دخل ولاية لاهور ثانية ، وتحصن خسرو ملك مرة أخرى وانتهب السلطان معز الدين نواحى لاهور ، وبنى قلعة سيالكوت (٦) وهى بين نهر راوى ونهر جناب وعين حسين خرميل عليها ، وعاد ، بعد ذلك حاصر خسرو ملك بالاتفاق مع كهوكران وقبائل أخرى قلعة سيالكوت مدة وعاد خائبا ، وعاد السلطان معز الدين فى سنة ٥٨٢ الى لاهور ثانية ، وتحصن خسرو ملك ، وحارب عدة أيام وأسرع فى آخر الأمر لمقابلة السلطان معز الدين لعجزه ، وحمله السلطان معه الى غزنين ، وأرسله عند أخيه غياث الدين فى فيروزكوه ، وحبس غياث الدين فى احدى قلاع غرجستان ، وتوفى فى حبسه ، وسلم السلطان معز الدين لاهور ، لعلى كرمخ (٧) حاكم الملتان وعاد .

وفى سنة ٥٨٧ هـ توجه من غزنين الى الهندوستان ، وسخر قلعة سرهند التى كانت فى هذه الأيام حاضرة راجوات عظام ، وترك ملك ضياء الدين توكلى أو توكلى (٨) ، مع ألف ومائتين فارس من خيرة الفرسان فى هذه القلعة ، وسلمهم متاع القلعة وعندما أراد العودة سمع بخبر مجيء راي بتهورا راجه اجمير ، فاستقبله فى قرية تراين (٩) على نهر سرستى وهى على مسافة سبعة فراسخ من تهايسر ، وتشتهر الآن بتراورى ، وهى على مسافة أربعين فرسخا من دهلى ووقعت معركة حامية ، وأصابته الهزيمة جيش الاسلام ، وأبدى السلطان فى هذه المعركة شجاعة ، وتقدم فى مواجهة كهاندى راي أخى بتهورا والى دهلى ؛ الذى كان راكبا على فيل ، وأصابه بحربة فى فمه ، وضرب السلطان أيضا بحربة ، فجرح ساعده ، وكان خلع بجه قريبا من وأخذه وخرج من المعركة ووصلا الى المعسكر ، وسكنت الغوغاء التى حدثت فى الجيش لعدم مجيء السلطان ، وعندما عاد السلطان الى غزنين ، جاء راي بتهورا ، وحاصر قلعة سرهند ، التى كان ضياء الدين

(٥) تهه « ١ » ص ١٨ .

(٦) سيالكوت « ١ » ص ١٨ ، سيالكوت « ك » ص ٣٧ .

(٧) قلى كرمخ « ١ » ص ١٨ .

(٨) توكلى فقط فى نسخة « ١ » ص ١٨ .

(٩) تراين « ١ » ص ١٨ .

توكلى فيها ، لمدة عام وشهر ، وتصالحا ، وفى سنة ٥٨٨ هـ توجه
السلطان معز الدين الى الهندوستان ثانية ، وفى نفس قرية قرابين (١٠)
التقى مع بتهورا ، ووقعت معركة حامية ، وقسم السلطان جيشه اربعة
افواج ، وقاتلوا على دفعات وحقق النصر ، واسر بتهورا وقتله ، وهزم
كهاندى راي اخوه فى المعركة ، وقتل ، وفتح قلعة سرستى وهانسى ،
وانتهب اجمير التى كانت دار ملك بتهورا ، وترك ملك قطب الدين ابيك
غلامه وخليله فى قسبة كهرام على مسافة سبعين فرسخا من دهلى ،
ونهب جبل سوا لك شمال الهندوستان ، وعاد الى غزنين ، وسخر ملك
قطب الدين ابيك فى نفس السنة المذكورة قلعة دهلى وميرت (١١)
واستولى عليهما من يد اقارب بتهورا وكهاندى راي وفى سنة ٥٨٩ هـ
سخر قلعة كول ، واتخذ دهلى دارا للملك ، واستقر هناك ، واستولى
على نواحى دهلى ، ومنذ هذا التاريخ صارت دهلى حاضرة السلاطين ،
وفى السنة المذكورة توجه السلطان معز الدين من غزنين الى الهندوستان ،
وسار الى قنوج ، واستقبله راي جيجند والى قنوج بثلاثمائة ونيف من
الافياءل ، وحارب فى نواحى قسبة جندوار (١٣) واشاوه ، وهزم ،
واستولوا على افيااله وحشمه ، وترك السلطان ملك قطب الدين فى
دهلى ، وعاد الى غزنين بغنائم كثيرة ظافرا منتصرا واستولى ملك قطب
الدين ابيك على قلعة تهنكر وكواليار وبداون ، وقاد الجيش الى
نهرواله (١٤) بالكجرات لينتقم للسلطان من راي بهيم ديور واليها ،
واستولى على غنائم كثيرة .

كان السلطان معز الدين فى طوس وسرخس : حين وصله خبر وفاة
اخييه الاكبر السلطان غياث الدين ، وتقلد السلطنة ، وتوجه الى بادغيس ،
وتلقى العزاء ، وقسم ممالك اخيه على آل سام ، فأعطى ابن عمه ملك
ضياء الدين عرش فيروزكوه والغور ، لأنه كان صهر السلطان غياث
الدين وأعطى بست وقره (١٥) واسفرايين الى السلطان محمود بن
غياث الدين ، وسلم حكومة هرات وتوابعها لناصر الدين غازى ابن
اخته ، وجاء من بادغيس الى غزنين ، وتوجه الى خوارزم لتسخيرها ،

(١٠) نراين « أ » ص ١٩ .

(١١) هرت « ١ » ص ١٩ .

(١٢) راي جند « ١ » ص ١٩ .

(١٣) راي جند « ١ » ص ١٩ .

(١٤) قصة جند « ١ » ص ١٩ .

(١٥) بهرواله « أ » ص ١٩ .

(١٥) فره « ك » ص ٤٠ .

وهزم خوارزمشاه ، ودخل خوارزم ، وعندما وصل السلطان الى خوارزم ، قامت المعركة عدة ايام ، وبدأ أهل خوارزم القتال على شاطئ نهر كان محفورا شرقي خوارزم ، واستشهد كثير من أمراء الغور في هذه المعركة ، ولما لم يتيسر فتح خوارزم ، عاد من واديها وشط جيحون الى بلخ ، وكان جيش الخطا وملوك التركستان قد جاءوا لمساعدة السلطان محمد على شاطئ نهر جيحون ، وقطعوا الطريق على السلطان معز الدين ، وعندما وصل السلطان الى « اندخود » وقعت معركة حامية بين الطرفين ، وحارب السلطان في هذه المعركة بشجاعة وبطولة مع مائة فارس بقوا معه ، ولما لم يستطع المقاومة ، دخل قلعة اندخود ، وتحصن ، وسلمهم القلعة مقابل الصلح وطلب الأمان ، وعاد الى غزني ، وفي هذه الأثناء أعلنت جماعة كهوكهران في نواحي لاهور العصيان ، وقاد السلطان جيشه لمهاجمة كهوكهران ، وتوجه قطب الدين أيك اليه من دهلي لتقديم الخدمة ، وأدب كهوكهران ، وعاد الى غزني ، وأثناء العودة استشهد في دميك ، وهي قرية من توابع غزني بيد فداي كهوكهراني وقالوا هذه القطعة في تأريخه :

« شهادة ملك البحر والبر ، شهاب الدين الذي لم يأت مثله منذ بداية العالم »

« سقط في الثالث من شعبان سنة ٦٠٢ هـ في طريق غزني بقرية دميك » .

كانت أيام سلطنته من بداية فتح غزني (١٦) حتى آخر العمر ، اثنتين وثلاثين سنة وعدة أشهر ، ولم يبق له وريث سوى أخته ، ويقال أنه ترك خزائن من الذهب والفضة والجواهر من جملتها خمسمائة « من » (١٧) من الماس وهي جواهر نفيسة ، وترك نقودا أخرى وأمورا لا تفوق الحصر ، سافر الى الهند تسع مرات ، وهزم مرتان ، ونال التوفيق في آخر حياته ، كان سلطانا عادلا رحيفا على الخلق ، يضاف الله ، وكان يكرم العلماء والصالحين ، ويرعاهم .

نكر السلطان قطب الدين أيك :

كان غلام السلطان معز الدين سام ، أحضره من التركستان في أول الأمر القاضي قخر الدين عبد العزيز الكوفي وهو من أولاد الامام

(١٦) سقطت كلمة « فتح » من نسخة « ك » ص ٤٠ .

(١٧) نوع من الوزن والمكيال مازال مستعملا حتى الآن في بعض الدول الاسلامية ومنها دول الخليج .

أبى حنيفة الكوفى الذى اشتراه ، وعلمه القرآن مع ابنائه ، واكسبه الأدب ، واشتراه بعد ذلك تاجر بثمان مرتفع ، وقدمه هدية الى السلطان معز الدين فى غزنين ، فاشتراه منه بثمان باهظ ، وعندما انكسر أصبعه الخنصر قالوا له « أيبك » : كان يخدم السلطان باخلاص لذا نال فى فترة قصيرة القرب والاختصاص ، وذكروا أن السلطان معز الدين عقد ذات ليلة حفلا ، وجلس مع المقربين والخاصة ، وأنعم فى هذا الحفل على خاصته والمقربين جميعا بانعامات كثيرة ، وخص ملك قطب الدين بمزيد من الانعام ، وعندما انفض المجلس ، قسم ملك قطب الدين ما كان قد ناله من انعام على جميع الفراشين والخدم ، وعلم السلطان بالخبر صباحا ، فاثنتى عليه وأكرمه ورفعته الى درجة الامارة ، ونال الاكرام من الحاضرين وأهل البلاط وأخذ نجمه فى الارتفاع .

وفى الأيام التى قاد سلاطين الغور وغزنين وباميان جيوشهم لدفع سلطان خوارزم فى خراسان ، كانوا قد تركوا ملك قطب الدين أيبك على حدود مرو ، أى نهر مرغاب ، والتقى بجيوش سلطانشاه ، وقاتل بشجاعة ، ولما كان جيشه قليلا ، سقط فى أيديهم ، وحملوه الى سلطانشاه وقيده السلطان ، وعندما قامت الحرب بين سلاطين الغور وسلطانشاه ، وهزم سلطانشاه أحضروا ملك قطب الدين جالسا فى هودج على ظهر جمل ملازمة السلطان ، وأكرمه السلطان معز الدين محمد سام ، وأنعم عليه .

وعندما عاد من الهند الى غزنين ، تركه نيابة عنه فى كهرام ، وقد ذكرت الأعمال التى قام بها ملك قطب الدين فى أيام حياة السلطان ، وبعد استشهاد السلطان معز الدين أرسل السلطان غياث الدين محمد خليفة السلطان غياث الدين محمد جترو امارة السلطنة (١٨) من فيروزكوه الى ملك قطب الدين ، ولقبه بلقب « سلطان » وفى سنة ٦٠٢ هـ جاء من دهلى الى لاهور ، وجلس يوم الثلاثاء السادس عشر من نى القعدة من السنة المذكورة على عرش السلطنة وفتح يد العطاء والانعام والسخاء ، وأنعم بمئات الآلاف وأعطى المستحق أكثر مما يتوقع ، وفى هذا الصدد قال بهاء الدين أوشى أحد فضلاء عصره :

« يا واهيا مئات الألوف ، فتحت باب الدنيا ، وجعلت كفيك منجما »
« من ثقل كفك أخذ الدم من قلب المنجم ، وقدم من الياقوت الكثير »
وقد لقبه أهل زمانه بقطب الدين « لكبخشى » وحتى الآن فان أهل

(١٨) اشارت « أ » ص ٢٠ ، امارت « ك » ٤٢ . وجتر مظلمة ترفع على السلطان .

الهند يمتدحون الشخصى الكريم السخى فيقولون « كل قطب الدين » (١٩) ويقولون كل بكاف عربية مفتوحة ولام مكسورة زمانه ، يعنى قطب دين زمانه ، وبعد مدة اتجه لمهاجمة لاهور تاج الدين يلدوز أحد المماليك المعزية وكان قد حكم غزنين بعد السلطان معز الدين ، وأطلق على نفسه لقب السلطنة ، وقصد كل منهما الآخر ، واشتعلت نار الحرب ، وبعد القتال والجدال هزم تاج الدين ، فتوجه الى كرمان ، وذهب السلطان قطب الدين الى غزنين ، وأقام أربعين يوما وأمر باللهو واللعب ، ونظرا لكثرة اللهو واللعب ولغفلته أرسل أهالى غزنين رسولا خفية الى السلطان تاج الدين ، واستدعوه ، وعندما وصل السلطان تاج الدين فجأة لم يستطع السلطان قطب الدين مقاومتها ، واتجه الى لاهور من طريق سنك سوراخ :

« عندما يتمايل السلطان من الخمر ، يسقط تاج الملك سهوا من فوق رأسه » .

وفى سنة ٦٠٧ هـ سقط من فوق الجواد وهو يلعب « الصولجان » (٢٠) ودخلت فى صدره حديدية السرج فأصابته قلبه ، مدة ملكه من فتح دهلى حتى آخر عمره ست سنوات ، من جملتها أربع سنوات كان فيها سلطانا .

ولما كان سبعة أشخاص من ممالك وأمراء السلطان شهاب الدين سام قد بلغوا السلطنة فمن المناسب نذكرهم فى هذا المكان .

نذكر السلطان تاج الدين يلدوز :

كان سلطانا كبيرا كريما صاحب أخلاق حميدة ، يمتاز بجمال زائد ، اشتراه السلطان معز الدين وهو صغير السن ، وخصه بالقرب ، ورفع درجته ، وميزه عن سائر مماليكه بالرعاية والاهتمام ، وكان كلما سافر السلطان الى الهندوستان وكرمان استضافه ملك تاج الدين ومعه جميع أمرائه وقدم ألف قلنسوة وعباءة هدية ، وأنعم على جميع الحشم

(١٩) الكل لغة بمعنى التعب ، وشرعا الشخص الذى لا أب له ولا ابن ، ولا أب يعوله فى الطفولة ولا ابن يراه فى العجز والشيخوخة ، والكل أيضا هو الاكليل ، وهو ما يلف حول الرأس ويقصد به من يحيطون بالشخص ولا اتصال بدم به ويعيشون عائلة عليه وعلى نعمته ، قال تعالى « وهو كل على مولاه » والكل أيضا اليتيم (مختار الصحاح ص ٥٧٦) .

(٢٠) لعبة الجولف وهى لعبة عبارة عن كرة تضرب بعصاة معقوفة واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الخيول .

ذل حسب سعة حاله ، وكان لديه اختان وبفرمان السلطان كانت احدهما زوجة للسلطان قطب الدين ابيك والثانية زوجة ملك ناصر قباچه (٢١) وكان ملك تاج الدين ولدان سلم أحدهما لمعلم ، ورفع المعلم جرة قاصدا تأديبه ، وضربه ، ولما كان أجل الابن قد حان ، فقد توفى باثر الضربة ، وعندما وصل الخبر الى ملك تاج الدين ، أعطى المعلم نفقة الطريق ، وودعه ، وقال له : ينبغي أن تختفى بسرعة قبل ان تعلم والدة الابن . وغضل السفر ، وهذه الحكاية دليل واضح على حسن سيرته وعندما جاء السلطان معز الدين فى أواخر سلطنته الى كرمان ، خص ملك تاج الدين يلدوز (٢٢) بكسوة خاصة ، وأعطاه شارة سوداء ، وكان فى خاطره ان يكون ولى عهد غزنين بعد وفاة السلطان .

وعندما توفى السلطان ، أراد ملوك وامراء الترك ان يستدعوا السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام من نواحى كرمسير ليجلسوه على عرش عمه فى غزنين ، وكتبوا هذا المعنى وعرضوه على السلطان غياث الدين محمود ، فأجابهم السلطان غياث الدين محمود « ان عرش أبى ، هو فيروز كوه وممالك الغور أولى » . وأرسل الى السلطان تاج الدين خلعة ، وأعطاه مرسوم العتق ، وسلمه عرش غزنين ، وبحكم هذا الفرمان دخل ملك تاج الدين غزنين وجلس على العرش ، وحكم هذه الممالك ، وقد ابتعد مرة عن غزنين وعاد واستقر بها ، وقاتل السلطان قطب الدين ابيك على حدود البنجاب وهزم ، ودخلت غزنين تحت سيطرة السلطان قطب الدين ، وعاد الى حكومة غزنين ثانية طبقا لما ذكر ، وذات مرة أرسل جيشا لمساعدة السلطان غياث الدين لمهاجمة هرات ، وهزم ملك هرات عز الدين حسين خرميل ، ومرة قاد الجيش صوب سيستان ، وحاصرها ، وعاد ملك تاج بعد عقد الصلح ، وأثناء الطريق اختلف مع ملك نصير الدين حسين « ميرشكار » (٢٣) وحاربه وهزم ، وبعد فترة قاد الجيش الى الهندوستان وتقاتل مع السلطان شمس الدين على حدود تراين ، وأسر ، وكانت مدة حكومته تسع سنوات (٢٤) .

ذكر السلطان ناصر الدين قباچه :

من ممالك السلطان معز الدين ، سلطان كبير فى غاية الذكاء والكياسة والمهارة ، خدم السلطان فى كل المجالات ، وأبدى مقدرة على قيادة الجيش والحكم ، وعندما حارب جيش الخطا السلطان معز الدين ،

(٢١) قباچه « ١ » ص ٢١ .

(٢٢) يذكره مرة بملك ومرة بسلطان .

(٢٣) أمير الصيد .

(٢٤) سه سال « ١ » ص ٢٢ ، نه سال « ك » ص ٤٥ .

واستشهد ملك ناصر الدين ايتمز (٢٥) حاكم آجه فى هذه المعركة نحسب السلطان ملك ناصر الدين قباجه محله على آجه ، كان صهرا للسلطان قطب الدين بأختيه (٢٦) ودخل تحت سيطرته آجه والمقتان وسائر القلاع والقصبات ، ومملكة السند وتبرهنده (٢٧) وكهرام حتى سرستى بعد وفاة السلطان قطب الدين ، واستولى على لاهور عدة مرات ، وحارب جيش السلطان تاج الدين يلدوز الذى جاء من غزنيين ، وهزم مرة من خواجه مؤيد (٢٨) الملك سنجرى وزير مملكة غزنيين ، وعندما استقر امر مملكة السند له التحق بخدمته كثير من اكابر خراسان والغور ، وغزنيين من ممر حادثة جنكينخان ، وبذل الانعام والاكرام لكل واحد منهم ، وفى سنة ٦٢١ هـ جاء جيش المغول وحاصر مدينة المقتان اربعين يوما ، وفتح السلطان ناصر الدين خزائنه ، وانعم على الناس ، فأبدوا شجاعة وبطولة ، وبعد ذلك بسنة وستة اشهر استولى جيش الخاليج وجيش خوارزم على حدود سوسستان التى تشتهر بسهسوان ، وتوجه ملك ناصر الدين لصددهم ، ووقعت معركة حامية ، وأخيرا انهزم جيش الأعداء ، وقتل خان الخاليج ، وعاد السلطان ناصر الدين قباجه الى المقتان ، وبقيت أحواله المذكورة ضمن أحوال السلطان شمس الدين (٢٩) مدة حكومته اثنتان وعشرون سنة .

ذكر السلطان بهاء الدين طغرل :

كان من المماليك الكبار والأمراء المشاهير للسلطان معز الدين محمد سام ، يتصف بأوصاف حميدة وأخلاق سديدة ، عندما فتح السلطان معز الدين محمد سام قلعة تهنكر (٣٠) عين ملك بهاء الدين طغرل عليها ، وبنى قلعة فى ولاية بيانه ، وفضل الإقامة هناك ، وكان يركب دائما الى كوالير ، ويهاجم نواحيها ، وأثناء عودة السلطان معز الدين محمد سام من جانب قلعة كواليار قال الملك بهاء الدين طغرل ، لو فتحت هذه القلعة سأسلمها لك ، وبنى على مسافة فرسخين من كواليار قلعة حصينة ، وجمع فيها جيشه ، وأخذ يهاجم هذه النواحي ، وعندما مر عام على هذا وضاق الحال بأهل القلعة أرسلوا الرسل

(٢٥) أتميز « ١ » ص ٢٢ .

(٢٦) أى تزوج أختين له واحدة بعد الأخرى .

(٢٧) سر هند « ١ » ص ٢٢ .

(٢٨) وردت كلمة مؤيد فى « ١ » « ك » .

(٢٩) السلطان بهاء الدين طغرل « ١ » ص ٢٢ .

(٣٠) قلعة بهكر « ١ » ص ٢٢ .

بالمثحف والهدايا الى السلطان قطب الدين ابيك ، وسلموا القلعة له ، وكان هذا المعنى سببا فى العداء بين السلطان قطب الدين ابيك وملك بهاء الدين طغرل ، ومات بعد مدة وجيزة .

ذكر حكومه اختيار الدين محمد بختيار خلجى : (٣١)

كان من اكابر بلاد الغور وكرمسير ، امتاز بالسخاء والشجاعة واصباية الراى ، وصل فى عهد السلطان معز الدين محمد سام الى غزنيين ، ومن هناك توجه الى الهندوستان ، والتحق بخدمة ملك معظم حسام الدين وغليك (٣٢) الذى كان حاكما على بعض المقاطعات بين النهرين ، وعندما ظهرت عليه اثار الشجاعة ، سلمه مقاطعات كنيلا ويتيالى (٣٣) ، وبسبب شجاعته ويطولته كان يركب دائما الى نواحي بهار ومنير ، ويهاجمها ، ويأتى بالغنائم ، وعندما وصلت اخبار شجاعته الى السلطان قطب الدين ارسل اليه لواء السلطنة ، وفتح ملك اختيار الدين بمعونة واهتمام ورعاية السلطان قطب الدين قلعة بهار ، ونهب هذه الولاية كلها ، واستولى على غنائم كثيرة ، واطاح برقاب اهالى هذا المكان الذى كانوا جميعا شيوخا براهمة كبارا ، وصاروا علفا للسيوف ، ويطلقون عليهم بلغة الهند (٣٤) « مدرسة بهار » ، ولأنها موطن العلم اشتهرت ببهار .

بعد ذلك التحق بخدمة السلطان قطب الدين ، ونال انواع الانعام والاکرام ، ولما كان محل حسد الأمراء أخذ الأمراء الضعاف يجررون على السننهم فى مجلس السلطان كلمات تتضمن الاهانة والاحتقار لمشانه ، وتصادف ذات يوم أن كان السلطان قطب الدين فى القصر الأبيض وعقد مجلسا وأعلن العفو العام ، وأحضروا فيلا « مستى » (٢٥) يقال انه فى جميع ممالك الهند لا يستطيع أن يواجهه أى فيل ويتحمل قوته ، وأشار السلطان لمحمد بختيار بمحاربة هذا الفيل ، وأحال محمد بختيار الحربة التى كانت فى يده الى هذا الفيل ، وعندما طعنه فى خرطومه الضربة الأولى ، سلك طريق الفرار ، وتعجب السلطان من هذا المنظر ، وأنعم

(٢١) ذكر ماك بختيار الدين خلجى « ١ » ص ٢٢ .

(٢٢) او عليك « ١ » ص ٢٢ .

(٢٣) يتيالى « ١ » ص ٢٢ .

(٢٤) ربما يقصد بها اللهجة البنغالية التى بدأت تظهر تدريجيا فى البنغال وبهار .

(٢٥) « مستى » نوع من الأفيال يقوم على خدمته خمسة أفراد وصبى وهو أقوى

انواع الأفيال (اقبالنامه اكبرى ، ٦٦٣/٥)

عليه بأنواع الانعامات ، وفوضه على حكومة بلاد لكهنوتى ، وعينه لتسخير هذه الناحية •

ولما كان قد فتح قلعة بهار من قبل ، فان أخبار شجاعته وبطولته وصلت الى أهالى هذه البلاد وجاء جميع البراهمة والمنجمين الى لكهيمينه (٣٦) ابن راي لكهن الذى كانت عاصمته مدينة «نوديا» (٣٧) وكان جميع ملوك الهند يعتبرونه قائدهم ، ويحترمونه ، ويكرمونه كثيرا ، وعرفوا انه مكتوب فى الكتب القديمة ان الأتراك ، اى المسلمين (٣٨) سيسطولون على هذه البلاد ، وهذا الوعد قد اقترب ، لانهم استولوا على بهار ، وفى السنة القادمة سيسطولون على المملكة كلها ، وسألهم لكهيمينه ، من سيسطولى على هذه البلاد ، وائى علامة مسطورة فى كتب التنجيم ؟ قالوا : نعم يقف على قدميه مستقيما ، ويداه مفردتان ، وأنامله تظهر من مرآه ساعده (٣٨) ، وأرسل راي لكهيمينه أشخاصا لاستخشاف هذه العلامات والآثار ، ولما ظهر أن هذه العلامة تتحقق فيه . انتقل جميع البراهمة والمنجمين وتوجهوا الى بلاط كامسرور (٣٩) وجكناتيه ، ولم يجد راي لكهيمينه مصلحة فى ترك مملكته ، وفى السنة التالية توجه ملك محمد بختيار من بهار وتوجه برحيل متواتر بجماعة قليلة الى مدينة نوديا ، فاضطرب راي لكهيمينه وركب مركبا وحده ، وسلك طريق الفرار ، وسقطت خزائنه وحشمه كله فى يد ملك محمد بختيار وكانت تفوق الحصر ، وخرب مدينة نوديا وبنى بدلا منها مدينة أخرى بمكان قرب لكهنوتى ، واتخذها دارا للملك ، والآن هذه المدينة خربة ، وتشتهر بكور (٤٠) ، المهم رفع « جتر » وقرأ الخطبة وسك العملة باسمه ، وأحدث المساجد والخوانق والمدارس مكان معابد الكفار ، وأرسل من هذه الغنائم التى وقعت بيده نفائس كثيرة الى السلطان قطب الدين أيك •

وبعد مرور فترة ، وصلت قوته وشوكته الى درجة أن فكر فى حكم التبت والتركستان ، وأخذ برفقته اثنى عشرة ألف فارس مسلح ، واتجه الى التركستان والتبت بارشاد أمير على ميچ (٤١) الذى كان قد أسلم

(٣٦) لكيشن بن راي لكهن « ١ » ص ٢٣ •

(٣٧) نوديار « ١ » ص ٢٣ •

(٣٨) نظرا لأن الغزاة الأرائل كانوا أتراكا •

(٣٩) كامرو « ١ » ص ٢٣ •

(٤٠) كور « ١ » ص ٢٣ • وهى مدينة فى البنغال تقع على نهر براهماپترا اتخذها

ملوك البنغال مقرا لحكمهم •

(٤١) أمير على شيخ « ١ » ص ٢٤ •

على يديه ، ووصل الى مدينة يسمونها « بردهن » (٤٢) وكان امام هذه المدينة نهر مثل البحر عمقه وعرضه يعادل الكوكب أربع مرات ، ويسمى بيكمتى » (٤٢) ، ويقال انه عندما عاد شاه كرشناسب (٤٤) من بلاد الهندوكستان الى الهندوكستان من طريق بروهن (٤٥) أقام على هذا النهر جسرا ، وعبر عليه ، وتوجه الى كامرود ، اللهم ، عندما وصل ملك محمد بختيار الى رأس هذا الجسر ، ترك أميرين أكفاء من أمرائه هناك ليحرسا الجسر ، وعبر بنفسه من النهر ، ودخل أرض التبت ، وقطع الطريق فى عشرة أيام بين جبال صعبة ، ووصل الى صحراء ، حيث كان هناك قلعة حصينة فى غاية الاستحكام ، وتقدم أهل هذه القلعة للقتال ، وامتد القتال حتى آخر النهار ، وقتل كثير من جيشه ، وتعبوا ، وعندما حل المساء أقام معسكرا هناك ، وترك حصار القلعة ، وعندما تفقد هذه الولاية ووقف على أحوالها وخصوصياتها ، وتأكد أنه على بعد خمسة فراسخ توجد قرية كرم سين بها خمسون ألف تركى متوحشين ومقاتلين أشداء ، وعندما قطع جيش الاسلام الطريق ، لم يجدوا فى أنفسهم طاقة للمقاومة والقتال ، فانطلقوا من هذا المكان بعد استماع هذا الخبر ، ووصلوا الى جسر بردهن (٤٦) وحدث أن أصيب الجسر بفتحتين بسبب نزاع الأميرين هناك ، فأختاروا ، وقرروا أن يتحصنوا فى مكان حصين حتى يتم صناعة السفن وأدوات العبور ، وأورد العيون خبرا انه فى هذه الناحية معبد اصنام فى غاية الارتفاع والاستحكام ، ودخل ملك محمد بختيار وجميع الامراء فى هذا المعبد وتحصنوا ، وأثناء ذلك علم راي كامرود أن محمد بختيار وحيد ومضطرب ، وانه دخل المعبد الفلانى وتحصن ، ونادى الرأى فى ممالكه حتى يأتى الناس جماعات ، ويلتفون حول المعبد وأطبخوا على جدار المعبد ، عندما رأى ملك محمد بختيار نفسه أسيرا فى فخ البلاء ، خرج من المعبد ، ونزل على شاطئ نهر بيكمتى (٤٧) واهتم بالعبور، وفجأة قفز فى النهر بفرسه وسار مقدار رمية سهم ، وأدرك الناس أن القاع سيبتلعهم مرة واحدة ، وألقوا بأنفسهم فى الماء ولما لم يكن أكثرهم سباحا فقد غرق الكثير رحمة الله عليهم ، وبعد غرق جيش ملك محمد بختيار ، عبر من نهر بيكمتى مع عدد محدود بصعوبة بالغة ووصل الى ديوكوت (٤٨) .

(٤١) دهن « أ » ص ٢٤ .

(٤٢) بتمكدى « أ » ص ٢٤ .

(٤٣) كرشناسب .

(٤٤) بروهن « أ » ص ٢٤ .

(٤٥) أبروس « أ » ص ٢٤ .

(٤٧) بتمكدى « أ » ص ٢٤ .

(٤٨) ديوكوت ١ ص ٢٤ .

ولما كان الفكر قد تسلل الى خاطره من شدة الحزن ، فقد مرض ، وكان يقول : « لو واجهت هذه الحادثة السلطان معز الدين محمد سام لما ولى عذا الزمان ، وأفل بختنا » ، وتصادف أن كانت نفس هذه الأيام هي أيام شهادة السلطان معز الدين ، ورحل ملك محمد بختيار بنفس المرض الى منزل الخلود ، ويروى ان على مردان ، وهو من الأمراء الكبار الملك محمد بختيار عندما علم بهذه الحادثة جاء من مقاطعة بارسول الى ديوكوت ، وفي هذا الوقت كان ملك محمد بختيار طريح الفراش ، ولم يكن أحد يتقرب منه ، وتوجه اليه على مردان ، ورفع الغطاء عنه وأنهى امره بخنجر ، وكانت هذه الحادثة في سنة ٧٠٢ هـ (٤٩) .

نذكر عن الالدين محمد شروان :

كان هو وأخوه من الأمراء الكبار لمحمد بختيار ، وكان محمد شروان هذا في غاية الشجاعة والبطولة والذكاء ، ومثال ذلك انه عندما نتج محمد بختيار مدينة نوديا (٥٠) وهزم لكهيمينه ، وفرق جيشه كان محمد شروان قد احتفظ بثمانى عشرة فيل مع حراسها في غابة وحده ، وعندما مر على هذا ثلاثة أيام ، وعلم ملك محمد بختيار بالخبر ، أرسل عددا من الفرسان ليقودوا جميع الأفيال ويحضرونها عنده .

عندما قاد ملك محمد بختيار الجيش الى التبت وكامرود ، أرسل محمد شروان وأخاه مع جماعة من الحشم الى جاجنكر ، وبعدما حدث ما حدث للملك محمد بختيار ، جاء محمد شروان وأخوه من جاجنكر الى ديوكوت ، وقدموا العزاء ، وذهب محمد شروان وأخوه مع جماعة من حشم جاجنكر الى بارسول ، وقبضا على على مردان قاتل ملك محمد بختيار ، وسجنه ، وسلمه الى كوتوالى يقال له « بابا كوتوال اصفهاني » (٥١) وعاد الى ديوكوت ، وقبل جميع أمراء الخليج قيادته ، وقدموا له الطاعة ، الى أن أطلق الكوتوال المذكور على مردان من قيده ، والتحق بخدمة السلطان قطب الدين أيبك فى دهلى ، والتمس أن يعين السلطان قطب الدين قيمان رومى (٥٢) على لكهنوتى ، وصدر فرمان لكى يستقر كل أمير من أمراء الخليج فى المقام المناسب من هذه النواحي ، وتوجه قيمان رومى واستقر كل أمير من أمراء الخليج بناء على الفرمان فى المكان المناسب ، وأسرع ملك حسام الدين عوض خلجى الذى كان يحكم أقطاع

(٤٩) ٦٠٢ هـ .

(٥٠) نوديار ١ ، ٢٤ .

(٥١) باباى كوتوال اصفهاني ١ ، ص ٢٥ .

(٥٢) قيمان رومى ١ ، ص ٢٥ .

« كلوانى » من قبل ملك محمد بختيار لاستقبال قيمان رومى ، ورافقه الى ديوكوت ، وتقرر له ديوكوت مقاطعة له ، ولما كان قيمان رومى قد توجه من ديوكوت الى اوده ، وتوجه ملك محمد شروان وسائر أمراء الخليج الذين كانوا معا حسب ديوكوت ، وعندما وصل هذا الخبر الى قيمان رومى ، عاد من الطريق ، وأصطف أمراء الخليج ، وهزم محمد شروان وسائر أمراء الخليج ، وتوجهوا الى طوس ، وهناك ظهر خلاف بينهم ، واستشهد محمد شروان ومدفنه هناك .

ذكر على مردان خلجى : (٥٣)

كان مشهورا بالشجاعة والبطولة والنخوة وعلو الهمة ، وعندما تخلص من الحبس ، التحق بالسلطان قطب الدين ، وتوجه فى ركابه الى غزنين ، وهناك أسره التركمان (٥٤) وسجن فى كاشغر وظل هناك ويقال انه ذات يوم خرج السلطان تاج الدين يلدوز للصيد ، ورافقه على مردان أيضا فقال لأحد أمراء الخليج ويدعى « سالار ظفر » ماذا يحدث لو أنه هُتبت امر السلطان تاج الدين بحرية واحدة . وأجلك سلطانا ؟ وكان سالار ظفر رجلا عاقلا وطيبا ، وليس لديه هوس السلطنة ، فمنعه عن هذه الفعلة ، وأعطاه جوادا عربيا وسمح له بالتوجه الى الهندوستان ، وعندما وصل الى السلطان قطب الدين نال العناية والرعاية ، وأقر له ممالك لكهنوتى ولاية له ، وتوجه الى لكهنوتى ، وبعد أن عبر نهر كوسى ، استقبله ملك حسام الدين عوض خلجى من ديوكوت ، ووصل الى ديوكوت وتمكن هناك من كرسى الامارة ، واستولى على جميع بلاد لكهنوتى ، وبعد ذلك التحق السلطان قطب الدين برحمة الله فرجع « جتر » وضرب السكة وقرأ الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، ووصل تكبره لدرجة أن قسم ولايات ايران وتوران بين أمرائه ، ومن كثرة ظلمه وقسوته لم يصاحبه أحد قط ، حتى لا تخرج هذه الولايات منه ، « طالما لا تفعل السوء ، تأمن الآفات ، ومن الواجب مكافأة الطبيعة » ، وعندما تعدى الظلم والجور والحدود ، اتفق أمراء الخليج ، وقتلوه ، ويروى أن تاجرا جاء اليه يشكو الافلاس ، فسأل من أين هذا الرجل ؟ قالوا من أصفهان ، فأمر أن يكتبوا أمرا أن تكون أصفهان ضمن أملاكه ، ورفض التاجر هذا ، ولم يستطع الوزراء عرض هذا المعنى من الخوف ، وحينئذ قرروا أن حاكم أصفهان محتاج لنفقة الطريق وجمع الحشم لضبط هذه الولاية ،

(٥٣) ذكر مروان خلجى « ك » ص ٣٥ .

(٥٤) تركان « ١ » ص ٢٥ .

فأمر أن يعطوه مبلغا كبيرا ، أكبر مما يتوقع ويعد قتله اتفاق الأمراء أن يجلسوا على كرسي السلطنة ماك حسام الدين عوض خلجى ، وكانت مدة حكم على مردان سنتين .

نذكر ملك حسام الدين عوض خلجى :

كان من أمراء خلج كرمسير (٥٥) ويتصف بأوصاف حميدة وفضائل مرضية ، وعندما اختار السفر من بلاده ، وتوجه الى حدود تركستان على هضبة تسمى « هضبة فيروز » ، هناك وصل صوفيان كانا بلا زاد ، يسيران متوكلين فى الصحراء والجيل ، قالوا لملك حسام الدين : هل لدى خواجه أى زاد ؟ فقدم لهما ملك حسام الدين عدة أرغفة وطعاما شهيا ، تناول الصوفيان الطعام بشهية تامة ، وقالوا : ينبغي أيها السيد أن تتجه الى الهندوستان ، لأنه سيودعون اليك سلطنة اقليم الهندوستان .

« تمدد الصوفى على الأرض ، وأعلى للشحاذ ملك الضحاك » (٥٦)

وتيمن ملك حسام الدين بهذه البشارة ، وتوجه الى الهند ، والتحق بخدمة ملك محمد بختيار الى أن أعطاه الله الواهب ملك بلاد لكهنوتى ، وسمى بالسلطان غياث الدين ، وفى أيام عدالته استراح الجيش والرعية جميعا ، وظهرت آثار الخير لهذا السلطان ، وظلت آثار كثيرة فى عصره شاهدا على حسن نيته ، وحكم ولاية البنغال وترهت وكامرود وجانكر ، وتوجه فى شهور سنة ٦٢٢ هـ السلطان شمس الدين الى البنغال ، والتقى الطرفان ، وقرر الصلح بشرط أن يقدم ثمانية وثلاثين فيلا ، وثمانية آلاف تنكه (٥٧) الى السلطان شمس الدين وأن يقرأ الخطبة باسمه ، وعندما عاد السلطان شمس الدين فوض ملك بهار ملك علاء الدين خانى ، وبعد ذلك دخل غياث الدين بهار من لكهنوتى ، واستولى عليها ، الى أن توجه ملك ناصر الدين محمود بن السلطان شمس الدين من أوده بغواية ملك خانى لكهنوتى بجيش جرار فى شهور سنة ٦٢٤ هـ . وأثناء ذلك قاد غياث الدين عوض جيشا جرارا من لكهنوتى الى كامرود ، واستولى ملك ناصر الدين على لكهنوتى ، وعاد غياث الدين عوض ، وقاتل ، وأسر مع أكثر أمرائه ، وقتل ، ويقولون ان السلطان شمس الدين التمش طيب الله ثراه ، أرسل ملك ناصر الدين محمود ليسكن فتنة ملك أختيار

(٥٥) كه بر « ١ » ص ٢٦ .

(٥٦) ملك أسطورى عربى يمت بين منكبيه حيتان مكان تقبيل الشيطان ، وأشار عليه الأطباء بالطعام الحيتين مخ آدمى كل يوم ، وقد قضى عليه أهريدون .
(٥٧) تنكه ك ص ٥٤ .

الدين فى بلاد لكهنوتى وبعد وفاة ابنه ، وشاهد الآثار الطيبة التى أحدثها ملك حسام الدين عوض خلجى ، وجرى على لسانه من أجل الأوصاف الحميدة لهذا الملك ، وتأسف لما كان لهذا الرجل صاحب الخبرات والأفعال الطيبة ، كانت مدة سلطنته اثنتى عشرة سنة .

ذكر السلطان آرامشاه بن قطب الدين :

عندما توفى السلطان قطب الدين ، لأنه لا مفر للناس من الله ، اجلس أمراء وأركان الدولة آرامشاه على عرش لاهور لأنه لم يكن هناك ابن غيره وريثا ، وأرسلوا الأحكام والمنشورات الى الأطراف والنواحي وبشروا بالعدل والانصاف ، واثناء ذلك أرسل « سبه سالار » على اسماعيل أمير بلاد دهلى بالاتفاق مع جماعة من الأمراء رسولا لاستدعاء ملك التمش وكان مملوك وصهر والابن بالتبني للسلطان قطب الدين حاكما لبادون ، واستدعوه للسلطنة ، وجاء ملك التمش الى دهلى ، واستولى على المدينة ، وجمع آرامشاه الذى كان خارج دهلى ، الجيش وأمراء ابيه ، وجاء الى دهلى وصف ملك التمش جيشه فى صحراء « جود » وحارب ، وهزم آرامشاه .

كان للسلطان قطب الدين ثلاث بنات ، تزوجت اثنتان بالتوالى ملك ناصر الدين قباچه ، وكانت احدهن زوجة ملك التمش ، وبعد وفاة السلطان قطب الدين توجه ملك ناصر الدين قباچه الى السند ، واستولى على الملتان وأجه وبهكر وسيوسبتان (٥٨) ، ودخلت دهلى تحت سيطرة ملك التمش بمساعدة أمير على (٥٩) وأمراء آخرين ، وحكم ملك حسام الدين خلج بلاد لكهنوتى والبنغال ولم يمتد مدة حكم آرامشاه الى سنة .

ذكر السلطان شمس الدين التمش :

يروى أن أباه يسمى ايلم خان ، كان يحكم قبائل تركستانية كثيرة ، وكان اخوته وبرواية أخرى أبناء اخوته يحسدون التمش منذ حداثة سنه ، وحملوه مثل يوسف الى الصحراء والغابات الكثيفة ، وباعوه لتاجر عابر ، وحمله التاجر الى بخارا (٦٠) وباعه الى تاجر

(٥٨) سيوستان مدينة بالسند (ابن خرداذبه المسالك والممالك ص ٥٧) وهى غير سيوستان التى تقع غرب السند .
(٥٩) اميرداد ك ، ص ٥٥ .
(٦٠) بخاره ك ص ٥٦ .

من بخارا ، ونال فى بيوت اهل المروءة أحيانا أنواع التربية والرعاية ، وحسب التقدير فان حاجى بخارى التاجر الذى اشتراه باعه الى حاجى جمال الدين جست قبا ، وحمله حاجى جمال الدين الى غزنين ، ولما لم يكن قد وصل الى غزنين فى تلك الأيام فتى تركيا أجمل منه ، فقد وصل ذكره الى السلطان محمد سام فطلب السلطان أن يشتروه بالسعر الذى يحدده ، وكان معه غلام آخر يسمى أيبك ، فقيموا كلا منهما بألف دينار ركنى ، فرفض خواجه جمال الدين بيعهما ، فأمر السلطان بالألا يشتريه أحد قط ، وعطل عليه ، وبعد سنة توجه خواجه جمال الدين الى بخارا ، ورافقه التمش ، وعاد وأقام فى غزنين سنة ، وكان شراؤه دون اذن السلطان يضايق الأهالى ، الى أن جاء السلطان قطب الدين أيبك بعد فتح نهرواله لتسخير الكجرات مع ملك ناصر الدين خرميل الى غزنين ، وسمع عن أحوال التمش ، استأذن السلطان لشراؤه ، فقال السلطان لما كنت قد منعت أى شخص أن يشتريه فى غزنين فليس من اللائق أن تشتريه ، فأحمله الى بلاد دهلى واشتريه ، وعندما عاد السلطان قطب الدين من غزنين ، وترك نظام الدين محمد لبعض المهام ، وأمره أنه لو أراد جمال الدين جست قبا أن يرافقه لكى يشتري منه التمش ؟ وعندما جاءوا ، اشترى السلطان قطب الدين التركيين أى التمش وأيبك بمائة ألف (٦١) جيتل ، وسمى أيبك ظغماج ، وجعله أميرا لسرهند ، وقتل فى الحرب التى وقعت بين السلطان تاج الدين يلدوز والسلطان قطب الدين وتبنى التمش ، وقربه منه ، وبعد فتح كراييار ، رفعه لامارة هناك ، وبعد ذلك فوضه على برن ونواحيها ، وعندما رأى بالتدريج علامات الشجاعة والقيادة عليه ، أنعم عليه بولاية بداون . وعندما جاء السلطان معز الدين سام الى الهند لتسكين قننة كهركهران ، وحسب أمر السلطان معز الدين توجه السلطان قطب الدين أيضا بجيشه اليه ، والتحق التمش بجيش بداون ، بالسلطان قطب الدين ، وفى أثناء المعركة أبدى التمش شجاعة وبطولة ، فقد قفز فى النور بجواد مسلح وهاجم العدو ، وعندما رأى السلطان معز الدين هذه الشجاعة والهمة ، طلبه وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وأكد على السلطان قطب الدين برعاية أحواله ، وفى نفس هذا الوقت كتب أمر السلطان مرسوم العتق ، وبالتدريج وصل الى درجة « أمير الأمراء » .

عندما توفى السلطان قطب الدين فى لاهور ، جاء الى دهلى باستدعاء « سبه سالار » اسماعيل وأمير ديار (٦٢) دهلى والأعيان

(٦١) الكه ١ ص ٢٧ ، لك ك ص ٥٧ .

(٦٢) أميرداد « ١ » ص ٥٧ .

الآخرين بجيش بداون ، واستولى على دهلي ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين ، وجلس على العرش سنة ٦٠٧ هـ وتبعه أكثر الملوك والأمراء القلندية ما عدا بعض الأمراء المعزية والقطبية الذين طغوا في نواحي دهلي ، وتجمعوا ، وأعلنوا العصيان ، لكن طالما أن مصباح دولته قد أضىء من نور التأييد الإلهي فإنه لن يجنى الأعداء الجهلاء من اطفاء هذا النور الا الخزلان ، وصاروا جميعا علفا للسيف البتار ، وظهر ساحة سلطنته من الأخصاء والأراذل .

« تعلق بسعداء الحظ ، لأن سقوط المحظوظين صعب » .

بعد ذلك أرسل السلطان تاج الدين يلدوز المعزى سلطان غزنين إليه « بجتر » و « امارة السلطنة » وبعد فترة وجيزة هزم السلطان تاج الدين من جيش خوارزم ، واستولى على لاهور ، استقبله السلطان شمس الدين ، ووقعت معركة حامية على حدود تراين في شهور سنة ٦١٢ هـ ، وهزم السلطان تاج الدين وأسر وأحضره الى دهلي ، وحبسَه في بداون الى أن توفي هناك .

وفي سنة ٦١٤ هـ حارب السلطان شمس الدين ملك ناصر الدين قباچه صهر السلطان قطب الدين ، وحقق السلطان شمس الدين النصر هناك ، وتقاتل مع ملك ناصر الدين عدة مرات في لاهور ، وكان كل مرة يحقق النصر ، وآخر مرة هجم السلطان شمس الدين على ملك ناصر الدين ، وحاصر قلعة أجه ، وتوجه الى قلعة بهكر ، وعين نظام الملك الوزير وعددا لتعقب ملك ناصر الدين ، وابراهيم بمحاصرة قلعة أجه ، وفتحها في شهرين وخمسة وعشرين يوما ، وعندما وصل خبر تسخير القلعة الى ملك ناصر الدين (٦٣) أرسل ابنه علاء الدين بهرامشاه لخدمة السلطان شمس الدين ، وطلب الصلح ، وأعقبه خبر فتح بهكر ، وقالوا : انه بعد تسخير القلعة غرق ملك ناصر الدين في النهر ، وبعد هذه الحادثة وفي سنة ٦١٨ هـ هزم السلطان جلال الدين خوارزمشاه أمام جنكيريخان ، وتوجه الى لاهور ، وسار اليه السلطان شمس الدين بجيش جرار ، لم يستطع السلطان جلال الدين مقاومته فاتجه الى السند وسيوستان ، ومن هناك سار الى كنج (٦٤) ومكران .

بعد ذلك في سنة ٦٢٢ هـ قاد السلطان شمس الدين الجيش الى لكهنوتى وبهار ، فدخل السلطان غياث الدين خلجي الذى ذكر على حده وكان حاكما مطلقا على هذه البلاد فى طاعته ، وجعل الخطبة والسكة

(٦٣) نصير الدين « ١ » من ٢٨ .

(٦٤) كنج أو كجه من بلاد الكجرات .

باسمه ، وأخذ ثمان وثلاثين فيلا وثمانين ألف تنكة فضة من السلطان غياث الدين ولقب ابنه الأصغر بالسلطان ناصر الدين ، ورعيته على ولاية لكهنوتى ، وسلمه « جترودورباش » (٦٥) وتركه فى أوده ، وعاد الى دار الملك دهلى ، وحارب ملك ناصر الدين غياث الدين خلجى ، الذى كان يحكم هذه البلاد فى ذلك الوقت ، وغلبه ، وأسره ، وقتله ، وغنم منه غنائم كثيرة ، وأرسل الهدايا الى أكثر أهالى وأعيان ومشاهير دهلى الذين يذكرهم .

وفى سنة ٦٢٢ هـ توجه لفتح زنتهپور ، وقاد الجيش الى هذه الناحية ، وفتح هذه القلعة وفى سنة ٦٢٤ هـ قاد الجيش لفتح قلعة مندو (٦٦) ، واستولى على هذه القلعة ، وعدة مئات الألوف (٦٧) ، وعاد فى نفس السنة الى دار الملك دهلى .

وكان أمير روحانى وهى من أفاضل هذا الزمان قد جاء الى دهلى من بخارا فى أحداث جنكيزخان وهنأه بهذه الفتوحات بأشعار بلايعة ، منها هذه الأبيات .

« حمل جبريل الامين الجتر الى أهل السماء ، برسالة نصر السلطان شمس الدين » .

« انه أيها الملائكة المقدسين فى السماء ، فلتبشرون هذا بالنتاج والقانون » .

« لأن سلطان الاسلام قد فتح قلعة سيهراثين من بلاد الملاحة » .

« انه الملك المجاهد الغازى الذى أثنت روح حيدر الكرار (٦٨) على يده وسيفه » .

وفى سنة ٦٢٦ هـ (٦٩) أحضر رسل العرب لباس الخلافة الى السلطان شمس الدين ، وقدم السلطان الطاعة ، ولبس دار الخلافة ، ريدت سعادة وفرحة غامرة عليه ، عند ارتداء الخلعة وخلع السلطان الخلع على أكثر الأمراء ، وعقد الأفراس فى المدينة ، ودقوا طبول الفرح وفى هذه السنة وصل خبر وفاة السلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى ، فقدم

(٦٥) عصاة تمسك فى يد السلطان .

(٦٦) مندور « ك » ص ٥٩ .

(٦٧) باجملة سوالك « ك » ص ٥٩ . باجملة سوالك « ا » ص ٢٩ .

(٦٨) الامام على بن أبى طالب .

(٦٩) وردت ٦١٦ « ا » ص ٢٩ .

السلطان شمس الدين العزاء ، وأطلق اسمه على ابنه الصغير ليأخذ الأمان ، وطبقات ناصرى (٧٠) ألف باسمه ، المهم فى سنة ٦٢٧ هـ قاد الجيش الى لكهنوتى ، وسكن القننة التى قامت بعد وفاة السلطان ناصر الدين ، وعين عز الملك ملك علاء الدين خانى على لكهنوتى . وعاد الى دار الملك دهلى .

وفى سنة ٦٢٩ هـ توجه لفتح قلعة كواليار ، وحاصر هذه القلعة مدة سنة ، واخيرا فر ملك ديوبسيل (٧١) والى هذه القلعة ليل ، ودخلت القلعة تحت سيطرته ، وأسروا خلقا كثيرا ، وقتلوا ثلاثمائة شخص ، وأنشد ملك تاج الدين ريزه كاتب الملكة هذه الرباعية فى فتح القلعة وحفرها على حجر بوابة القلعة .

« كل قلعة أخذها سلطان السلاطين ، أخذها بعون الله ونصرة الدين » .

« أخذ قلعة كواليار ، هذا الحصن الحصين فى سنة ستمائة وثلاثين »

وبعد ذلك عاد السلطان من هناك ، وفى سنة ٦٣١ (٧٢) اتجه صوب ولاية مالوه ، وسخر قلعة بهيلسا ، واستولى على مدينة أجين (٧٣) ايضا ، وخرّب معابد « مهاكال » التى اقيمت منذ ستمائة سنة وكانت فى غاية الحصانة والمتانة ، واقتلعها من اصولها ، وأحضر من أجين نكر تمثال بكرماجيت (٧٤) الذى يؤرخ الهنود تاريخهم به ، وتمثال أخرى كانوا قد صبوا من الذهب ، ووضعوها أمام باب المسجد الجامع فى دهلى ، ليطأها الناس ، وقاد الجيش مرة أخرى الى الملتان ، وفى السفر أنشئتم سقط ، وأصيب ، وعندما وصل الى دهلى ، انتقل الى العالم الآخر فى العشرين من شعبان سنة ٦٣٣ هـ .

وفى مذكرات خواجه قطب الدين بختيار رحمة الله عليه ، وجامعها هو الشيخ فرید شکر نیج قدس سرهما ، اورد أنه أراد أن يعمل حوضا ، وذهب الى خدمة خواجه لتحديد وتعيين المكان المناسب للحوض ، ويستشيريه ، وكان السلطان يمر من كل أرض يصل اليها حتى وصل الى سكان حوض شمس ، واختار هذا المكان ، وعندما حل الليل ، رأى

(٧٠) لنهاح الدين الجورجاني قاضى الهندوستان فى عهد محمد الدورى .

(٧١) ملك ديوبيل « ١ » ص ٢٩ .

(٧٢) « ١ » ص ٢٩ .

(٧٣) أجين نكر ، مدينة أجين وهى باقليم أجير .

(٧٤) راجا هندوكى حكم الهند قديما وله تقويم باسمه مازال مستعملا حتى الان فى

الهند .

السلطان الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ، يقف وسط هذه الأرض ، ويقول : ماذا تريد يا شمس الدين ؟ قال السلطان : أريد يا رسول الله أن أقيم حرضا ، قال : افعل هنا ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض بعود ، فانبجست عين ماء ، واستيقظ السلطان من نومه ، وما زال في الليل بقية ، فجاء الى خواجه قطب الدين قدس سره ، وقص الواقعة ويقول خواجه قدس سره ان السلطان حمله الى هذه الأرض ، فرأينا نور مصباح حيث يتدفق ماء العين ، ويروى انه في الأيام التي كان ملك شمس الدين التمش في بغداد (٧٥) عند صديق ، اجتمع في منزل صاحب جماعة من الدراويش ، وكان الدراويش واهل الحال في حالة سماع ، وكان ملك التمش في هذا المجلس يقوم كل ليلة بالخدمة ، ويبيحى عند السماع ، وكان القاضي حميد الدين ناكورى عمدة هذا المجلس وبعدهما خدم ملك التمش الدراويش نظروا اليه ، والحق سبحانه وتعالى أوصله الى السلطنة ببركة هذه النظرة ، وبعد فترة جلس على عرش ملك الهند ، وكان القاضي حميد الدين ناكورى مشغولا بإرشاد المريدين وكان الدراويش في مجلسه يقومون بالرقص والسماع وانكر السماع اثنان من علماء الظاهر أحدهما يسمى ملا عماد الدين والآخر ملا جمال الدين ، وأخبرا السلطان لكى يمنع القاضي من السماع ، فاستدعى السلطان القاضي ، وأجلسه بأعزاز وإجلال ، وسأله هذان الشخصان هل السماع حلال أم حرام ؟ قال القاضي : حرام على أهل قال (٧٦) وحلال على أهل حال (٧٧) ، ونظر الى السلطان وقال : هل جرى بخلد السلطان انه ذات ليلة في بغداد كان الدراويش وأهل الحال يقومون بالسماع ، وقمت بأمر صاحبك في هذه الليلة بخدمة أهل المجلس ، وبكيت عند السماع ، ونظر اليك المتصوفة ، وقد بلغت الى هذا السلطان ببركة هذه النظرة ، ففكر السلطان بهذا الأمر ، ورق ، فاحتض القاضي ، وأكرمه ، بعد أن حقق من السماع ما يريد وكان يعتقد في نفع المتصوفة .

كان السلطان شمس الدين مولعا بالطاعة والعبادة ، وكان يذهب الى المسجد في أيام الجمع ، ويقوم بأداء الفرائض والنوافل ، وكان ملاحظة دهلى يدركون هذا المعنى ، فانفقوا أن يقتلوا السلطان أثناء أداء الصلاة والخلائق مشغولون عنه ، فاجتمع جماعة ، ورفعوا الحراب يوم

(٧٥) ورد من قبل أنه انتقل الى بلاد التركمان الى بخارا الى غزنيين ، الى الهندوستان فقط وربما تكون هناك مدينة تسمى بغداد في الهند .
(٧٦) أهل قال : الفقهاء .
(٧٧) أهل حال : المتصوفة .

الجمعة ودخلوا المسجد ، وضربوا السيوف فاستشهد عدة اشخاص ،
ونجا الحق سبحانه وتعالى السلطان من شرهم ، وصعد الأهالى على
الاسطح والجدران وقتلوا هؤلاء القوم بضربات الحجارة والسهام ،
وظهروا العالم من عار وجودهم .

« سىء الفكر يضمم الشر دائما ، مثل (٧٨) حية نادرا ما تبیت
فى منزل » .

فى آخر عمره جاء فخر الملك عصامى الوزير البغدادى الذى قام
بمنصب الوزارة لمدة ثلاثين عاما فى بغداد ، وكان مشهورا بالفصائل
الصورية والمعنوية ، ويسبب من الأسباب الدنيوية التى هى أساس المتاعب
والملل لأرباب الدولة ، جلا عن وطنه وجاء الى دهلى ، وأكرمه السلطان
ودخل المدينة مكرما ، وسلمه منصب الوزارة ، وأنعم عليه انعامات
ملكية ، كانت مدة سلطنة السلطان شمس الدين التمش ستا وعشرين
سنة .

ذكر انسلطان ركن الدين فيروز شاه ابن انسلطان شمس الدين :

فى سنة ٦٢٥ هـ اعطاه والده مقاطعة بداون ، وأنعم عليه « بجتر
ودورباش » وبعد أن عاد السلطان من فتح كواليار الى دهلى ، عينه على
ولاية لاهور ، وعندما عاد السلطان من رحلته الأخيرة من سيوستان (٧٩) ،
أخذ برفقته ركن الدين فيروز شاه من لاهور ، وعندما توفى أجلس
أمراء وأعيان الدولة فيروز شاه على عرش دهلى فى يوم الثلاثاء (٨٠)
سنة ٦٣٣ هـ وقدم لوازم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد
الغراء فى مدحه وتهنئته ، ونالوا الانعام والصلوات ، ومن جعلتها : أن
ملك تاج الدين ريزه وكان كاتباً للسلطان ، مدحه بقصيدة طويلة ونال
انعامات وصلته ، ويذكر هذان البيتان على سبيل الذكرى :

« ليباركك الله ايها الملك الخالد ، لك الملك وانت فى عهد الشباب »

« جاء يمين الدولة ركن الدين ، بلاطه من اليمن مثل ركن اليمانى »

وعندما جلس على العرش ، انشغل باللهو والمرح عن الملك ، وفتح
ابواب الخزائن ، وقدم العطايا والهبات ، وترك حكم الهندوستان لأمه

(٧٨) كزدم « أ » ص ٣٠ ، « ك » ص ٦٣ . والصحيح كزدم .

(٧٩) سيوستان « أ » ص ٣٠ .

(٨٠) سقط الشهر من النسختين .

وكانت جارية تركية (٨١) وتشتهر بشاه ترکان وقد سيطرت عليه لدرجة أنها أخذت فى ايداء الحریم الآخرین الذين حملت لهم الحقد أيام حياة السلطان ، وقتلت الابن الاصغر لالسلطان وكان يسمى قطب الدين ، وخوت الخزانة ، وأكثرت من الانعام على الأراذل والأوباش والسكارى .

واستاء خاطر الصغير والكبير والوضيع والشريف منها ، ولوى ملك غياث الدين محمد شاه وكان أخوه الأصغر ويحكم ولاية أوده ، رأسه عن طاعته ، وراسل ملك عز الدين كبير خان والى الملتان وملك سيف الدين كوجى (٨٢) حاكم هانس ، ورفعوا لمواء المعارضة ، وتحرك السلطان ركن الدين بجيش كبير من دهلى لدفعهم ، ونزل فى « كيلوكهرى » وفى تلك الأثناء ، فر نظام الملك محمد جنديرى وزير المملكة من كيلوكهرى لخوفه وذهب الى قصبه كول ، والتحق بملك عز الدين محمد سالارى ، وفضل السلطان ركن الدين تسكين الفتنة فى نواحي البنجاب ، وتوجه ناحية كهرام ، وعندما اقترب من منصورپور وتراين (٨٣) انفصل عن الجيش من الأمراء الذين كانوا معه تاج الملك محمد دبير (٨٤) وبهاء الدين حسين ، وملك كريم الدين زاهر (٨٥) وضياء الملك سروانى (٨٦) وخرأجه رشيد وأمير فخر الدين ، وجاءوا الى دهلى ، وبايعوا السلطانة رضية وهى الابنة الكبرى لسلطان شمس الدين ، واجلسوها على عرش السلطنة ، وقبضوا على شاه ترکان أم السلطان ركن الدين ، وحبسوها ، وكانت هذه السلطانة رضية تتصف بالخصال الحميدة مثل الشجاعة والسخاء والعقل والغراسة ، وتتصف بصفات الرجولة ، وكان والدها يهتم بها ، وفى عهد أبيها كان لها تدخل فى مهام الملك ، وكانت تشارك فى الحكم .

عندما وصل الخبر الى السلطان ركن الدين ، وعاد الى دهلى ، ووصل كيلوكهرى ، وأرسلت السلطانة رضية جيشا لاستقباله ، وأسرته ، وأحضرتة ، وحبسته ، وتوفى فى مدة وجيزة فى سجنه وكانت مدة حكمه ستة أشهر وثمانية وعشرين يوما .

(٨١) كنيز « ك » ص ٦٣ .

(٨٢) كوسى « أ » ص ٢١ .

(٨٣) منصور بور وتراين « أ » ص ٣١ .

(٨٤) محمد بير « أ » ص ٣١ .

(٨٥) ملك كريم الدين حسين زاهد « أ » ص ٣١ .

(٨٦) سروانى « أ » ص ٣١ .

تذكر نذرسطانة رضيه (٨٧) :

فى السنة التى فتح فيها السلطان شمس الدين قلعة كواليار ، أوصى بعض الأمراء بأن يجعل رضيه (٨٨) ولىة للعهد لما شاهدوه فيها من عقل وأفر وفراسة ، فقال امراء : ما الحكمة فى أن يجعل ولاية العهد لصبية مع وجود أبناء على وشك الرشد ؟ قال السلطان : لأننى أرى البنائى وقد ابتلوا بشرب الخمر وأنواع المناهى والأنانية ، ولا أجدهم أهلا لعبء السلطنة ، ورضيه مع انها على هيئة امرأة لكنها رجل بالمعنى ، وفى الحقيقة هى أفضل من الأولاد .

المهم عندما جلست السلطانة رضيه فى سنة ٦٣٥ هـ على عرش السلطنة ، أحيت القواعد والأحكام الشمسية (٨٩) التى أهملت واندرست فى أيام سلطنة ركن الدين ، وسلكت طريق الكرم والعدل .

أبدى نظام الملك محمد جنيدى وزير الملكة وملك جانى وكوجى وملك عزيز الدين اياز العصيان وقد تجمعوا من الأطراف حول بلاط رضيه ، وكفروا بالنعمة ، وكتبوا الرسائل للأمراء فى الأطراف ليرغبوهم فى التمرد ، واثناء ذلك توجه ملك عزيز الدين هانى حاكم أوده لمساعدة السلطانة رضيه فى دهلى ، وعندما عبر الجانج ، استقبل الأمراء المتمردين الذين سبق نكرهم ، فقبضوا عليه ، وبسبب الضعف الذى كان عليه توفى فى هذا الوضع ، وبعد ذلك وفى مدة وجيزة ضريت السلطانة رضيه بتدبيرها اللائق ورايها الصائب الأمراء المزيفين فى بعضهم ، فاختلفوا ، وفر كل منهما فى ناحية ، وتعقبت السلطانة رضيه الفارين ، وقبضت على ملك كوجى وأخيه ، وقتلتهمما وقتل ملك جانى فى نواحى بابل (٩٠) وأحضروا رأسه الى دهلى ، ودخل ملك نظام الملك فى جبل « سرسور » (٩١) وتوفى هناك .

عندما قويت دولة السلطانة رضيه ، وانتظمت مملكتها ، عينت خواجه مهنذب (٩٢) ، وكان نائباً لنظام الملك جنيدى ، وزيار ، ولقب بنظام الملك ، وفوضت أمر الجيش لملك سيف الدين أيبك ولقبته بقتلخان ، وأحالت ولاية لاهور لملك كبيرخان اياز ، وعينت الأمراء على ممالك لكهنوتى

(٨٧) سلطان رضيه « ك » ص ٦٥ « ١ » ص ٣١ .

(٨٨) در طيئه « ١ » ص ٣١ .

(٨٩) نسبة الى شمس الدين التمش .

(٩٠) بابل « ١ » ص ٣٢ .

(٩١) سرسور « ١ » ص ٣٢ .

(٩٢) خواجه مهنذب « ١ » ص ٣٢ .

و ديول و درينى وسائر البلاد والبقاع ، وفى نفس هذه الايام توفى سيف الدين أيبك ، ونصبت محله قطب الدين حسن ، وأرسلته بجيش جرار لمهاجمة قلعة رنتهپور ، وأخرج قطب الدين حسن المسلمين الذين كانوا فى القلعة والذين كان الهنود يحاصرونهم بعد وفاة السلطان شمس الدين ، ولم يهتم بحكم القلعة ، وبعد ترجيحهه الى رنتهپور صار ملك اختيار الدين ايتكين (٩٣) أمير حاجب (٩٤) وتقرب جمال الدين ياقوت حبشى « مير آخو » (٩٥) كثيرا من السلطانة رضيه وصار محسودا من الأمراء ، وارتفع الى درجة « صاحب نسبت » لانه كان يتأبط السلطانة رضيه اثناء السير ويرفعها عند الركوب ، وكشفت السلطانة رضيه الحجاب ، ولبست لباس الرجال ، وكانت تجلس على العرش والعباءة عليها والقلنسوة على رأسها ، وتعلن العفو العام ، وفى سنة ٦٢٧ هـ لموى ملك عز الدين أياز حاكم لاهور رأسه عن الطاعة ، ووضع أساس التمرد ، وتوجهت اليه السلطانة رضيه ، وجاء اليها مخلصا ، ودخل ضمن التابعين ، واحالت السلطانة رضيه ولاية ملطان التى كان يحكمها ملك قارقش الى ملك عز الدين ، وعادت ، وتوجهت فى نفس السنة بجيش جرار الى تبرهنده (٩٦) واثناء الطريق خرج عليها أمراء الترك ، وقتلوا جمال الدين ياقوت حبشى الذى كان أميرا للأمراء ، حبسوا السلطانة رضيه فى قلعة بترهنده (٩٧) ورفعوا معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين على السلطنة ، واستولى على دهلى ، وفى ذلك الوقت تزوج ملك اتيار الدين التونية حاكم تبرهنده (٩٨) السلطانة رضيه ، وجمعت رضيه مع جيش القونية جماعة كهوكهران وجاتوان (٩٩) وسائر أعيان الأطراف والنواحى فى مدة وجيزة ، واتفق معها عدة أمراء ، وقادت الجيش الى دهلى ، وأرسل السلطان معز الدين بهرامشاه ملك تكين (١٠٠) خورده بجيش جرار لمواجهة رضيه ، وتقابل الجيشان فى الطريق ، وهزمت السلطانة رضيه ، وعادت الى تبرهنده ، وبعد مدة جمعت الجيش المبعثر ، وتقدمت للحرب من جديد ورفعت اللواء صوب

• (٩٣) أيتكين « أ » ص ٣٢

• (٩٤) مير حاجب : المسئول عن شئون البلاط

• (٩٥) أمير الاصطبل

• (٩٦) سر هند « أ » ص ٣٢

• (٩٧) ترهنده « أ » ص ٣٢ وقد وردت أيضا تبرهنده وبترهنده

• (٩٨) ترهنده « أ » ص ٣٢

• (٩٩) خانوان « أ » ص ٣٢

• (١٠٠) تكين أو تكين « أ » ص ٣٣ ، « ك » ص ٦٨

دهامى ، وأرسل السلطان بهرامشاه ملك تكين مرة ثانية بجيش جرار لقتال رضيه ، وتلاقى الطرفان فى نواحى كيتهل (١٠١) ووقعت الهزيمة على جيش رضيه مرة أخرى ، ووقعت رضيه وملك التونيه فى يد الحكام ، وقتلوهما ، وبزواية اسروهما ، واحضروهما عند بهرامشاه وقتلهما بهرامشاه ، وكانت هذه الواقعة فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٢٧ هـ مدة سلطنة السلطانة رضيه ثلاث سنوات وستة أشهر وستة ايام .

شكر السلطان معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين :

جلس السلطان معز الدين بهرامشاه على العرش بمساعدة الأكابر والأمراء والملوك ، يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٢٧ هـ ، وعندما قبض ملك اختيار الدين على جميع أمور الملكة بالاتفاق مع وزير الملكة نظام الملك مهذب الدين ، وتزوج أخت السلطان معز الدين ، وكانت من قبل زوجة للقاضى اختيار الدين ، وكان دائما يربط فيلا كبيرا على باب منزله ، ولما لم يكن هناك شخص آخر فى هذا الزمان لديه فيل سوى السلطان ، فقد أثار هذا المعنى سوء ظن السلطان ، فأمر السلطان معز الدين بعض الفدائيين (١٠٢) ليقتلوا ملك اختيار الدين بطعنة سكين ، وطعنوا ملك مهذب الدين أيضا بطعنيتين فى جنبه ، ومات وبعد ذلك عين ملك بدر الدين سنقر رومى « أمير حاجب » وانتظمت جميع أمور الملكة كما كان من قبل ، وحدث أن جمع ملك بدر الدين سنقر بغواية جماعة من أهل الفتنة والأعيان والكبار ، يوم الاثنين السابع عشر من صفر فى منزل صدر الملك تاج الدين « مشرف الممالك » (١٠٣) وتحصنوا فى أمر تبديل السلطنة وأرسلوا صدر الملك لاستدعاء نظام الملك ، لكى يستشيرونه أيضا ، وأطلع صدر الملك السلطان معز الدين على هذا الامر ، وأخفى السلطان فى ناحية عند شخص ثقة ، وذهب الى نظام الملك ، وعلم من كان هناك فى الاجتماع كالقاضى جمال الدين كاشانى ، والقاضى كبير الدين ، والشيخ محمد ساوجى والأشخاص الذين كانوا هناك ، وأراد نظام الملك كسب الوقت ، وأجل قدومه الى وقت آخر ، وعرض صدر الملك حقيقة الأمر على السلطان بواسطة خادم السلطان الذى كان قد اختفى عنده وهاجم السلطان هذه الفئة بسرعة ، وفرقهم ،

(١٠١) كنبول « ١ » ص ٣٣ .

(١٠٢) جند فدائى « ك » ص ٦٨ ، جنيد راي « أ » ص ٣٣ .

(١٠٣) مشرف الممالك وهو المستول عن المالية ويسمى أيضا « عارض الممالك »

« وبخشى » .

وأرسل ملك بدر الدين سنقر الى بداون ، وعزل القاضى جلال الدين كاشانى عن القضاء ، وبعد فترة جاء ملك بدر الدين من بداون الى البلاط ، فقتله السلطان ومعه ملك تاج الدين موسى ، وألقى القاضى تسمى الدين قاضى قصبه باريهره (١٠٤) تحت أقدام الفيل ، وسبب هذا زيادة خوف ورعب الأهالى .

وفى تلك الاثناء ويوم الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٣٩ هـ جاءت جيوش المغول الجنكيزية ، وحاصرت لاهور ، وعندما رأى ملك قراقرش (١٠٥) حاكم لاهور عدم اتفاق الأهالى فخرج من لاهور فى منتصف الليل وتوجه الى دهلى ، وخربت مدينة لاهور من ظلم الجنكيزيين ، وأسر خلق كثير ، وعندما وصل هذا الخبر للسلطان معز الدين ، جمع الأمراء فى القصر الأبيض وجدد البيعة ، وأرسل ملك نظام الملك وزير الملكة مع أمراء آخرين لدفع شر المغول الى لاهور ، وعندما وصل الجيش الى شاطيء نهر بياه قرب قصبه سلطانيور ، عرض نظام الملك الذى كان منافقا للسلطان فى الباطن ، أساس الغدر والمكر وابتعد الأمراء عن السلطان ، وقال اننا لن نستطيع فعل شىء مع هذه الجماعة بسبب مرافقة جماعة من أهل الفتنة ولن تسكن هذه الفتنة الا اذا توجه السلطان بنفسه الى هذه الناحية ، وأجابه السلطان بسذاجة لأنه كان يعتمد عليه بأن يقتل هذه الجماعة حين يجد الفرصة المناسبة ، وأخفى نظام الملك الفرمان عدة أيام ، ثم أعلنه على أمراء الجيش ، فاتفقوا معه جميعا .

عندما أطلع السلطان على هذا الحال ، أرسل شيخ الاسلام شيخ قطب الدين بختيار أوشى لترضية الأمراء ، ولم يرض الأمراء بأى شىء ، وعاد الشيخ الى دهلى ، وبعد ذلك جاء نظام الملك وسائر الأمراء لمحاربة السلطان معز الدين فى دهلى ، وحاصروه ، وأخذوا فى قتاله يوميا ، وعندما اتفقوا مع أهالى المدينة ، استولوا على دهلى فى السبت الثامن (١٠٦) من ذى القعدة من السنة المذكورة ، وحبسوا السلطان معز الدين عدة أيام ، وقتلوه ، وكانت مدة حكمه سنتين وشهرا وخمسة عشر يوما .

• (١٠٤) مانهره « ١ » ص ٣٣

• (١٠٥) قراقرش « ١ » ص ٣٣

• (١٠٦) ششم « ١ » ص ٢٤ ، هشتم « ك » ص ٧٠

• (١٠٧) ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه « ك » ص ٧٠

ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه (١٠٧) :

عندما قتلوا السلطان بهرامشاه ، جلس ملك عز الدين بلبن على عرش دهلي . ونودي في المدينة ولم يرض الأمراء والملوك ، وفي الحال انطلقوا سراح السلطان ناصر الدين والسلطان جلال الدين أبناء شمس الدين التمش ، والسلطان علاء الدين مسعود شاه ابن السلطان ركن الدين وكانوا محبوسين في القصر الأبيض ، وأجلسوا السلطان علاء الدين مسعود شاه على عرش دهلي في ذى القعدة سنة ٦٣٩ هـ ، وعين ملك قطب الدين حسن نائباً له وملك مهذب الدين نظام الدين بمنصب الوزارة ، وصار ملك قارقش أمير حاجب ، وعندما احتضن ملك نظام الملك عروس السلطنة بلا مشارك ، اتفق الأمراء والأعيان أن يقتلوه يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأول سنة ٦٤٠ هـ .

« لا ينبغي أن يكون الحاكم حاداً ، مثل الوردة ، لأن السيل الجارف سيهدم الجسر » ، وعين أبا بكر نجم الدين صدر الملك على الوزارة ، وجعل غياث الدين بلبن ، الذي كان حتى هذا الوقت الخ خان « أمير حاجب » وعهد لملك عز الدين بلبن الكبير بناكور والسند وأجسير ، وفوض مقاطعة بداون لملك تاج الدين ، وقسم سائر مقاطعات الممالك أيضاً على الأمراء كل حسب حالته وانتظم أمر المملكة ، وظهر الهدوء والاستقرار بين الناس .

في ذلك الوقت أرسل ملك عز الدين طغاخان الذي كان قد جاء من كره (١٠٨) الى لكهنوتى ولايته شرف الملك أشعري الى السلطان علاء الدين ، وأرسل السلطان « جتر » ياقوتية وخلعة خاصة مع القاضي جلال الدين حاكم أوده الى لكهنوتى عند عز الدين طغاخان ، وأطلق سراح عميه من الحبس ، وأحال اقليم قنوج لملك جلال الدين ، وأضاف لملك ناصر الدين حكومة بهرايج وقد تركا أثارا طيبة في هذه البلاد على مر الأزمان .

في سنة ٦٤٢ هـ جاءت جيوش المغول الى ديار لكهنوتى ، وكانوا قد جاءوا من الطريق الذي كان قد سلكه محمد بختيار الى التبت والختا (١٠٩) وأرسل السلطان علاء الدين تيمور خان وقراييك بجيش جزار الى لكهنوتى لمساعدة عز الدين طغاخان ، وبعد ذلك هزم المغول ، وتركوا لكهنوتى ، ووقع خلاف بين عز الدين طغاخان وملك قراييك ، فأعطى السلطان لكهنوتى لتيمورخان ووصل طغاخان لخدمة السلطان في

(١٠٨) كره ١٠ ، ص ٢٤ .

(١٠٩) الختا أو الخطا : وهي قبائل تركية .

دهلى ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن جيش المغول قد وصل نواحى أجه وجمع السلطان أمراءه ، واتجه بسرعة الى نواحى أجه ، وعندما وصل الى شاطئ نهر بياه ، تراجع جيش المغول الذى كان يحاصر قلعة أجه ، وعاد السلطان ظافرا ومنتصرا الى دهلى ، وبعد ذلك انحرف السلطان علاء الدين عن طريق العدل والانصاف وسلك طريق القتل والسلب ولهذا تجمع جميع الأمراء والأكابر ، واتفقوا جميعا أن يكتبوا الى السلطان ناصر الدين محمود ابن السلطان شمس الدين الذى كان فى بهرائج (١١٠) واستدعوه ، وعندما وصل السلطان ناصر الدين محمود الى دهلى ، قضوا على السلطان علاء الدين مسعود شاه فى سنة ٦٤٤ هـ وحبسوه ومات فى هذا السجن ، مدة سلطنته أربع سنوات وشهر ويوم واحد .

ذكر السلطان ناصر الدين محمود (١١١) :

الأخ الصغير للسلطان شمس الدين التمش ، كان سلطانا عادلا ومتدينا ومتصوفا ، صاحب العلماء والصلحين ، وأكرم الأكابر والأفاضل ، وتظهر محاسنه ومحامده فى طبقات ناصرى الذى ألف باسمه ، جلس على العرش فى دهلى سنة ٦٤٤ هـ وبايعه أمراء وملوك عصره جميعا ، وقدم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد الغراء ، واسعدهم بالانعام ، وقد نظم القاضى منهاج (١١٢) قصيدة طويلة ، أعرض منها بعض الأبيات :

« أينها الملك الذى هو حاتم (١١٣) فى البذل ورستم (١٤٤) فى السعى ، ناصر الدنيا والدين محمود بن التمش » .

أيها الحاكم الذى هو سقف الفلك من ايوانه فى علو الدرجة كأنما هو فروردين » .

« كم تفخر السكة بالقابه الميمونة ، وكم تكرم الخطبة باسمه السعيد ؟ » .

قلد ملك غياث الدين بلبن مملوك وصهر أبيه منصب الوزارة ، ولقبه بلقب « ألغ خانى » (١١٥) وأعطاه « جتروودورباش » وأسلم جميع

(١١٠) بهرائج « أ » ص ٣٥ .

(١١١) ذكر حكم السلطان ناصر الدين محمود « أ » ص ٣٥ .

(١١٢) منهاج السراج الجوزجاني صاحب طبقات ناصرى .

(١١٣) حاتم الطائي الشاعر العربى المشهور بكرمه .

(١١٤) رستم البطل الايرانى الاسطورى .

(١١٥) ألغ خانى « أ » ص ٣٥ .

أمور المملكة لرأبة الرزوين ، ويقال « انه قال اثناء تفويض الغ خان بالمهام » اننى جعلتك نائبى ، وأسلمت أمور السلطنة لك ، فلا تفعل الأمر الذى تعجز عن الرد عليه أمام الله تعالى ، ولا تخجلنى وتخجل نفسك ، ووضع ملك بلبن الغ خان قواعد نيابة الملك وقبض على جميع الأمور الملكية ، ولم يكن لأحد قط حرية التصرف فى أمر المملكة •

فى رجب سنة الجلوس قاد السلطان ناصر الدين الجيش الى الملتان ، وعبر نهر لاهور (١١٦) فى أول شهر ذى القعدة ، وجعل الغ خان على رأس الجيش ، وأرسله الى ناحية جبل جود (١١٧) وأطراف نندنه ، وتوقف على شاطيء نهر السند عشرة أيام ، وبعد ذلك انتهب الغ خان جبل جود وجميع بلاد هذه الناحية ، وقتل كهوكهران والمتمردين هناك ، ووصل الى خدمة السلطان ، وعاد السلطان من هناك الى دهلى بسبب نقص العلف ، وفى الثانى من شعبان سنة ٦٤٥ هـ عاد الى ما بين النهرين (١١٨) وفى نفس السنة اتجه الى كره (١١٩) فى العاشر من ذى القعدة وجعل الغ خان على مقدمة الجيش ، وانتهب الغ خان قرى دلكى وملكى ، وعاد الى السلطان بغنائم كثيرة ، وعاد السلطان الى دهلى ، وتوجه فى السادس من شعبان سنة ٦٤٦ هـ الى رنتهنيور ، وأدب المتمردين هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى نفس السنة اتهم القاضى عماد الدين شغور خانى (١٢٠) ، وعزله عن القضاء ، وقتله بسعى عمساده الدين ريحسان ، وفى سنة ٦٤٧ هـ (١٢١) تزوج السلطان ابنة الغ خان ، وفى سنة ٦٤٨ هـ قاد الجيش الى الملتان ، والتحق به شيرخان على شاطيء نهر بياه ، وفى السادس من ربيع الأول من نفس السنة وصل الى الملتان ، وأذن ملك عز الدين بالتوجه الى أجه بعد عدة أيام ، وعاد الى دهلى •

وفى سنة ٦٤٩ هـ لوى ملك عز الدين بلبن حاكم ناكور رأسه عن الطاعة ، وأعلن العصيان ، وتوجه السلطان ناصر الدين الى ناكور لتسكين هذه الفتنة ، ولم يستطع ملك عز الدين المقاومة فطلب الأمان ، والتحق بالبلاط وعاد فى ركاب السلطان ناصر الدين الى دهلى ، وفى نفس السنة فى الخامس من شعبان ، تحرك صوب كواليار وجنديرى

(١١٦) ربما يقصد نهر السند •

(١١٧) جودو « أ » ص ٣٥ •

(١١٨) ما بين نهر الكنك نهر السند •

(١١٩) كوه « أ » ص ٢٥ •

(١٢٠) سغفور خانى « أ » ص ٣٥ •

(١٢١) ٦٤٠ « أ » ص ٣٥ •

و مالوه بجيش جرار ، واستقبله جاهر ديوراجه هذه البلاد بخمسة آلاف فارس ومائتى ألف من المشاه ، وقاتل السلطان قتالا مريرا ، وهزم ، وفتح قلعة زورور بالقوة ، وعاد السلطان بالنصر والظفر الى دهلى ، وابلى البغ خان بلبن فى هذه المعركة بلاء حسنا ، وبعد ذلك توجهه شيرخان من الملتان للاستيلاء على أجه وجاء أيضا ملك عز الدين بلبن من ناكور الى أجه ، وتسلم شيرخان قلعة أجه ، وتوجه الى السلطان ، ونال ولاية بدارن مقاطعة له .

توجه السلطان فى الثانى والعشرين من شوال سنة ٦٥٠ هـ (١٢٢) الى أجه من طريق لاهور ، والتحق بالسلطان فى هذه المرحلة قتلخان من ولاية سهوان وكشندلو خان عز الدين من بدارن بجيوشها ، ورافقه حتى نهريياه (١٢٣) وفى سنة ٦٥١ هـ سمح لأبغ خان بالتوجه الى سواك وهانس وكانت مقاطعة له وعهد لعين الملك محمد جنىدى بمنصب الوزارة ، وجعل ملك عز الدين كشلوخان « أمير حاجب » وأعطى لأبيك أخى خان أعظم ولاية كره ، وجعل عماد الدين ريحان وكيل المبلاط ، وجاء السلطان الى دهلى ، وفى أوائل شوال من نفس السنة توجه من دهلى الى نواحى نهريياه ، وكانت بترهنده وأجه والملتان مازالت فى يد شيرخان وقد هزم شيرخان من السنديين ، فتوجه الى تركستان ، فأرسل السلطان جيشا ، وفتح البلاد المذكورة وأحالها لأرسلان خان وعاد .

وفى سنة ٦٥٢ هـ توجه الى نواحى كوه بايه ونال غنائم كثيرة وعبر الجانج من معبر « ميان يور » ووصل الى نهر رهب على سفح جبل ، وفى « بكله مانى » استشهد مالك عز الدين رضى الملك بيد المواطنين هناك « وهو ثمل » (١٢٤) فى يوم الأحد الخامس عشر من صفر سنة ٦٥٢ هـ وتوجه السلطان الى نواحى كتهيل (١٢٥) وكهرام للانتقام لدمه ، وأدب المتمردين هناك ، وتوجه الى بدارن ، وبقي هناك عدة أيام ، وجاء الى دهلى ، واستقر خمسة أشهر ، قضاهما فى اللهو والمرح ، وعندما وصل الخبر أن بعض الأمراء أمثال أرسلان خان (١٢٦) وبتخان أيبك ختائى والبغ خان أعظم قد شرعوا فى العصيان فى نواحى بترهنده بالاتفاق مع ملك جلال الدين ، توجه السلطان من دهلى الى بترهنده بالاتفاق مع ملك

(١٢٢) خمس وستائة « ١ » ص ٣٦ .

(١٢٣) بياه « ١ » ص ٣٦ .

(١٢٤) مستى

(١٢٥) كهيتل وكتهيل وكتهيل « ١ » ص ٣٦ ، ٣٧ .

(١٢٦) أرسلان خان « ١ » ص ٣٧ .

جلال الدين وتوجه السلطان من دهلى الى بترهنده ، وعندما اقترب من هانسى ، توجه المذكورون الى كهرام وكيتهل ، وحاصروا الجماعة وعقدوا الصلح ، ولازموا السلطان بعد العهد والقسم ، وفوض السلطان ملك جلال الدين على حكومة لاهور ، وعاد الى دهلى ، وفى سنة ٦٥٣ هـ انصرف مزاج السلطان على والدته (١٢٧) ملكة جهان التى كانت زوجة لقتلخان (١٢٨) فعين قتلخان على ولاية أوده ، وسمح له بالرحيل الى هذه الناحية ، وعزله من هناك بعد فترة قصيرة وأرسله الى بهرايج ، ففر قتلخان من هناك وذهب الى سنتور (١٢٩) ورافقه ملك عز الدين كشلوخان وبعض الأمراء الآخرين ووضعوا أساس البغى ، فعين السلطان الخ خان بلبن على رأس جيش جرار لمهاجمتهم ، وعندما اقترب الفريقان ، رغب جماعة من دهلى ، مثل شيخ الاسلام سيد قطب الدين والقاضى شمس الدين بهرائيجى ، قتلخان وكشلوخان للحضور الى دهلى والاستيلاء عليها ، وسعوا أيضا خفية لتحريض أهالى دهلى لبيعتهم ، وعندما اطلع الخ خان بلبن على هذا الأمر أخبر السلطان بحقيقة الأمر ، وعرض انه سيتفق مع الجماعة المذكورة ، وعلى السلطان أن يصدر أمرا بان يذهب هؤلاء القوم الى مقاطعاتهم ، وخلال ذلك قطع قتلخان ، وملك كشلوخان مسافة مائة فرسخ خلال يومين ، وجاءوا من سامانه الى دهلى ، وعندما رأوا أن هذه الجماعة ليست فى دهلى ، تفرقوا أيضا ، وتعقبهم الخ خان بلبن .

وفى أواخر هذه السنة جاء جيش المغول الى نواحى أجه والمقتان وتوجه السلطان لصددهم وعاد جيش المغول دون قتال ، وعاد السلطان أيضا ، وخلق على ملك جلال الدين جاني وسمح له بالسفر لكهنوتى ، وفى سنة ٦٥٧ هـ وصلت جواهر وأقمشة كثيرة وفيلان من لكهنوتى وتوفى ملك عز الدين كشلوخان الذى سبق ذكره فى رجب من نفس السنة .

ويروى أن السلطان ناصر الدين كان يكتب كل سنة مصحفين ، يصرف ثمنهما على قوته الخاص وذات مرة تصادف أن اشترى أحد الأمراء مصحفا كتبه السلطان بسعر مرتفع ، وعندما علم السلطان بذلك ، لم يسره هذا ، وأمر أنه بعد هذا عليهم أن يبيعوا ما يكتبه خفية بسعر متعارف عليه ، ويروى أيضا أنه لم يكن لدى السلطان أى جارية أو خادمة سوى زوجته ، وكانت تطبخ الطعام للسلطان قالت يوما للسلطان : انه

(١٢٧) وردت قتلخان وقتلخان

(١٢٨) والده مخويش « ك » ص ٧٦ ، والده لويش « أ » ب ٣٧ .

(١٢٩) سور « أ » هـ ٣٧ .

بسبب اعداد الخبز فان يداى دائما تصاب بالاذى ، فلو اشترت جارية لكى تخبز الخبز ، لا يكون هناك قصور قط ، أجبها السلطان ان بيت المال حق لمعبود الله ، وليس لى ، فليعطنا الله واشترى فأصبرى ولسوف يجزيك الله تعالى أحسن الجزاء فى الآخرة :

« الدنيا حلم أمام العين اليقظة ، وحلم القلب لا يقيد الرجل الذكى »

وفى سنة ٦٦٣ هـ ، مرض السلطان ناصر الدين ، وانتقل من الدنيا الى الآخرة فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٤ هـ ، ولم يبق من اولاده أحد ، وكأنت مدة سلطنته تسع عشرة سنة وستة أشهر وعدة أيام .

ذكر السلطان غياث الدين بلين (١٣٠) :

عندما توفى السلطان ناصر الدين فى سنة ٦٦٤ هـ اجلس الأمراء وملوك المدينة الخ خان بلين الذى يسمى « بلين خورد » على عرش السلطنة فى القصر الأبيض وانعقدت له البيعة العامة والخاصة .

كان السلطان غياث الدين مملوك السلطان شمس الدين ، ومن جملة مماليك جهلكانى (١٣١) وكان للسلطان شمس الدين أربعون غلاما تركيا ، وصل كل واحد منهم الى درجة الامارة ، ويطلق على هذه الجماعة « جهلكانى » وكان السلطان غياث الدين سلطانا ، عالما ومجربا ، وصاحب حنكة ، وكان يزن الأمور ويعقلها :

« المعرفة هى المتاع الجميل ، فلا تكن خاليا من مال العالم هذا »

« يرفع الشخص رأسه الى العالم ، لأنه فى نظر العالم عاقل »

لم يدع أمر المملكة الا للأكابر والعلماء ، ولم يسمح للأراذل بالتدخل فى الأمور ، وإذا لم يرق الشخص الى الصلاح والتقوى والتدين والنسب ، لا يطلب منه عملا ، وكان يتشدد فى تصحيح النسب ، ويدقق كثيرا ، وإذا وجد فى شخص عيبا ذاتيا أو نقصا فى صفاته ، بعد أداء العمل يعزله فى الحال ، وحتى آخر أيام السلطنة ، وهى اثنتان وعشرون سنة ، ولم يخاطب الأراذل واللثام ولم يسمح بالهزل والسخره فى مجلسه .

ويروى أن فخر أمانى قد عمل عدة سنوات فى خدمة البلاط ولجا الى أحد المقربين من السلطان ، وقدم اليه مالا كثيرا على أنه اذا تحدث مع السلطان ، فسوف يهديه مالا كثيرا نقدا وعينا ، وعندما وصل هذا

(١٣٠) ذكر السلطان غياث الدين « ١ » ، ص ٣٧ .

(١٣١) الأربعة .

المعنى الى السلطان ، قال لأمير السوق « ان مهابة السلطنة تقل في قلب العوام ، من حديث السلطان معه ، ويأخذ الخلل في حشمة وعظمته ، وكانت جميع أوصاف السلطان غياث الدين محبوبية ، ولم يكن يعادله أى سلطان من السلاطين السابقين فى عدله وانصافه ، ويروى أن ملك بقيق سرجاندار (١٣٢) ضرب خادم فراشه عدة سياط ، وتوفى هذا الخادم تحت السوط ، فاقتص من ملك بقيق المذكور بالسوط ، وقتل هيبت خان ، والد ملك قيران غلامى مملوك السلطان بلين ، شخصا ، وهو فى حالة سكر ، وجاء أهل المقتول الى السلطان ، وطلبوا القصاص ، فأمر السلطان أن يضربوا هيبت خان خمسمائة سوط ، ويسلموه لزوجة المقتول ، وتوسط الناس للصلح مقابل عشرين ألف تنكه ، وخلصوه من يد هذه المرأة ، ولم يخرج هيبت خان من المنزل حتى يوم وفاته ، واقتص أيضا من عدد من الأمراء لما كان قد وقع منهم من قتل غير مشروع ، وهكذا لم يصبح القتل من الأمراء والملوك للأمالى سهلا وميسورا ، وكان يصاحب أهل الوعظ ، ويسمع المواعظ ، ويبكى ، وكان يرضى الأوامر والنواهي كما ينبغي وجدد وأحيا وأقام أحكام السلطنة وقوانين المملكة التى كانت قد رست أيام السلاطين أبناء شمس الدين التمش ، ولم يستطع أحد قط أن يخرج عن جادة الطاعة خوفا من القهر والعقاب ، وهكذا سلك طريق العدل والانصاف ، ولهذا صار كافة الخلائق وجميع الرعايا فى ممالك الهند طائعين وتابعين طواعية ، وأجبر أكثر (١٣٣) القواد والرؤساء الذين رفعوا رؤوسهم بالخلاف بعد وفاة شمس الدين لضعف ابنائه ، على الطاعة والولاء :

« العدل هو عندما تشعل الشمع ويعرف الحمل الذئب »

وكان يبالىغ فى زينة اللباس ومراعاة الحشمة والأبهة السلطانية فى وقت الظهور والخلوة ، وكان يبدى سلوك العظمة والأبهة والجلال فى الوقوف والجلوس ، لكى يرتعب المشاهدون من رؤيته ، ويقذف الخوف فى قلوب المتمردين فى القرب والبعد من جلال عظمته ، وكان السلطان يردد دائما « أنه كان من الكبار الذين لهم اعتبار كامل فى مجلس السلطان شمس الدين وكنت أسمعهم يقولون : ان السلطان (شمس الدين) لا يحافظ على آداب وعادات السلطنة فى الاحتفالات ، ولا يبدى الحشمة فى أحواله وأقواله ، لذا فان هيبتة لا تتمكن من قلوب أعداء المملكة ورعايا الممالك ، وسلك الفساد فى أمر المملكة » وكان السلطان بلين

(١٣٢) بقيق بسر جامدار « ١ » ص ٣٨

(١٣٣) أكثر : « ك » ص ٧٩

يبلغ فى اعداد مجالس الأفراح من اعداد للأبسطة المزخرفة والأوانى الفضية والذهبية ، والستائر المنسوجة بالذهب ، وأنواع الفواكه والطعام والشراب ٠٠٠ ، وكان يجلس يوم الحفل حتى آخر اليوم ، ويستعرض هدايا الملوك والأمراء ، وعندما يقدم أحد الأعيان هدية ، يعرض ، الحاضرون فى المجلس صفاته الطيبة ، وخدماته الجليلة ، وكانوا ينشدون الأغاني فى مجالس الاحتفال ، ويقدم الشعراء قصائد المدح ، وينالون الصلوات والانعمامات ، ويقولون : « انه لم ير شخص قط بدون قلنسوة وحذاء خاص وثوب واقى للمطر ، ولم يضحك أحد بملء فيه فى مجلسه » وكان يقول : أن هذا القدر من الرعب والهيبة تمكن السلطان من قلوب الخلائق وان عدم الهيبة هى سبب طغيان وتمرد الرعايا ، واذا بقى هذا السلطان فترة على العرش فانها لن تطول لأن الفساد سيظهر ، وتبرز الفتنة ، وتختل قواعد العدالة ، وتفتح أبواب الظلم والتعدى ، وكان السلطان غياث الدين يرعى الاعتدال فى كل حال ، ويأتى باللطف والغضب فى محلها . وكان يقول : « ان السلطان الذى يسير سيرة الجبابة فى أوضاعه وأحواله فهذا اشراك لله وخلاف لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يكافىء هذا الا بالعقاب والعذاب ، ولا يمكن تلافى هذا الا بأربعة أشياء أولها : أن يستغل قهره وسطوته فى محلها لا يفض النظر عن رفاهية الخلق وخوف الحق ، وثانيها : الا يدع الفسق والفجور يسرى فى ممالكة علانية ، ويسد هذا الباب ، ويخذل دوما الفاسقين والنجساء ، وثالثها : أن يفوض الأعمال والأشغال للناس عقلاء ومتدينين ومناسبين ، ولا يدع للناس أهل الود مجالا فى مملكته لأنهم سبب اخلال خلق الله ، ورابعها : أن يتبع العدل والانصاف الى درجة الا يترك أثرا للظلم والتعدى فى بلاده :

« الاستقرار يكون بالعدل والانصاف ، وظلم الملك يكون مثل مصباح فى الرياح »

عندما وصل السلطان بلبن قصر بابل مع رفاقه وأقاربه (١٣٤) توقف هناك ، وعين الأمراء وأركان المملكة الذين كانت أعمدة الدولة بيدهم ، وجعل أولا المرضى والمشايخ والنساء ، والأطفال والحيوانات الضعيفة تمر دون مزاحمة الأقوياء ، وكان الناس مشغولين بأفياهم وحيواناتهم وتوقف عدة أيام فى هذه الأماكن ، ليمر الخلائق بسهولة ، وعلى الرغم من أن السلطان بلبن فى أيام امارته كان يرغب فى الشراب

(١٣٤) وقتيكة سلطان بلبن بر أبى ما على با خيشى وخالى رسيدي « ١ » ص ٤٠ ،
 اما فى ككتا جاءت الجملة على هذا النحو « وقتيكة سلطان بلبن بر سرائى يا بلى
 با خيشى وخالى رسيدي » ص ٨١ .

وعقد الحفلات ومصاحبة الأمراء والملوك المهمين ولعب القمار ، ونثر ذهب القمار على أهل المجلس ، وكان دائما قى مجلسه الخدماء اللطاف والطربون والظرفاء ولكن بعد أن صار سلطانا لم يرغب فى هذه الأعمال وقضى على اسم الشراب والمدمنين وسائر المناهى فى مملكته ، واهتم بصيام النقل وقيام الليل والمواظبة على الجمعة والجماعة وصلاة الضحى والظهر والتهدد ، ولم يكن بلا وضوء أبدا ، ولم يمد يده الى طعام دون حضور العلماء والصالحين وأثناء تناول الطعام كان يتحقق من العلماء فى المسائل الشرعية ، وكان يذهب الى منازل الكبار ويزور المقابر بعد صلاة الجمعة ، ويحضر جنازة الأكاير ، ويذهب للعزاء وينعم على أبناء واقارب الميت ، ويقر وظيفة الميت لورثته ، وإذا علم أثناء الركوب مع كل هذه الحشمة والعظمة أن فى المكان الفلانى مجلس وعظ ، كان ينزل من ساعته ويسمع الذكر ويكئى :

« نهضت عظمة الملك من هنا ، ونظم العالم بالعدل والعلم »

« كان يرتدى الرداء الخشن يوم الخلوة ، ويجاهد بالصلاة والانكسار »
 « الوجه على الرمال ، والقلب مثل قدر يغلى ، فأبسط القلب وأصمت »
 « حتى ترى قلبه بعين السر (١٣٥) ، وتعلو المرأى هذا التشيب »

ومع وجود كل هذه الأفعال الحسنة ، اختفى أهل البغى والطغيان ، وقضى على أهل القهر والجبروت ، ولم يكن يرنو الى عادات الجبابرة ، وكان يقضى على مدينة بسبب بغى أحد الأشخاص وكان يقدم مصالح الملك على كل شئ ، ولهذا قضى على أكثر الملوك الشمسية الذين كانوا شركاء له بكل أنواع الحيل والتدبير (١٣٦) ، وعندما تهيأت له أسباب السلطنة والشوكة ، عرض بعض الأمراء الشمسية أنه طالما بلغت هذه القوة والقدرة فمن المناسب ألا تدع الكجرات ومالوه وبلاد الهند الأخرى ، فرد عليهم السلطان : انه بسبب قدوم المغول الذين يحضرون سنويا للمسلم فانه لا يمكن أن ائشغل بعيدا عن دهلى ، فالأولى أن تهتم بولايتك ، وبعد ذلك فكر فى أخرى ، وهو كلام السلاطين السابقين ، وانه من الأفضل أن توفر الأمن والأمان للملك ، بدلا من أن تسيطر على ملك الآخرين ، ولم يدع لحظة تمر دون تفكير فى أمن ملكه .

وفى سنة الجلوس أى سنة ٦٦٤ هـ أرسل تثارخان بن أرسلان خان ستمائة وثلاثة افيال من لكهنوتى ، وعقدوا الأفراح فى المدينة ، وأعلن

(١٣٥) زان ، ١ ، راز ، ١ ، ص ٨٢ .

(١٣٦) يلاحظ أن جميع الافعال فى الماضى الاستمرارى الناقص .

السلطان بلبن العفو عن جيوتره ناصرى وهو خارج بوابة بداون ، وحضر الأمراء والملوك والصدور والأكابر ، وقدموا الهدايا ، وأنعم عليهم بالصلوات ، ولما كان السلطان بلبن يميل الى الصيد ، فقد أمر أن يحافظوا على الصيد حول المدينة بعشرين ميلا ، وكان « ميرشكار » أمير الصيد عنده درجة عالية واستخدم كثيرا من الصيادين ، وكان أيام الشتاء يركب كل يوم وقت المسحر ، ويتوجه حتى قنطرة ريوارنى ويصطاد وكان يقضى جزءا من الليل ، ويأتى الى المدينة ولا يخرج فى الليل ، وكان ألف فارس ممن يعرفهم السلطان وألف شخص من حملة السهام والنبال يتناوبون فى ركابه ، ويأكلون جميعا على مأدبة السلطان ، وعندما وصل خبر مواظبة السلطان على الصيد الى هولانكو فى بغداد ، قال : « ان بلبن سلطان ، يظهر للناس أنه يذهب الى الصيد وفى الحقيقة فإن الركوب للصيد رياضة ويعطى لجيشه مثلا ، ويحمى ملكه » ، وعندما وصل هذا الكلام الى بلبن ، سر ، واثنى على نكاه هولانكو وقال : « يعلم قواعد الملك أشخاص حكموا العالم واستولوا على الملك »

ولما كان الفساد الكلى قد سرى فى جميع أمور الملك بسبب غفلة واستهتار أبناء شمس الدين ولم يبق أثر قط لقوانينهم وأحكامهم ، فإن جماعة « ميوان » الذين كانوا حول المدينة ، وبسبب الغابات التى تحيط بهذه النواحي ، قد وضعوا أساس الفساد والتمرد ، وعملوا على قطع الطريق ، وكانوا يتسللون الى المدينة ليلا ، وينقبون المنازل ، ويحملون اموال الناس ، وانتهبوا بالقوة والغلبة القرى التى كانت حول المدينة ، وسدوا الطريق من الأربعة جهات ، حتى لم يبق للتجار من مجال للمعاملات ، وكانوا يغلزون أبواب المدينة التى كانت ناحية القبلة بعد صلاة العصر خوفا منهم ، ولم يستطع أحد أن يذهب فى زيارة طويلة بعد صلاة العصر وهجموا على حوض السلطان عدة مرات ، وضيقوا على السقايين والجوارى حاملات المياه ، وقد فضل السلطان فى نفس هذه السنة دفعهم عن مصالح أخرى ، وقطع جميع الغابات ، وأطاح برقاب كثير من المفسدين ، وبنى قلعة حصينة فى « كوالكر » ، وأقام عدة حصون حول المدينة وقسم أراضى الحصون بين رجال جيشه ، وعلم كل شخص بحصته ، وبعد ذلك ارتاح الأهالى من فساد « ميوان » وعندما فرغ السلطان من قطع الغابة وقمع ميوان ، سلم القصبات والقرى بين النهرين للحكام الأقوياء ، حتى يقتلوا المتمردين الذين يقومون بالتهب والسلب ، وأسر اولادهم وأتباعهم ، وقضى تماما على فساد هذه الطائفة ، وبعد ذلك خرج السلطان مرة ثانية من المدينة وتوجه الى ناحية كيتهل

وبتيالى (٣٧) وقضى على المتمردين والمفسدين فى هذه الناحية ، وفتح طريق الهندوسنان وهو باصطلاح اهل الهند ، جونبور وبهار وبنكاله وقد كان مسدودا ، وغنم من هذا النهب والسلب الكثير من الأسرى والمواشى ، وبنى فى كنبل وبنياالى وبهوجيور التى كانت مأوى لقطاع الطريق ، القلاع الحصينة والمساجد العالية ، وسلم القلاع الثلاثة للافغان ، وحكم جماعة الأفغان هذه القصبات .

فى هذه الأيام عمر قلعة جلالى التى كانت مأوى لقطاع الطرق ، ووطنها بالمسلمين ، ولم يكد ينتهى من هذه المهمة حتى وصل الى السلطان خبر فتنة وفساد أهالى كاتهر (١٣٨) وسيطرتهم وعجز حاكم بداون وأمروه ، وعاد السلطان من كنبل وبنياالى الى المدينة ، وأمر باعداد الجيش ، وأعلن فى الخلق « انه سوف يتجه الى ناحية الجبل » وحملوا الخيمة الخاصة وخرجوا بخمسة آلاف فارس على وجه السرعة وعبر من معبر كاتهر كك ، ودخل ولاية كاتهر (١٣٩) وأمر بالقتل والسلب ، ولم يدع أحدا حيا سوى النساء والأطفال ، وجعل كل من بلغ سن الثامنة من الذكور علفا للسيف ، وكوم القتلى ، ومنذ ذلك الحين وحتى عهد جلالى (١٤٠) لم يظهر مفسد قط فى كاتهر ، وسلمت ولاية بداون وأمروه من شر الكاتهريين ، وبعد ذلك عاد السلطان بلبن مظفرا ومنصورا الى المدينة ، وبعد فترة قاد الجيش صوب جبل جود ، وانتهب ما حول هذا الجبل ووقع فى يد الجيش جياذ كثيرة فى هذا الفتح علما بأن سعر الجواد وصل الى ثلاثين وأربعين تنكة ، وعاد السلطان بلبن منصورا الى دهلى ، وكان كلما عاد كان الأكاير والعظماء فى المدينة يستقبلوه على مسافة اثنين أو ثلاثة فراسخ ، ويقيمون الأفراح ويعقدون الحفلات ، وينشرون ما هو خير ، وكان يرسل كثيرا الى اطراف البلاد لتوزع على أهل الاستحقاق .

وبعد مدة توجه الى جانب لاهور ، وبنى قلعة لاهور ، التى كان قد خربها المغول ، وعمر القرى نواحى لاهور ، والتى أصابها المغول بالأضرار ، وعاد الى دهلى ، وفى ذلك الوقت عرض البعض على السلطان بلبن أن جماعة كبيرة من القواد الذين كانوا قد نالوا مقاطعات فى عهد السلطان شمس الدين ومازالت حتى الآن تحت تصرفهم وأن هناك كثيرا

٠ (١٣٧) كنبله وبنسالى « ١ » ص ٤١ .

٠ (١٣٨) اهل كتهر « ١ » ص ٤١ .

٠ (١٣٩) ولاية كاتهر « ١ » ص ٤١ .

٠ (١٤٠) جلال الدين اكبر .

من الخلافات فى مقاطعاتهم فأمر السلطان بالعفو عن الأشخاص كبار السن والذين أصبحوا ضعافا من الجندية ، وقرر لهم « مدد معاش » (١٤١) واسترد ما زاد ولهذا السبب حدث بين الأهالى اضطراب وتحسر ، وقدمت جماعة تحف الى أمير الأمراء (١٤٢) وشرحوا حقيقة حالهم ، ورفض ملك الأمراء تحفهم وقال « اذا أخذت منكم رشوة ، فانه نين يكون لكلامى اثر ، وتوجه من ساعته الى السلطان ووقف مكانه مفكرا مهموما ، وأدرك السلطان حزنه ، فسأله السبب ، فعرض اننى سمعت أن السلطان رد المشايخ (كبار السن) وقطع عنهم دخلهم ، ففكرت لو ان ائقيامة رفضت أيضا الكبار فى السن ، ماذا يكون حالى ؟ فأدرك السلطان ما يقوله ، واستحسن كلام ملك الأمراء واحتضنه وهو يبكى ، وأمر أن تبقى رواتب (١٤٣) هؤلاء القوم كما هى ، ولا يسترد منهم شىء .

« قرب السلطان المبارك هذا الشخص الصادق لأنه اصلح حال المحتاجين »

بعد فترة توفى شيرخان عم السلطان بلبن ، ويرون أن السلطان أمر أن يدسوا له السم فى الخمر ، وكان شيرخان هذا مملوك الشمس ، ومن ممالك « جهلكانى » وصل الى درجة الامارة ، وعمر قلعة بترهنده وبهتتير (١٤٤) وبنى قبة عالية فى بهتتير ، وكان شيرخان هذا يحكم منذ عهد السلطان ناصر الدين حتى زمان السلطان بلبن سنام ولاهور وديبالبور وسائر الاقطاعات التى تقع فى جهة دخول المغول ، وقد هاجم المغول عدة مرات ، وبسبب شجاعته وبطولته وكثرة حشمه لم يكن المغول يدخلون الهندوستان ، وعندما أدرك أن السلطان بلبن يسعى للقضاء على الممالك الشمسية ، فلم يأت الى دهلى ، وبعد وفاته ، اُحال السلطان بلبن سنام وسامانه الى تيمور خان ، وكان أيضا من ممالك « جهلكانى » وعين أمراء آخرين على الولايات الأخرى ، والمغول الذين لم يستطيعوا أن يهاجموا الهندوستان فى أيام حكومة شيرخان ، عادوا لتهديد حدود الهند ، ومن أجل تدارك هذا الأمر ، عين السلطان بلبن ابنه الكبير محمد سلطان المشهور « بخان شهيد » الملقب بقا آن ، والذي كان يتصف بالكمال الصورى والمعنوى ، واليا للعهد ، وقوضه

(١٤١) مدد معاش : هو معاش شهرى أو سنوى يأخذه من البلاط دون مقابل .

(١٤٢) فخر الدين كوتوال « ١ » ص ٤٢ .

(١٤٣) تتخواه وعلوفه : وهو رأس المال الذى يقدمه السلطان وهو عبارة عن مقاطعة

أو قرية أو مزرعة يحصل منها صاحبها على رزقه ، أما مدد معاش فهو معاش يقدم للأدباء والعلماء وكبار السن دون أن يقدموا مقابلًا لهذا المعاش .

(١٤٤) ترهنده ويهير « ١ » ص ٤٢ .

على السند وتوابعها وسلمه « جتروودورباش » وأرسله مع جماعة من الأمراء والعلماء بجيش كامل الى الملتان ، وكان محمد سلطان هذا عزيزا عند السلطان أكثر من الأخوة الآخرين ، وكان يجالس ويصاحب أهل الفضل والكمال دائما ، وقد ظل أمير خمرو وأمير حسن فى خدمته لمدة خمس سنوات ، ونالا الانعام فى سلك ندمائه ، وكان يصادقهما أكثر من الندماء الآخرين ، وكان يثنى كثيرا على نظمهما ونثرهما ، ولما كان مؤدبا ومهذباً فإنه كان يجلس فى مجلس القيادة طوال اليوم والليل ولا يضع رجله على الآخرين ، كان قسمه دائما حقا ، ولم يكن يجرى على لسانه فى مجلس الشراب وأوقات الغفلة والسكر كلمة غير مناسبة .
« أنت تشهد للرجل بالأدب الرفيع ، فتحل بالأدب لكى تصبح كبيرا »

وكان يعتقد كثيرا فى المشايخ والعلماء ، ويروى أن الشيخ عثمان سرورى (١٤٥) وكان من كبار عصره جاء الى الملتان ، فقدم اليه الأمير التحية ، وأهداه هدية ، والتمس من الشيخ الإقامة فى الملتان ، وأراد أن يبنى له خانقاه ، ويوقف له القرى ، ولم يقبل الشيخ وسافر ، وذات يوم اجتمع الشيخ المذكور والشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا فى مجلس ، وعند استماع أشعارهما العربية ظهر الوجد على الدراويش الآخرين ، ورقصوا جميعا ، وكان يضع يده على صدورهم ويبكي ، وكان أكثر من فى مجلسه ينشد أشعارا عربية تتضمن الموعظة ، وترك الأعمال الأخرى ، وتوجه الى المركب والدمع يترقق من عينيه .

يروى أن احدى بنات السلطان شمس الدين كانت فى عصمة السلطان محمد ، وحدث أن جرى على لسانه الطلاق ثلاث مرات وهو فى حالة سكر ، ولما لم يكن هناك علاج الا بالمحلل زوجوا هذه المرأة للشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا وبعد الزفاف ، كلفوا الشيخ بطلاقها ، قالت هذه المرأة ، اننى لجأت اليك من بيت هذا الفاسق ، والله لا يجيز أن تبلىنى به ثانية ، وأجابها الشيخ « لا يمكننى الاقتراب منك ، ولم يطلق ، ولم يطق سلطان ، واستعد للانتقام ، وتصادف أن جاء المغول فى تلك الأثناء ، وفضل محمد سلطان دفعهم مجبرا ، وأسرع لقاتلتهم ، واستشهد ، وأرسل رسولا من الملتان الى شيراز مرتين يستدعى الشيخ سعدى عليه الرحمة ، وأرسل مبلغا من المال ، وأراد أن يبنى للشيخ خانقاة فى الملتان ، وأوقف القرى ، ولم يستطع الشيخ الحضور بسبب الضعف والشيخوخة ، وكان فى المرتين يكتب رسالة بخطه متضمنة

(١٤٥) مروى « ١ » من ٤٢ ، سرمدى « ك » من ٨٨ .

أشعاره ، ويرسلها لمحمد سلطان ، ويقدم عذر عدم المجيء لسفارة أمير خسرو ، وكان محمد سلطان يأتي سنويا من الملتان الى دهلى لخدمة والده ، وكان يقدم الهدايا والتحف وينال التكريم ، ويعود ، وفي هذه السنة التي لم يعد فيها ، استدعى السلطان بلبن ابنه فى الخلوة عند السفر ، وقال لقد قضيت عمري كله فى الملك والسلطنة ، وحصلت على التجارب ، وأريد أن أوصيك عدة وصايا لازمة للحكم ، لتقوم بها من بعدى ، الوصية الأولى « هى أنه عندما تجلس على كرسى العرش ، فلا تستهن بأمر الملك لأنه يعنى خلافة الله عز وجل ، ولا تبدل عزة الأخر الجليل ، بالذل والفحش بارتكاب قبائح الأعمال وردائل الأوصاف ، ولا تشارك أرائد ولنائم الناس فى هذا الأمر » .

« لا تدع سفينة الضعف تجوب فى ساحتك ، ولا تنصب اللثام منصب الكرام » ، والوصية الأخرى هى الا تدع للسطوة والقهر سيطرة عليك ، وتجنب أغراض نفسك ، ولا تعمل الا لله ، وتصرف فى الخزائن والسفائن ، وهى من العطايا الربانية الجزيلة فى اعلان الحق ورفاهية الخلق والوصية الأخرى : هى الا تتخاذل وتهمل أعداء الدين والفساق والظلمة دائما ، وأخرى هى أن تعلم أحوال وأفعال الولاية وعمالك دائما ، وتحبذهم على محاسن الأفعال وقضائل الأخلاق وأخرى هى ان تعين القضاة والحكام الأتقياء المتدينين على الناس حتى يروج دين الله ورونق العدل بين الناس ، وأخرى وهى أن تراعى أمور الحشمة والعظمة السلطانية فى الخلاء وعلى الملأ ، ولا تهتم فى أى وقت من الأوقات باللهو وسائر ما لا يكون بذى أهمية » .

« صن لوازم الحشمة الى حد ما لأن الهزل مع كل الناس يقلل المهابة »

وأخرى هى أن ترعى وتكرم وتنعم على المواطنين أهل الهمة وحسن التفكير وشاكرى النعمة ، ولا تهمل أفكارهم وأن تهتم باعداد الرجال اصحاب الفضل والعقل فهم موجوبون للازدهار ونظام المملكة ولا تهتم بالذين لا يخافون الله وأعلم أن صلاح الملك والدين فى تجنب ابعاد هذه الطائفة » .

« لا تفك الجواهر النفيس من العقد ، وتعطف عن هذا السوء الأصل »

« فان صاحب الجواهر السوء لا يفى مع أحد ، فاصل الخطأ لا يخطو الا فى الخطأ »

والوصية الأخرى : هى ان الهمة والسلطنة لازمة وملزمة للآخرين ، والعقلاء والحكماء توامان ويقولون أنه ينبغى لهمة السلطان ان تكون

حجم كبيرة ، ويقولون ان همة السلطان اذا كانت مثل هم سائر الناس فلن يكون هناك فرق بينه وبين الناس جميعا ، ولا يجتمع السلطان مع عدم الهمة ، واخرى هي ألا تفعل الا الكبير من الأمور ، ولا تفعل الخطأ ، فان وقعت منك وانتشرت فان المخلصين والتابعين لا يجدون ضرورة لمصلحة المملكة ، ولا تعادى الأصدقاء .

« انت ترفع كل رأس اليك ، حتى يمكنك ألا تطأها »

ولو عاقبت شخصا حسب ضرورة الملك والدين ، فارح الصالح ، ولا تتعجل فى أيداء الأشراف لأن جراحهم لا تلتئم سريعا ، ويصعب تداركها ، واخرى لا تضع لكلام الجين (١٤٦) ، ولا تفتح مجال التعامل معهم حتى يخلصون ويطيعون الدولة فى خوف ، ولا يعيشون الفساد العظيم فى المملكة ، واخرى ، طالما تعلم أن الأمر لن يتحقق ، فلا تسرع فيه لأن ترك الأمر ناقصا لا يليق بحال السلاطين .

« طالما لن تطأ القدم بثبات ، فلا تطأه فى طلب أمر قط »

واخرى : لا تعتزم أمرا قط دون مشورة العقلاء ، وكل أمر ترجحه على الآخر ، اجتنب مباشرته بنفسك ، وعليك أن تقف على كل أمور الدنيا السيء منها والخسنى ، واحكم فى الأمور الوسطى لأن هناك نفور عام من القهر والظلم ، والمتمردون يطغون من الضعف والعجز ، واعمل طوال الوقت فى المحافظة التى تضمن الإصلاح العام ، واملا بلاطك بالحراس والحجاب المخلصين أهل الثقة ، وكن رحيفا فى حق أخيك ، ولا تسمع لأحد قط فى حقه ، واعتبره ساعدك وعينه على ولايته .

قص السلطان هذه النصائح على ابنه ، وسلمه امارة السلطنة ، وسمح له بالتوجه الى الملتان ، وفى نفس هذه السنة لقب ابنه الأصغر بغراخان (١٤٧) بلقب ناصر الدين ، وأقطعه سامانه وسنام ، وأرسله الى سامانه ونصحه بعدة نصائح جرت على النحو التالى : « أن يزيد جيشه القديم ، ويرعى هذا الجيش الجديد الذى فى بلاطه ، وأن يستشير العلماء أهل العلم عند دخول المغول وفى القيام بالأمور الملكية ، وأن قابله اشكال فى عمله ، أن يعرضه علينا حتى نأمر بما ينبغى عمله ، ومنع عن بغراخان شرب الشراب ، وقال : اذا شربت خمرا بعد ذلك ساعز لك عن اقطاعك ، وسأبدلك باقطاع اخرى ، وستكون دائما فى نظرى ضعيفا وذليلا » ، سمع بغراخان النصائح من والده ، ووضعها

(١٤٦) الجين : اما يقصد بهم اتباع الديانة الجينية أو الصينيين

(١٤٧) بغراخان « ١ » ص ٤٤ .

فى أذن العقل ، واتخذ طريق الصلاح شعارا له ، وترك ما لا يفيد ، وهكذا كان كلما جاء المغول الى الهندوستان كان محمد سلطان يتوجه من الملتان ، وبغراخان من سامانه وملك باريك بيك ترس (١٤٨) من دهلى ويصلون الى نهر بياه قرب قصبه سلطانپور ، ويبعدون شر المغول .

بعد ذلك استقر أمر السلطان بلبن ، وقضى على المنازعين ، وعندما راي طغرل ، وكان مملوكا تركيا ، يتصف بالشجاعة والمروءة والسخاء ، وكان حاكما على بلاد لكهنوتى ، ان السلطان كبر فى السن ، أرسل ولديه أمام المغول ، الذين يأتون كل سنة ، ولذا فقد وضع أسس البغى بسبب كثرة جماعته وأملاكه ، واستولى على المال والأفيال التى كان قد أحضرها من جاجنكر ، ولم يرسل حصّة منها الى السلطان ، ورفع « جتر » (١٤٩) على رأسه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، ورفع لواء المعارضة ، ولما كان كريما وسخيا فقد أطاعه أهالى هذه البلاد ، وارتفع شأنه .

« كان الشاب رفيقا لشخص ، ولكنه لم يكن رفيقا لهذا الوضع »

عندما وصل خبر تمرد طغرل الى دهلى ، أرسل له السلطان جيشا ، وجعل على رأس الجيش ملك ايتكين موى دراز (١٥٠) الملقب بأمين خان وكان حاكما لأوده ، مع أمراء آخرين ، مثل تمرخان شمس وملك تاج الدين بن على خان شمس وتوجه لتأديب طغرل ، وعندما عبر ملك ايتكين بجيشه نهر سرو ، وتوجه الى لكهنوتى ، وجاء طغرل لمواجهة ، وبعد القتال هزم ، وتحقق لطرغرل من هذا الأمر القوة والمكانة ، وحزن السلطان كثيرا عند سماع هذا الخبر ، وقتل ملك ايتكين ، وعلقه على بوابة أوده ، وأرسل جيشا آخر لمهاجمة طغرل ، وهزم طغرل أيضا هذا الجيش ، وازداد السلطان غضبا ، وقرر أن يتوجه بنفسه ، وأمر أن يصنعوا ويعدوا مراكب كثيرة فى جون والجانج ، وخرج للمصيد الى سنام وسامانه ، وقوض أمر سامانه لملك سونج سرجاندار (١٥١) ورافقه بغراخان بجيشه الخاص ، وعاد من سامانه ، ودخل ما بين النهرين ، وعبر الجانج ، وسلك طريق لكهنوتى ، وترك ملك الأمراء نيابة عنه فى دهلى فى غيبته ، ولم يهتم بالمطر بسبب عزمه واهتمامه بالأمر ، وتوجه برحيل متواتر الى لكهنوتى .

• (١٤٨) باريك بيك ترس « ١ » ص ٤٤

• (١٤٩) مظلمة الحكم

• (١٥٠) ايتكين موى دراز « ١ » ص ٤٤

• (١٥١) سونج جاندار « ١ » ص ٤٥

« كل شيء حول الحاكم ، ساكن الا السلطان »

« كان العالم سريعاً ، لا يريد التوقف »

وعندما توقف السلطان بسبب كثرة الامطار وصعوبة الطريق ،
انتهاز طغرل الفرصة ، وأعد جيشه ، وتوجه الى طريق جاجنكر ، ليستولى
عليها ، وظل فترة هناك ، وعندما عاد السلطان من لكهنوتى ، عاد ،
ودخلها ، وأطاعه القوم الذين يخافون عقاب السلطان بلبن وطمعا فى
المال طوعا وكرها ، وعندما وصل السلطان الى لكهنوتى ، توقف عدة
ايام ، وأعد الجيش ، وتعقب طغرل بجانب جاجنكر ، وسلم ولاية لكهنوتى
ليسببها لار حسام الدين وكيل ملك ياريك ، وعندما وصل الى حدود
سناركام (١٥٢) ، جاء بهو جراى حاكم سناركام لخدمته ، وانتظم فى
سلك تابعيه ، وتعهد الا يدع طغرل يهرب من النهر ، وأسرع السلطان
الى جاجنكر ، وعندما سار عدة منازل ، انقطع اثر طغرل ، ولم يعط
اخذ اشارة عنه ، فأمر ملك ياريك بيكترس (١٥٣) بأن يأخذ سبعة آلاف
فارس ممتاز ، ويتقدم لمسافة عشرة أو اثنى عشرة فرسخ ، وكلما تقدم
العيون (١٥٤) وتتبعوا طغرل لا يجدوا اثرا ، حتى جاء يوم تقدم ملك
محمد «تيرانداز» حاكم كول عن مقدمة الجيش ، ومعه أخوه ملك مقدر
وشخص آخر يشتهر بقاتل طغرل « طغرلكش» مع ثلاثين أو أربعين فارس
وكانوا يتبادلون الحديث ، وفجأة قبضوا على عدة أشخاص من جيش
طغرل ، فمعهروا منهم أن جيش طغرل لا يبعد عن هنا نصف فرسخ ،
وهم يقيمون اليوم وغدا سيرحلون الى جاجنكر ، وعندما صعد بعض
الفرسان من العيون على مضبة ، رأوا خيمة طغرل تحت قدمهم وجيشه
يستريح فى غفلة تامة ، فسلوا السيوف وهجموا على خيمة طغرل فى
غفلة ، وخرج طغرل من الخوف الذى استولى عليه من الحمام وركب
على جواد دون سرج ، وقفز فى نهر كان بالقرب من الجيش ، وتفرق
جيشه أيضا من الخوف والفرع ، وسلخوا طريق الهزيمة ، وتعقب ملك
مقدر وطغرلكش طغرل ، ووصلوا اليه عند شاطئ النهر ، وأصابه
طغرلكش بسهم فى جنبه ، فوقع عن الجواد ، فنزل ملك مقدر عن
الجواد ، وفصل رأسه ، وألقى جثته فى النهر ، ولف رأسه فى ذيل
قميصه (١٥٥) وانشغل بغسل يده ووجهه وفى نفس هذه الساعة وصل

• (١٥٢) سناركام ، سناركام « ١ » ص ٤٥

• (١٥٣) بابك بيك رس « ١ » ص ٤٥

• (١٥٤) يزكيان « ك » ص ٩٤ ، ياركيان « ١ » ص ٤٥

• (١٥٥) ته دا من « ك » ص ٩٤ ، تنوره « ١ » ص ٤٥

ملك باريك (١٥٦) على رأس جيش المقدمة ، وأرسل رأس طغرل مع رسالة نصر الى السلطان وفي اليوم التالي ، وصل ملك باريك بغنائم وأسرى جيش طغرل ، وعرض ما حدث ، ولم يستحسن السلطان التهور الذى حديث من ملك تيرانداز ، وأخيراً أنعم عليه ، وأكرم ملك تيرانداز (١٥٧) وسائر الاتراك كل حسب حالته ، وأعطى مقدر وطغرلكش قدرا مساويا من العطايا ، وبعد ذلك عاد السلطان من لكهوتى ، وقتل الأقباء والمقربين من طغرل ، وعلقهم فى المشانق فى سوق لكهوتى ، حتى الصوفى الذى كان له مكانة فقد اقتص منه مع المتصوفين الآخرين الذين كانوا رفاقا له ، وأمر بقتل الجنود الآخرين لطغرل فى دهلى ، وأعطى بغراخان جتر ودورباش (١٥٨) وسائر امارات السلطنة وتركه فى لكهوتى ، ورفع لواء العودة .

وأوصى ابنه الحبيب عدة وصايا عند الوداع ، الوصية الأولى هى لا يليق بحاكم لكهوتى اثاره العداة مع سلطان دهلى سواء يارادته أو ارادة الآخرين ، واذا قصد سلطان دهلى لكهوتى فينبغى على حاكم لكهوتى الذى انصرف أن يذهب الى أماكن بعيدة ، وعندما يعود سلطان دهلى ، يرجع الى لكهوتى ثانية ، وينفذ أوامره ، والوصية الثانية : وهى أن تسلك طريق الوسط فى أخذ الخراج من الرعايا ، ولا تأخذ القدر الذى يجعلهم يتمردون وليس القدر الذى يجعلهم عاجزين ومقهورين ، وينبغى أن تعطى قدرا للمحشم أيضا ليكفيهم سنة بعد سنة ولا يتعسرون فى مسار حياتهم ، والوصية الأخرى هى ألا تشرع فى شىء من أمور الملك دون مشورة أهل الرأى المخلصين وأهل الخير .

« الرأى القوى خير من مائة سيف ، وتاج الملك افضل من مائة قلنسوة »
« ولا تجعل الجيش يتراجع ، فان سيفا واحدا يعادل عشرة » (١٥٩)

وتجنب تنفيذ الأحكام على هواك ، لأن نفسك تخالف الحق ، والوصية الأخرى هى ألا تغفل أحوال الحشم لأنهم من لوازم الحكم ، واعتبر أن رعاية خاطرهم من الضروريات ، ولا تفرط فى أمورهم ، وأعلم أن من يحرضك فهو عدوك ولا تصغ لقوله ، والوصية الأخرى هى أن تلقى بنفسك فى حماية شخص يعرض عن الدنيا ويتجه الى الخالق .

(١٥٦) باريك ، باريك « ١ » ص ٤٥ .

(١٥٧) شرا بدار « ١ » ص ٤٩ .

(١٥٨) جتر مظلمة توضع فوق الحاكم ودورباش عصاة يمسكها فى يده .

(١٥٩) اشارة للآية الكريمة « يا ايها النبى حرض المؤمنى على القتال ان يكن

منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » الانفال ٦٧ .

« عليك ان تحمى وتؤمن الدرويش لأن قوته أكبر من مائة سد للاسكندر »
ان السلطان يتجنب الشخص الذى يجد فى نفسه ذرة من حب
الدنيا ولا يعتمد على قوله وفعله .

ملا اذن ابنه بالنصائح القيمة ، وودعه ، وعاد الى دهلى ،
واستقبله المشايخ والأعيان بكل مدينة وقصبة وصل اليها ، وهناؤه ،
وقدموا التحف والهدايا ، ونالوا الأنعام والأكرام ، وعقدوا فى المدن
الكبيرة الحفلات واقاموا الأفراح ، وعندما عبر الجانج مارا من بداون ،
استقبله سادات وقضاة وسائر مشاهير دهلى ، وقدموا التهانى ، ونالوا
الرعاية السلطانية ، وعندما وصل الى دهلى ووزع الصدقات والهبات ،
وسعد أرياب الاستحقاق ، وذهب الى بيوت العلماء والمتصوفة ، وقدم
الهدايا والنذور الى كل منهم حسب حالته ، وأطلق سراح المسجونين بسبب
المال ، وعفا عن باقى الرعايا الذين كانوا فى حالة استعداد للمحاكمة ،
وكان ملك الأمراء ينوب عنه فى غيبته قد أبدى حسن تدبيره فى ادارة
المصالح الملكية ، وأعلا من شأنه بأنواع الاكرام ، وأمر بعد ذلك بنصب
المقاصل فى سوق دهلى ، لشنق أسرى جيش دهلى الذين ذهبوا اليه من
دهلى والتحقوا به فى لكهنوتى ، وحزن أهل المدينة بسبب أن أكثر الأسرى
أقرباء لهم ، ويكروا وتألوا لهم ، فذهب قاضى الجيش وكان من اتقياء
عصره الى السلطان ، وتوسط لهم بكلمات رقيقة ، فرق قلب السلطان ،
ووقع بقلم العفو على جرائمهم .

بعد هذا جاء محمد سلطان الابن الأكبر للسلطان بلبن من الملتان
لزيارة الأب ، وقدم الهدايا النفيسة والتحف اللائقة ، وسر السلطان من
مجيئه ، وشمله بأنواع الرعاية ، وسمح له بالانصراف ، فى هذه الأثناء
وصل تيمور (١٦٠) بجيش عظيم الى ما بين لاهور وديبالبور ، ووقعت
بينه وبين محمد سلطان معركة حامية ، واستشهد محمد سلطان مع عدد
من الأمراء ، وأسر ميرخسرو فى هذه المعركة ، وتحرر ، وكتب خواجه
حسن هذه المرثية ، وأرسلها الى دهلى « على الرغم من أن الفلك الظالم
قد عقد الموافقة منذ مدة ، وربط عهد المصادقة ، مع الزمان الناشز ، قد
رضى بهذا العهد ، ووعد بالوفاء ، إلا أن السماء الفاجرة عين معيبة
انسان عينها بالخسة والخساسة ، ومع أن السكر كالأول عندما يعطى
ليس هذا باعث كرم منه ، ولكن الثانى مثل الأطلاق لا يمنعه أى حياء ،
وعادة الزمان الآن على هذا المنوال ، تسمع وترى اما التجارب وإما
بالمسامح ، لأن القمر عندما يرتفع يظلم وجهك ماله بالنقصان ، ومثل

(١٦٠) تيمور « ١ » ص ٤٧ .

السحاب يصعد ويدور وتتفرق جواهره فى الآفاق ، وفى حديقة الحيرة
وبستان النصرة لا ينمو ورد بلا أشواك ، ولا يتخلص قلب قط من الشوك ،
فيا أيها الخضره الخضيره انه سيواجهك من الخريف آفة بدلا من
اللطفه ، ويا ايها الأغصان النضرة ستتكسين من رياح الزمان فى
ثرى الأرض :

« انظر حديقة الخريف كم تصبح مروية ! ، وتجعل السرو الشاب سروا
بلا شباب »

وواحد من هذه الأمثلة الواقعية هو خسرو نامى قا آن ملك
غازى (١٦١) انار الله برهانه واثقل بالحسنات ميزانه الذى (توفى)
يوم الجمعة الثالث من ذى الحجة سنة ٦٨٣ هـ .

« القمر كالحب فى قلب الكافر ، لا يظهر فى مكان قط فى العالم »

صعد والشمس تصاحب جيش الاسلام ، وكان الامير الاعظم
شمس سماء الملك ، ونور العزة فى غرته الغراء يلوح ، والجهاد فى
ضميره ثابت ، وضع قدمه المبارك فى الركاب ، وعرضوا عليه مشكلة
الفتح . وأن « تمر » بكل جيشه قد نزل على مسافة ثلاثة فراسخ .
وعندما حل الفجر ، عزم الرجيل من هذا المكان ، وتقدم لمسافة فرسخ
من هؤلاء الملاحين ، واختار مكانا للمعركة على حدود حديقة « سرير »
على شاطئ نهر « لهاور » (١٦٢) ، وعقد العزم على انه عندما يلتقى
بالكفار سيكون المستنقع فى صالح الجيش ، حتى لا يستطيع أحد الفرار
من هذا النهر ، وكى لا يصاب الجيش بأفة من هذه المخاذيل ، والحق
كان هذا الاحتياط نهاية الحزم وغاية الادراك لهذا الملك ، ولكن عندما
حل القضاء النحس ، وسرى الفساد بكل الأمور ، وانفلت ملك التدابير :
« كل من يقع فى الحظ التعس ، يقع أمره فى الارادة السيئة » .

« والحظ عندما يفقد الجنون الطريق ، وعندما يسقط العقل فى الليل البهيم »

الشمس والقمر كانا يتعلقان فى ذلك اليوم بالملك ، والريخ وجهه
مثل دم اعيان الملكة ، الجميع انطلق من كنانة هذا البرج طوفانا ، وسقط
دم الجوزاء وكان أسدا من برج مائى لأن الخوف والخراب دلائل فتن
وظواهر فتور هذا النوع الظاهر الباهر ورمز واشارة اذا جاء القضاء
ضاق الفضاة « المهم عند الظهر وصل الفلك فى ولاية نيمروز واقترب

(١٦١) خسرو ماضى قا آن ملك غازى « ك » ص ٩٨ .

(١٦٢) لهاور « ا » ص ٤٧ .

وقت زوال ملك العالم ، فجأة ظهر جمع من هؤلاء الكفرة ، وركب خان غازى فى ساعته ، وقدم مثالا للبطولة ، وقاد جميع الخيل والخدم والحشم والحاشية بناء على القول « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وأعد جيشا أقوى مائة مرة من سد الاسكندر ، وبعد تنظيم الميمنة واعداد الميسرة ، وقف بنفسه على القلب عندما اصطفت الكواكب جميعا للجهاد ، وعبر الكفار عليهم الخذلان والخسار نهر لاهور واصطفوا أمام المسلمين ، وحط اليوم على رأس هؤلاء الوحوش اهل الخراب والفساد ، وكان غزاة الاسلام من ملوك الترك والخليج مشاهير الهندوستان وسائر الجيوش فى مصلى المعركة بناء على قول المصطفى عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالجهاد « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ورفعوا الأيادى مكبرين ، وفى أول الهجوم هجم عدد من المقاتلين الشجعان على خيل المغول بالسيوف ، واستقرت عدة حراب فى الأعداء ، لأن حاملى الحراب كانوا فى مكان مرتفع ، وتابعهم ستون من الأتراك الخاصة وهجم على اهل التاتار :

« فى أول هجوم لبس الملك الدرع ، وقتل التاتاريين الضعفاء »

وهجم حملة السيوف كأنهم صف واحد من بين الصفوف وكان السيف يتراقص فى هذه الحرب ، وصار لجميع السيوف لسانا يريد : اليوم أحلنى على هؤلاء الملاحين خدمة للدولة ، ولا تبخل بالنفس والنفيس لأن للسيف نصلين ٠٠ لأنه يصل الى حد الكمال بقدرة القادر »

« لا ترحل حتى يملأ ترابك عيني ، لا تفعل وان أغلقت عين السوء »

« فانت لم تر الفلك أمامك مضيئا ، وأشعلت عيني نارا عليه »

حتى أقام الحرب والجهاد فترة فى الميدان ، كان لابد أن يجرى اللسان فى القول والمقال ٠٠٠ أيها السلطان لا تقلل من جهدى ، أن على لسانى سنان ، من كثرة القتال والجدال لم يطعنى خصم ، فلا كان لأنه طالما ظهرت منى حركة اضطراب ، وانطلق سهم ، فيا أيها العقد المعقود ، العقد كالزهرة مفتوح ، فلا تقصدنى لأننى أجعل رأسى فى التراب ، ولا ينبغى ترك عين الفلك على السطح الخامس ، واجعله فى المنزل الخامس للسهم فى القوس ، ٠٠٠٠٠

« اننى أضع رقبتى فى الحبل أمامك ، فانت قوس ومن طرتك ، قيدنى »

عموما غزا هذا السلطان المتدين بقلب الجيش على هذه الفئة الضالة من الظهر حتى المساء وارتفع للسماء غوغاء ، وجلبة الغلاء ، وأراد الألسنة النارية ، وأراد السيوف البتارة التى لا تخطئ وجرى الأمر

على نحو هذه الآية « يوم يفر المرء من أخيه » (١٦٢) وامتألت الأرض
دما ، وسرى في السماء مثلما يرفرف روح الأب غلى أبناء المقتول .
« أيها الأب أن حديدة السيف مثل النار مؤلمة ، حتى يضع ألم اليتيم على
كبدى »

فى نفس هذه اللحظة ، واثناء هذا الاضطراب ، وصل فجأة سهم
من إبهام القضاء الى رأسى هذا النمر ، وانتقل طائر الروح من القفص
الى جنة الجنان ، وروضة الرضوان ، انا لله وانا اليه راجعون ، وفى
نفس هذه اللحظة كسر ظهر الدين المحمدى عليه الصلاة والسلام مثل
قلب اليتامى ، ووقع سد الملة المحمدية فى بئر الغرباء ، وفقد التأييد
الذى كان مساعدا للملك ، وضاع ملك بيضة الاسلام ، وهبطت الشمس
وقت الغروب الصادق ، وفنى وقت الغروب ، ولبس المعزون لباس
الحزن ، وأسودت العين بالدمع ، وأخذ الخد يترقق ، وصار زحلا
مكسوا بالسواد موقوفا بالوفاء وشرطا للمعزاء ، وناح على موته اهل
الهندوستان ، وليس المشتري لباس الحزن وعباءة دامية ، ومزق الدرع
وطين العمامة ، وتقطع قلب المريح لموته مثل عين الأتراك ضيقا ووجه
معيشته مثل جعد الزنوج . . . ، وعندما وقع زحل فى قبضة قصاب ،
ولم تستطع الشمس من الخجل أن تدفع هذه الحادثة وقمع هذه الواقعة ،
ولم تتمكن ونزلت الى الأرض ، وعندما رأى الزهرة أن الاجرام لم تجد
أياما بيضاء من الحرب ، فزاد فى الظهور نغمة الدفء ، وشرع فى
السماع ، وأخذ يثن بلحن الأسى على وفاة ذلك الملك الكريم ، وأسود
عطارده ، وسود وجهه من سواد دواته ، وهو الذى خط الغزوات
والفتوحات ، وموافق على فتحنا ومزق أوراق دفتره والقميص الورقى ،
وكان قمر جلالى فى صورة هلال بقامة منحنية يطلع فى هذه القيامة
على الأرض ، وينير الأفق فى مرؤة .

« نس الوجه فى التراب لانك لا تريد ، وقمر الزمان على الأرض لا يريد
لى ذلك »
« اذا ذهبت للمصيد فمكاني هو ترابك ، خلوتك الخاصة السعيدة لا تريدها
روحى »

فليرفع الحق سبحانه وتعالى الروح المقدسة المطهرة الطيبة لهذا
الأمير الغازى الى مدارج أعلى ومراتب أرقى ، وانذقه كل لحظة كأس
التجلى لجمالك وجلالك ، واجعل كل شفقه ورحمة وأدب وعاطفة فى حق

هذا الضعيف المسكين سببا..لزيد من الدرجات ومحو خطاياہ ، أمين .
يارب العالمين » .

عندما وصل هذا الخبر الى السلطان بلبن ، حزن واغتم كثيرا ،
وكان عمر السلطان فى هذا الوقت ثمانين سنة ، وكان يتكلف فى اظهار
قوته وشجاعته ، وكانت آثار الضعف والحجز ظاهرة عليه فى هذه
المصيبة ، واخذت قوته تخور يوما بعد يوم ، وبعد هذا الأمر ، أرسل
السلطان بلبن كيخسرو بن محمد سلطان محل أبيه الى اللتان واعطاه
« جتروودورباش » واستدعى بغراخان من لكهنوتى الى دهلى ، وقال :
ان فراق أخيك الكبير أضعفنى وآلمنى ، وأرى ان وقت الرحيل قد حان ،
وغيبتك منى بعيد عن المصلحة لأنه ليس لدى وريث غيرك (١٦٤) وابنتك
كيقباد وابن أخيك كيخسرو صغار ، ويجعلان تجارب الحياة ، واذا وقع
الملك فى أيديهما لا يمكنهما المحافظة عليه أو تحمل عهده لغلبة الشباب
والهوى ، وكل من يجلس على عرش دهلى ينبغي أن تطيعه ، ولو تمكنت
انت من عرش دهلى سيطيعك حاكم لكهنوتى ، ولا ينبغي أن تغيب عنى ،
ولما كان هوى لكهنوتى يلعب براس بغراخان ، وتحسنت صحة السلطان.
قليلا ، فتوجه الى لكهنوتى بحجة الصيد بدون اذن السلطان ، ولم يكن
يصل بغراخان الى لكهنوتى حتى عاود المرض السلطان ، واستدعى
السلطان فى هذه المرة ملك الأمراء فخر الدين كوتوال دهلى ، وأوصى
بولاية العهد لكيخسرو ، وبعد ثلاثة أيام التحق بجوار الحق ، ودفن
فى دار الأمان (١٦٥) ، ولما كان فخر الدين كوتوال وأتباعه ليسوا على
علاقة طيبة مع الأمير الشهيد والد كيخسرو ، أرسلوه بالمحيلة الى اللتان،
وكانت أيام سلطنة السلطان غياث الدين اثنين وعشرين عاما وعدة أشهر .
ذكر السلطان معز الدين كيقباد :

بعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن ، رفعوا كيقباد بن بغراخان ،
وكان فى الثامنة عشرة من عمره ، ولقب بالسلطان معز الدين كيقباد ،
على السلطنة ، وكان هذا السلطان يمتاز بحسن الخلق ، ولما كان طوال
الوقت تحت نظر وتربية السلطان بلبن ، وكان يوكل له المعلمين والمؤدبين
القساة فانه لم يتيسر له فى هذه الفترة الأخذ من اللذات والتمتع
بالشهوات ، وفجأة أطلق العنان للشهواته ، وفتح باب اللهو والمرح
لغلبة عنفوان الشباب وهوى النفس ، ففضل التمتع باللذات على مصالح
الملك ، واهتم بأمر البطالين والأنانيين ، وبناء على الحديث « الناس

(١٦٤) خبر تو « ١ » ج ٥٠ ، غير تو « ك » ص ١٠٣

(١٦٥) دوار الأمان « ١ » ص ٥٠ .

على دين ملوكهم » ، انشغل الصغير والكبير باللهو والمرح ، وخرج السلطان من دهلى ، واتخذ من كيلوكهري على شاطئ نهرجون (١٦٦) دارا للسلطنة حيث بنى قصرا عاليا وحديقة كبيرة وبسبب غلبة لهو ومجون السلطان معز الدين فقد اتجه المهرج الفاجر والمطرب والمطربة من أطراف وأكناف العالم الى البلاط ، ولما كان أتباع هذه الطائفة كثيرة فى الهند ، فقد ازدهر أمر اللهو واللعب رواجا عظيما ، وفتحت أبواب الفسق والفجور ، ومحيت أسماء الغم والههم من قلوب الناس ، وكان السلطان دائما مرافقا ومصاحبا للوجوه الحسان والمطربين والظرفاء والندماء أهل اللباقة ، ولم يكن يقضى ساعة دون لهو ومجون ، وكان دائما ينعم ويجزل العطايا .

وتقرب ملك نظام الدين ، وكان صبورا وابن أخى ملك الأمراء كوتوال ، من السلطان تقريبا كاملا ، وفوض أمور السلطنة جميعا له ، وصار ملك قوام الدين علاقة ، وكان لا مثيل له فى الزمان عمدة الملك ونائبا لوكيل البلاط ، ولما كان ملك نظام الدين رجلا مكارا ونشطا ، صار ملوك بلبن الذين كانوا أعوانا وأنصارا لدولة معزى (١٦٧) فى خوف من تسلطه وتقربه ، وسعوا لارضاء خاطره ، وكانوا يراعون خاطره فى الأمور الملكية ، حتى لا يفقدون رعايته ، وعندما أدرك نظام الدين أن الأمراء والملوك مطيعون له ورأى السلطان معز الدين مستغرقا فى اللهو والمرح ، فكر فى السلطنة والحكم الذى لم يكن أصلا مناسبا لحاله ، وعقد العزم على استئصال أسرة بلبن وبسبب هذا التفكير الباطل والخيال الفاسد ، قال للسلطان معز الدين « ان كيخسرو شريكك فى الملك ، وهو جدير بأوصاف الملك وولاية العهد ، جعل رغبة الأمراء والملوك بجانب رغبته وقرر القضاء عليه ، واستمع السلطان معز الدين كلام الغدار هذا باذن صاغية ، وأرسل من ساعته فرمانا يستدعى كيخسرو من الملتان ، وأرسل جماعة لكى تقضى على هذا البريء فى الطريق وانقاد كيخسرو المظلوم للأمر ، وتوجه الى دهلى ، وفى قسبة رهتك استشهد ، وبعد ذلك اتهم خواجه خطير ، وكان وزيرا للسلطان معز الدين ، بتهمة كاذبة ، وأجلسه على حمار وشهر به ، واستحكم خوف الأمراء والملوك من ملك نظام الدين ، وازداد رعب الناس ، فى ذلك الوقت وصل خبر قدوم المغول الى لاهور ، قعين ملك باريك بيترس وخان جهان لدفع شرهم ، ووقعت معركة حامية فى نواحى لاهور ، وقتلوا أكثر المغول ، وأسروا جمعا ، واحضروهم الى

(١٦٦) جون « ١ » ص ٥٠ .

(١٦٧) وردت مغزى فى « ١ » ص ٥٠ « ك » ص ١٠٤ .

دهلى ، وقال للسلطان معز الدين يوما « ان أمراء المغول هؤلاء جميعا جنس واحد لديهم حشمت كثير (١٦٨) واذا اتفقوا سيغدرون بك (١٦٩) وعلاج هذا يكون صعبا ، ودخلت هذه الكلمات المزخرفة على السلطان ، وقتلهم ، وألقاهم لأسرهم ، وحبس أيضا بعض ملوك بلبن الذين كان لهم صداقة وقرابة مع أمراء المغول ، وأرسلهم الى قلاع بعيدة ، ولم يخش من فساد الأسر القديمة وقضى على ملك شاهيك ، أمير الملتان وملك يزكى حاكم برن اللذين كانا من أمراء السلطان بلبن ، بكل حيلة يعرفها ، ولما كان السلطان مسخرا له فانه كان يبلغ السلطان انماطا من سوء تفكير وفساد هؤلاء المخلصين واتباع الدولة ، وقال السلطان ملك نظام الدين هذا الكلام مرة ، وكاد يقبض على ذلك الشخص ويسلمه له ، وظهرت سيطرة زوجة ملك نظام الدين وهى ابنة ملك الأمراء ، على حرم السلطان ، وصارت « ماهر خوانده سلطان » وأصبح الأمراء والملوك منقادين وتابعين لملك نظام الدين لسيطرته واستيلائه ، وكانوا يجلبونه بكل وسيلة يعرفونها ويقدرون عليها ، ويدفعون عن انفسهم شره بلطائف الحيل ، وأضحى بلاطه مرجعا للخواص والعوام ، وانتهى رونق وبهاء البلاط المعزى (١٧٠) .

« الملك الذى رفع الدون ، وأعلى كل بلاء »

« يرفع اشتعال النار ، ويستتهزى بنفسه »

وعندما اطلع ملك الأمراء فخر الدين كوتوال على القصد الفاسد والخيال الباطل لملك نظام الدين ، وكان فى محل ابنه ، استدعاه فى الخلوة ، وكلما أراد أن يحدثه بكلام معقول ودلائل عقلية ، لكى يخرج من رأسه التصور الباطل والخيال الفاسد ، ولكن لا فائدة ، ولم يقنعه هذا القصير الفكر السيء الطبع ، ورد عليه : « ان كل ما يخدم الملك صواب وخلافه خطأ ، لكننى جعلت الناس أعداء لى ، والكل يدرك ما هو فى صالحى ، ولو نفضت يدي عن هذا الداعية الآن فلن ينفذ الناس اليد عنى » فاستاء منه ملك الأمراء ، وعندما وصل هذا المعنى الى الأكابر والمعارف ، أثنوا عليه جميعا ، وظهر لهم حسن تدبير ملك الأمراء .

المهم عندما سمع بغراخان ، والد السلطان معز الدين الملقب بالسلطان ناصر الدين والذى يحكم ولاية لكهنوتى أن السلطان معز الدين مشغول باللهو واللعب ، ولا يهتم بالحكم وأن ملك نظام الدين ،

(١٦٨) بشيار « ١ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٦٩) عذرى وكرى خيال كند « ١ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٧٠) معز الدين كيقباد ، وردت فى « ١ » معزى « ص ٥١ .

عضى على أمراء وملوك بلين جميعا ، وسائر الأعوان والإنصار المحنكين ويريد الهضى ، فكتب عدة رسائل الى ابنه ينصحه ، وأطلعته تلميحا على الفكر الفاسد لملك نظام الدين والأمراء والملوك ، ولم يعر السلطان معز الدين لغرور الشباب ، وسكر الشراب أدنه لكلام أبيه ، ولم يفكر فيه ، وعندما أدرك السلطان ناصر الدين أن موعظته لن يكون لها أثر فى غيبته ، أراد أن يلتقى بابنه ويقول له ما يشاء أن يقوله ، وكتب رسالة بخط يده ، بنى ان شوقى لرؤيتك لا يطاق ، فلا تدعنى أكثر من ذلك فى محنة الفراق ، وأغتنم فرصة رؤيتى ، وعندما قرأ السلطان معز الدين رسائل شوق أبيه ، تحرك عرق الشوق أيضا ، وأبدى اشتياقا له وأرسل رسائل حب مع المقربين الى أبيه ، وتحركت بين الطرفين رسائل الشوق ، وتقرر بعد الرسل والرسائل أن يتوجه السلطان معز الدين من دهلى الى أوده ، ويأتى السلطان ناصر الدين أيضا الى أوده ، ويلتقى السلطانان ، ويتمتع كلاهما برؤية الآخر ، ويكون قران السعدين (١٧١) لأمير خسرو بين الأب والابن ، ويستفيدا من كلام أمير خسرو ، لأن السلطان ناصر الدين أراد أن يسخر دهلى ويدفع ابنه عن لكهنوتى ، وأسرع السلطان معز الدين أيضا لمقابلته وفى أوده يستقرا للمصلح ، المهم أراد السلطان معز الدين أن يذهب وحيدا للملاقة الأب ، فقَالَ ملك نظام الدين : « أن تجردك لمقابلة الأب مسافة أمر بعيد عن المصلحة ، وأمر الملكة لا يعتمد على علاقة الأبوّة والبنة ، والمصلحة هى أن يعد السلطان حشمة وجيشه وأدوات سلطنته ، ويتوجه حتى يحدث الرعب والخوف فى قلوب الملوك والراجات وزمينداران (١٧٢) عند مشاهدة كركبة وجمهرة السلطان ، فيتقدمون للطاعة والولاء ، وتقديم الخدمة » وأعد السلطان ناصر الدين الجيش بناء على قول ملك نظام الدين ، وتحرك بأسباب السلطنة ولوازم الحشمة الى أوده ، وعندما أطلع السلطان ناصر الدين على هذا الحال ، وأدرك أن سبب هذا هو ملك نظام الدين فتوجه أيضا من لكهنوتى بالجيش والأفيال والحشم ، ونزل الجيشان على جانبي نهر سرو ، واستمرت المراسلات والمكاتبات ثلاثة أيام وتحديثا عن كيفية اللقاء ، وأقر أخيرا أن يجلس الابن على العرش ، ويعبر السلطان ناصر الدين النهر ، ويقدم شروط الطاعة ، ويلتقى بابنه على العرش ، ونصب السلطان معز الدين خيمته ، وجلس على عادة كخسروى ، وكقبادى ، وأعد ميدان المعركة ، ونزل السلطان ناصر الدين فى المكان المقابل ، وقيل الأرض ثلاثا وعندما واجه العرش لم يرق السلطان معز الدين

• (١٧١) احدى منظومات أمير خسرو دهلوى

• (١٧٢) زمين داران : حكام البلاد والقرى والمقاطعات من المواطنين

ونزل من فوق العرش ، وانكب على قدم الأب ، واحتضن كل منهما الآخر ، وبكى ، وترقرق الدمع فى عيون الحاضرين أيضا عند مشاهدة حالهما ، وأخذ الأب بيد الابن وأجلسه على العرش ، وأراد أن يجلس أمام العرش ، فنزل الابن عن العرش ، وأجلس الأب عليه ، وجلس أمامه بأدب ، ونثر الذهب والفضة ، وعاد الشعراء لانشاد قصائد المديح والمطربين للغناء والنقباء والحادييين للمهتاف ، ولما قدم لوازم الحشمة السلطانية وشروط عقد المجلس كما كان متعارفا عند هذه الجماعة ، حظى كل منهما بمكالمة ومحاورة الآخر ، وبعد فترة نهض السلطان ناصر الدين ، وعبر النهر ، وتوجه الى معسكره ، وتبادل الطرفان ارسال التحف والهدايا الغريبة والفواكه ، وكلاب البحر العجيبة (١٧٢) والأطعمة والأشربة اللطيفة ، وأمر رجال الجيشين ، أن يتبادل الأقارب الزيارات ، وأن يسلكوا ذلك فرادى ، وجاء السلطان ناصر الدين الى منزل ابنه عدة مرات ، وتحدث السلطانان ، وعقدا المجالس ، وتبادلا الأفراح والمهوى ، وشربا الشراب ، وعندما اقترب يوم الوداع قال السلطان ناصر الدين لابنه ، « ان جمشيد كان يقول : ان السلطان بقدر ما يكون فى الخزانة من مال ، لأنه يوم غلبة الأعداء يقدم المدد لجيشه ، ويسيطر على القحط ويلاء الرجايا ، ولا يمكن القول بأن هذا السلطان هو سلطان العالمين » ، ونصحه نصائح أخرى لاثقة بحال السلطنة ، قال السلطان معز الدين ، « كم انا مهموم ومجزون فلقد أيقظتنى من نوم الغفلة ، ولا أدري كيف أكون مقبولا للسلطنة لقد نبهتنى لهذا حتى أنفذ قانون عملى ، ولا أجزى خلاف هذا ، واحتضن السلطان ناصر الدين ابنه بحب الأبوة ، وقال لقد تعبت كثيرا من هذا الطريق ، وهدفى أيضا أن تسمع بأذن واعية لنصائجى الغالية ، وأوقظك من نوم الغفلة ، الذى هو لازم للشباب وحب المال ، وأن تحل محلها الحب والشفقة الأبوية ، واختلنى به وقال له ، « ان ملك نظام الدين وقوام الدين عمدة الملك كانا حاضرين فى المجلس حتى أقول ما قلته فى حضرتهما » وقال السلطان ناصر الدين برقة وشفقة ، « بنى اسمع لقد جلست على عرش دهلى ، وقضيت وقتا سعيدا جدا ، ورغبت فى ملك لكهنوتى ، وجاءنى ملك دهلى أيضا ، واننى اسمع منذ سنين حكايات لهوك وغفلتك وتفاهتك وظللت فى حيرة ، كيف ظللت سالما حتى الآن ، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أعزبك ، وأرى ملك دهلى ولكهنوتى فى معرض الزوال ، وينفطر قلبى من قتل ممالك أبى الذين تربوا فى نعمته ، وأخلصوا له ، وحزنت لقتلهم واعتمادك على الآخرين ، وهكذا لم يصبح لى رجاء فى الملك ، بنى : ان أخى الأكبر كان لائقا للسلطنة ،

(١٧٢) سقلاب عجيب « ١ » ص ٥٢ ، تنقلات عجيب « ك » ص ١٠٩ .

واستشهد فى حياة أبى ، وقتلت ابنه الذى كان أهلا للسلطنة وكان ساعدك.
يوشاية أعداء الدولة ، وهكذا رفعوك من بيننا ، وسقط ملك دهلى بيد قوم
وأهل غرباء ، والقوا باسمنا وعلمنا على الأرض ، بنى : اذا لم يكن
لك رحم فارحم أولادك وأتباعك ، فلا تقامر بهم ، وتجرح همك ، وأعمل
بما أنصحك به ، والنصيحة الأولى هي ارحم نفسك ، واسع فى معالجة
نفسك ، لكى يكون لون وجهك من الورد والياقوت الأحمر ، أكثر رونقا ،
من هذا اللون الأصفر الذى زاد صفرة ، من افراط الشهوة التى اضعفتك ،
وجعلتك غير قادر على العمل ، لأن الروح وقعت فى الفساد ولن تشبع من
اللذة :

« لا يليق بالسلطان أن يسكر ، ولا يتعلق بالمعشوق والهوس »

• السلطان حارس للخلق دائما ، ومن الخطأ أن يسكر الحارس » *

« عندما يحل الماء فالليالى خراب من الخمر الصافية ، ويستقر

القطيع فى معدة الذئب » •

« فى القانون فان عادة الملك فى ثبات الأمور وثباتها فى العقل »

والنصيحة الثانية هي أن تتحرز فى قتل الملوك والأمراء ، حتى
لا يزول اعتمادك على الأعوان والأعضاء ، واختر من أمراك اثنين آخرين
مثل هذين الرجلين ، أى نظام الدين وقوام الدين ، أصحاب تجربة
واشركهما ، واعتبر أن يكون أربعتهم هم أركان الدولة الأربعة ، وكل عمل
تقدم عليه اتمه باتفاقهم وصلاح رأيهم ، واعهد لأحدهم بديوان الوزارة
والثانى بديوان الرسائل ، والثالث بديوان المعروض ، والرابع بديوان
الانشاء ، وقربهم الأربعة بقدر متساو ، وعلى الرغم من أن درجاتهم
متفاوتة باعتبار أعمالهم ، فلا تدع لأحدهم السيطرة أكثر من الآخرين ،
حتى لا يطغى ويتمرد ، والنصيحة الثالثة هي أن كل سر من الأسرار
الملكية يكون أفضاؤه ضروريا ، أفشه بحضور الأربعة ، ولا تحرم أحد
سرا من أسرارك كى لا يحملون لك فى قلبهم ، والنصيحة الرابعة هي أد
الصلاة وصم رمضان لأن فى تركهما خذلانا فى الدنيا والآخرة يتعلق
بأنبياءك ، سمعت أن محتالا من علماء عصرك أراد « أن يرضيك فرخص
لك الافطار فى شهر رمضان ، وكان يقول لك ، لو اعتقت عشرة أو اطعمت
ستين مسكينا يمكن أن تتلافى الصوم ، فابتعد عن قول وفعل هذا النوع من
العلماء ، ولا يجب أن تستفسر فى أمور الدين من علماء طامعين وحريصين ،
لأن الدنيا معبودتهم ، بل ينبغى الاستفسار عن الأحكام الدينية من أشخاص
بعيدين عن أمور الدنيا ، المال لا قيمة له فى همتهم » ، وقال هذه النصائح ،
ويكى ، واحتضن السلطان معز الدين وودعه ، وقال له أثناء عناقه :

« أبعد نظام الدين بسرعة لأنه اذا وجد الفرصة ، فلن يدعك يوما واحدا » قال هذا وذهب باكيا الى مكانه ، ولم يذق طعام هذا اليوم وقال لحريمه ، ودعت اليوم ابني الى دهلى الوداع الأخير ، وبعد ذلك ، عاد السلطان معز الدين من أوده الى دهلى ، واهتم بنصائح ووصايا والده عدة أيام ، وودع اللهو والطرب ، وبسبب الشوق الى الشراب الذى كان مجبولاً عليه ، اثار رفاقه بواعث الفساد ، ورغبوه ، وكان يخجل من نصائح أبيه ويمنع نفسه ، ولما كان صيت مجالس الفرح ، قد وصلت الى الأطراف والأكناف بسبب فرط اللهو وطرب السلطان ، لذا اتجه جماعة الفجرة والمطربون الى بلاطه ، وكان يعقد المجالس يوميا ويرافقهم ، والتف حوله مجموعة وانتظروا ملازمته ، ولما كان السلطان متعلقا بصحبة هذه الطوائف وروحه مرتبطة بهوهم لذا أراد أن يرمى نصائح الأب ، ولكن بالتدريج انفلت عنان القلب من يده ، وبالتدريج اشتعلت نار الشوق ، وبدون اختيار انشغل بالوجه الحسن ، واهتم بأحوالهم وفجأة دخل مهرج صغير كان ممتازا فى النكات وبلا مثيل فى عصره وعلى رأسه تاج مكلل ، ويرتدى عباءة مذهبة ، وحواله حزام مرصع ، راكبا على جواد عربى أصيل ، وأبدى كثيرا من الدلال والتمتع مقابل خيمة السلطان ، وأتى بفنون عجيبة وأعمال غريبة أشبه بالسحر ، وأنشد هذا البيت بصوت جميل :

« ان أردت أن تضع القدم على عيني

فاننى اضع العين فى الطريق لكى تسير »

بعد ذلك قال : « اننى أرى أن مطلع هذا الغزل اكثر تناسبا لهذه الحالة ، لكن لا أستطيع قوله خوفا من سوء الأدب » فقال السلطان « اقرأه ولا تخف ، فقرأه :

« السرو الفضى ينمو فى الصحراء ، الحسن والسوء زمن ينقضى
بدوننا » .

وظل السلطان حيرانا من مشاهدة هذا الجمال الفتان لهذا القمر ، ومن رؤية الحركات المثيرة لهذا الغزال الرشيق ، وذهبت نصائح أبيه جميعا اندراج الرياح ، ونزل بدون ارادة عن الجواد وطلب الشراب ، واستقر فى نفس المكان وعقد المجلس ، وانشغل باللهو والرقص ، وجرى هذا البيت على لسانه :

« أتوب ليلا عن الخمر خشية دلال المشاهدين ،

لكن هذا الساقى الجميل يحضر مع الفجر

وعندما سمع هذا المهرج البيت على لسان السلطان أنشد على
السياق :

« انى أخشى غمزة العابد الزاهد مائة سنة ، أخذ شعر (١٧٤) الجبهة
وقدمها للخمار ،

واحترار السلطان أكثر من حدة فهمه وحسن طبعه ، وجعله ساقيه ،
وقدم له شروط التواضع وأنشد هذا البيت :

« مع اننى أجمل من القمر ، فاننى عبد عبيد السلطان »

وملاً الكأس ، وسلمه للسلطان ، وأخذ السلطان الكأس بيده ،
وأنشد هذه الأبيات لارتباطها بالسياق :

« عندما يدور القدر فاعطه الى المقربين من المجلس ، ودعنى حيرانا ،
عنى على الساق »

« لو أراد ساقيك أن يسقينا ، فانه يقول ان شرب الخمر جرام »

قال هذا ، وشرب الكأس ، واستغرق الملوك والأمراء فى اللهو
والطرب ، وفى اليوم التالى رخل السلطان من هناك ، وكان يعقد الأفراح
والجلس فى كل منزل ، وينشغل فى اللهو والطرب ، حتى وصل الى دهلى ،
ونزل فى قصر كيلو كهري ، وسر أهل المدينة من قدوم السلطان ، وعقدوا
الأفراح وأقاموا الحفلات ، وهكذا شاع الاحتفال واللهو والطرب فى أيام
السلطان معز الدين ، وأخذوا فى تناول الشراب علانية فى كل حارة
ومكان ، وانفض الغم والهم من على قلوب الناس ، وجل مجله الغفلة ،
ولم تكد تمر عدة أشهر على هذا ، حتى مرض السلطان معز الدين ،
وأصابه كثرة الجماع ومداومة الشراب بالضعف والمرض ، وفى هذه
الأثناء أراد أن يقضى على نظام الدين بناء على وصية الأب ، ولم يستطع
أن يفكر فى هذا المجال بثبات ، وقال على البيهية ، « ينبغى أن أرسلك
الى اللتان ، وقم باتمام المهام هناك » ، وأدرك نظام الدين أن السلطان
يقصد إبعاده ، فأهمل الذهاب واعتذر ، وعندما اطلع المقربون على قصد
السلطان ، وكانوا دائماً يتمنون هلاك ملك نظام الدين ، قتلوه بأمر واذن
السلطان .

« طالما لم يندم على دماء خلقه ، فلايد أن يلوث السيف بدمه يوماً ما »

واستدعى ملك جلال الدين فيروز نائب سامانه وهو مشهور فى
البلاد ، وجعله عارضاً للممالك ، وسلمه أقطاع « برن » ولقبه بشايسته

خان ، وجعل ملك ايتمر كجن بوظيفة « يارك » وملك ايتمر سرخه وكيلا للبلاط وقسم سائر الأعمال أيضا من جديد بين الأمراء ، وأثناء ذلك غلب المرض السلطان وأصابه الشلل والقراع ، وأصبح طريح الفراش ، وبرزت أمنية السلطنة فى رأس الأمراء وأصحاب الشوكة ، وتمنى كل واحد فى سويداء قلبه هذه الأمنية ، وأخرج بعض أمراء بلبنى من قبيل الملح الحلال ابن السلطان معز الدين من الحرم مع أنه كان طفلا ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين وأجلسوه على العرش ، وأقاموا له خيمة السلطان شمس الدين ، والتف الأمراء والملوك حول هذه الخيمة ، ولما كان أمر السلطان معز الدين قد خرج عن المعالجة ، فقد نقلوه الى قصر كيلوكهرى للمعالجة ، ونزل ملك جلال الدين خلجى عارض الممالك مع جماعة الخلجيين وكانوا كثيرين فى بهابور واستعرض جيشه ، واتفق ملك ايتمر كجن باريك وملك ايتمر سرخه وكيل البلاط وسائر أمراء بلبنى ، أن يقضوا على بعض الأمراء الغرباء والذين ليسوا من أصل تركى ، وكتبوا قائمة بأسمائهم ، وكان على رأس القائمة ملك جلال الدين خلجى ، وعندما اطلع ملك جلال الدين على هذا الأمر جمع رجاله ، ووحد أمراء وملوك الخلج ، واتفق معه بعض الأمراء الآخرين ، وتوجه ملك ايتمر كجن (١٧٦). باريك ليخدع ملك جلال الدين فيروز ، ويحضره وينهى أمره ، ولما كان ملك جلال الدين فيروز يعلم هذا ، فعندما وصل ملك ايتمر كجن الى قصره ، أنزله عن جواده ، ومزقوه اربا « لا تخطو خطوة فى وادى المكر والخداع ، لأنه سينتهى أمرك فى فخ البلاء » .

« فريما لم تسمع من سياح هذا الطريق بأنه من يحفر بثرا يقع فيها » (١٧٧) .

وكان أبناء ملك جلال الدين يتصفقون بالشجاعة والمروءة ، فاقتحموا الخيمة السلطانية بخمسائة فارس ورفعوا السلطان شمس الدين عن العرش ، وأحضره مع أولاد ملك الأمراء فى بهابور عند أبيهم وقتلوا ملك ايتمر سرخه ، الذى كان يتعقبهم فى الطريق ، وواجه الخواص والعوام للمدينة قوة الخلجيين ، وخرجوا من المدينة لمساعدة السلطان شمس الدين ، وقرروا أن يجتمعوا أمام بوابة بدوان ، وتوجهوا لمهاجمة ملك جلال الدين فيروز ، وفرق ملك الأمراء الأهالى بسبب وجود أولاده فى يد ملك جلال الدين ، وفرق جمعهم ، والتحق أكثر الأمراء والملك بملك

(١٧٥) سرخو « ١ » ص ٥٦ .

(١٧٦) ورد ايتمر كجن واتمير كجن « ك » ص ١١٥ .

(١٧٧) مثل عربى « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

جلال الدين ، وتوجه الملك : الذى قتل أياه السلطان معز الدين (١٧٨) الى قصر كيلوكهرى ، وضرب السلطان الذى لم يبق فيه رمق عدة ضربات وألقاه فى نهر جون ، وكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات وعدة أشهر .

تذكر سلطنة السلطان جلال الدين خلجى :

ورد فى أحد التواريخ الموثوق بها أن طلائفة الخلج من نسل قالمج خان صهر جنكيزخان ، وقصته هى أنه لما مل خاطره من زوجته ، ابنة جنكيزخان ، ولم يجد مفرًا من المداراة خوفاً من جنكيزخان ، وكان دائماً يبحث عن مخرج ، ولم تحن الفرصة الا عندما هزم جنكيزخان السلطان جلال الدين على شاطيء نهر السند ، وارتاح خاطره من أمر توران وايران ، وعاد الى معسكره الأسمى وتوفى فى هذه الأيام ، وفكر قالمج خان فى تحصين جبال الغور وجرجستان وحصن الأماكن المذكورة بأهله وقبيلته الذين كانوا قرابة ثلاثين ألفاً (١٧٩) ، وعندما توفى جنكيز خان لم يترك أحداً من أبنائه بلا ولاية ، واختار لنفسه الإقامة هناك ، وكثر نسله ، ولما كان سلاطين الغور وأتباعهم يسخرون ممالك الهند ، لذا دخل الخلجيون الهندوستان بالتدريج بسبب الجوار ، واختاروا الملازمة وصاروا أصحاب اعتبار ، ووالد السلطان جلال الدين ووالد السلطان محمود خلجى مندوى (١٨٠) وهم من عظماء الملوك والسلاطين المشاهير من أحفاد قالمج خان ، وحرف قالمج وصار خالمج وصار لكثرة استعماله « خلمج » وبرواية صاحب سلجوقنامه أنه كان لترك بن يافت (١٨١) أحد عشر ولداً أحدهما يسمى خلمج ، ويسمى أبناؤه بالخلمج .

المهم ركب السلطان جلال الدين من بهابور بجيش جرار ، ونزل فى قصر كيلوكهرى ، وحكم عدة أيام نيابة عن السلطان شمس الدين ، وفى أوائل سنة ٦٨٨ هـ جلس على عرش السلطنة ، وأعطى ملك جهجو كشيلىخان ابن أخى السلطان غياث الدين ولاية كره ، وبأيع الأمراء جميعا المؤيدون والمعارضون السلطان جلال الدين طوعا وكرها ، ولكن لما كان أهالى المدينة لا يرغبون فى سلطنة السلطان جلال الدين ، لم يذهب اليهم لهذا السبب ، ولم يجلس على العرش الذى كان دائماً مقر جلوس السلاطين ، وأقام فى كيلوكهرى ، وأمر بإتمام قصر معزى (١٨٢).

(١٧٨) يقصد به والد السلطان جلال الدين فيروزشاه .

(١٧٩) ثلاثون ألفاً فقط « ١ » ص ٥٦ ، ثلاثون ألف أسرة « ك » ص ١١٦ .

(١٨٠) مندوى « ١ » ص ٥٧ .

(١٨١) يافت « ١ » ص ٥٧ ، « ك » ص ١١٧ .

(١٨٢) معز الدين كيقباد .

واقام حديقة جديدة فى مقابل هذا القصر على شاطئ نهر جون ، واقام
الأمراء والملوك منازلهم هناك ، واقام قلعة من الصخر ، وفى وقت قصير
أنشئت المنازل والقلعة والمساجد والسوق ، وسميت بالمدينة الجديدة
« شهرنو » وعندما استقر أمر السلطان جلال الدين ، وانتشر (١٨٣) خبر
تدينه وحلمه وحيائه وعدله واحسانه ، جاء أهل المدينة من كبيرهم
لصغيرهم وباعوه ، ونال العلماء والمشايخ ورؤساء الطوائف والانعامات ،
وقسم حكومة الممالك واشغال البلاط بين الأمراء ، ولقب ابنه الأكبر خان
خانان والابن الأوسط ازكليخان (١٨٤) والابن الأصغر قدرخان ، وعين
كلا منهم على ولاية ، ونال أخو السلطان لقب بقرسخان (١٨٥) وصار
« عارضا للممالك » وصار كلا من ولدى أخى السلطان وصهره ، أحدهما
أمير بزرگ والثانى « أخريك » وصار ملك أحمد جب (١٨٦) ابن أخت
السلطان « نائب باريك » وملك خرم وكيلا للبلاط ، وعين خواجه خطيب
وزيراً للممالك وملك الأمراء كوتوالا ، وظهر الهدوء والسكينة بين الخاص
والعام .

ركب السلطان بكامل حشمه وأبهته مع جيشه ، ودخل المدينة ،
ونزل فى « دولت خانة » (١٨٧) وصلى ركعتين ، وجلس على عرش
السابقين ، وقال : « لقد سجدت سنوات أمام هذا العرش واليوم أطاه
بقدمى فكيف أستطيع تقديم شكرى لى ؟ » وركب من هناك وتوجه الى قصر
الياقوت ونزل أيضا عن جواده على العتب كالمعتاد ، وعرض ملك أحمد
جب باريك وكان عمدة الملك « لما كان القصر عن السلاطين السابقين ، لماذا
لا تنزل فيه ؟ قال السلطان : « على كل حال فان مراعاة عزة ولى نعمتى
أمر واجب » فقال ملك أحمد جب ثانية « ينبغى على السلطان أن يسكن فى
هذا المنزل وهو دار الامارة » ، فأجاب السلطان « لقد أقام السلطان بلبن
هذا القصر أيام امارته ، والآن هو ملك لأولاده ، وليس لى حق فيه » قال
ملك أحمد جب (١٨٨) لا ينبغى التقييد فى الأمور الملكية الى هذا الحد
قال السلطان « كيف أخرج عن قواعد الاسلام وأفعل ما هو خلاف لهذا
الأمر من أجل مصلحة الملك لعدة أيام ؟

« أين العقل الذى يفتى بالشرح ، ويبدل لأهل العقل الدين بالدنيا »

(١٨٣) انتشار نيافت « ١ » ص ٥٧ ، انتشار يافت « ك » ص ١١٧ .

(١٨٤) ازكليخان « ١ » ص ٥٧ .

(١٨٥) بقرسخان « ١ » ص ٥٧ .

(١٨٦) أحمد جب « ك » ص ١١٨ .

(١٨٧) مقر الحكومة .

(١٨٨) يلاحظ أنه يذكر « أحمد جب » فى « ك » .

وترجل ونخل القصر الياقوتى ، ولم يجلس فى هذه الأماكن التى كان يجلس فيها السلطان غياث الدين مراعاة للحرمة ، وجلس فى الصف المخصص للأمراء ، وقال للأمراء والملوك : « فلتخربوا منزل ايتمر كجن وأيتمر سرخه لأنها لو لم يمكرا ويغدرا بى لما وقعت فى هذا البلاء ، وجعلونى اقضى بقية عمرى فى الامارة والملك ، والآن انا فى حيرة عما سيؤول اليه امرى ، وعلى الرغم من عظمة وأبهة السلطان بلبن وامتداد زمانه وغلبة أعوانه وانتصاره ، لم تبق السلطنة لورثته ، فماذا سيبقى لنا ، وماذا سيحدث لأولادى واتباعى من بعدى » ، وتأثر بعض الحاضرين وكانوا أصحاب عقل وتجربة ، من كلامه ، وأبدوا شفقة ، وذب البعض الآخر وكانوا من الشباب المتهورين السلطان وكانوا يريدون أن هذا الرجل ليس سلطانا ، أنه يفكر فى زوال ملكه ، أن القهر والشدّة لازمين للحكم ، فكيف يحدثان من هذا الرجل ؟ وعاد السلطان جلال الدين آخر اليوم من المدينة ، وجاء الى كيلوكهرى ، واتخذها عاصمة له .

فى السنة الثانية للجلوس ، رفع ملك جهجو ابن أخى السلطان بلبن والذي كان يحكم مقاطعات كره ، لواء المخالفة ، وجعل الخطية والسكة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، وأيده أمير على سرجاندار (١٨٩) حاكم أوده ، والملقب بحاتم خان ، وسائر ملوك بلبن الذين كانوا يحكمون فى الأطراف ، ملك جهجو ، على أمل أن يؤيده أهالى المدينة طالما كانوا ينفرون من حكم الخلجيين ، وتحرك الى دهلى بجيش جرار ، وترك السلطان جلال الدين بمجرد سماع هذه الواقعة « خان خانان » ابنه الكبير نيابة عنه فى دهلى ، وأعد الجيش وتوجه بأعوانه وأنصاره القدامى لدفع ملك جهجو ، وجعل ابنه الأوسط ازكليخان (١٩٠) والذي يتصف بالشجاعة والبطولة على مقدمة الجيش ، وجعل برفقته شبابا شجعان وسجريين ، وحسب الأمر عجز ازكليخان بجيشه نهر كلابكر ، وقابله فى هذه الناحية ملك جهجو بأمراء وملوك بلبنى وجيش جرار وزمينداران هذه البلاد ورجوات كبار ، ووقعت حرب ضروس ، وهزم (١٩١) وأسر أكثر رجال جيشه ، لجأ ملك جهجو بأحد أهالى مواس ، فأسر بيد « مقدم » (١٩٢) هذه القرية ، وقبض عليه وأحضره الى السلطان ، وحمل ازكليخان الأسرى على ابل ، وأرسلهم مكبلين بالأغلال

(١٨٩) أمير على شير جامدار « ١ » ص ٥٨ .

(١٩٠) ورد ازكليخان وازكليخان .

(١٩١) ملك جهجو .

(١٩٢) مقدم هو رئيس القرية .

الى السلطان ، وعندما أحضروا الأسرى على هذه الحال الى السلطان ووقع نظره عليهم ، أمر أن ينزلوهم عن الابل ويفكوا الأغلال من رقابهم وأمرهم أن يحملوا الى الحمام عدة أشخاص من بينهم كانوا أصحاب منزلة ومكانة عند السلطان بلبن ، وغسلوا رؤوسهم ووجوههم ، وألبسوهم خلعا سلطانية خاصة ، وعطروهم بالعطر ، وأقام فى خيمته الخاصة مجلس شراب ، واستدعاهم الى هناك ، ونادمهم الشراب :

« من السهل أن تجزى السىء ، لكن الرجل أحسن الى من أساء »

لم يرفعوا رؤوسهم من الخجل الذى أصابهم ، ولم يتفوهوا بكلمة ، فقال لهم السلطان لتهدئة خاطرهم : « لقد ضربتم بالسيف الى جانبى ولى نعمتى ، وليس عيبا أن تقدموا حق الملح وشروط الوفاء » وأرسل ملك جهجو جالسا على محفة (١٩٣) الى الملتان (١٩٤) وأمر أن يحافظوا عليه فى بيته وأن يهيئوا له من أسياج اللهور والطرب ، وما يريد به طوال الوقت ، واستغرب ملك أحمد جب وسائر أمراء الخليج من هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق الأسرى ، وقالوا : « إن هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق هذه الجماعة واجبة القتل أمر يخالف أسلوب الحكم ومناف لقواعد الملك ، وطالما لم يحدث عقاب لأهل الفتنة والفساد ، ولم يرق دماؤهم فإن هوى الملك وهوى السلطنة سيراود كل شخص ، وطالما كانت تحدث الفتن كان القتل واراقة دماء هذه الطائفة من السلطان بلبن ، وكان يأمر بمعاينة أشد ، والآن فقد نسى صلابته من القلوب ، وبالفرض اننا وقعنا فى يد هؤلاء ، فانهم كانوا سنبجحون اسم وشارة الخليجيين من على وجه الأرض ، والآن فان ترك قتلهم بعيد عن المصلحة : « من الأفضل راب صدع الملك ، ومن الأفضل تفريق الجيش السىء » .

« ان قطع الغصن الجديد جذع السرو أفضل من أن يطاح برقاب

الغصن القديم » .

فأجابهم السلطان ، ان ما قلتموه كله صواب وموافق لتدبير الملك ، لكن ماذا افعل قضيت سبعين عاما فى مسالمة ، ولم أرق دماء مسلم قط ، والآن صرت شيخا ، ولا أريد أن أريق دم المسلمين فى آخر العمر ، وأثبت على نفسى صفة القهار والجبار ، ولو وقعنا فى أيديهم ، وأراقوا دماءنا فان عهدة اجابة ذلك عليهم غدا يوم القيامة ، ولما كنا لعدة سنوات مماليك السلطان بلبن ، وحقوق نعمته كثيرة فى رقابنا ، فاليوم استولينا

(١٩٣) وردت محافة فى « ١ » ، « د » .

(١٩٤) ملطان « د » ص ١٢٠ .

على ملكه ، ولو قتلنا أيضا أعوانه وأنصاره فان هذا يكون منتهى الخسة
والظلم .

عاد السلطان بعد ذلك من يداون ، وأعطى ملك علاء الدين صهره
واين أخيه وربيب نعمته كره وسمح له بالسفر ، وعاد ظافرا ومنتصرا ،
وعقد الحفلات فى دهلى ونصبوا الأفراح ، ولما كان السلطان جلال الدين
حليما ورحيما فان أكثر الأمراء والملوك كانوا يقولون ان هذا الرجل
لا يعرف الحكم والسلطنة ويرون أنهم قبضوا على لصوص وقطاع طرق
عدة مرات ، وأحضروهم اليه ، فجعلهم يقسمون الا يسرقوا ثانية ، وأطلق
سراحهم ، وكان يقول : على الرغم من أننى أستطيع قيادة الجيش وأسفك
الدماء ، ولكن لا أستطيع أن أقدم على قتل الرجل الذى أسروه وأحضروه» ،
وذات مرة أحضروا ألف قاطع طريق عند السلطان ، ولم يقتل واحدا منهم
ووضعهم جميعا فى مركب ، وأرسلهم الى لكهنوتى ، ولم يقع منه فى مدة
حكمه مصادرة أو مكابرة أو تعذيب أو تشديد أو طمع فى مال الناس
مما هو شعار للجبابرة والظالمين ، ، ويرون أن بعض كافرى النعمة الذين
تخمرت فى نفوسهم الشرور عقدوا المجالس وشربوا الخمر ، وتشاوروا فى
دفع السلطان جلال الدين وعندما وصلت هذه الأخبار الى السلطان ، لم
يقم من مكانه ، قال : « لا ينبغي أن نأخذ السكارى بالألفاظ التى صدرت
منهم فى حالة السكر » ، وذات يوم استضاف ملك تاج الدين كرجى (١٩٥)
فى بيته الأمراء الكبار ، وعقدوا مجلس شراب ، وعندما سكروا تماما
قالوا « السلطان جلال الدين غير جدير بالسلطنة والجدير بها هو ملك
تاج الدين » ، وبإيعوه جميعا ، وقال أحدهم « اننى سأنتهى على السلطان
بحربة صيد صغيرة » وقال آخر « سأفصل رأسه عن جسده بهذا السيف » ،
وجرى على لسان السكارى الآخرين أيضا مثل هذه الكلمات ، وعندما
وصلت هذه الحكاية الى السلطان ، استدعى هذه الجماعة ، وسل سيفه
من غمده ، وألقاه بجواره ، وقال « من منكم رجل فليأخذ هذا السيف ،
ويواجهنى ليعرف كيف تكون الشجاعة » ، قال ملك نصرت صباح ، وكان
رجلا ظريفا حسن الطبع وجرت على لسانه كلمات الندم فى هذا المجلس ،
ان مولاي يعلم انه لا اعتبار لكلمات السكارى التى تصدر منهم فى حالة
السكر ، واثت تعلم أن السلطان قد ربانا مثل أبنائه ، ونحن نعلم أن
السلطان يتسم بالحلم والوقار ، ولو أننا فكرنا فيه بالسوء الا ان السلطان
لن يجد مثلنا ملوكا وأولاد ملوك مخلصين وتابعين ، واننى أعلم انه
لن يرض بقمعنا والقضاء علينا ، ، وتأثر السلطان من هذا القول ، ونزل
عن عرضه ، وطلب الشراب ، وأعطى الكأس بيده لملك نصرت صباح ،

وأمر رفاقه الذين كانوا فى هذا المجلس بأن يذهبوا الى مقاطعاتهم ويبقون
مدة هناك .

« إن سيف الحلم أشد حدة من السيف الحديدى ، بل انه أكثر ظفرا
من مائة جيش » ولم يأمر بضرب أو سجن أحد من المقربين الذين وقعت
منهم جرائم ، وكان يعطى لكل واحد مقاطعة ، ولا يغيره أبدا ، ويروى
انه عندما كان السلطان جلال الدين سراجندار (١٩٦) السلطان بلين ،
ونائبه على سامانه اعطى مولانا سراج الدين سادى (١٩٧) من شعراء
عصره قرية من قرى سامانه على سبيل « مدد معاش » (١٩٨)
وطلب السلطان جلال الدين من مولانا خراجا لأصحاب الوظائف الآخرين ،
فاستاء مولانا من هذا الأمر ، ونظم فى مدح السلطان ، وضمنها ظلم
العمال ، ويبدو أن السلطان جلال الدين لم يهتم بمولانا لكثرة المشاغل ،
فتضايق مولانا ونهض من المجلس ، ونظم شعرا فى هجاء السلطان
جلال الدين ، وأسماه « خلجانمه » وفى نفس هذه الأيام التى حكم فيها
السلطان جلال الدين سامانه بالانابة ، وصله « خلجانمه » المذكورة ،
وكان من ضمنها هجاء ريكى ، فترك مولانا سراج الدين سامانه خوفا من
السلطان بأن يحبسها فى السجن واختار مكانا آخر للاقامة ، وفى نفس هذه
الأيام التى كان السلطان ينتهب قرية من قرى « منداهران » خرج مندهرى
أمام السلطان وطعنه طعنة ظلت آثارها حتى آخر عمره ، وعندما وصل
السلطان جلال الدين الى السلطنة ، حضر مولانا سراج الدين ومنداهر
والقيود فى رقابهما الى بلاطه ، وأخبر السلطان ، فاستدعاه فى الحال
واحتضن مولانا ، وأنعم عليه بالخلع ، وقدم له أنواع التكريم وأمر أن
ياتى مثل المقربين الآخرين أمام العرش للسلام ، وأكرم منداهر (١٩٩)
هذا .

وذات يوم قال السلطان جلال الدين لزوجته « ملكة جهان » عندما يأتى
الأكابر والصدور ، لتهنئتنى على باب الحريم قولى لهم كى يلتمسوا
منى أن يقرأوا فى الخطبة عنى « المجاهد فى سبيل الله » وفى نفس هذه
الأيام تزوج تدرخان الابن الأصغر للسلطان من ابنة السلطان معز الدين
وذهب الأكابر للتهنئة ، وقالوا هذه الرغبة العزيزة ، « انه طالما أن
السلطان قد حارب المغول عدة مرات ، فان قراءة « المجاهد فى سبيل الله »
جائز بل واجب ، وعندما ذهب الأكابر الصدور لتهنئته بغرة شهر ، وقبلوا

(١٩٦) سر جاندار : رئيس حرس السلاح .

(١٩٧) ساوجى « ١ » ص ٦٠ .

(١٩٨) على سبيل الوقف وهى قرية يوقف دخلها لهذا الشخص .

(١٩٩) مندهر « ١ » ص ٦٠ .

الأيادي ، التمس القاضي فخر الدين باقله وكان علامة عصره ، وطلب
يلسان الحاضرين أن يقرأوا للسلطان فى الخطبة « المجاهد فى سبيل الله »
قال السلطان : أعلم انكم تذكرون هذا بناء على قول ملكه جهان ، وقد
كنت أفكر فى هذا منذ زمن ، ولما لم يكن قد وقع منى جهاد لأعداء الله
لوجه الله ودون شائبة وغرض دنيوى ، فاننى ندمت ورجعت عن هذه
الارادة التى أردتها » .

فى هذه الأيام التى كان فيها السلطان جلال الدين « عارضاً للممالك »
أنعم على أمير خسرو وعينه بوظيفة « مصحفاً » وخصه بلباس وحزام
أبيض خاص بالأمرء والكبار ، وكان السلطان يختلط فى المجالس وأهلها
وأصحابها دون تكليف ، وكان يراعى المساواة ، وكان من ندماء مجلس
شراب السلطان ملك تاج الدين كوجى وملك فخر الدين كوجى وملك عز
الدين غورى ، وملك قرابيك وملك نصرت صباح ، وملك أحمد جب ، وملك
كمال الدين أبى المعالى، وملك نصير الدين كهرامى (٢٠٠) وملك سعيد الدين
منطقى ، وكان الملوك المذكورون لا مثل لهم فى لطافة الطبع وحسن
المعاشرة والشجاعة والمروءة ، وانتظم فى سلك الندماء تاج الدين عراقى
وأمير خسرو ومير حسن ومؤيد جاجرمى ، ومؤيد ديوانه ، وأمير
أرسلان كاهى (٢٠١) واخيار باغ وياقى خطيب ، وكان كل واحد منهم
ممتازاً فى علم الشعر والتأريخ ، وكان مجلس السلطان دائماً مليئاً
بالغزليين الحسان مثل أمير خاصه وحميد راجه والسقاه الذين يخلطون
العقول مثل اولاد هيبب خان ونظام خريطة دار ، والمطربين الذين لا مثيل
لهم مثل محمد شه جنكى (٢٠٢) وفتوخان ونصرت خان ، وكان أمير
خسرو ينشد يومياً فى مجلس السلطان غزليات جديدة ، وينال الانعام .

ومن الوقائع الغريبة التى وقعت فى هذه الأيام كانت قضية سيدى
موله وتفصيلها هو أن درويش يسمى بسيدى موله جاء من دهلى وأقام
وأخذ فى الاطعام والانفاق على العلماء ، ولما لم يكن يأخذ شيئاً من أحد
وليس لديه وظيفة ولا دخل ، احتار الناس من كثرة انفاقه وبذله ، وقال
أكثر الناس : انه يعلم علم الكيمياء ، وبنى خانقاه كبيرة ، وصرف مبالغ
طائلة من أجل بنائها ، وكان أكثر المسافرين فى البر والبحر ينزلون فيها ،
وكان الشيخ يقدم مائدة مرتين فى اليوم ، ينفق عليها ألفاً من خبز
وخمسمائة من نباتج وثلاثمائة من سكر يومياً ، وكان العام والخاص

٠ (٢٠٠) ملك نصير الدين كرامى « ١ » ص ٦١

٠ (٢٠١) أمير أرسلان كلامى « ١ » ص ٦١

٠ (٢٠٢) محمد شه جنكى « ١ » ص ٦١

يحضرون هذه المائدة ، ويجتمعون فى الخانقاه ، وصار أكثر ملوك وأمراء السلطان جلال الدين مريدين لسيدى موله ، وكان سيدى موله يقوم برياضات كثيرة ويكتفى من الطعام بالخبز الجاف والدقة (٢٠٣) وليس لديه زوجة ولا جارية ومع أنه كان يصلى ويصوم لكنه لم يكن يحضر صلاة الجمعة ، ولم يكن يعمل بشروط الجماعة المعمول بها من السلف ، وقبل أن يأتى الى دهلى كان قد ذهب « أجودهن » لخدمة القطب العالم فريد الحق والدين رحمة الله عليه ، وظل عدة أيام هناك ، وعند الانن بالرحيل قال له الشيخ : أغلق طريق مجىء الملوك ، واجتنب هجوم العوام والشهرة :

« لا تضع القلب على النار حتى يحترق الوجه ، لأنه عندما يحين الوقت فان مائة أتون يحرقنى »

لكن سيدى موله لم يستطع أن يحافظ على نفسه :

« يسمع مائة حكاية ولا يدهش من الحرص ، فلن يدرك نقطة فى أذن

الحرص » .

وجعل خاتخانان ابن السلطان الكبير معنقدا وسريدا ، ودعا بالابن وجعل القاضى جلال كاشانى وكان من اكابر عصره مريدا ومحبا له ، ووصلت أرزاق بعض ملوك بلبن الذين كانوا بلا مقاطعة فى عدد السلطان جلال الدين وبلا مورد رزق ، من سيدى موله وكانوا دائما فى جوار الخانقاه ، وظن الناس أن سيدى موله بأنفاقه على هذه الجماعة سيدعى الملك ، وعندما وصل هذا المعنى الى السلطان جلال الدين أمر أن يقبضوا على سيدى موله وجميع مريديه ، وعلى الرغم من انكار البعض وقسم البعض ؛ لم يأت بفائدة ، وأمر السلطان أن يشعلوا نارا فى صحراء بهابور ، تصل شعلتها الى السماء ، وجمع العلماء واكابر المدينة هناك ، وأمر سيدى موله وأتباعه أن يدخلوا النار ، ليظهر دليل صدقه أو كذبه ، وقال العلماء الذين حضروا هذه الواقعة ، لما كانت النار بطبعها حارقة فان اعتبارها محك صدق وكذب هو خلاف للعقل ومناف للشرع ، وسمع السلطان هذا الكلام من العلماء ، فترك هذا العزم ، وأرسل القاضى جلال وكان متهما باثارة الفتنة الى قضاء بداون ، وفرق الملوك الآخرين الذين يعتقدون فى سيدى موله الى أطراف الممالك ، وقتل البعض وعندما أحضروا سيدى موله مقيدا أمام السلطان ، فأقام السلطان عليه الحجة ، ورد عليه ، ولم يوجه الى سيدى موله تهمة من الناحية العقلية أو الشرعية ، فنظر السلطان الى الشيخ أبى بكر الطوسى الحيدرى ، وكان

(٢٠٣) تريبدو « ١ » ص ٦٤ ، تره « ك » ص ١٢٦ .

على رأس جماعة الدراويش الحديدية وقال ، أيها الدراويش خذوا حقي من هذا الظالم ، فهب بحرى نام قلندرى بجرأة ، وطعن سيدى موله بموس حلقة عدة طعنات وجرحه عدة جروح ، وأشار كليخان الأب الأوسط للسلطان على سائس فيله ليطلق على سيدى موله ، واستشهد هذا المظلوم ومن المشهور أنه يوم قتل سيدى موله هبت ريح سوداء وأظلمت الدنيا ، وقل المطر فى هذا العام ، وأصاب دهلى قحط شديد ، لدرجة أن الهنود كانوا يتحدون جماعات من الجوع ويلقون بأنفسهم فى نهر جون ، وغرقوا فى بحر الفناء .

وقاد السلطان الجيش فى سنة ٦٨٩ هـ الى رنتهنبور ، وترك ابنه أركليخان الأوسط نائباً عنه فى كيلوكهرى محل خاتخان ابنه الكبير الذى كان قد توفى فى هذه الأيام ، وبمجرد الوصول استولى على جهين ، وحطم معابد أصنامها ، وانتهب أموالها ، واستولى على غنائم كثيرة ، وتحصن راجه رنتهنبور فى القلعة ، وحاصره السلطان عدة أيام وعاد ، وقال : الاستيلاء على هذه القلعة لا يستحق موت شخص واحد .

« ملك العالم كله لا يستوى عند الرجل اراقة قطرة دم واحدة على الأرض »

وبالفرض لو اخذت هذه القلعة وقتلت عبيد الله ، سيحضر الى غدا النساء اللاتى ترملن والأطفال الذين تيتمن ، ويقع نظرى عليهم ، فعاداً ستكون حالتى فان لذة فتح هذه القلعة سيكون أكثر مرارة على من السم .

وفى سنة ٦٩١ هـ توجه المغول الجنكيزية بجيش جرار الى الهندوستان ، وتوجه السلطان بجيوش قاهرة لصده الطائفة ، وعندما اقترب الطرفان ، وقعت المعركة وقاتل الشباب الشجعان ورأى جيش المغول قوة جيش السلطان ، فجرى حديث الصلح ، وكان السلطان يدعو قائدهم وهو قريب هولكو بالين ، وكان هو يدعو السلطان بالأب ، والتقياً ببعضهما من بعد ، وتبادلتا التحف والهدايا بين الطرفين ، وعاد جيش المغول ، والتحق المغو حفيد (٢٠٤) جنكيزخان مع عدد من أمراء المغول ، وأسلم ، واختصه السلطان بشرف المصاهرة ، وعين لهم غياث بور مسكناً لهم ، وأطلقوا على هذا المكان « مغوليور » وعلى المغول « المسلمين الجدد » .

وأخر هذه السنة ، توجه السلطان لمهاجمة مندور ، وانتهب ما حول القلعة ، وفى هذه الأيام التمس ملك علاء الدين ابن أخى السلطان حاكم

(٢٠٤) نبيسه « ك » من ١٢٨ ، نبيره « ١ » من ٦٢ .

كره ، بأن يتوجه الى بهيله (٢٠٥) وينتهب هذه النواحي وتوجه حسب الأمر ، ونهب بهيله ، وأحضر صنمين حديديين كانا معبودين لهنود هذه النواحي ، ووضعوهما تحت بوابة بداون ليظاها الناس ، ووقع هذا الأمر عند السلطان موقع الاستحسان فأكرمه بانعامات عالية ، وأمر بإضافة ولاية أوده أيضا له ، وعندما وجد ملك علاء الدين شفقة ورحمة السلطان عليه ، عرض : « أن ولاية جنديري ونواحيها مليئة بالمال والأشياء ، فلو صدر أمر أن أرفعى الخدم الجدد بسبب الاقطاعات الزائدة هناك ، وأذهب بمساعدة واعانة الجيش القديم والجديد لمهاجمة هذه الولاية ، فسأحصل على غنائم كثيرة من جديد تحت رعاية السلطان » . وقبل السلطان التماسه ، وسمح لملك علاء الدين بالسفر ، وتوجه من دهلي الى كره ، ولما كانت حماته ملكة جهان تسيء اليه كثيرا ، وكان يستاء دائما من جفائها وايدائها ، ولم يستطع أن يعرض على السلطان هذا الأمر بسبب تسلط ملكة جهان ، وكان دائما يفكر فى الهروب من مملكة السلطان جلال الدين ، ويستولى على مكان ويبقى هناك ، وعندما تهيأت له الفرصة ، اغتتمها ، وأعد الجيش القديم والجديد ، وخرج من كره (٢٠٦) وترك ملك علاء الدين فى كره وأوده نائبا عنه فى غيبته وتوجه الى جانب ديوكير (٢٠٧) وأبدى فى الظاهر أنه سيذهب لنهب وسلب نواحي جنديري وتوجه من طريق ايلجبور ، وعندما انقطع خبره بعد فترة ، كتب ملك علاء الدين ارضاء للسلطان بأن ملك علاء الدين مشغول بنهب وسلب ولاية جنديري ، واليوم أو غدا سيصل رسالة النصر الى بلاط السلطان ، ورضى السلطان بهذا لأن ابن أخيه وصهره وربيبه لم يطلعه على ايداء ملكة جهان ، لهذا لم يتسرب سوء الظن قط الى خاطر السلطان عنه .

فى ذلك الوقت كان رامديو حاكم ديوكير وابنه بمكان بعيد ، وعندما سمع أن ملك علاء الدين جاء الى نواحي ديوكير ، فتوجه بجيش جرار من الرايان والملوك لمواجهة ، وبعد القتال هزم ملك علاء الدين هذا الجيش ، وفتح ديوكير ، وأخيرا جاء رامديو ، وقدم الطاعة ، ووقع اربعون فيلا وعدة آلاف من الجياد الخاصة لرام ديو فى يد ملك علاء الدين ، وغنم من الذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ وأنواع الأمتعة والأقمشة قدرا كبيرا يعجز العقل عن حصرها وضبطها وعندما انقطعت أخبار ملك علاء الدين مدة ، توجه السلطان كالعادة للتنزه والصيد بجانب

• (٢٠٥) بهيلة « ١ » ص ٦٣

• (٢٠٦) كره « ك » ، كره « ١ »

• (٢٠٧) ديوكير « ١ » ص ٦٣

كواليار وتوقف في هذه الذواحي فترة ، ودون أن يعرض ملك علاء الدين أو يرسل ذاع في جيش السلطان أن ملك علاء الدين قد فتح ديوكير ، واستولى على أفيال وجياد كثيرة وأموال وأمتعة لا حصر لها ، وعاد الى كره ، وسر السلطان من هذا الخبر ، ولكن عقلاء العصر كان في تصورهم أن ارتكاب ملك علاء الدين هذا الأمر الخطير دون موافقة السلطان ، وما استولى عليه من أموال وما كانوا يعلمونه من خلافه مع حريمه ملكة جهان فقد أحسوا بتمرده وخروجه لكن لم يقولوه للسلطان ، وذات يوم اختلى السلطان مع خاصته ، وأجرى القرعة والمشورة بينهم وسأل : انه عندما يأتى علاء الدين من ديوكير بكل هذه الأفيال والجياد والغنائم ، ماذا ينبغي علينا ؟ هل نظل في مكاننا أم نسرع لاستقباله أو نعود الى دهلى ؟ قال ملك أحمد جب : وكان مشهورا باستقامة الفكر وصدق الرأى « ان كثرة المال والحشم وتحقيق الأمانى سبب للطغيان والتمرد ، وتجعل الانسان مهما كان عاقلا وعالما ، مجنونا ومغرورا ، والآن فان متمردى وثائرى كره ، الذين كانوا قد لجأوا لملك جهجو ، جمعهم حوله ، وحملهم بدون اذن الى ولاية ديوكير ، فهل يعلم الانسان ما يجول بخاطره ؟ والصواب هى أن يسرع السلطان من طريق جنديرى ، ويسبق ملك علاء الدين ، وعندما يسمع باقتراب السلطان لن يستطيع جمع جيشه ، ويأتى بالضرورة للملازمة ، ويقدم الغنائم طوعا أو كرها للبلاط ، ويأخذ السلطان منه الأفيال والأمتعة وسائر النقود التى كانت سبب نصره ، ويحضرها الى دهلى ، ويسلمه غنائم أخرى ، ويزيد من اقطاعاته ، ويأذن له بالسفر الى كره أو الى دهلى ، واذا لم يهتم السلطان بهذه الواقعة ، فانه لن يستطيع تداركها » ، ونهض الى دهلى وتوجه ملك علاء الدين مع افياله ورجياده وخرزائنه بسبب تكبره الى كره ، وهناك أخذ ينظم نفسه ، وكانما يسبى السلطان لزوال نفسه ويعمل على خراب ملكه :

« هذا الشخص الذى لا يسمع كلام الأصدقاء أهل الخير يحقق كثيرا من آمال الأعداء »

لم يوافق كلام ملك أحمد جب رأى السلطان جلال الدين ، وقال : « ملك علاء الدين بمثابة ابنى ولا يمكن أن يتحول عنى ولا يصدر عنه ما يخالف رضائى ، ثم نظر الى الحاضرين وقال : ماذا ترون صلاحا لهذا الأمر ؟ فأغمض ملك فخر الدين كوجى العين مع أنه يعلم أن رأى ملك أحمد جب صواب ، ولكنه لا يرضى السلطان ، وقال : « ان خبر عودة ملك علاء الدين ، واحضار المال والمتاع محل قول لم يتحقق منه الرجال الثقة ، وحتى يخفيه ، ومن اللائق أن تفكر لو أن هذا الخبر صادق ،

فاننا نقود الجيش اليه ، ونقطع عليه الطريق ، ولما كان قد ذهب بلا اذن فمن المحتمل أن يكون بسبب الرعب الذى يسيطر عليه ، وكلما وصل الى ناحية ، تتعقبه الى كل مكان يذهب اليه ، ٠٠٠ والمثل المشهور هو لا ينبغي أن « نعبر من النهر بحذاء المطر » واذا دخل كره سالما بالأفيال والمال والأمتعة ، وظهر أن الفساد والخلاف قد سرى فى باطنه ، فان أمره يكفيه هجمة سلطانية « قال ملك أحمد جب : « اذا دخل ملك علاء الدين بالأفيال والمال كره وعبر نهر سرو ، وقصد لكهنوتى ، فلن يستطيع احد قط أن يتحقق مما فى عهده :

« لا ينبغي أن نستعين بالعدو ، لأنى أرى الجبل العظيم من الحجر الصغير » •

واضطرب السلطان من هذا القول ، وقال لقد كان ملك أحمد يسيء الظن بملك علاء الدين دائما ولكننى احتضنته ، وجعلته ابنى ، فلو تحول ابنائى عنى فهذا ممكن لكن لا أتصور أن يتحول هذا عنى فنهض ملك أحمد من المجلس ، وتأسف ، وقال هذا البيت :

« عندما تظلم الدنيا على انسان ، فلن يأت بفائدة كل ما يفعله »

وأتى السلطان جلال الدين على رأى ملك فخر الدين ، وعاد الى دهلى ، وأعقبه وصول خبر من أن ملك علاء الدين وقد عاد الى كره ، ووصلت رسالته أيضا ، « اننى استوليت على واحد وثلاثين فيلا وعددا من الجياد والذهب والجواهر واللؤلؤ واقمشة وامتعة ، وأريد ان أحضرها الى البلاط ، لكن لما كنت قد قضيت مدة غائبا دون اذن ، فقد تسلل وهم الى نفسى وجميع الممالك الذين كانوا معى ، فلو صدر فرمان يتضمن العفو على والعفو عن سائر المرافقين ، فأننى أستطيع الحضور الى البلاط دون تأخير » وخدع السلطان جلال الدين بمثل هذه الحكايات واستعد بنفسه للتوجه الى لكهنوتى ، وأرسل طغراخان الى أوده ، وأمر أن يعدوا المراكب على شاطئ نهر سرو ، واتفق مع أعوانه وأنصاره أنه عندما يخرج السلطان من دهلى متوجها الى كره ، سنعبر بجيشنا نهر سرو ، وندخل لكهنوتى ، ونستولى على مملكة لكهنوتى ، ونظل هناك ، وكتب السلطان جلال الدين بخط يده رسالة عفو طيبة ، وأرسلها مع رسولين من المقربين ، وعندما وصل هذان الرسولان الى كره ، وجدا أن ملك علاء الدين قد تقهقر أمام السلطان ، والتف حوله جميع الأمراء أيضا ، واحتفظ ملك علاء الدين بالرسولين كى لا يسمح لهما بأن يكتبوا حقيقة الأحوال السلطان •

وعندما مرت عدة أيام على ذلك ، كتب ملك علاء الدين رسالة الى أخيه الماس بيك وكان أيضا ابن أخى وصهر السلطان ، اننى اضطررت للمسفر بدون رغبة السلطان لأن أبناء الزمان أوهمونى ولما كنت ابن ومملوك السلطان ، فلو جرد جيشنا الى وقبض على ، فما أنا الا عبد وخادم له ، ولو لم يحدث فساقصده ٠٠٠ » ، وعرض الماس بيك هذه الرسالة على السلطان ، فأمر السلطان أن يذهب اليه بأسرع ما يمكن ، ويرضى ملك علاء علاء الدين حتى أصل بنفسى ، وركب الماس بيك مركبا فى ساعته ، وعندما هبت الرياح على النهر ، وصل الى ملك علاء الدين فى اليوم السابع ، وعقد ملك علاء الدين الأفراح ، وسر من قدوم أخيه أيضا ، وقال : الآن اننى مصمم على التوجه الى لكهنوتى ، فقال له العلماء (٢٠٨) الذين كانوا مقرئين منه : « لست فى حاجة للذهاب الى لكهنوتى ان السلطان جلال الدين سيسبقنا فى هذه الأمطار بسبب الطمع فى المال والأفئال ، ونحن أيضا ندير حالنا هنا ، ونهتم بأمر الملك والسلطنة » ، واستصوب ملك علاء الدين هذا الرأى ولما كان السلطان جلال الدين قد اقترب أجله لم يسمع كلام المخلصين ، وركب مع عدد من خاصته وألف فارس المراكب ، وتوجه ، وجعل أحمد جب يسير بالجيش والحشم من طريق برى :

« طالما لا يسمع المستمع للنصيحة ، فان الفلك العالى سيؤدبه »

وعندما وصل السلطان فى السابع من رمضان الى كره ، أعد ملك علاء الدين جيشه وعبر من نهر الجانج ، ونزل ما بين كره ومانكبور ، وسمع خبر وصول السلطان ، فأرسل أخاه الماس بيك لخدمته ، لكى يجعل السلطان بعيدا عن الجيش بكل حيلة يعرفها ، ووصل الماس بيك الى السلطان ، وقدم شروط تقبيل الأرض ، وقال : « ان عبدك لم يقترب أكثر من هذا ، ولم أستطع أن أرضى أخى حتى يلجأ اليكم ، لأنه لم يزل خائفا ، فلو رأى السلطان مع عدة فرسان مستعدين فمن المحتمل أن يخاف ، ويفر ثانية ، واستصوب السلطان كلامه ، وأمر بأن يتوقف الفرسان الذين كانوا برفقته هناك ، وتوجه مع عدد خاص من أقرب خاصته ، وعندما قطع مسافة عاد الماس بيك الغدار وقال بلسان المكر : لما كان أخى قد اقترب كثيرا ، ولو رأى هؤلاء الأشخاص الحاضرين فى خدمة السلطان وهم مسلحون ومستعدون ، فمن المحتمل أن ييأس من شفقة ورحمة السلطان بسبب الخوف والوهم الذى يملكه ، فأمر السلطان أن ينزع الجميع الأسلحة عنهم ، وعندما اقتربوا من شاطئ نهر الجانج رأى المقربون منه جيش علاء الدين على بعد ، يقف مسلحا ومستعدا ، ويتنظرون الفرصة ، فأيقنوا بمكر وغدر علاء الدين ، وما دبره الماس بيك

فقال ملك خرم (وكييل البلاط) لألماس بيك لقد وثقنا فى كلامك ، وأبعدنا عنا جيوشنا ونزعنا الأسلحة بينما جيشك مستعد ومسلح ، قال ألماس بيك ، ان أخى يريد ان يشاهد السلطان جيشه وهو مستعد ومسلح ، ويديره ، والسلطان بناء على القول « اذا جاء القضاء عمى البصر » لم يحمل أى تفكير فى مكرهما وغدرهما الذى كان واضحا للمكبير والصغير ، وقال أيضا لألماس بيك لقد قطعنا طريقا طويلا وجئنا صائمين ، ولم يأت علاء الدين ويفتح قلبه ، ويجلس على الزورق ويسرع لاستقبالى ، فأجاب ألماس بيك الخدار : ان أخى لا يريد ان يأتى للالزمة السلطان ويده خاوية وسيأتى لخدمتك بالمهدايا من فيل وجياد ونفائس ، ويعد أيضا أسياج الافطار ، ويريد أن يفطر السلطان فى بيته ، لكى يكتفى ويمتاز عن أقرانه بهذا الشرف ، ولم يجلب بخاطر السلطان جلال الدين أى غدر منهما ، وأخذ يقرأ فى المصحف غافلا فى المركب ، حتى حان وقت العصر فى السايح من رمضان على شاطئ النهر ، وتقدم علاء الدين أكثر ولازمه ، ووقف تحت قدم السلطان ، وربت السلطان على خده مظهرا الشفقة والرحمة ، وقال : « لقد رببتك كل هذه التربية ، وكبرتك ، وكنت فى نظرى أعلى من أبنائى ، والآن كيف أفكر سوءا فى حقك » ، قالها وأخذ يد علاء الدين ، وجلس على جانب المركب ، وأثناء ذلك أشار ملك علاء الدين الى الجماعة التى كانت متعهدة ومتكفلة بقتله ، فضرب محمد سالم وهو من أجلاف سامانه السلطان بالسيف وتدحرج السلطان الجريح على جانب المركب ، وقال : ماذا فعلت يا علاء الدين يا سىء الحظ وظهر اختيار الدين هور : وكان من رياتب نعمة السلطان فى الخلف ، ، وألقى السلطان على الأرض ، وقطع رأسه ، وقدمها لعلاء الدين ، ورفعوا رأس هذا المرحوم المظلوم على حربه فى كره ومانكبور (٢٠٩) وحملوها من هناك الى أوده ، وقتلوا عددا من خاصة السلطان الذين كانوا فى المركب ، ويروى عن الثقة انه عند قدوم السلطان جلال الدين الى كره ، ذهب ملك علاء الدين الى الشيخ كرك مجذوب (٢١٠) وكان مدفونا فى قسبة كره ، وقدم لوازم الحاجة ، فأطال المجذوب وقال :

« كل من يقاتلك ، الرقس فى المركب والجسد فى الجانج »

المهم رفعوا مظلة السلطان جلال الدين على رأس ملك علاء الدين ، ولقبوه بالسلطان ، وأصببت الجماعة التى قتلت السلطان جلال الدين

• (٢٠٩) مانكبور

• (٢١٠) كرك مجذوب

وكانوا رفاق ملك علاء الدين بالبلقاء العظيم فى مدة وجيزة وهبطوا الى الدرك الأسفل وأصيب محمود بن سالم بالبرص بعد سنة واحدة ، وتيسر هندامه من الهم ، وحين اختيار الدين هور وكان يصيح وقت الاحتضار ويقول ان السيف فى يد السلطان جلال الدين وسيقطع رأسى ، وعلى الرغم من أن ملك علاء الدين كافر النعمة قد جلس على العرش فترة وهو منتصر وحقق أمله ، لم يهمله الزمان أيضا ، وكافأه ، ولم يبق اسم ورسم نسله فى الدنيا :

« ليس قصر الخالق خرافة ، وليست السماء والأرض بدون خالق »

« أيها الحكيم أنت فى فكر من أمر الأيام ، فان جزاء العمل قد تم »

وعندما وصل خبر شهادة السلطان جلال الدين الى ملك جب وكان على رأس جماعة من الجيش فعاد من هناك وتوجه الى دهلى ، وأجلست (٢١١) ملكة جهان حرم السلطان جلال الدين وكانت ناقصة العقل ابنها الصغير ركن الدين ابراهيم وكان فى بداية شبابه وعنفوان رجولته ولا يدري شيئا عن أمور الحكم ، على العرش دون مشاورة اركان الدولة ، وجاءت من كيلوكهرى ودخلت دهلى ونزلت فى القصر الأخضر (٢١٢) وقسمت الأشغال والاقطاع بين الأمراء والملوك واستاء أركليخان وكان خليفة السلطان ولديه استعداد للسلطنة بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوقف فى الملتان ولم يأت الى دهلى ، وتوجه ملك علاء الدين من كره الى دهلى فى نفس موسم المطر ، ووصل برحيل متواتر الى نهر جون ، وأغرى الناس بالمال والذهب ، فمالوا اليه جميعا ، ومحا تماما الحقد الذى كان قد استقر فى قلوبهم من قتل السلطان جلال الدين :

« ان كرم الشريف هو كيمياء للعيب ، السخاء دواء لجميع الآلام »

ويروى أن ملك علاء الدين كان يملأ المنجيق يوميا بالذهب ، ويوزعه على الجيش ، وكل من صار خادما له أمر له من عشرة الى عشرين أو من عشرة الى ثلاثين مما كان معمولا به فى ذلك الوقت ، واصطاد قلوب الخلائق :

« ينبغى لعظمتك أن تقيد القلب بالسخاء ، وتفتح الكيس المغلقة »
ويروى أنه عندما وصل الى بداون ، دخل ستون ألف فارس ومشاة جيشه ، والتحق أمراء وملوك جلالى (٢١٣) من كل ناحية بسبب الطمع

(٢١١) نشار « ١ » ص ٦٧ ، نشا ند « ك » ص ١٢٧ .

(٢١٢) كوشك سيز .

(٢١٣) أتباع السلطان جلال الدين خلجى .

فى الذهب وزيادة فى اكرام علاء الدين ، وأرسلت ملكه جهان بعد الخريف رسولا لاستدعاء أركليخان ، فاجابها : الآن انفلت الأمر عن الإصلاح : واستهزى ملك علاء الدين عند سماع هذا الخبر ، وعبر نهر جون من معبر كاتهر ، ونزل فى صحراء جود ، وصف ركن الدين ابراهيم أيضا جيشه فى مواجهته ، وتحرك حركة المذبوح ، وانفصل عنه أكثر امراء جلالى ليلا والتحقوا بملك علاء الدين ، وعندما رأى ركن الدين ابراهيم أن الأمر فلت من يده ، أخذ أمه ، وحمل قدرا من الخزانة ، وسلك طريق الملتان بالاتفاق مع ملك رجب وقطب الدين علوى ، وأحمد جب وأولاد الحلال الآخرين ، وكانت مدة سلطنة السلطان جلال الدين سبع سنوات وعدة أشهر .

ذكر السلطان علاء الدين خلجى :

فى سنة ٦٩٥ هـ جلس على عرش دهلى ، ولقب الماس بيك خان بالغ خان (٢١٤) وملك نصرت جاليسرى (٢١٥) بنصرت خان ، وملك هزين الدين بظفر خان ، وسنجر خسربوره أمير مجلسه باليخان ورفع رفاقه الذين لم يكونوا امراء الى درجة الامارة ، وزاد فى درجات ومقاطعات من كانوا امراء ، وأعطى أعوانه وانصاره ذهبا كثيرا ، ليجددوا الجيوش ، ويجمعوا جيشا كبيرا ، ولما كان قد نزل فى صحراء سبرى فقد أقام معسكرا ، وجاء اكابر وأصاغر المدينة اليه وهنأوه ، وقدموا الخطبة والسكة ولوازم رسوم السلطنة ، ودخل ملك علاء الدين بكوكبة وأبهة الملك الى المدينة ، وجلس على عرش السلطنة ، ولقب بالسلطان علاء الدين ، وجاء من هناك الى قصر الياقوت (٢١٦) واتخذها دارا للسلطنة ، وأقام الحفلات فى المدينة وعقد الأفراح ، ووزع الشراب فى الممالك ، وراج أمر اللعب واللهو وأسرف السلطان علاء الدين فى اللهو والطرب بسبب غرور قوته وعنفوان شبابه ، وجعل الناس مخلصين وتابعين له من كثرة الأنعام والاكرام ، ونال كل واحد اللقب والعمل ، وقسم الولايات والمقاطعات ، ورفع خواجه (٢١٧) خطير وكان يشتهر بذاته الطيبة وصفاته الحسنة ، بمنصب الوزارة ولقب القاضى صدر الدين عارف الملقب بصدر جهان بلقب سيد أجل وشيخ الاسلام وأعطاه قضاء الممالك ، وأقر منصب الخطابة لسيد أجل القديم وكان أيضا خطيب وشيخ الاسلام وعهد بديوان الانشاء لعمدة

• (٢١٤) الف خان « ١ » ص ٦٨ .

• (٢١٥) جليس « ١ » ص ٦٨ .

• (٢١٦) كوشك لعل .

• (٢١٧) خواجه « ١ » ص ٦٨ .

الملك حميد الدين ، وخص ملك عز الدين ، وكان يتصف بالفضائل الصورية والعنوية، بقرية ، وجعل نصرت خان وكان نائبا للممالك كواتوالا للمدينة، وعين ملك فخر الدين كوجى « دار وقمكى المدينة » (٢١٨) وصار ظفر خان عارضا للممالك ، ونال ملك اباچى جلالى « باخريكى » (٢١٩) وملك هرن بار بنياية باربكى (٢٢٠) وعين ملك علاء الدين عم ضيا برنى صاحب تاريخ فيروز شاهى على ولاية كره وأوده ، ونال ملك جونائى قديم نياية وكيل الياط ، ومؤيد الملك والد ضياء المذكور نياية وسيادة قصبية برن ، وسلم الأملاك والأوقاف لأهل الاستحقاق ، ونظم الادارات الأخرى من أجل معيشتهم ، وأنعم على جميع الحشم فى هذه السنة بمرتب ستة أشهر ، وظهر على الناس النعيم والرفاهية ، واختفى قبح مقتل السلطان جلال الدين عن الأنظار ، ومن قلوب الناس .

بعد ذلك تمكن السلطان علاء الدين من عرش دهلى ، بمقتضى هذا المضمون :

« رأس وارث الملك على الجسد ، وقميص الفتنة على جسد الملك »
 وفضل السلطان علاء الدين دفع أبناء السلطان جلال الدين الذين كانوا فى اللتان على جميع المهام وعين الغخان ، وظفر خان (٢٢١) مع أربعين ألف فارس على اللتان ، وتوجه الأمراء المذكورون وحاصروا اللتان ، وبعد شهرين طرد كوتوال المدينة وأعيانها أركليخان واخوته ، وخرجوا من المدينة ، ورأوا الغخان وطغرخان ، واضطر أبناء السلطان بوساطة الشيخ ركن الدين قدس الله سره أن يطلبوا الأمان من الغ خان ، وقدم الغ خان شرائط التعظيم ، وأقام لهم خيمة قرب خيمته ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقرأوا هذه الرسالة فى دهلى على المنابر ، وعقد الأفراح ودقوا طبول النصر ، وعاد الغ خان مع أبناء السلطان جلال الدين وأمرائهم وملوكهم الى دهلى وأثناء الطريق وصل نصرت خان الذى كان قد عين من دهلى لمرافقة الغ خان ، وسمل عين أبناء السلطان جلال الدين والغوا صهر السلطان جلال الدين وملك أحمد جب نائب أمير حاجب ، واستولى على أموالهم وحشمهم ، وحبس هذين الأميرين الظلومين فى هانسى (٢٢٢) واستشهد ولدا أركليخان ، وأحضر أحمد جب وحريم السلطان جلال الدين وأبنائه الى دهلى ، وحبسوهم .

(٢١٨) داروغى : المسئول عن العسس وهو أيضا مختار القرية .

(٢١٩) تاجريكى « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢٠) يارسات تاريخى « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢١) مظفرخان « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢٢) مالس « ١ » ص ٦٩ .

وفى السنة الثانية للجلوس ، تقلد نصرت خان الوزارة ، وطلب ملك علاء الدين من كره مع الأمراء والخزانة التى كانت هناك ، وعينه كوتوالا لدهلى وكانت بعهدة ملك الأمراء ، وشرع نصرت خان فى استرداد الأموال التى قسمها السلطان علاء الدين فى أول جلوسه بسبب مصلحة الملك على الأمراء الجلالية ، وأدخل مبالغ كثيرة فى الخزانة بهذه الوسيلة ، وفى نفس هذه السنة عبر جيش المغول نهر السند ، ودخل ولاية الهند ، فأرسل السلطان علاء الدين الخ خان طغرخان مع أمراء آخرين لدفعهم ، والتقى الفريقان فى نواحى جارميخور ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على جيش المغول ، وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا جماعة ، وعندما وصل خبر الفتح الى دهلى دقوا الطبول وعقدوا الأفراح وأقاموا الحفلات ، وبعد ذلك قبض على أمراء جلالى الذين كانوا قد التحقوا بالسلطان علاء الدين من قبيل الغدر ونالوا الاقطاعات والأعمال ، وسملوا عيون البعض ، وحبسوا البعض الآخر فى القلاع البعيدة ، واستولوا على أموالهم وأمتعتهم وفرقوا أهاليهم ، ومن جملة أمراء جلالى الذين انقلبوا على أولاد السلطان ملك قطب الدين علوى وملك نصير الدين شحنة بيلى وملك أمير جمال أبو قدر خان ، ولم يأخذوا شيئا من السلطان علاء الدين ، وظلوا فى مأمن ، ولم يلحقهم أذى وأدخل نصرت خان الى الخزانة فى هذه السنة من هذه الأسباب خمسمائة ألف (٢٢٣) .

وفى السنة الثالثة لجلوس السلطان ، أرسل الخ خان ونصرت خان بجيوش جرارة لمهاجمة الكجرات ، وانتهبوا نهرواله وجميع بلاد الكجرات ، وفر رأى كرن حاكم نهرواله والتحق بوالى ديوكير بالدكن ، وسقطت نساؤه وبنته « ديولرانى نام » مع الخزانة والأفيال وكل شيء فى يد الجيش ، وحمل الصنم الذى اتخذه البراهمة معبودا لهم بدلا من سومنات الذى حملة السلطان محمود (٢٢٤) الى دهلى ، وجعله تحت أقدام الناس ، وتوجه نصرت خان الى كنبات، وأخذ من التجار الذين يقيمون هناك ولديهم أموال كثيرة الأموال والجواهر والنفائس الكثيرة ، وجعل كافور مزار دينارى الذى تعلق به خاطر السلطان علاء الدين ، نائبا للملك ، وكان قد أخذه ظلما من سيده ، وأرسلها الى السلطان ولما كان الخ خان ونصرت خان قد انتهبوا الكجرات ، فقد عادوا بغنائم كثيرة ، وأثناء العودة أخذ خمس الغنائم وغير ذلك لرجال الجيش بالشددة والتعذيب وجمعا زيادة عن المطلوب ، واتفق بعض الأمراء الذين يسمون « بالمسلمين

• (٢٢٣) يك كرور : خمسمائة ألف

• (٢٢٤) محمود الغزنوى

الجدد « (٢٢٥) مع رجال آخرين تضرروا أيضا مما أخذ منهم ، واجتمعوا
 وهجموا على ملك عز الدين أخى نصرت خان وكان أمير حاجب (٢٢٦)
 الغ خان ، وقتلوه ، ودخلوا خيمة الغ خان ، وخرج الغ خان من الطرف
 الثانى ، ووصلوا الى خيمة نصرت خان ، وكان ابن أخت السلطان
 علاء الدين نائما فى الخيمة ، وقتلوه ظنا منهم انه الغ خان ، وأسرع نصرت
 خان وجمع جمعه ، وقصد المتمردين ، وتفرقوا ، وتوجهوا الى الجوانب
 والأطراف ، وترك الغ خان ونصرت خان تتبع الغنائم ووصلا الى دهلى بما
 أحضراه من أموال وأقيال وسائر الامتعة ، وقبض السلطان علاء الدين
 على أولاد وأتباع الأشخاص الذين سعوا فى هذه الفتنة ، وقتلهم ، وسلم
 نصرت خان نساء الأشخاص الذين سعوا فى قتل أخيه انتقاما منهم الى
 الكناسين ، وأمر أن يضربوا الأطفال أمام النساء حتى يموتوا ، ولم
 يحدث من قبل فى دهلى أن عوقب أولاد أتباع أحد بذنبه .

فى هذه السنة جاء صارى نام مغول وأخوه واستوليا على
 سيوستان ، وعين ظفر خان بجيش جرار على سيوستان ، وحاصر ظفر
 خان سيوستان ، وتم الفتح فى مدة قصيرة ، وأسر صلدى وأخاه مع أولاد
 وأتباع المغول الآخرين الذين كانوا برفقتهم ، ووضع الأغلال فى رقابهم ،
 وأرسلهم الى دهلى ، وفى آخر هذه السنة جاء قتلغ خواجه بن داود مع
 عدة آلاف مغولى الى الهندوستان من ما وراء النهر ، وعبر نهر السند ،
 ولما كان قد عزم الاستيلاء على الملك واستولى على القرى ، والقصبات
 الواقعة فى الطريق ، ولم يصيبها بأذى لأنه تخيل أنها ضمن أملاكه ،
 ونزل فى ظاهر دهلى ، وحاصرها ، ولما كان الناس فى القصبات والأقاليم
 قد دخلوا المدينة خشية المغول ، ووصل الأمر الى درجة أنه لم يبق فى
 المساجد والمحلات والحارات والسوق مكان للمجلوس والوقوف وتضايق
 الناس من الزحام وسدت منافذ مجىء الغلال والشراب ، وارتفع سعر
 كل شىء واستدعى السلطان علاء الدين الأمراء والملوك من الأطراف وأعد
 الجيش ، وخرج من المدينة بكوكبة وأبهة السلطنة ونزل فى سرى ، وترك
 ملك علاء الملك كوتوال دهلى للمحافظة على المدينة والخزائن وحراسة
 الحريم ، ويروى أن بعض الأمراء عرضوا أنه لما كان أمر الحرب خطيرا
 . . . فإنه ينبغى علاج الأمر بلطائف الحيل ، وينبغى الا نصل الى
 الحرب .

(٢٢٥) المغول الذين أسلموا فى عهد السلطان جلال الدين خلجى واستقروا فى

مخولبور .

(٢٢٦) مير حاجب .

« اذا كان الفيل قويا والأسد هصورا فاقترابى من الصلح أفضل من الحرب » .

قال السلطان علاء الدين : لا ينبغي للسلطان أن يخشى الحرب :

« الشخص الذى يلبس تاج الملوك ، يضع رأسه بينكم » .

وليس التحصن لائقا بحال السلاطين واستعد للحرب ، ورفع لواء القتال ، واستعد قتلخ خواجه أيضا من ناحية الحرب وأبدى شجاعة وبطولة ، وهجم ظفر خان الذى كان على جيش اليمينى ، وعلى جيش المغول ، فآثار الهرج وأوقع الهزيمة وأصاب المغول بالهزيمة وتعقب طغرخان المغول لمسافة ثمانى عشرة فرسخا ، ولم يرافق الغ خان وكان على جيش الميسرة ظفر خان بسبب العداء الذى يكنه لظفر خان ، وتركه وحيدا ، وفجأة رأى بعض أمراء المغول الذين كمنوا له فى الطريق لأنهم يعرفون أن طغرخان يتقدم وحيدا ، ولا يأتى فى عقبه أى جيش للمساعدة والتفوا حوله وحاصروه وأصابوا جواده فى رجله ، فترجل وقاتل بشجاعة ، وكلما أراد قتلخ خواجه أسره حيا لا يتيسر له ، وأخيرا أمر أن يمطروه بالسهم ، وقتلوه ، وقتلوا أيضا الأمراء الآخرين الذين كانوا ضمن جيشه ولم يتقدم قتلخ خواجه فى ذلك اليوم أكثر من ثلاثين فرسخا خوفا من قوة الهنود ، وعاد الى ولايته سريعا ، وصار ظفر خان لشجاعته وبطولته مثلا بينهم ، حتى أنه لو استغنى جواد عن الشراب قالوا ربما رأى ظفرخان ، واعتبر السلطان علاء الدين أن شهادة طغرخان فتح آخر لما كان يمكنه له من غيرة لشجاعته ، وعاد من كيلي الى دهلى ، وأقام الأفراح والحفلات وانشغل باللهر والطرب .

ولما كانت السنة الثالثة للجلوس ، استقرت أكثر الأمور الملكية على قلب السلطان ، وعلى الرغم من كثرة حريمه لم يكن له اولاد ، ولم يبق هناك حياء (٢٢٧) فى الملك ، وتسلمت الى خاطر السلطان أمور غريبة وبواع عجيبة ، من جعلتها : هى أنه لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أظهر الشريعة بقوته وشوكته ، وبلغت درجة التماس باعانة رفاقه الأربعة ، فإنه لولا أيضا قوة ومساعدة رفاقى الأربعة وهم الغ خان ونصرت خان وظفر خان ووالى خان (٢٢٨) سأحدث أحداثا دينية فى الشريعة ، تجعل اسمى على صفحة الزمان حتى يوم القيامة ، وكان دائما يقول هذا فى مجلس الشراب والخلوة مع الأمراء والملوك ، وكان يسأل

(٢٢٧) شرمكى (١) ص ٧١ ، شريكى « ك » ص ١٤٤ .

(٢٢٨) أنف خان « ١ » ص ٧١ .

ما هو الأسلوب والطريق الذى ينبغي أن تخترعه ويكون له اعتبار ومكانة عند أهل العالم من بعدنا ، ثانيا : من الأفكار الباطلة التى كانت تجول بخاطره عند مشاهدة الأموال والخزائن والحشم وأمثال ذلك انه ترك دهلى لأحد ثقاته وانشغل بنفسه مثل الاسكندر الرومى فى تسخير أقاليم الربع المسكون ، وأمر أن يدعو فى الخطبة الاسكندر الثانى ، وكتبوا على السكة أيضا مثل هذا ، وصدقه ندماء ورفاق مجلسه حديثه الواهى خوفا من طبعه الخشن ومزاجه القاسى ، وكانوا يثنون على علو همته وارتفاع مقداره ، وكان ملك علاء الدين كوتوال دهلى مخلصا يذهب فى غرة الشهر للمسلم ، ودخل فى مجلس الشراب ووصلت النوبة على الرسم المعتاد الى السلطان ، وصار نديم المجلس ، وطلب السلطان منه المشورة فى أمرين ، وقدم علاء الملك حديثا موزونا وحكايات مقبولة وأرضى خاطر السلطان بمقدمات عقلية ونقلية ، من أنه من الأولى ترك أحداث الشريعة ، ونتيجة هذه الرغبة هو خراب للملك والسلطنة .

« أنت عندى أفضل من الشخص الذى يقول فلان شوك فى طريقك »

قال : السلطان علاء الدين بعد فكر طويل وتأمل ما قلته كله صواب وموافق لنفسى ، وينبغى الا يصدر منى بعد ذلك حديث فى هذه الناحية لكن ماذا تقول فى الأمر الثانى هل هو خطأ أم صواب ؟ قال ملك علاء الملك : ان الهدف الذى يسعى اليه السلطان لعلو همته قد سعى اليه حكام سابقون أيضا ، ويستطيع مولاي بقوته وشجاعته وقوة حشمه وخزائنه أن يستولى على أقاليم الربع المسكون (٢٩٩) ولكن طالما أن السلطان يخرج من دهلى ويدخل الممالك الغربية ، ويبقى مدة هناك ، وينيب من يشاء فى غيبته ، ويعود بعد ذلك الى دهلى أو اقليم آخر يريده والشخص الذى يتركه نيابة عنه فليس معلوما أن تعود هذه الأقاليم منقادة وطائعة لهم ، ولا يمكن قياس هذا الزمان بزمان الاسكندر ، لأنه فى ذلك الزمان كان الغدر والمكر ونقض العهد أقل ، ولم ينقض الناس ذلك العهد الذى اتخذوه بسبب بعد السكان أو انقراض الزمان ، وكان للاسكندر وزير مثل أرسطاطاليس (٢٣٠) الذى كان يعتقد العوام والخواص لمملكة الروم بكل ما لديها من اتساع بعدم جدوى الحشم والخزائن فى الاستيلاء على الأقاليم الأخرى بالقياس مع قوة فكره ورأيه الصائب طوال مدة غيبته (الاسكندر)

(٢٢٩) الربع المسكون وهى الأرض كلها وبالأحرى اليابسة لأنها تعادل ٢٩٪ من الاراضى أى ما يعادل ربع الأرض
(٢٣٠) أرسطاطاليس « ١ » ص ٧٢ .

لمدة اثنتين وثلاثين سنة لم يحدث قط فى ملك الروم بسبب تدبير هذا الحكيم ، واطاعة أهل الروم ، ولو اعتمد السلطان أيضا على أمرائه ورعاياه بمثل هذا القدر الذى اعتمد عليه الاسكندر ، فهذه العزيمة التى تجول بخاطره عين الصواب وخلافها مناف لطريق السداد ، قال السلطان لعلاء الملك بعد تأمل صادق : « اذا وجدت هذه المواقع التى قلتها لا أسعى فى فتح العالم ، وأقنع بملك دهلى ، فماذا أفعل بهذا الحشم والخزائن التى لدى ؟ وما فائدة هذا ، وليس اسم « فاتح العالم » هو فقط مطلبى ، فكيف أحقق هذا ؟ » .

قبل ملك علاء الملك الأرض بين يديه ورد عليه قائلاً : ان أمام السلطان بالفعل أمرين مهمين فلو اهتم بأعداد الحشم والخزائن يستطيع ان يقدم بهذا العمل ، أولها : تسخير بعض بلاد الهندوستان مثل رنتهپور وجتهور وجنديرى ومالوه والجانب الشرقى حتى نهر أوده وسرو وسوالك حتى نهر عمان ، وطالما أن هذه الديار ملجا للمتمردين وكهف للصوص فالأفضل تسخيرها لتتطهر بلاد الهندوسان من جميع المفاسد والخلل ، والأمر المهم الثانى هو سد باب المغول فانه ينبغى تحصين واحكام القلاع التى تقع جهة دخول المغول (٢٣١) مثل دييبالبور والملتان وسامانه ، وبعد ان يتم السلطان هذين الأمرين المهمين سيكون متيسرا للسلطان ان يرتاح خاطره فى دار الملك دهلى ، ويرسل المماليك المخلصين بالجيوش القوية الى الأطراف والاكتاف ، حتى يتم الاستيلاء على الأقاليم البعيدة ، وبهذا يتحقق فى الأفاق اسم « فاتح العالم » وصيت « عالم ستانى خداوند جهان » ، والوقت الآن ميسر لأن يقلع السلطان عن الإفراط فى الشراب ، ويداوم على الصيد والاستغراق فى اللهو ، وبمجرد ان يسمع السلطان علاء الدين الكلمات المذكورة ، اثنى على رأيه الصائب وحسن تدبيره واستحسن قوله ، وأنعى عليه بلباس موشى بالذهب على شكل أسد وحزام قيم ، وعشرة آلاف تنكه ، وجوادين بسرج ولجام مرصع ، وقريتين وسر الأمراء الآخرون الذين كانوا فى هذا المجلس من كلام ملك علاء الملك وأرسل كل واحد منهم عدة آلاف تنكه وجوادين الى علاء الملك ، واستحسنوا حسن رأيه .

ولما كانت رنتهپور قرب دهلى ، وهميرديو حفيد بتهوره مسيطرا عليها سيطرة تامة ، ففضل السلطان علاء الدين تسخير رنتهپور (٢٣٢)

(٢٣١) وردت مثل ومغال ومغول .

(٢٣٢) ورتهپور « ١ » ص ٧٢ .

واستدعى الخ خان حاكم سمانه ، وأرسله اليها وأرسل نصرت خان حاكم كره أيضا لمساعدته ، وذهب ، وأسر جهلين ، وحاصر قلعة رنتهپور ، وسعى للسيطرة عليها ، وتصادف أن أصاب حجر من داخل القلعة نصرت خان وقتله ، وعند سماع هذا الخبر توجه السلطان علاء الدين الى رنتهپور وعندما وصل تلهيت (٢٣٣) أقام هناك عدة أيام وكان يتجول يوميا في الصحراء ويصطاد « قمرغه » (٢٣٤) وذات يوم ذهب السلطان للصيد ، وعندما حل الفجر لم يستطع أن يلتحق بالمعسكر وظل بالخارج ، وفي اليوم التالي وقبل طلوع الشمس أمر أن ينشغل الناس بالمقرغة وصعد بنفسه مع عدة أشخاص على ربوة في زاوية ، وكلما تهيأ الصيد ، يصطاد وفجأة توجه اكتخان ابن أخى السلطان علاء الدين ، وكان وكيلًا للبلاط مع عدة فرسان من المسلمين الجدد الذين كانوا مماليك في مقاطعته القديمة وقصد السلطان ، ولما كان السلطان في مرمى السهم ، نزل السلطان من الربوة الى أسفل ، واتخذ الربوة درعا ، وأصابه سهمان في ساعده ، وأراد اكتخان أن ينزل من فوق جواده ، ليفصل رأس السلطان عن جسده فأسرع جماعة الخدم الذين كانوا حول السلطان وبايعوه ، وقالوا ان أمر السلطان قد انتهى تماما ، واكتفى اكتخان بقوله (٢٣٥) وأسرع الى المعسكر ، ودخل خيمة السلطان راكبا ، وجلس على العرش ، ورفع صوته : « اننى قتلت السلطان ، وظن الناس ، أن ما يقوله صدق ، ف جاء كل شخص الى مكانه ودرجته ووقفوا عنده ليهنئوه وبايعوه ، وصاح النقيب ، وقرأ المقرءون القرآن ، وأخذ المطربون فى الغناء ، وكان اكتخان شابا متهورا ، أراد أن يدخل فى ساعته الى الحرم ، وكان ملك دينار حرس يجلس مع جماعته مسلحا ومستعدا على باب الحرم ، فلم يدعه ، قال لن أدعك تمر فى الحرم ما دام رأس السلطان لم تظهر وعندما أفاق السلطان علاء الدين ضمده جراحه ، وأدرك أن اكتخان قد فعل ذلك بالاتفاق مع الأمراء وأراد أن يذهب الى الخ خان فى جهلين مع الخمسين شخصا الذين بقوا معه ، واتفق معه على ما ينبغى عمله ، فمنع ملك حميد الدين نائب وكيل البلاط وابن عمدة الملك وكان من علماء (٢٣٦) هذا العصر ؛ السلطان من الذهاب ، وقال : ينبغى أن

(٢٣٣) بتهلنى « ١ » ص ٧٢ .

(٢٣٤) قمرغه طريقة مغولية فى الصيد ، تعتمد على الالتفاف حول منطقة الصيد ، وتضيق الدائرة بالتدريج على الحيوان ويتم الصيد داخل الدائرة .

(٢٣٥) بقول أو « ك » ص ١٤٨ .

(٢٣٦) دانايان « ك » ص ١٤٨ ، رايان « ١ » ص ٧٢ .

تذهب فى هذه الساعة الى خيمتك ، فأمره لم يستقم بعد ، ورجال الجيش عندما يرون المظلة السلطانية ، سيسرعون جميعا الى السلطان ، ويرافقوه ولو جرى تأخير فى هذا المجال فإنه سيصعب تدارك هذا ، وركب السلطان من ساعته ، وأسرع الى خيمته ، وكلما راه فارس فى الطريق التحق به وعندما وصل الى المعسكر اجتمع حوله خمسمائة شخص ، وعندما اقترب من الجيش ، صعد على ربوة ، وأظهر نفسه ، فاضطرب مجلس اکتخان وأسرع كل واحد الى السلطان ، وركب اکتخان ، وفر من طريق افغانبور ، ونزل السلطان من فوق الربوة ، ودخل المعسكر ، وجلس على العرش ، وأعلن العفو العام ، وأرسل ملك عزيز الدين تغلقخان وملك نصير الدين نورخان لتعقب اکتخان ، ووصلا اليه فى افغانبور ، فقطعا رأسه ، وأحضروها الى السلطان ، وأظهروها للجيش :

« هراء أن تتكىء على تكية العظماء ، مالم تكن مهياً لأسباب العظمة »

وقتل السلطان أخاه المسمى بقتلقخان مع جماعة من خاصته ، وحبس البعض ، وأرسلهم الى القلاع ، وتوجه من هناك الى رنتهبور ، وحاصر القلعة ، واهتم باعداد لوازم الحصار ، وشمر عن ساعد الهمة لتسخيرها .

فى تلك الاثناء وصل الخبر أن عمر خان ومنكوخان وكانا ولدى أخى السلطان قد بغيا فى بداون فأرسل السلطان بعض الأمراء اليهما ، فذهب الأمراء ، وأسروهما ، وأحضروهما عند السلطان فسلم عينى كليهما ، واستولى على أموالهما .

« اذا خرجت على ولى النعمة ، فان الفلك سيدور »

بعد ذلك انتهب حاجى مولا (٢٣٧) وهو شخص من خاصة خيالة ملك الأمراء كوتوال ، فرصة حصار رنتهبور ، واتفق مع بعض ساء الحظ على إثارة الفتنة فى دهلى ، وديج فرمانا كاذبا ودخل من بوابة بداون الى المدينة ، وأخبر كوتوالها أنه جاء بفرمان من السلطان بأن تخرج لاتحدث معك عنه وعندما خرج ترمدى كوتوال من المنزل أشار حاجى مولا لهذه الفئة الباغية التى معه ؛ ليقتلوه فى الحال ، وأظهر للناس اننى جئت بفرمان لقتله ، وأمر حراس الأبواب ليغلقوا أبواب المدينة ، وأرسل شخصا الى علاء الدين اياز كوتوال القلعة الجديدة (٢٣٨) ، من أنه جاء

(٢٣٧) جامى مولا « ١ » ص ٧٤ .

(٢٣٨) حصار نو .

يفرمان السلطان وأن يأتي من ساعته ويقراً مضمونه ، وكان علاء الدين اياز مدركا غدره ، فجمع جماعته ، وأحكم أبواب القلعة ، وجاء حاجي مولا بهذه الجماعة الى قصر الياقوت ، وأطلق سراح المسجونين ، وجعلهم برفقته ، وقسم الجياد والأسلحة والخزائن التي كانت هناك على هذه الجماعة التي دخلت معه وأحضر بالقوة علوى ؛ الذي يسمونه شاه نيسه محتسب » ، وهو يتصل بالسلطان شمس الدين من ناحية الأم ، وأجلسه على العرش فى قصر الياقوت ، واستدعى الأكابر والصدور بالقوة وكلفهم بأن يبايعوه ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان لم يذعه ، وسعى أكثر للاستيلاء على القلعة ، ولم يترك مكانه ، ولم يكذب يمر أسبوع على هذا حتى فتح ملك حميد الدين أميركو مع أولاده المشهورين بالشجاعة بوابة بداون ، ورافقه جماعة من فرسان طفرخان الذين كانوا قد جاءوا من أمره بالصدقة ، ووقعت المعركة بينهم وبين حاجي مولا بالقرب من بوابة هندركال (٢٣٩) ونزل أميركو عن الجواد ، وتعلق بحاجي مولا ، وأوقعه تحته ، وعلى الرغم من وجود طعنات وصلت اليه لم يدع المدعى الا مقتولا ، وبعد ذلك دخلوا قصر الياقوت وقتلوا علوى هذا الذى كان قد أجلسه حاجي مولا على العرش ، ووضعوا رأسه على حربة ، وداروا به فى المدينة ، وأرسلوا هذه الرأس مع رسالة فتح الى السلطان ، وأرسل السلطان على الدين الخ خان الى دهلى ليقبل أهل الفتنة ، وقتل أيضا ملك الأمراء الكوتوال القديم لأن حاجي مولا كان من خاصة خيالاته على الرغم من انه لم يكن له دخل فى الفتنة ، وصادر أمواله .

بعد ذلك استولى السلطان علاء الدين بمشقة بالغة على قلعة رنتهبور ، وقتل راي همير ديو وأهله وقبيلته ، ويقال أن مير محمد شه وجماعته الباغية ؛ الذين فروا من جالور ولجأوا الى قلعة رنتهبور ؛ قد قتل أكثرهم فى فتح القلعة ، وكان مير محمد شه جريحا ، وعندما وقع نظر السلطان عليه ، فاشفق عليه وقال لو عالجتك ونجيتك من هذا الهلاك ، كيف سيكون سلوكك بعد ذلك ؟ فأجابه : « اذا استردت صحتى ، سأقتلك ، وأرفع ابن همير ديو على السلطنة » :

« لا تكن وفياء مع هذا الشخص الخسيس ، فان الأصل السوء لا يخلو الا فى الخطأ » .

قامر السلطان أن يضعوه تحت اقدام فيل « مست » وبعد فترة

تذكر وفاءه لولى نعمته ، فأمر بتكفينه ودفنه ، المهم أقطع السلطان علاء الدين قلعة رنثهپور ونواحيها لألغ خان ، وتوجه الى دهلى ، وبعد ذلك مرض الخ خان ، وتوفى فى الطريق .

وبسبب كثرة الحوادث والفتن التى وقعت فى تلك الأيام من أمراء كبار يتصفون بالتجربة والعلم سأل السلطان علاء الدين عن السبب الذى يحدث هذه الفتنة المتوالية والحوادث المتعاقبة ، وكيف يمكن تداركها ؟ قال الأمراء : السبب لا يمكن أن يخرج عن أربعة أشياء أولها : جهل السلطان بخير وشر أحوال الناس ، ثانيها : تناول الشراب لأن الناس عندما يشربون ، تتحرك فيهم الطباع السيئة ، وتتولد الفتن ، ثالثها : صداقة وقرابة واتفاق الأمراء مع بعضهم البعض ، ورابعها : الذهب لأنه عندما يقع فى يد الأراذل والمتهورين ، يسلك التفكير الفاسد ، والخيال الباطل الى عقولهم ، واستصوب السلطان علاء الدين رأى الأمراء ، وضم كل قرية كانت بمثابة وقف أو انعام أو ملك شخص الى الخالصة (٢٤٠) وكل شخص كان لديه ذهب استولى عليه بكل ذريعة يعرفها ويقدر عليها ، وادخله الخزانة ، واضطر الناس الى السعى لتحصيل رزقهم ، ولم يرد اسم الفتنة والفساد على لسانهم ، وعين فى كل مكان وحارة ومنزل الجواسيس وبالغ فى هذه الناحية الى درجة أنه لم يكن ميسرا للأمراء وأرباب الدولة الاختلاط ببعضهم أو الذهاب الى منازلهم ، وأمر بجميع أدوات المجلس السلطانى الخاصة التى كانت تتكلف كثيرا بأن يحطموها أمام بوابة بداون ، ويصوبون الشراب ، ليعلم الناس بمنع الشراب ، ونادى المندادى فى المدينة وأرسل أحكاما وفرامانات فى مجال منع الشراب الى الأطراف ، ولما كانت جماعة الفجرة والفساق (٢٤١) قد اعتادوا شرب الخمر ولم يستطيعوا أن يكفوا عنه ، وكانوا يتناولون الشراب بكل حيلة وتدبير فكان يتخفى البعض فى منازلهم ، وعندما أطلع السلطان على هذه الخصوصيات ، أمر أن يحفروا بئرا قرب بوابة بداون تحت ممر الناس ، لكى يسجن هؤلاء القوم فيه ، وظل أكثرهم فى الحبس حتى مات ، والبعض الذين بقوا أحياء ظلوا يعالجونهم ويداؤوهم فترة ، وبعد ذلك قضى تماما على عادة شرب الخمر بين الناس ، واستقام هذا الأمر ، وسمح السلطان بالا يؤاخذ أى من الأعيان الذى يشرب فى منزله وحده ولا يعمل مجلسا ، وأعطى أمرا بالا يضيف أو يضاف الأمراء وسائر الأعيان ، بعضهما البعض فى منازلهم ، والا يعقدوا العقود بدون إذن السلطان .

(٢٤٠) خالصة : هى أرض تابعة للسلطان .

(٢٤١) لوند روى قيد « ١ » ص ٧٤ .

وبالغ في هذا المجال لدرجة أن قضى على أسلوب الاختلاط بين الناس ،
وسلك الأمراء فيما بينهم سلوكا غريباً *

بعد استحكام القواعد السابقة ، أراد أن يقر عدة قواعد أيضا
في البلاد ، لكي يسوى ما بين الرعايا القوي والضعيف ، ويقلل من تسلط
المقدم والجودهري (٢٤٢) على الرعية ، وأمر أن يسترد نصف المحصول
بلا تأخير طبقا للمساحة ، ويساوى بين المقدم وجودهري وسائر الرعايا
والا يلقى حمل الأقوياء على الضعفاء ، وأن يدخل في الخزانة كل ما سبق
تحصيله ، ووزع المراعى أيضا بحساب البقرة والجاموس والخراف ،
وتشدد في أمر العمال وأهل القلم بكل ما لديه من شدة ، لدرجة أنه
لم يتيسر لأحدهما الاستيلاء على جيئل خيانة ، وإذا استولى على شيء
من الدخل تخرج ورقة « بتوارى » (٢٤٣) باسمه وما فعله ، فيسترد
منه في ساعته بالشددة والاهانة وكان الأهالى يعتبرون أن ترك أمر العمل
والكتابة عيب ، وكان عمل المقدمين والجود هريين يستلزم أن يدوروا دائما
راكبين ، ومرتبدين للأسلحة والملابس النفيسة ، ووصل الأمر لدرجة أن
نساءهم عملوا في منازل الأهالى ، وكانوا يصرفون ما يأخذونه من أجر
في قوتهم ، وكان السلطان علاء الدين يقول أحيانا أن احكام وضوابط
السلطنة تتعلق بالملوك ، ولا دخل لها في الشريعة ، وفض الخصومات ،
وفصل القضايا وطرق العبادات أمر يخص القضاء والعلماء ، ولهذا كان
كل ما يتصوره في ذهنه أنه اصلاح للملك يفعله ، ولا ينظر عما اذا كان
مشروعا أو غير مشروع ، وأبعد من العلماء عن مائدته القاضى ضياء الدين
بيانه ومولانا ظهير لنك ومولانا مشيد كهسرامى (٢٤٤) مع الأمراء
ما عدا القاضى مغيث الدين بيانه الذى اتخذ مكانه في مجلس السلطان
الخاص ، وذات يوم قال له السلطان : أريد أن أسالك عدة مسائل ،
فأجابه القاضى : مغيث الدين ، غالبا اقترب أجلى حتى لو عرضت ما هو
في كتب الشريعة ربما لا يوافق رأى السلطان ! ، قال السلطان : قل ما تراه
حقا فلن تؤاخذ عليه ، وسأل أولا : هل يمكن القول أن أى هندوسى نمدى
وعليه دفع الخراج في شريعتنا ؟ فأجابه القاضى : طالما أن محصل السلطان
يأخذ منه المال والخراج ويدفعها بتواضع دون مضايقة ، وأما اذا صدر

(٢٤٢) مقدم رئيس القرية وهو عادة مسلم ويعاونه « جودهري » (ماجمدار :
تاريخ الهند من ٥٥٨) *

(٢٤٣) بتوارى : المحاسب (شتمرى : نظرة على الثقافة الاسلامية في الهند ج ١
من ١٠٢) *

(٢٤٤) مسند كرامى « ٩ » ص ٧٦ *

منه اهانة للمحصل مما يسبب له النفور والمضايقه فانه يكون قد دخل فى شأن الكفار « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤٥) وفى مجالهم يأمر علماء الدين اما القتال او الاسلام ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم ناطق ايضا بهذا ، الا أن الامام الأعظم أبو حنيفة (٢٤٦) رحمة الله عليه يعتبر أخذ الجزية فى محل قتلهم ، ونهى عن اهراق (٢٤٧) دمائهم ولكنه طلب أن تأخذ الجزية والخراج منهم بشدة ، لأنها تحل محل القتل ، فضحك السلطان وقال : ما قلته هو أمر الكتاب ، واننى أعتقد فى اجتهادك ، وموافق على أن نسلك هذا السلوك مع الهندوس ، وعاد فسأل : العمال (٢٤٨) يأخذون الرشوة ، ويجمعون كثيرا ، هل يمكن اعتبار هذا قسما من اللصوصية ، ويكون عليهم عقاب السرقة (٢٤٩) واجاب القاضى : اذا كان يصل الى العمال من بيت المال ما يكفيهم فان ما يستولون عليه زيادة عن ذلك هو رشوة ، وينبغى أن يسترد منهم بكل شدة وتعذيب يكون ميسرا ، أما قطع اليد الخاص بسرقة المال الحلال لا يمكن تنفيذه فيهم ، قال السلطان أعلم أنه منذ أن اهتمت بهذا المجال وكل شخص استولى على شىء من قبيل الخيانة ، أعاده خوفا من الشدة والقسوة التى يمكن أن تحدث له ، وأغلق باب الخيانة والسرقة ، وقصرت يد سيطرة الطماعين ، وسأل السلطان ثانية : هذا المال الذى كنت قد أحضرت من ديوكير أيام الملك (٢٥٠) هل لى أم لبيت المال ؟ قال القاضى : طالما أن السلطان استولى على هذا المال بسعى قوة الجيش فمن ثم فان جميع رجال الجيش شركاء وهذا المال لبيت المال وليس خاصا بالسلطان ، فغضب السلطان وقال : المال الذى استوليت عليه بمشقة تامة أيام ملكى ولم أدخله خزانة السلطان فى ذلك الوقت ، كيف يمكن اعتبار هذا المال لبيت المال ؟ اجابه القاضى : المال الذى استولى عليه السلطان وحده ، وليس من كسب وتحصيل واعانة الحشم ، فهذا يكون مالا خاصا للسلطان ، أما المال الذى أحضره السلطان من ديوكير ليس من هذا القبيل ، بعد ذلك قام القاضى معتذرا ، اننى مملوك للسلطان وأعرض ما يخالف كتب الشريعة ، فهل بدا للسلطان كذبنى فى موضع ما مما يسبب زيادة فى غضب

• (٢٤٥) التوبة ٢٩

• (٢٤٦) امام أعظم حنفى

• (٢٤٧) اهراق « ١ » ص ٧٦

• (٢٤٨) الولاة والموظفون

• (٢٤٩) ورد فى « ١ » اننى أعتقد فى اجتهادك وموافق على أن أسلكه مع الهندوس

• ص ٧٦

• (٢٥٠) يقصد أيام كان « ملكا » قبل أن يرتقى العرش

السلطان ؟ وكيف يكون قدرى عند السلطان اذا وصمنى بالخيانة ؟ فسأل السلطان ثانية ، ما حقى وحق تابعى فى بيت المال ، فاستاء القاضى وقال : ان أردت ما يوافق الشريعة فلن يتوانى السلطان فى قتلى ، واذا نافقت وداهنت فانتى سأصبح أسيرا لمويال الأبد ، قال السلطان قل ما هو حق ولن تؤاخذ عليه ، قال القاضى : اذا حكم السلطان بالتقوى ، وسلك طريق الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، ويدع أحد تابعيه بالسيطرة اذا رعى التوسط ، ولا يعط أحد الأمراء المشاهير زيادة أكثر من الآخرين من بيت المال ، واذا حكم بمقتضى موافقة علماء الدين الذين يتمسكون فى هذا الوقت بروايات ضعيفة ، ويتحدثون بلسان طيب مع السلاطين ، فينبغى أن يحصل الأمراء الآخرون نفقة تعادلهم ، ولا يجوز التصرف فى بيت المال أكثر من هذا على أى وجهة قط ، قال السلطان غاضبا ، هل تقول ان هذا المال الذى انعم به على حريمى وانفق منه على المصانع وجميع المجالات غير مشروع ؟ قال القاضى : طالما سألنى السلطان عن مسألة الشرع فمن الواجب ان أعرض ما يوافق كتب الشريعة ، ولو استفسرت عن المصلحة الملكية فسوف أجيب على ما يريده السلطان وكل ما هو صواب ومطابق لقواعد وقوانين الحكم ، بل ان كل ما يزيد من شوكة وعظمة السلطان ، وهذا الأمر متضمن لأقسام الفوائد الملكية ، قال السلطان بعد ذلك اننى لم اعرض الجواد الذى استرددته منذ ثلاث سنوات ، وأعمل السيف فى أهل البغى والفتنة مع اولادهم واتباعهم ، وأدخل أموالهم مهما كانت فى الخزانة ، وأصادر املاكهم ، وأخترع عقوبات أخرى لمعاقبة اللصوص ومدمنى الخمر وأهل الزنا ، قهل تقول ان هذا كله غير مشروع ؟ فقام القاضى من المجلس ، وابتعد ووضع رأسه على الأرض ، وقال كلها غير مشروعة ، فنهض السلطان غاضبا ، ودخل الحرم :

« عندما تقدم الحديث الصدق ، فناصر قولك هو الله .»

وفى اليوم التالى طلب القاضى مغيث الدين (٢٥١) ولاطفه كثيرا ، وانعم عليه بحلة والى تنكه وقال انا مسلم لكن كل هذه الشدة والعنف اللذين يظهران منى من أجل صلاح الملك ولا أعلم ماذا سيحدث لى غدا يوم القيامة ؟ .

بعد فترة قاد الجيش الى جتور ، وفتحا فى مدة قصيرة ، وعاد الى دهلى ، ولما كان الخبر قد وصل الى ما وراء النهر من أن السلطان علاء الدين يحاصر قلعة بعيدة ، وسيظل فترة هناك وتوجه طرغى مغول

السابق ذكره بجيش جرار لنهب الهندوستان ، ونزل على شاطئ نهر جون قرب دهلى ، وكان السلطان قد انتهى من فتح جتور منذ شهر وجاء الى دهلى ، ولما كان خلاصة الأمر الكبار قد توجهوا الى مقاطعاتهم بعد فتح أقصى الدكن وكان أكثر الأمراء الكبار قد توجهوا الى مقاطعاتهم بعد فتح رنتهبور ، وكان الجيش الذى فى ركاب السلطان قد صار بلا امتعة بسبب المطر وطول السفر ، وخرج السلطان من دهلى بسبب اضطراب الجماعة التى معه ، ونزل فى سرى ، وتحصن الجيش بالخندق والأشواك وسائر أدوات المحافظة وانتظر بعض الأمراء الذين استدعاهم من الأطراف ، ولما كان المغول قد نزلوا فى نواحى دهلى ، واستولى على الأطراف المجاورة لهم ، لم يستطع الأمراء الوصول الى السلطان ، وتوقف بعضهم فى كول والبعض فى برن ، وعندما مر شهران على هذا ، عاد طرغى بدون سبب واضح ، وظن أهالى دهلى أن هذا بسبب عناية الشيخ نظام الدين قدس سره الذى يعددون كراماته ويقال أن الخوف الذى سيطر على طرغى جعله يضطرب ويعود .

وبعد ذلك اتخذ « سرى » دارا للملك ، وبنى عمارة عالية ، وعمر قلعة دهلى ، وجدد القلاع التى يدخل فيها المغول ، وأراد أن يرعى الجيش الكافى بقدر ما يستطيع حكم ممالك الهندوسان وما فى عهدة المغول ، ولم تكن الخزانة التى لديه تفى بهذا القدر من الجيش ، واستشار الوزراء أصحاب الفكر والأمراء المجريين فى هذا المال : قالوا : لو أن الجياد والأسلحة وسائر آلات الجيش تكون موقوفة على الحشم ، والغلة وسائر ما يحتاج اليه يكون للعمامة الحق فى تدبيرها وبذلك يتيسر تحقيق رغبة السلطان ويحقق الجيش بأقل ما لديه عهدة مؤنثه بسبب غلاء الأشياء وبعد ذلك أقر السلطان بالاتفاق مع الوزراء علماء عصره عدة ضوابط فى هذا المجال لكى يتحقق بهذه الضوابط جميعا أسباب المعيشة ، الضابطة الأولى : هى أن أمر السلطان هو الذى يحدد سعر الغلة ، ولا دخل لأهل السوق فى تحديد سعر الغلة ، وما تقرر فى هذا المجال كان ، القمح : المن (٢٥٣) سبعة ونصف جيتل (٢٥٤) : الشعير : المن أربعة جيتل ، العدس المن : خمسة جيتل ، الماس (٢٥٥) المن خمسة جيتل ، الشالى (٢٥٦)

-
- (٢٥٢) ارتكل
 - (٢٥٣) نوع من المكابيل
 - (٢٥٤) نوع من العملة
 - (٢٥٥) حبوب تشبه العدس
 - (٢٥٦) أرز غير مقشور

المن خمسة جيتل ، الموت (٢٥٧) المن ثلاثة جيتل ، واستقامت هذه الاسعار حتى آخر ايام السلطان علاء الدين ، ولم يحدث تراخ بسبب امسك المطر وسائر اسباب القحط فى هذا المجال ، الضابطة الثانية ، هى انه جعل ملك قبول الغ خاى وكان رجلا عادلا وصاحب شوكة شحنة بازار غله « (٢٥٨) ويسمى بلغة الهنود ، مندوى ، ينفذ السعر الذى اقره السلطان ، ويجعله موافقا للبيع والشراء ، الضابطة الثالثة هى انه امر ان يجمعوا من « خالصات سلطانى » (٢٥٩) ما هو حصص السلطان غلة ، ويخزنوه فى القصبات حتى اذا حدث عجز فى غلة السوق يبيعون غلال السلطان بالسعر الذى يحدده ، الضابطة الرابعة : هى انه امر ملك قبول ان يطلب الغلال من اطراف الممالك ، ويجعلها على شاطئ نهر جون حتى تصل الغلال من اطراف ، ويبيعونها فى سوق دهلى بالسعر السلطانى واخذ منهم تعهدا فى هذا المجال ، الضابطة الخامسة ، كانت منع الاحتكار ادرجة انه لو ظهر ان احدا احتكر الجنود أو الرعية فانهم كانوا يدخلون هذه الغلة ضمن غلال السلطان ، ويصادرون هذا الشخص ، الضابطة السادسة ، امر الرعايا ان يبيعوا الغلال التى يزرعونها ولا يحملون حبة واحدة الى منازلهم ، واصدر امرا للعمال (٢٦٠) ايضا ان يحصلوا من الرعية النوع الذى يزرعونه ، ويدفعون ثمن ما يبيعونه ، ولا يحملون غير حصتهم الى المنزل ، ولا يبدون احتكارا . الضابطة السابعة هى ان يعرض على السلطان يوميا خبر سعر الغلة وسائر معاملات مندوى (٢٦١) بالتفصيل ، ولو حدث تقصير قليل فى هذه الضابطة التى تم اقرارها فان المتصددين كانوا يعاقبون المندوى وعماله ، وكان يأمر فى ايام امسك الأمطار ان يشتري كل شخص حسب عدد جماعته الغلة من المندوى ، ولا يسمح لاي شخص ابتياغ اكثر من قدر الضرورة اليومية ، وعين الموكلين بهذا الأمر ، وأمر بالمشديد ، وكان العيون يعرضون على السلطان خفية خصوصيات هذه الأمور وكان يتنازلون عن نصف جيتل فى السعر السلطانى للشخص غير القادر .

ومن أجل خفض سعر القماش وضع عدة ضوابط أيضا ، اولها : انه أقام قرب بوابة داون قصرا واسعا ، أسماه قصر العدل (٢٦٢) وأمر

(٢٥٧) نوع من الحبوب .

(٢٥٨) المسئول عن السوق : محافظ ، مختار .

(٢٥٩) الأرض الخالصة للسلطان .

(٢٦٠) جامع الضرائب .

(٢٦١) رئيس السوق ، وهى كلمة هندية .

(٢٦٢) سراى عدل .

ان يحضروا فى هذا القصر كل الأقمشة التى ترد من الأطراف والنواحى ، ويبيعونها ، ولا يبيعون فى السوق أو فى منزل أى شخص ، وأمر ان يبيع الناس ويشترىون فى قصر العدل من الفجر وحتى صلاة الظهر (٢٦٣) وإذا علم ان شخصا من التجار قد اغلق دكانه قبل صلاة الظهر او فتحه قبل صلاة العجر ، كان يعاقب هذا الشخص ، والضابطة الثانية هى انه سعر الأقمشة التى سبق تحديدها من قبل العرش تصيح موافقة لهذا البيع والشراء على النحو التالى : الحرير الدهلوى (٢٦٤) ست عشرة تنكه ، خزكونله (١٦٥) ست تنكات ، وبرد الشعر (٢٦٦) ثلاث تنكات ، والبرد المقلم بالياقوت ثمانى جيتل ، وبرد كمينه بست وثلاثين جيتل ، استر لعل ناكورى ، باربع وعشرين جيتل ، شرين بافت باريك (٢٦٧) بخمس تنكات ، وشيرين يافت ميانه ثلاث تنكات ، سلامى اعلا (٢٦٨) باربع تنكات ، وسلامى ميانه ثلاث تنكات وسلامى كمينه (٢٦٩) تنكاتان كرياس باريك (٢٧٠) عشرون ذراعا بتنكة واحدة ، كرياس كوره كمينته : كمينته : اربعون ذراعا بتنكة واحدة وجادر بعشرة جيتل ، والضابطة الثالثة هى : انه اصدر فرمانا ان يسجل أسماء المدينة وأطراف الممالك فى سجل ، وأمر ان يحضروا الأقمشة على النظام السابق الى المدينة ويبيعونها بالسعر السلطانى فى قصر العدل ، وكل من يهمل فى هذا الأمر ، يجرم ، والضابطة الرابعة هى انه أمر ان يعطوا أموالا من الخزانة لتجار المدينة لكى يحضروا الأقمشة من الأطراف ، ويبيعونها بالسعر السلطانى فى قصر العدل ، والضابطة الخامسة هى : ان كل أمير من الأمراء المعروفين يحتاج لأقمشة نفيسة ، ويحصل على ترخيص من رئيس السوق ، وكانت هذه القاعدة توجب الا يشتري تجار الأطراف الأقمشة النفيسة من قصر العدل بالسعر السلطانى ويبيعونها فى أماكن أخرى بسعر مرتفع .

ومن أجل خفض سعر الجياد ، وضع أيضا أربعة قواعد ، أولها : تحديد جنسها وقيمتها مثلا الجنس الأول مائة تنكه ، والجنس الثانى من ثمانين الى تسعين تنكه ، والجنس الثالث من خمسة وستين تنكه الى سبعين تنكه ، الضابطة الثانية هى انه أمر الا يشتري الجياد تجارها

(٢٦٣) نماز يشين دك ، ص ٦٠ ك

(٢٦٤) خو دهلى د ١ ، ص ٧٩

(٢٦٥) خر كويله د ١ ، ص ٧٩

(٢٦٦) سرى باف باريك د ١ ، ص ٧٩

(٢٦٧) لودسرى د ١ ، ص ٧٩

(٢٦٨) سلانى اعلا د ١ ، ص ٧٩

(٢٦٩) سلانى كهنة د ١ ، ص ٧٩

(٢٧٠) كرياسى باريك د ١ ، ص ٧٩

وأصحاب الأموال فى المدينة من السوق ، لأنه كان من عادة أصحاب الأموال خفض سعر الشراء ورفع سعر البيع ، وطردهم من المدينة ، وأجلهم ، وفرقهم ، والضايطة الثالثة ، ترغيب وترهيب دلالى الخيول فلو ظهر أن باعوا فى السوق جوادا خلاف سعر السلطان ، كان يعاقب جميع دلالى المدينة والضايطة الرابعة هى انه كان يفحص كل شهر أجناس الجياد وقيمتها وتتبع أحوال الدلالين ، فلو ظهر أقل تفاوت فى الضوابط السلطانية كان الدلالون يصابون بالأذى ، وروعت هذه الضوابط الأربعة التى نكرت حول الجياد فى مجال البنغال والحمير ، وكل ما كان يقع فى الأسواق ، يكتب ويعرضوه على السلطان يوميا فى صحيفة .

كان الجواسيس أيضا موكلين بمراقبة أحوال السوق ، فإذا ظهر أن القائمين بمراقبة السوق قد عرضوا شيئا مختلفا على السلطان ، فانهم كانوا يعاقبون ، وكان كل شيء يحتاجه السوق للمعاملات يحضره السلطان ويفحصه ، ويحدد سعره ، وكان لا يعاين الأشياء التافهة (٢٧١) مثل الأبرة والمشط والحذاء والقلبة ووعاء الشرب ، وكان يحدد بنفسه أسعار النفائس والأشياء البسيطة ، ويكتب تذكرتها ، ويعطيها للقائمين بمراقبة السوق ، وكان اهتمام ورعاية السلطان فى مراقبة التجار وفحص أسعار الأشياء يصل الى درجة انه فى بعض الأحيان كان يعطى الأطفال الذين لا دخل لهم فى البيع والشراء ، نقودا ، ويرسلهم الى السوق ليشتروا الأشياء التى يرغبها الأطفال ، ويحضرونها عند السلطان ، وبعد ذلك اذا ظهر أن هناك تفاوتا فى السعر أو الوزن ، يعاقب البائع ، وأقل عقاب كان يقع هو قطع الأذن أو الأنف .

بعد ذلك انخفضت أسعار امتعة الحياة وأدوات الجيش ، وظهر ارتياح فى الحشم الى درجة انه سد أبواب دخول المغول وتطاولهم ، وكان اذا توجه المغول أحيانا الى دهلى يؤسرون جميعا ، ويقتلون ، الى درجة انه ذات يوم استولى على بيك حفيد جنكيزخان وترتاك (٢٧٢) مع أربعين ألف فارس على دامن كوه سوالك وحتى ولاية امروه ، ارسل السلطان علاء الدين ملك نايك (٢٧٣) آخر بيك بجيش جرار ، ووصل الى جيش المغول على حدود امروه وقتلهم وجعل أكثرهم علفا للسيف وأسر على بيك وترتاك أحياء ، وقيدهم من رقابهم وجاء الى السلطان بعشرين ألف

(٢٧١) محقرا « ١ » ص ٨٠ ، « د » ص ١٦١ .

(٢٧٢) على بيك نبيره جنكيزخان وبرماك « ١ » ص ٨٠ ، على بيك نبسه جنكيزخان

وتلتاك « د » ص ١٦٢ .

(٢٧٣) بابك « ١ » ص ٨٠ .

جواد والغنائم التى استولى عليها ، فى ذلك اليوم خرج السلطان من المدينة ، وأعلن العفو العام فى جبوتره سبحانهى ، واستعرض الجيش من هناك حتى اندريته ، فى ذلك الوقت أحضروا على وترتاك بيك مع الأسرى الآخرين عند السلطان ، فالقى أكثرهم تحت أقدام الفيل وقتلهم :

« الشخص الذى يسوء فعله فى الدنيا ، فقد فتح على نفسه طريق

السوء » *

ومرة أخرى ، دخل كبيك نام (٢٧٤) مغولى بجيش جرار قصبية كهكر ، وتقاتل مع جيش دهلى ، وقتل أكثر المغول ، وأقاموا من رؤوسهم منارة قرب بوابة يداون ، وبعد فترة دخل جيش المغول مرة أخرى وكان قرابة ثلاثين ألف فارس أرض سواك ، وانطلقوا فى النهب ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، أرسل جيشا عظيما لمحاربتهم ، فاستولى الجيش على شاطئ نهر راوى طريق عودتهم ، وعندما وصل جيش المغول محملا بالغنائم الكثيرة الى شاطئ النهر ، وتقدم جيش دهلى للقتال ، وقاتل ببسالة ، وحقق النصر والظفر ، وأسروا جمعا كبيرا من المغول ، وحبسوهم فى قلعة ترينه (٢٧٥) التى كانت فى هذه النواحي ، وأحضروا أولادهم وأتباعهم الى المدينة ، وباعوهم فى سوق دهلى ، وبعد ذلك صدر فرمان لملك خاص حاجب (٢٧٦) بأن يذهب الى قلعة ترينه ، ويقتل المحبوسين ، وبعد مرور فترة على ذلك دخل اقبال منده (٢٧٧) نامى من المغول بجيش جرار الهندوستان ، وقاتل أمير على واهن وجيش دهلى فى دهنده وقتل فى هذه الحرب وأحضروا الآخرين أحياء الى دهلى ، فسحقوهم تحت أقدام الأفيال وبعد ذلك استولى الخوف والفرع على خاطر المغول فمحا من قلوبهم رغبة الاستيلاء على الهندوستان ، واستراحت الهندوستان من مضايقتهم حتى آخر أيام السلطان قطب الدين مباركشاه ، وكان سلطان تغلقشاه المسمى فى تلك الأيام بغازى ملك ويحكم أقطاع دييالبور ولاهور ، يذهب سنويا الى حدود بلاد المغول ، وينتهب هذه النواحي ، ولم يكن المغول أقوياء لمواجهة أو قادرين على الحفاظ على حدودهم *

وبعد ذلك انتهت متاعب المغول تماما على الأطراف ، ودخلت بلاد الهندوستان التى كانت ملاذا وملجأ للمفسدين والتمرديين فى حيز الضبط ،

• (٢٧٤) كبيك نام « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٥) ترانیه « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٦) ملك خواص حاجب « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٧) اقبال مندو « ١ » ص ٨٠ .

وتم تأمين طرق زهاب وايباب التجار والسائحين ، ونال جميع الحشمة
ايضا ما يوسع عليهم ، واستراح خاطر السلطان علاء الدين من عرش
دهلى ، وشرع فى تسخير البلاد البعيدة وكان يسخر كل ناحية يسعى
اليها دون مشقة وصعوبة .

« طالما يقبل عليك عون الغيث ، فان كل غرض تتمناه يتحقق »

« ولم يكد يكون رغبة بالصدر ، حتى يتحقق وتأتى الاموال »

« واذن تحول مراده الى المشرق ، فان المطر والرياح تاتى من المغرب »

ان تحقيق المطالب والمآرب ووقوع امور غريبة جاءت بسعى وجهد
السلطان علاء الدين ، اسمها الناس كرامة ، ونسبوا لآرائه واقواله
الكشف والالهام ، والبعض اسمها استدراجا (٢٧٨) واعتبروها من
المكر الالهى وظن البعض ان الامن والرفاهية من بركة وجود الشيخ
نظام الدين اوليا قدس سره ، المهم عين ملك نايب كافور هزار دينارى مع
امراء مشاهير وملوك كبار لمهاجمة ديوكير (٢٧٩) من بلاد الدكن ،
واكرمه بانواع مختلفة ، وانعم عليهم بالحلل الياقوتية وانعامات كبيرة
اخرى ، وامر خواجه حاجى نائب ، « عرض ممالك » بما لديه من حشم
وما تحت يده من اموال الغنائم بمرافقته ، وصل ملك كافور الى ديوكير ،
واسر حاكم هذه الولاية على الرغم من شجاعته ، وابناه ، وارسل جميع
خزائنه وسبعة عشر فيلا مع رسالة فتح الى هدلى ، وبعد ذلك اكرم رامديو
وارسله الى السلطان مع اموال وافئال ، ونال الانعامات السلطانية واكرم
السلطان رامديو ولقبه بلقب « راي رايان » (٢٨٠) وانعم عليه « بجتر »
ومائة الف تنكه وعينه على ديوكير ، وسمح له بالسفر مكرما ، وسلك رام
ديو مسلك التابعين ، وكان دائما فى مقام الولاء والطاعة ، وقد قدم
خدمات جليلة .

فى سنة ٧٠٩ هـ عين السلطان علاء الدين مرة اخرى ملك كافور
على جيش جرار الى ارنكل ، واوصاه عند الوداع انه اذا اعطاك رودريو
حاكم ارنكل الخزانة والجواهر والافئال وقبل تقديم الهدايا سنويا ،

(٢٧٨) اشارة الى قوله تعالى « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم » من حيث لا يعلمون»

الاعراف ١٨٢ .

(٢٧٩) ديوكير « ا » ص ٨١ .

(٢٨٠) امير الامراء .

(٢٨١) تنله « ك » ص ١٩٤ .

فاكتف بهذا ، وعد ، ولا تشتيد بالاستيلاء على القلعة وأسر راي رودريو (٢٨٢) واستشر في ادارة أمورها خواجه حاجي ، ولا تحاسب الأمراء على الجرائم البسيطة والذنوب الصغيرة ، ولا تجز المداهنة ايضا فى الأعمال ، واذا طلبوا بعض الغنائم التى تقع فى يدك فحقق رغبتهم ، واذا قتل أو سرق أو سقط جواد شخص فى الحرب عوضه بأفضل منه ، واعلم ان هذه الأمور من لوازم الادارة ، واستاذن ملك نائب وخواجه حاجي من السلطان ، وتوجها برحيل متواتر الى هناك وعندما وصلا الى جنديرى ، توقفا عدة ايام هناك ، فاستعرضا الجيش وتوجها من هناك الى ديوكير ، واستقبلهما رامديو ، وقدم هدايا كثيرة ، وقدم لوازم الطاعة والولاء ، ورافق ملك نائب عدة منازل ، وسمح له بالعودة الى ديوكير ، وعندما اقترب ملك نائب من أرنكل ، وأسرع رايان الأطراف من هول جيش الاسلام الى قلعة أرنكل ، وتحصنوا فى قلعة خارج القلعة التى كانوا قد اقاموها من الطين ، وواسعة تماما ، والمقرر الهجوم عليها وتحصن رودريو مع أقرائه فى قلعة داخلية كانت من الحجر ، وحاصر جيش السلطان القلعة وسعوا فى فتحها ، وجاهد الهنود ايضا من الداخل فى الدفاع والصد ، وبعد مدة فتحت القلعة الخارجية بكفاح شديد ، واسر أكثر الرايان ، وزمينداران بأولادهم واتباعهم وقتل خلق كثير ، واضطرب راي رودريو ، وطلب الصلح وأراد الأمان ، فأخذ منه ملك نائب خزائن ومائة فيل وسبعة آلاف جواد وأمنه ، وقرر أن يرسل سنويا هدايا لائقة ، وعرض الحقيقة على السلطان ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان ، أمر أن يقرأوا رسالة النصر على المنابر ، ودقوا طبول الفرع ، وقدم لوازم الانعام ، وعندما عاد ملك نائب ، وخرج السلطان من المدينة ، وأعطى العفو العام فى جبهوته ناصرى قرب بوابة بداون ، ووصل ملك نائب الى هناك للملازمة ، وعرض جميع الغنائم ، ونال جميع أنواع الانعام الساطاني .

ويقال أن السلطان علاء الدين فى كل مكان كان يرسل اليه الجيش من دهلى الى المكان المقصود ، وكان يربط فى كل منزل جوادا « داجوكى » (٢٨٣) ، يسمى السلف « يام » (٢٨٤) وفى كل فرسخ كان يترك رجلا سريع الحدو يسمى بلغة الهند « بايك » وكان يعين فى كل

(٢٨٢) لدرديو « ١ » ص ٨١ .

(٢٨٣) جياذ البريد .

(٢٨٤) جياذ البريد .

قصبية ومدينة كانت على الطريق كاتباً ، لكى يرسل الوقائع هناك يوميا الى السلطان ، وتصادف أن ذهب ملك نائب الى ارنكل ذات مرة ، وبسبب خلل الطريق واختفاء بعض الحصون ، انقطع خبره فترة ، فحزن السلطان وامر ملك قرابيك والقاضى مغيث الدين سامانه ان يذهبا عند شيخ الاسلام نظام الدين اوليا ، ويبلغوه سلامه ، وقولا له ان جيش الاسلام المرسل الى ارنكل لم يصلنى خبره من فترة ، واعرض عليه امر جيش الاسلام ، فلو كان لديه عن احوال جيش الاسلام بنور ولايته ، يسرنى معرفته ، وقال ايضا لهما ، قولالى ما يجرى على لسانه من كلام دون زيادة او نقصان ، وعندما وصلا الى خدمة الشيخ ، سلماه رسالة السلطان وتذكر الشيخ أحد السلاطين السابقين ، واقر حكاية نصره ضمن حكاية ، وقال هذه العبارة : « ان وراء هذا الفتح فتوح اخرى ايضا متوقعة وعاد قرابيك وقاضى مغيث من ملازمة الشيخ ، وأبلغاه عبارة هذا العظيم ، وسر السلطان جدا ، وعلم ان ارنكل فتحت ، وتسمى فتحا آخرا ، وفى آخر هذا اليوم وصلت رسالة فتح ملك نائب ، وكان هذا سببا فى ازدياد حسن اخلاص السلطان وعلى الرغم من ان السلطان لم يلتق بالشيخ مطلقا ولكن كان يرسل الرسل والرسائل مظهرا الاعتقاد ، ويستمد العون من الشيخ .

فى سنة ٧١٠ أرسل السلطان علاء الدين مرة اخرى ملك نائب الى دهور سمندر ومعبر ، وجعل برفقته خواجه حاجى « نائب عرض » (٢٨٥) وعندما وصلا الى ديوكير ، كان راي رامديو قد توفى ، فقدم ابنه لوازم الطاعة ، ووصل ملك نائب خواجه الى نواحى دهور سمندر من ديوكير بلا توقف وفتحوا فى الحال دهور سمندر ، واسروا ملارديو حاكم هذه الولاية ، واستولوا على ست وثلاثين فيلا وخزائن كثيرة ، وأرسلوا رسالة فتح الى دهلى ، ومن هناك توجهوا الى معبر وفتحوها ايضا وخرّبوا معابد أصنامها ، وحطموا الأصنام الذهبية ، وأدخلوا ذهبها الخزانة ، وأخذوا من كلا حاكمى معبر الهدايا الكثيرة ، وفى سنة ٧١١ عادوا بثلاثمائة واثنى عشر فيلا وعشرين ألف جواد وتسع وستين ألف من ذهباً وصناديق جواهر ولؤلؤ وغنائم اخرى تخرج عن الحساب والحصص ووصلوا الى السلطان ، وسر السلطان من الفتوحات والغنائم الكثيرة جدا ، وأنعم بالانعامات الوفيرة على أكثر الأمراء .

ومن غرائب الأمور التى وقعت فى آخر العهد العلائى هى أن جماعة

(٢٨٥) سبق ان ذكره بوظيفة « عرض معالك » ١ ص ٨١ .

من المسلمين الجدد الأوباش لم يكن الخدمة فى طبعهم ولم يكن لديهم روح الواجب . قد اتفقوا مع بعضهم على أن يقتلوا السلطان وقت الصيد وهو وحيد ، وعندما وصل السلطان هذا الخير ، بسبب مزاجه الحاد وطبيعته الخشنة أمر أن يقتلوا كل شخص من المسلمين الجدد الذين يجدونهم ، وفى يوم واحد قتلوا عدة آلاف برىء ، الذين لم يكن لديهم دراية بهذا الرأى ، وانتهب أموالهم وقضى على نسلهم .

فى نفس هذه الأيام ظهر جماعة من الباختيين ، فأمر السلطان بالقبض عليهم جميعا ، ونشر رؤوسهم ، وقتلهم جميعا ، ولما كان السلطان علاء الدين ناسيا ، صعب الطباع لم يكن يرافق أحدا قط ، ولهذا لم يكن يقبل شفاعة فى حق أحد ، ولم يكن يصفى عن أحد استاء منه طوال عمره ، ولم يكن واضحا فى سلوكه ، وفى أوائل حاله على الرغم من انه كان يستشير رجاله فى الأمور الملكية ، ويدعهم يتدخلون فى تنفيذ الأمور ، ولكن فى آخر حاله حيث فرغ خاطره من جميع الروابط ، فكان يقوم بعمل ما يرد بخاطره من الأمور الملكية ، وما كان يأتى على مخيلته ويوافق رأيه ينفذه ، ولم يكن يستشر أى شخص فى تنفيذ أمر الملك ، ويقال أن هذا القدر من الفتوح التى تحققت للسلطان علاء الدين لم تتيسر لأى سلطان من سلاطين الهند ، ويقول مؤلف فيروزشاهى (٢٨٦) أن هذا القدر من العمارة التى أقيمت فى عصره من المساجد والمنارات والأحواض والقلاع وأمثال ذلك لم تقع فى أى عصر قط ، ولم يذكر فى أى عهد قط جماعة أهل فن والمهرة فى كل فن مثل ما شاهده عصره ، ولم يظهر فى زمان قط ، انصاف وعدل بين العوام والخواص واطاعة الهنود ، ورفع التمرد مثل أيامه ، وكان اجتماع كبار رجال الدين والسالكين فى طريق اليقين فى دار الملك دهلى التى اكتظت بوجودهم الشريف وتصادف عصره لم يتحقق فى أى عصر قط ، ومن جعلتهم شيخ الاسلام الشيخ نظام الدين أولياء قدس سره العزيز وهو غنى عن الوصف ، اتكأ على طريق الارشاد والهداية ، وانشغل بهداية الناس ، ومن الخامس من المحرم وحتى العاشر ؛ وكانت أيام مولد شيخ الاسلام فريد الدين أجود هنى ؛ كانت الناس تجتمع فى خانقاه الشيخ نظام الدين ، وتتجه الخلائق فى هذه الأيام من الأطراف الى دهلى ، ويحضرون المجالس لمشاهدة الوجد والحال لأهل الله ، وكانوا يصيحون على الباب والجدران ، والشيخ علاء الدين حفيد الشيخ

(٢٨٦) ضياء برنى .

فريد الدين الذى كان متمكنا من سجادة الارشاد فى اجودهن ، وكان مشتغلا بالطاعة الظاهرية والباطنية لدرجة انهم كانوا يطلقون عليه انه من جنس الملانكة ، والشيخ قطب الاولياء الشيخ ركن الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى قدس الله ارواحهم : الذى وصل الى قمة الطريق على راس الحيارى ، وكان جميع اهالى الملتان واجه وسائر بلاد السند يتوجهون اليه ، وكانوا يلقون بانفسهم فى كنف حمايته ، ويلجأون اليه من البليات والافات ، وعلى الرغم من ان والده الكبير الشيخ صدر الدين كان متمتعا بالكمال والجمال ، وكان سخيا بافراط ، ومع انه كانت لديه اموال كثيرة كان قد ورثها عن ابيه مع هذا القدر من الخذر والفتوح ؛ التى يعجز المحاسب عن حسابها ، فانه كان يقتضى فى اكثر الاوقات ، والشيخ سيد تاج الدين سيد قطب الدين الذى كان فى سخائه وعلمه وحلمه وافضاله الانسانية وحيد زمانه ، عمل فترة فى قضاء اوده ، وبعد ذلك صار قاضيا لبداون ، والشيخ سيد ركن الدين اخو سيد تاج الدين المذكور قاضى كره ، يتصف بالصفات الحميدة ، والشيخ سيد منيخ واخوه سيد مستجيب الدين من سادات كيتهل ، وكلا الاخوان اتصفا بالعلم والزهد والتقوى وسائر الفضائل ، وكانوا يسمونها « سادات ثومه » والسادات الآخرون يطول تفصيلهم من جملتهم القاضى صدر الدين عارف الذى عمل بقضاء الممالك ونال لقب « صدر جهانى » وبعده القاضى جلال الدين دلواطى (٢٨٧) صار قاضيا لمالك ، ومولانا ضياء الدين بيانه صدر جهانى وفى آخر ايام السلطان علاء الدين نال قضاء الممالك وملك التجار حيدر الدين الملتانى .

وكان من علماء الظاهر جامعى انواع العلوم الذين عملوا بالدرس والافادة ، كانوا ستا واربعين ، القاضى قمر الدين نافله والقاضى شرف الدين سرمانى ومولانا نصير الدين غنى ومولانا تاج الدين مقدم والقاضى ضياء الدين بيانه ومولانا ظهير لنگ ، ومولانا ركن الدين ستامى (٢٨٨) ، ومولانا تاج الدين كلاهى ، ومولانا ظهير الدين بهكرى ، والقاضى محى الدين كاشانى ، ومولانا كمال الدين كولوى ، ومولانا وجيه الدين بابلى (٢٨٩) ومولانا منهاج الدين قبائى ، ومولانا نظام الدين كلاهى ، ومولانا نصير الدين كره ، ومولانا نصير الدين صابونى ، ومولانا

• (٢٨٧) لواطى ١ من ٨٤

• (٢٨٨) سنائى ١ من ٨٤

• (٢٨٩) باتلى ١ من ٨٤

علاء الدين تاجير ، ومولانا كريم الدين جوهرى ، ومولانا حجت ملتانى .
 ومولانا حميد الدين مخلص ، ومولانا برهان الدين بهكرى ، ومولانا
 اغتخار الدين برنى ، ومولانا حسام الدين سرخ ومولانا وچيه الدين
 ظهور (٢٩٠) ومولانا علاء الدين كركه ، ومولانا حسام الدين شادى ومولانا
 حميد الدين ملتانى ، ومولانا شهاب الدين ملتانى ، ومولانا فخر الدين
 هانسوى ، ومولانا فخر الدين شفاقل (٢٩١) والقاضى زين الدين ناقله ومولانا
 سهركى (٢٩٢) ومولانا وچيه الدين رازى (٢٩٣) ومولانا علاء الدين صدر
 الشريعة ، ومولانا ميران مايكله (٢٩٤) ومولانا علاء الدين لاهورى ،
 ومولانا علاء الدين لاهورى ، ومولانا نجيب الدين شادى ، ومولانا شمس
 الدين ، ومولانا صدر الدين والقاضى شمس الدين كازرونى ، ومولانا
 شمس الدين يحيى ، ومولانا ناصر الدين اتاوى ، ومولانا معين الدين
 لولى ، ومولانا اغتخار الدين رازى (٢٩٥) ومولانا معز الدين
 اندريهى (٢٩٦) ومولانا نجم الدين انتشارى (٢٩٧) وفى آخر عهد السلطان
 علاء الدين وصل مولانا علم الدين حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا وكان
 من الفاضل عصره ، الى دهلى ، وعمل بالافادة فى العلوم العقلية والنقلية ،
 ومن اساتذة علم القراءات الممتازين مولانا شاطىء (٢٩٨) ومولانا
 علاء الدين مقرئ (٢٩٩) وخواجه زكى ابن أخت حسن البصرى ، ومن أهل
 الرعظ مولانا عماد وحسام درويش وأخوه مولانا جلال ومولانا ضياء
 الدين سنامى (٣٠٠) ومولانا شهاب الدين خليلى ومولانا كريم وكان من
 نوادر العصر ، سبه سالار تاج الدين عراقى ، وخداوند زاده جاشنى كير
 حفيد بلبن الكبير وملك ركن الدين ابيه وملك عز الدين نفاتخان (٣٠١)
 وملك نصير الدين نورىضان وكانوا من ثدماء المجلس ، ومن شعراء عصر
 السلطان علاء الدين الذين تزينت دار الملك دهلى بل جميع بلاد الهندوستان.

-
- (٢٩٠) لهورى « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩١) سعاقل « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٢) ستهركى « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٣) راضى « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٤) مارىكله « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٥) رادى « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٦) اندريهى « ١ » ص ٨٤
 - (٢٩٧) ايتار « ١ » ص ٨٥
 - (٢٩٨) انباطى « ١ » ص ٨٥
 - (٢٩٩) معزى « ١ » ص ٨٥
 - (٣٠٠) ساقى « ١ » ص ٨٥
 - (٣٠١) لفتانخان « ١ » ص ٨٥

يوجودهم الفريد ، وملاصيت أدبهم العالم ، يبرز منهم أمير خسرو الذى كان له يد بيضاء فى فنون الكلام والمعنى ، واثار فضله ومناقبه واضحة وظاهرة فى مصنفاة فى النظم والنثر ، وكان مع هذا صوفى الوجد والحال ، وكان يقضى أكثر أوقاته فى الصوم والصلاة ، وله نشوة تامه من العشق والمحبة ، ولما كان نادرة زمانه فقد أعطاه السلطان علاء الدين الف تنكته وشاعر آخر الأمير حسن سنجرى وكان مشهورا بسلامة الكلام ولطافة الحديث ، ومن كثرة ما نظمه من غزليات سلسلة وكتبه من كلام جميل ، كانوا يسمونه « سعدى هندوستان » وكان فريد عصره فى تهذيب الأخلاق والقناعة ، والترك ، والتجرد ، خلف الشيخ نظام الدين أوليا قدس سره ، وجمع كلام الشيخ وما كان قد سمعه أيام كان مريدا ، أسماه « فوائد الفوائد » ولديه فى النظم والنثر تصنيفات كثيرة ، وكان من شعراء عصر السلطان علاء الدين « صدر الدين على » (٣٠٢) وفخر الدين قواس وحמיד الدين راجه ومولانا عارف ، وعبيد حكيم ، وشهاب صدرنشين ، وكانوا ينالون الانعام لكونهم شعراء ، وكان لكل واحد أسلوب خاص فى طريقة شعره ، ودواوينهم وشعرهم يشهدان لهم بالكمال والفضل والأدب ، وكان من المؤرخين أيضا عدة أشخاص لا نظير لهم ، ومن الأطباء المهرة ، استاذ الأطباء مولانا بدر الدين دمشقى الذى كان اذا وضعوا فى زجاجة بول عدة حيوانات وأحضرها عنده ، كان يحكم عليها بالنظر وعلى البديهة بأنهم جميعا بول الحيوان الفلانى والفلانى فى هذه الزجاجة ، ومن ناحية الصوقية كان صاحب سر وكشف ومشاهدة ، ومن المنجمين وضاربى الرمل عدة أشخاص كانوا يكشفون الغيبيات ، وما فى الضمائر ، وكان من المقرئين والغزليين وسائر أرباب الطرب وأقسام الفنون المختلفة الكثيرون ممن لا يمكن حصرهم فى هذا المختصر .

بعد ذلك امتدت سلطنة السلطان علاء الدين ، وانتهت بالتوفيق والظفر ، وبموجب أن لكل كمال زوالا ، ولكل بداية نهاية ، ظهرت منه الأمور التى يمكن أن تكون سبب زوال الملك ومنافية لبقاء الدولة من جملتها أنه صار عاشقا لجمال ملك نائب كافور هزار دینارى ، وأطلق له عنان الأمر ، ولم يغل يده قط فى الأمور الملكية رعاية لخاطره ، ولم يكن ينصرف عن رايه مهما كان خاطئا وأخرج اخوته الآخرين الصغار الذين استغنوا عن المؤدبين والمعلمين ، من الحرم ، ولم يهتم باصلاح أحوالهم ، وجعل خضر خان وليا للمهد على الرغم من بعده عن الرشيد ،

(٣٠٢) سقط من « ١ » ص ٨٥ .

واعطاه جتراً ولم يعين له احداً من اهل العقل واصحاب التجربة ليمنعه عن اللهو والأتانبة ، وتصادف أنه فى أيام مرض السلطان سمح لخضر خان بالنزهة والصيد بجانب امرؤه ، وقال له : عندما استرد صحتى ، سأطلبك . وكان خضر خان يندر أنه كلما تحسنت صحة السلطان يذهب مترجلاً لزيارة مشايخ دهلى ، وعندما سمع خبر صحة السلطان وكان قد نذر من قبل أن يأتى دهلى مترجلاً وحافياً لزيارة المزارات ، وعرض ملك نائب الذى لعب هوى الملك فى رأسه وكان مستعداً للقضاء على نسل السلطان عرض أن خضر خان جاء بخيال فاسد بدون اذن السلطان ، وحمل السلطان على أن يرسل خضر خان الى قلعة كواليار ، وبعد مدة مرض السلطان بالاستسقاء وازداد عليه يوماً بعد يوم وفى تلك الأثناء طلب ملك نائب من ديوكير واللب خان من الكجرات (٣٠٣) وجاء الى البلاط وبسبب العداوة بين ملك نائب واللب أرسلان ، فقد حرض ملك نائب السلطان بكلام مزخرف وحديث باطل لكى يقتل اللب خان ، وتوفى أيضاً بعده :

« يتنفس فترة ويصير لا شيء » ، يضحك فترة وأيضاً يصبح هباء .

ويقول البعض ان ملك نائب قد دس له السم ، والله أعلم . مدة سلطنته عشرون سنة وعدة أشهر .

ذكر سلطنة السلطان شهاب الدين ابن السلطان علاء الدين الخلجى الأصغر (٣٠٤)

فى اليوم التالى لوفاة السلطان علاء الدين ، استدعى ملك نائب الأمراء واعيان المملكة ، واطهر وصية السلطان ومضمونها عزل خضر خان وتولية السلطان شهاب الدين ولياً للعهد ، واجلسه على العرش ، وقام نائباً للسلطنة ، وفى اليوم الأول أرسل ملك سنهبل (٣٠٥) لسمل عيى . خضر خان واخيه شادى خان فى كوالير ، ووعده بمنصب « باربيكى » (٣٠٦) وقبل هذا الكافر بالنعمة هذا الأمر ، وسمل عيى نور عين السلطان علاء الدين ، وسجن ام خضر خان المسماة « بملكه جهان » ، واستولى على النقد والذهب وكل ما تملكه ، وحبس الأمير مباركخان يعنى السلطان

٠ (٣٠٣) الف خان « ١ » ص ٨٦ .

٠ (٣٠٤) ذكر سلطان شهاب الدين يسر خورده سلطان علاء الدين خلجى « ك »

ص ١٧٣ .

٠ (٣٠٥) سنبل « ١ » ص ٨٦ .

٠ (٣٠٦) باربيكى « ١ » ص ٨٦ .

قطب الدين فى منزل ، وأراد أن يسمل عينيه أيضا ، لكن لما كان التقدير خلاف ذلك ، فلم يستطع ولم يوفق ، وكان كل يوم يحضر السلطان الطفل شهاب الدين ساعتين الى سطح « هزارستون » (٣٠٧) ويجلسه على العرش ، ويأمر الأمراء والأكابر والحجاب وحملة الأسلحة أن يصطفوا ، ويقفوا أمامه ويقومون بخدمته ، وعندما يمل الطفل يرسله الى أمه داخل الحرم ، ويدخل بنفسه فى خيمة ، كان قد نصبها لنفسه على سطح « هزارستون » وينشغل من خواجه سراى جنس وكان من خاصته يلعب « التورى » (٣٠٨) وهى من نوع النرد وقسم من القمار ، وكان يستشير خاصته دائما فى القضاء على أسيرة السلطان علاء الدين ، وتصادف أن كان جماعة من البايكان (٣٠٩) القديما بمهدتهم حراسة هزارستون ، واتفقوا بعد خمس وثلاثين يوما من وفاة السلطان علاء الدين ، أن يقتلوا ملك نائب وخاصته بعد عودة الرجال من البلاط السلطانى واقفال الأبواب ودخول الخيمة :

« اذا كنت تفعل السوء ، فاغلق العين عن الخير ، لأنك لن تاتى مطلقا الا بالخرم »

« لا أعتقد أن الشعير يحصد فى الخريف ، لأن فيه زمن القمح » وأطلقوا سراح الأمير مبارك خان ، وأجلسوه مكان ملك نائب نيابة عن السلطان شهاب الدين وقام مباركخان عدة أشهر نيابة عن السلطان شهاب الدين ، واشتغل بالأمور الملكية ، وأرضى الأمراء والملوك ، وبعد مرور شهرين جلس على عرش السلطان ، ولقب بالسلطان قطب الدين مباركشاه ، وأرسل السلطان شهاب الدين الى كوالير ، وفرق « بابكان » قتلى ملك نائب بسبب العجب والخلاء (٣١٠) الذى استقر فى قلوبهم ، ووزعهم على القصبات ، وقتل كبارهم الذين كانوا شيوخا .

« ينبغى احراق الخسيس بالنار ، لأن السوء يصل منه الى الناس » وفى الأيام التى قضت على أسيرة السلطان علاء الدين وانقطع نسله ، سألوا الشيخ بشير ديوانه من المجذوبين « أيها السيد لماذا يحدث

٠ (٣٠٧) قصر الألف عمود

٠ (٣٠٨) بيلموى « ١ » ص ٨٦

٠ (٣٠٩) بابكان « ١ » ص ٨٧

٠ (٣١٠) زر عم « ١ » ص ٨٧ . ز هم « ك » . ص ١٧٥

هذا ؟ قال : طالما قضى علاء الدين على أسرة عمه وولى نعمته ، فإنه يعامل نفس المعاملة :

« الخير للخير والسوء للسوء ، وجزاء العمل هو أمر العالم »

كانت أيام حكومته ثلاثة أشهر وعدة أيام .

نذكر السلطان قطب الدين مبارکشاه ، ابن السلطان علاء الدين الخلجي :

عندما جلس السلطان قطب الدين على عرش دهلي في سنة ٧١٧ هـ ، لقب ملك دینار شحته فيل (٣١١) بظفر خان ومحمد مولاى عمه بشيرخان . ومولانا ضياء الدين ابن مولانا بهاء الدين خطاط بصدر جهان ، وخص ملك قراييك بالقرب ، وقسم اشغال السلطنة بين الأمراء كل حسب سعة حالة مير حسن نام براويجه (٣١٢) ربيب ملك شاهى وكان « نائب خاص حاجب » السلطان علاء الدين باختصاصه ، ولقبه بخسروخان ، « وبراو » طائفة كانوا فى ولاية الكجرات ، كثيرون فى خدمته ومن فرط محبته التى اولاهما له ، احوال اليه كل حشم ملك شادى ، ومن كثرة ولهه وحبه له عهد اليه بمنصب الوزارة على الرغم من ان استعداده كان بعيدا عنها .

« اذا اردت ان تنظم المملكة ، فلا تعط الامر العظيم للمصبيان »

« تريد الاتضيع الزمان ، فلا تعط الامر للمعاطلين » .

ومن كثرة عشقه وجنونه به لم يكن يدعه لحظة ، المهم سكنت الفتنة التى ظهرت بعد موت السلطان علاء الدين ، بعد جلوس السلطان قطب الدين ، وبدت السكينة على الناس ، ولما كان السلطان قطب الدين شابا وصاحب اخلاق حسنة ورحيما ويخاف محنة السجن والقتل ، فقد اصدر فى اليوم الاول فرمانا بتحرير السجناء ، واستدعى المنفيين من الأطراف ، واتعم على حشمه جميعا بمرتبة ستة اشهر ، وزاد من دخول الأمراء والملوك ، وامر بان يدرسوا طلبات اهل الحاجة التى اندرست فترة ، ويعرضونها ، وكان يصدر الرد بناء على التماسهم ، وزاد الدخل والوظيفة للعلماء والصالحين وارباب الحاجة ، واعاد قرى الرجال التى كان السلطان علاء الدين قد ادخلها ضمن الخالصه ، ورفع المطالب القاسية والخراج الظالم الذى كان معمولا به فى عهد السلطان علاء الدين على

(٣١١) شحنة بيل « ١ » ص ٨٧ .

(٣١٢) براوان بجه « ١ » ص ٨٧ .

الجميع ، وارتاح الناس من حسن سلوكه ، وعاشوا فى رفاهية ، وظهر فى جيوبهم الدينار والدرهم ، وقضى على جميع الضوابط التى كانت متضمنة المصلحة للسلطان علاء الدين وعلى الرغم من انه فى الظاهر أيد منع الشراب ، لكن الفجور والتمرد والعصيان واللهو والمرح الذى كان معدوما فى عهد السلطان علاء الدين ، عاد بين الناس ، ولم ينشغل السلطان قطب الدين نفسه خلال مدة سلطنته وهى أربع سنين وأربعة أشهر الا باللهو والمرح والهبات الكثيرة وفى هذه الفترة لم تظهر الفتنة التى تبعث تعب ومشقة السلطان ، أو الآفة التى تخل رفاهية الناس .

ولما كان السلطان قطب الدين قد استدعى من قبل البلب خان من الكجرات ، وبعد ذلك أثار الفتنة هناك ، وقد عين ملك كمال الدين من اجل دفعه ، وتوجه الى الكجرات ، واستشهد أيضا هناك ، وبناء على هذا قوى نفوذه أكثر ، ففضل السلطان قطب الدين تسكين الفتنة عن المهام ، فعين عين الملك ملتانى على جيش كامل ، وذهب ، وقاتل هؤلاء القوم أس الفساد والفتنة ، وهزمهم ، واستولى على نهرواله (٣١٣) وسائر الكجرات من جديد ، وجعل « زمينداران » هذه البلاد طائعين ، بعد ذلك تزوج السلطان قطب الدين ابنة ملك دينار ولقبه بلقب « ظفر خانى » وأرسله الى الكجرات ، وخلال ثلاثة أو أربعة أشهر طهر الكجرات من فساد أهل البغى والفتنة ، حتى قضى على آثارهم فى هذه البلاد ، واستولى على ذهب كثير من راجوات وزميندران هذه البلاد ، وأرسله الى الخزانة ، ولما كان هريال ديو صهر رام ديو قد استولى على ولاية ديوكير (٣١٤) بعد وفاة السلطان علاء الدين ، قاد السلطان قطب الدين فى السنة الثانية للمجلوس الى ديو كير ، وترك غلام بجه شاهين الذى كان يسمونه « باويلدا » (٣١٥) ولقبه بوفاء الملك ، نيابة عنه فى دهلى وتوجه الى الدكن بجيش جرار ، وعندما وصل الى نواحى ديوكير ، تفرق هريال ديو (٣١٦) وزمينداران الآخرون الذين كانوا قد اجتمعوا ، ولم يستطيعوا المقاومة ، واقام السلطان عدة أيام فى ديوكير ، وأرسل جماعة من الأمراء العظام والملوك الكبار لتعقب هريال ، على شرط بان يحضروه عندما يقبضوا عليه ، وبأمر السلطان سلخوا جلده ، وعلقوا رأسه على

-
- (٣١٣) نهروالا د ك « ص ١٧٧
 - (٣١٤) ديوكير « ١ » ص ٨٨
 - (٣١٥) باويلدا « ١ » ص ٨٨
 - (٣١٦) بريال « ١ » ص ٨٨

بواسطة ديوكير ، وتوقف السلطان هناك فترة بسبب المرض ، فى هذه المدة استولى على ولاية مرهت أيضا ، وأحال ولاية ديوكير الى « ملك يك لكهى » (٣١٧) من ممالك هلاى (٣١٨) وقسم مرهت اقطاعات بين الأمراء ، وأعطى خسروخان « جتروورباش » وعينه هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى الطريق انشغل معظم الأوقات بالشراب واللهو ، وفى ذلك الوقت وبسبب غفلة وجهل السلطان قطب الدين وانغماسه فى الشراب ، دعا ملك أسد الدين ابن عم السلطان علاء الدين دعوة سرية لنفسه ، واتفق مع جماعة من قواد الجيش ، وقرر أنه « عندما يعبر السلطان » « كهانتى ساكون » (٣١٩) ويدخل الحرم فى ذلك الوقت لن يكون هناك أحد من المسلمين والحرس قربه ، فندخل الحرم ، وننهى أمره ، وتصادف أنه فى نفس هذه الليلة هم السلطان أن يعبر من كهانتى ساكون ، وجاء أحد رفاق ملك أسد الدين الى السلطان وعرض حقيقة الأمر ، فتوقف السلطان ، وأمر أن يقبضوا على ملك أسد الدين ، ويقتلوه ، وقتلوا تسعا وعشرين شخصا من أولاد بغرش خان (٣٢٠) الذين كانوا فى دهلى ، ولم يكن لهم مصلحة فى هذا ، وكان بعضهم صغار السن ، وعندما وصل الى جهالين (٣٢١) ، أرسل شادى كهنة ابن سلاحدار (٣٢٢) الى كوالير لكهى يقتل خضر خان وشادى خان وملك شهاب الدين أولاد السلطان علاء الدين الذين كانوا قد سمعت أعينهم من قبل ، وأحضر أهاليهم وزوجاتهم الى دهلى ، وكان السلطان قطب الدين يسيء للشيخ نظام الدين قدس سره العزيز بسبب أن خضر خان كان مريدا للشيخ ويعلم اخلاصه له ، وكان يظهر العداوة دائما ويطعن فى هذا العظيم :

« عندما يريد الله أن يمزق سر أحد ، يجعله يميل لطعن الأخيار »
« وإذا أراد الله أن يستر عيب أحد ، قلله فى نظر الناس »

عندما وصل السلطان قطب الدين الى دهلى ، ورأى أن الكجرات وديوكير وسائر المملكة مسخرة له ، ووجد الأمراء والملوك له طائعين ، لم يهتم بالملك ، ولعب سكر الشراب والشباب والغرور فى رأسه ، ولم يكن

• (٣١٧) بكلى « ١ » ص ٨٨

• (٣١٨) علاء الدين خلجى

• (٣١٩) كاهنتى ساكون « ١ » ص ٨٩

• (٣٢٠) نصرت خان ١ ص ٨٩

• (٣٢١) جيا من ١ ص ٨٩

• (٣٢٢) بنيادى بن سلاحدار ١ ص ٨٩

يستشير احداً فى تنفيذ الأحكام وادارة الأمور ، ولم يعد يصغى لقول احد قط ، واذا عرض شخص كلاما خلاف رايه اعرض عنه ، واطلق لسان الامانة والذم فيه ، لدرجة أنه لم يبق لشخص مجالاً ، بان يعرض بالرمز أو الإشارة ايضاً ما يتضمن مصلحته وتبدلت اخلاقه الكريمة بالأوصاف الذميمة ، وسلك طريق القهر والقتل ، وكان مثل أبيه يريق الدماء البريئة ، من جملتهم ظفر خان والى الكجرات الذى كان ركن دولته قتله بدون جرم صدر منه وبعد ذلك كان قد لقب ملك شاهين بلقب وفاء الملك ، وبسبب وشاية أرباب الحسد قتله بدون ذنب ، واخذ فى ارتكاب الأمور التى توجب زوال الملك وتنافى بقاء السلطنة وكان يهتم أغلب أوقاته بالزينة واللبس ، ويحضر المجالس وكان يطلب النساء الفاجسرات ، المعاهرات على سطح مقر هزارستون ، ويأمرهن أن يهينوا الأمراء الكبار مثل عين الملك الملتانى وملك قرابيك وتد شغل أربعة عشر عملاً ، وأمثال هؤلاء عن طريق الهزل والسخرية ، ويقمن بحركات منكرة ، كأن يأتين عاريات أمام الرجال ، ويتبولون على ملابسهم ، وبسبب عداء السلطان قطب الدين للشيخ نظام الدين أولياء فقد منع الناس عن زيارة منزله ، واخذ يهين اسم الشيخ بلا حياء ، واختار شيخ زاده جام وكان من المعارضين للشيخ واختصه بالمقرب ، واستدعى الشيخ ركن الدين الملتانى المتعصب للشيخ نظام الدين أولياء من الملتان ، وبعد أن قتل ظفر خان حاكم الكجرات ، أرسل حسام الدين وكان أخو خسروخان من الأم مع أمراء وملوك الى الكجرات وأحال اليه حشم ظفر خان كله ، وعندما وصل الى الكجرات ، جمع طائفة « براوان » وأراد أن يثير الفتنة ، فقبض عليه الأمراء الآخرون المرافقون له ، وأرسلوه الى السلطان قطب الدين ، ومن أجل رعاية خاطر خسرو خان أخيه أطلق سراحه فى الحال وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وهذا الأمر كان سبباً فى استياء الأمراء والأعيان ، وأرسل الى الكجرات ملك وحيد الدين قريشى بدلا من حسام الدين ، وكان موصوفاً بالشجاعة والجرأة ، وتظم ورأب صدع الكجرات التى كانت خربة ومضطربة بسبب حسام الدين ، فى ذلك الوقت وصل الخبر أن ملك يك لكهى حاكم ديوكير قد رفع لواء المعارضة وبغى ، وعين السلطان جماعة من الأمراء المشاهير على جيش جرار لدفع ملك يك لكهى ، وتسكين هذه الفتنة ، وذهبت هذه الجماعة ، وقبضوا على ملك يك لكهى والمفسدين الآخرين الذين كانوا أس الفتنة والفساد بحسن التدبير ، وجاءوا الى دهلى ، وقطع السلطان أذن وأنف ملك يك لكهى ، وعاقب مرافقيه بعقوبات مختلفة ، وعين ملك عين الملك ملتانى على حكومة ديوكير وملك تاج الدين ابن خواجه

علاء الدين دبیر « مشرفا » (٣٢٣) لهذه الولاية ، واستدعي ملك وحيد الدين من الكجرات ، وسلمه منصب الوزارة ، ولقبه بتاج الملك ، وعندما وصل خسروخان الذى كان قد عين على معبر الى هناك وجمع رايان هناك خزائنهم وامتععتهم وقرؤا ، فاستولى على مائة فيل ويضع افيال كانت قد بقيت من الرايان هناك ، ولما كان خواجه تقى التاجر الذى يملك مالا وفيرا اعتقد ان جيش الاسلام لن يلحق به ضررا ، لم يهرب ، وقد اغتصب كل امواله وقتل هذا المسكين ، وقضى موسم المطر هناك ، ويسبب السوء والخسة للذين فى طينته ، دعا الى التمرد ، واراد ان يقتل الامراء الذين برفقته ، ويستقل بولاية معبر ، وعلم ملك تمر (٣٢٤) حاكم جنديرى وملك مل افغان (٣٢٥) وملك تلبعه بيده (٣٢٦) وكانوا رؤساء الامراء المرسلين الى معبر ، بما ينوى عليه خسروخان ، ولم يتحدثوا معه ، وتوجهوا الى دهلى ، وخاف خسروخان من تهديد الامراء ، وتوجه الى دهلى بسرعة ، وتأخر الامراء فى بالكى ، ووصلوا فى سبعة ايام الى دهلى ، وكان تصورهم انه بسبب تأييدهم وعونهم سينالون الانعامات السلطانية ، وعندما وصل خسروخان ، وتيسر له الخلوة ، شككا من الشكوى من الامراء ، وقال اتهمونى بالبغي والبغية ، وارادوا ان يقتلونى ، لكن لما كان الله لا يريد فقد تخلصت منهم بلطائف الحيل ، وكان السلطان مولعا ومولها به ، فصدق اكاذيبه ، واستاء من الامراء وبعد ذلك وصل الامراء الى دهلى ، وعرضوا على السلطان كل الافكار الفاسدة لخسروخان ، وقدموا الشهود على هذا ، ولكن لا فائدة ، سلك السلطان طريق المكابرة ، واعرض عنهم وامر ملك تمر بالا يدع المعسكر ، وعزله عن حكومة جنديرى ، واعطاها لابنه ، وامر ملك تلبعه بان يصمت وعزله عن مقاطعته وسجنه ، وعاقب ايضا الشهود ، وعندما رأى الامراء الآخرون هذه المكابرة من السلطان صاروا صما ويكما (٣٢٧) وكل من رأى آثار المكر والغدر من خسروخان ، لاذ بالصمت ، ولم يتكلم ، والقوا بانفسهم فى حبه ، خسروخان من قبيل العجز :

(٣٢٣) مشرف : المستول عن الدخل « اقبالنامه اكبرى محمد نكاه الله ج ٥ ص ٦١٠ »

(٣٢٤) ملك تمر « ١ »

(٣٢٥) ملا افغان « ١ » ص ٩٠

(٣٢٦) ملك تليمه بعده « ١ » ص ٩٠

(٣٢٧) « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء وقداء صم بكم

عمى لهم لا يعقلون ، البقرة ١٧١ »

« عندما تقوى يد اهل السوء ، فاعلم ان جوهره قد كسر »

« اودع كرسي العظماء للصغار ، فانظر كيف يحدث الجزاء ؟ »

وكان السلطان من غلبة شوقه وكثرة شهوته لخرسوخان ثملا ومغرورا ، حتى انه لم يتنبه او يتيقظ لغدره قط :

« عندما يحم القضاء من الفلك ، فانه يجعل العقلاء جميعا عميانا »

« فأيما لا يكون لانسان عقل ، فلن يرى اى شىء خفى »

وعندما رأى خسروخان اعداءه ضعفاء ومهزومين ، أدرك أنه ليس لدى أحد قط مقدرة على أن يشى عنه عند السلطان ، وعقد نية المكر والغدر وعزم عزما أكيدا ، وعرض ذات يوم فى الخلوة انه طالما أن السلطان يرسلنى لتسخير الولايات على رأس الجيش ، ودائما يكون الأمراء الذين يرافقونى بجيشهم وقبيلتهم وأقوامهم أكثر منى ، وبالضرورة على أن أتابعهم ، ولما كانت طائفة براوان قومية وقبيلتى كثيرون فى الكجرات ، فلو أمرت أن أجمع أنا أيضا قبيلتى وأكون صاحب شوكة ! ، ووافق السلطان على التماسه ، وسمح له باستدعاء هذه الجماعة وجمع خسروخان فى فترة قصيرة خلقا كثيرا من طائفة براوان ، وحقق القوة ، وجد أكثر فى دعواه ، واتخذ بهاء الدين دبير ، وكان من اعداء السلطان ، رفيقا له ، واتفق مع مفسدين آخرين مثل ابن قره خمار ويوسف صوفى وأمثالهم ، وظل ينتظر الفرصة ، وإثناء ذلك توجه السلطان الى « ساساوه » (٣٢٨) للصيد ، وأراد خسرو خان وبروان أن يقتلوا السلطان هناك فمنعهم ابن قره خمار ويوسف صوفى وقالوا : بالفرض لو قتلنا السلطان فى الصيد ، فمن المحتمل أن يقبضنا الجيش ويقتلنا ، والأنسب هو عندما يكون السلطان على سطح هزارة هزارة ، وهناك الخلوة ميسرة دائما ، وندخل فجأة ، ونقتله ، ونستدعى الأمراء من المنازل ، ونقبض عليهم جماعات ، فان تابعونا يكون أفضل والا قتلناهم أيضا ، وعندما عاد السلطان من الصيد ، انشغل بالشرب واللهو كعادته :

« عاد من هناك بقلب سعيد ، جاء الى الحقل من الجبل والصحراء »

« ولكن غافل عن حقد الزمان الذى سينهى امره »

ونال خسروخان حفاوة أكبر ، وعرض ليلة فى الخلوة « طالما
أنا دائما فى خدمتك ، وأقضى الليالى فى « تيسخان » فان بعض أقرباى
الذين جاءوا من الكجرات بالانعام السلطانى يريدون مقابلتى ، وحرس
« دولت خان » يمنعهم فهل لو أمرت الا يمنعوهم ، فأمر السلطان أن
يسلموا مفاتيح أبواب « دولت خان » لخسروخان وقال : من أهل الثقة .
أكثر منك ومن اخوتك ؟ فأمر « دولت خان » فى عهدتك ، وتفاعل خسروخان .
من أخذ المفاتيح ، واستبشر ورأى التوفيق لنفسه :
« عندما ترى النصر فهكذا الحال ، ترى دليل الظفر فهكذا الفال »

« من هذا الفال السعيد قوى القلب الملكى مثل جبل قوى »

المهم ، عندما سيطر براوان على البلاط السلطانى ، أخذ هذه
الجماعة الجسورة السفاكة فى جمع المدافع والجيوش المسلحة ليل نهار
فى « تيسخان » ، وخسروخان ، وانتهزوا الفرصة ، وبالتدريج وضع هذا
الأمر لجميع الناس من أن خسرو خان دبر الأمر ولكن كانوا متأكدين أنه
بسبب المحبة التى يكنها السلطان له ، لو عرضوا ذلك على السلطان
سيقبض عليهم السلطان ويسلمهم له ، وراوا أنه هو الغالب بالمطلق
وأنه هو (السلطان) المغلوب المحض ، ولم يستطع أحد أن ينسب ببنت
شفه ، وذات يوم عرض القاضى ضياء الدين المخاطب يقاضى خان وهو
يتصف بالعلم الوافر والعمل ، وفى مكانة أستاذ السلطان ، وتشجع وفضل
خير البلاد والعباد على نفسه ، وقال :

« أيها السلطان فليكن العقل دليلك ، وليكن الظفر رفيقك وعدوك عاجزا »
« فلتلجأ الى الله الخالق ، ملاذ ملك العالم »

اننى ربيب نعمة السلطان وأبيه ، ونحن نعلم أمن ورفاهية الناس
فى وجود السلطان ولو قصرنا فى قول كلمة الحق وواقفنا ، فان الظلم
سيلحق بنا وبالناس وبالسلطان أيضا فاننى أعلم الارادة الفاسدة
والتفكير السيء لخسروخان ، وكثرة براوان واتفاقهم مع بعض المتمردين
واجتماعهم كل ليلة فى ساحة منزل خسروخان وقال : واجب على السلطان
أن يدقق فى هذا الأمر ، فلو صدق ، فواجب على السلطان أن يحتاط
لنفسه ، وان كان كذبا : فليكثر من اعتماده على خسروخان وأخوته ،
وكلما قال القاضى هذا ، لا يجد فائدة ، ولا مجيبا ، بل انه قال كلاما
قاسيا والفاظا نابية للقاضى ، وعاقبته كانت كما رأى :

« لا يدعى أن تدع نصيحة العظماء ، ولا يجوز أن تكتب كلامهم على الورق »
« لأنه طالما كان مجريا ، فانه يذكر بنصيحة الزمان »

ويعد فترة عندما يذهب خسروخان الى السلطان وكان قد سمع ما قاله القاضي فذكره بذلك ، فبكى خسروخان المكار الغدار وقال بسبب عناية السلطان بي ورعايته لي يحسدني كبار رجال البلاط ، ويسعون في دمي ، واليوم اؤ غدا سيتهمونني بتهمة كبيرة ويقتلونني ، ولهذا السبب ابكى واعتبر نفسى من زمرة القتلى ، واثربكاء هذا المنافق في قلب السلطان فاحببته السلطان ، وطبع عدة قبلات على شفتيه ووجنتيه ، وقال لو اتحد اهل الدنيا كلها ، ووشوا في امرك ، فلن اسمح لهم : فان هواك قد جعلنى استغنى عن العالم ، ولا قيمة للدنيا بدونك :

« لن يضيع هواك مطلقا من رأسنا ، تذهب هذا الرأس ولا يذهب هواك منها »

وعندما انقضى من الليل فترة ، وعاد الامراء الذين لم يكن لهم نوية الحراسة ، ونزل القاضي ضياء الدين الذى كان يعهده دائما الحراسة من فوق « هزاستون » وتفقد احوال الابواب والحراس ، ولم يبق في خدمة السلطان سوى خسروخان ، ودخل جماعة من براوان « هزاستون » وهم يخفون الخناجر تحت ابطهم ، والتقى رندهول عم خسروخان بالقاضي ضياء الدين ، فشغله بالحديث ، واعطاه بطاقة الزيارة ، وكان قد حان اجل القاضي ، في ذلك الوقت اخرج جاهريا نام براوى الذى اراد قتل القاضي ، وقتل القاضي بضرب الخنجر ، وصاح بقدر ما استطاع ليعلم الغدر ، وقامت جلبة بين الناس ، وعندما وصل الصباح الى اذن السلطان ، قال لخسروخان ، ما هذه الغوغاء ؟ فابتعد خسروخان امام السلطان وعاد ، وقال : ان جيادا انفلتت وتتعارك ، في هذه اللحظة توجه جاهريا - خان خسروخان - مع جماعة الى قصر هزاستون ، وقتلوا ابراهيم واسحاق القائمين بحراسة باب القصر ، واطلع السلطان على حقيقة الامر ، فنهض ، وجرى الى الحرم ، فتعقبه خسروخان ، وامسك شعر السلطان ، وجذب السلطان اليه ، والقاه تحته ، وجلس على صدره ، في هذا الوقت وصل جاهريا ، وطعن السلطان طعنة قاتلة في جنبه ، فسقط على الأرض ، وفصل رأس هذا المظلوم عن الجسد ، والقاه من فوق « هزاستون » :

« سيف السماء الغدار مثل فيل « مست » انطلق على هذا الجسد الضخم ، ضربوه بطعنة في الجنب ، حتى صارت الأرض من الدم مثل حديقة شقائق النعمان »

عندما رأى الناس رأس السلطان ، اختفى كل واحد في ركن ، وسكنت الغوغاء ، وقتلوا جمعا كبيرا من الحاضرين في هذه الليلة غند

السلطان ، وعندما أنهى براوان أمر السلطان ، توجه رندهول وجاهوريا مع عدد من الأفراد الآخرين الى حرم السلطان ، وجذبوا الأمير فيدخان ومنكوخان وكانا من أولاد السلطان علاء الدين من أهمهما وقطعوا رؤوسهما ، وقامت جلبة فى حرم السلطان ، وأطلقوا يد النهب ، وأخذوا ما وجدوه :

« صار هذا العرش وهذا البلاط ، مصدرا للصوصية مثل الشيء المفقود » وبعد أن انتهوا من قتل الأمراء ، جمعوا ملك عين الملك الملتانى وملك وحيد الدين (٢٢٩) قريشى وملك فخر الدين جونا (٢٣٠) وهو السلطان محمد تغلقشاه ، وأبناء قران بيك والأمراء الكبار الآخرين الذين كانوا قد استدعواهم فى هذه الليلة على سطح هزارستون ، وجمعوا حتى الصباح من طائفة براو والمؤيدين لخسروخان الآخرين خلقا كثيرا ، وعندما حل الصباح ، جمع العلماء والكابر المدينة ، وقرأ عليهم الخطبة ، وجلس على عرش السلطنة ، ولقب نفسه بالسلطان ناصر الدين وقبض على عدد من الأمراء المشاهير الذين كان يخشى معارضتهم ، بالحيلة والتدبير ، وقتلهم ، وأعطى رندهول أموال القاضى ضياء الدين المقتول ، ونجحت زوجة القاضى هاربة ، ولقب حسام الدين أخاه بخان خانان (٢٣١) ورندهول « براى رايان » وابن قره قمار بأعظم الملك ، ولقب من أمراء السلطان قطب الدين عبد الملك ملتانى بعالم خان ، وأعطى الملك وحيد الدين قريشى ديوان الوزارة ، وترك أشغال الملك لأبنائه ، وأعطى جاهريا (٢٣٢) قاتل السلطان قطب الدين الدرولجواهر ، وشمله بأنواع الانعامات ، وقسم حريم السلطان قطب الدين بين « براوان » وتزوج زوجة السلطان :

« أيها العالم ، عندما ترب أحدا ، فما الفائدة من أن تمزق حجبه »

« لا أعلم ما خفى لك يا صديقى ، لأنه ان ظهر لك فينبغى أن تبكى »

ولما كان أكثر « براوان » هنادكة ، خفضوا شعار المسلمين ، وازدهرت رسوم الهنادكة ، وشاع تخريب المساجد وعبادة الأصنام ، ومن أجل تأليف القلوب نثر خسروخان الذهب ، وأنفق أكثر الخزائن فى البذل ، ولما كان غازى ملكا وكان من كبار أمراء السلطان علاء الدين

• (٢٢٩) حيدر « ١ » ص ٩٢

• (٢٣٠) فخر الدين جونا « ١ » ص ٩٢

• (٢٣١) خانان « ١ » ص ٩٢

• (٢٣٢) جاهريا « ١ » ص ٩٢

وصاحب جماعة وقبيلة ، وحاكما على ديباليور (٣٣٣) وملك فخر الدين جونا وهو خليفة غازى ملك ويتصف بالشجاعة والسخاء ، وكان غى سلك أمراء علائى (٣٣٤) ، وسعى خسروخان للقبض على هذين الشخصين ، وفكر فى أمرهما ، وبناء على هذا نصب ملك فخر الدين جونا بمنصب «آخر بيكى» وسعى لارضائه وطلب غازى ملك ، ولما كان غازى ملك رجلا شجاعا ومتدينا فقد شك فى أمره ، وعقد العزم على الانتقام للماء ابن ولى نعمته ، وأرسل الرسائل الى أمراء الأطراف والنواحى ، وسبعوا لاستئصال كافر النعمة هذا ، وإثناء ذلك أسرع ملك فخر الدين جونا ، الى ديباليور من طريق دهلى ليلا ، وأستاء خسروخان الذى استيقظ من نوم الغفلة على زوال دولته ، وأرسل ابن قره قمار «عارض ممالك» مع أمراء كبار لتعقب ملك فخر الدين جونا ، وتعقبوا هذه الجماعة حتى قصبة سرستى ، وعادوا ، وكان غازى ملك قد ترك قبل هذا بعدة أيام مائتى فارس فى قلعة سرستى ، وحصنها ، وفكر فى هذا اليوم ، ووصل ملك فخر الدين جونا مع عدد من الفرسان الذين رافقوه الى ديباليور ، وسر الأب من مجيء ملك فخر الدين ، ودق طبل الفرع وعقد العزم على الانتقام ، واهتم بإعداد الجيش ، وسعى لاستئصال «براوان» .

وأعطى خسروخان أخاه الذى كان يسمى خان خانان «جتسر ودورباش» ولقب يوسف صوفى بصوفى خان ، وعينه مع أكثر الرجال الموثوق فيهم والفدائية لمهاجمة غازى ملك ، فى إثناء ذلك التحق ملك بهرام أبيه أجه والمقتان بغازى ملك بجيش منظم للانتقام من كافر النعمة وعندما اقترب جيش خسروخان استقبل غازى ملك أيضا هذه الطائفة التعيسة ، وبعد القتال والجدال حقق النصر والظفر ، وخرج خسروخان ويوسف خان من تحت الأقدام جرحى ، وذهبا الى دهلى ، وسقط الحشم وأسباب السلطنة كلها فى يدى غازى ملك ، وصار غازى ملك قويا بهذا النصر ، وأعد الجيوش وتوجه الى دهلى للقضاء على هؤلاء المنحوسين ، وسعى كافر النعمة هذا أيضا بأقصى غاية ببذل المال وكثرة الرجال ، وخرج من المدينة ، وأقام المعسكر فى صحراء قرب حوض علائى ، وأنعم على الجنود بمرتب نصف عام مستقبلا ، فى هذا الوقت فر عين الملك الملتانى وكان من أعظم ملوكه ، وتوجه الى أجين ودهار ، وهذا الأمر سبب احباطا لخسروخان ، وجعله يضطرب ، وفى

• (٢٣٣) ديبال «١» هـ ٩٢

• (٣٣٤) علاء الدين خلجى

نواحي « اندريته » (٣٣٥) تقابلت طائفة أهل الخير وأهل السوء ، وانتصر الحق على الباطل ، ووقعت الهزيمة على خسروخان فقتل ملك تلبغه ناكورى وابن قره قمار الذى كان ملقبا بسايستخان (٣٣٦) وكانا من اركان الدولة الهزيلة ، وقاتل خسروخان لما كان يتسم به من تهور وشجاعة ، حتى آخر اليوم ، وفر الى « تلبته » وسقط « جتر وعلم وحشم خسروخان فى يد غازى ملك ، وعاد خسروخان لاضطرابه وحيدا من تلبته ، واختفى فى حظيرة ملك شادى وكان صاحبه فى أول الأمر ، وفى اليوم التالى أسره ، وأحضره الى غازى ملك ، وقتلوه ، وقد ذكر الزمان بلسان حاله هذا المعنى على خسروخان كافر النعمة :

« الشجرة التى تلقى الرعاية تأتى بالثمر ، والآن تراه بجوارها »

« ولو قطعت أشواكها ، فلن تأتى بالخضرة »

وأسرع الصغار والكبار فى المدينة لاستقبال غازى ملك ، وهناؤه ، وباركوا له ، وركب غازى ملك فى اليوم التالى من « اندريته » ونزل فى قصر « سبرى » (٣٣٧) وجلس مع الأمراء وأركان الدولة والأكابر فى هزارستون ، وتلقى العزاء فى السلطان قطب الدين وأبنائه ، وبكى وحزن ، وبعد ذلك صباح بصوت عال فى هذا الجمع وقال : « اننى ربيب نعمة السلطان علاء الدين والسلطان قطب الدين ، ومن أجل شكر نعمتهما ، قاتلت أعداءهما بالسيف وانتقمتهما ، ليس طمعا فى الملك والجاه ، الآن أنتم حاضررون فى هذا المجتمع ، اذا كان هناك شخص من اولادهما وابنائهما باقيا ، فأحضروه ، لنجلسه على العرش ، ونحن نقدم له الخدمة ، وان لم يبق أحد ، فأى شخص تدركون انه جدير بالعرش ولائق للسلطنة ، فانا أيضا أطيعه ، فقال العظماء الذين كانوا فى هذا المجلس جميعا : لم يبق من اولاد هذين السلطانيين أحسد ، والفترة التى واجهت فيها المغول ، وكنت درعا لجميع أهل الهند ، فقد ثبت حقه الكبير على أهل الهند ، والآن هذا العمل الذى فعلته ، وانتقامك من أعداء اولياء نعمتك ، فهذه حقيقة أخرى ثبتت لك عند الخواص والعوام ، فليس غيرك من أحد لائق للسلطنة وأهل لأولى الأمر ، قالوا هذا وأخذوا يد غازى ملك ، وأجلسوه على العرش ، ولقبوه بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، وانعقدت له البيعة العامة والخاصة :

(٣٣٥) مذيبة « ١ » ص ٩٤ .

(٣٣٦) نال ثلاثة القاب هى اعظم الملك وعارض المالك وشايسته خان .

(٣٣٧) بسرى « ١ » ص ٩٥ .

« محطم الأعداء الملك المحظوظ ، بفأل طيب ، جلس على العرش »
« جدد نشاط ونصر الدولة الموقفة على مر الزمان »

ذكر السلطان غياث الدين تغلقشاه :

جلس السلطان غياث الدين بموافقة الأمراء وأعيان عصره فى سنة ٧٢٠ هـ على عرش السلطنة فى القصر الأخضر (٣٣٨) وانتشر نداء العدل والانصاف ونامت الفتن المتيقظة ثانية ، ووجد رونق الحكم ، وفى اسبوع واحد كان ينجز مصالح الناس التى لم يتيسر للأخريين فى سنوات انجازها :

« فلتتم شجرة النصر التى فى ظلها تستطيع أن تتظلل »

« أحيانا تزين المائدة من الفاكهة ، وأحيانا تريح الروح فى ظلها »

وتفقد أحوال من بقى من نسل وعيال السلطان قطب الدين والسلطان علام الدين أينما كانوا ، وأسعدهم بالموظيفة والدخل ، وقتل الجماعة الذين اشتركوا فى عقد زواج زوجة السلطان قطب الدين على خسروخان ، ونالوا جزاءهم ، وأنعم على الأمراء وملوك السلطان قطب الدين بالانعامات ، وزاد من اقطاعاتهم وقسم عليهم أعمال السلطنة ، واكرم خواجه خطير وملك أنور جنيدى (٣٣٩) وخواجه مهذب بزرك (٣٤٠) وكانوا دائما لهم مكانة عند السلاطين السابقين ، وأنعم عليهم وسمح لهم بالجلوس وكان يسألهم عن قوانين وأحكام السلاطين السابقين ، التى كانوا قد وضعوها فى مجال اقامة الملك وانتظام احوال الناس ، وكان يتبعها ، وكان يتحرز من الأمر الذى يبعث ضرر ومحنة الناس ، وكان اذا رأى أقل اخلاص من شخص يرفعه الى درجة عالية ، وكل من يظهر منه خدمات جليلة ، يكرمه بالانعامات الطيبة ، وكان يعتدل فى أمور الحكم ، ويجتنب الأفرط والمبالغة .

لقب السلطان محمد وكانت آثار العظمة والنعمة ظاهرة عليه بلقب ألغ خان (٣٤١) وأعطاه « جتر » وجعله واليا للمعهد ، ولقب الأمراء الآخريين الأول ببهرام خان والثانى بظفر خان والثالث بمحمود خان والرابع بنصرت خان ، ولقب بهرام أبية (٣٤٢) وهو أخوه غير الشقيق

(٣٣٨) كوشك سبز

(٣٣٩) أنور اجندى د ١ ، ص ٩٥

(٣٤٠) خواجه مهذب بزرك د ١ ، ص ٩٥

(٣٤١) الف خان د ١ ، ص ٩٥

(٣٤٢) بهرام أبية د ١ ، ص ٩٦

بلقب كشلوخان (٣٤٢) وعينه على اقطاع الملتان وجميع بلاد السند ، ولقب ملك أسد الدين ابن أخيه بلقب باربك ، وجعل بهاء الدين ابن أخته « عارضا للممالك » وأقطع سامانه ، وعهد للملك شادى أخيه وصهره بأمر ديوان الوزارة ، ولقب ابنه بالتبني بتاتارخان ، وأنعم عليه بأقطاع ظفر آباد ، وأعطى ملك برهان الدين والد قلتغخان وزارة ديوكير (٣٤٤) ولقب القاضى صدر الدين لقب « صدر جهانى » وأحال قضاء مدينة دهلى لقاضى سماء الدين (٣٤٥) وجعل أمر ملك تاج الدين جعفر نائب عرض ممالك الكجرات ، وقسم الأشغال الأخرى أيضا على الأشخاص كل حسب حاله ، ولم يكن يكف عن تقديم المستحقات لأهلها ، ولم يكن يهمل الأشخاص أهل الاستعداد .

وفى تحديد خراج المملكة فقد رعى التوسط ، ولم يصغ الى الوشاة ، وإذا كان قد أخذ من شخص أكثر مما هو مقرر من مقاطعته ، حقق فيه ، واسترده ، وإذا أخذ شخص مبلغا باسم الحشم ولم يصل هذا القدر الى الحشم ، عاتبه ، وحكم بإعادته ثانية ، واسترد الذهب الذى كان قد بذله خسروخان على الناس فى حالة اضطرابه ، وأدخله الخزانة ، وكل من كان يهمل فى أداء هذا الذهب ، كان يقع عليه الشدة والتعذيب ، وكان يستدعى أكثر الأوقات الخواص والعوام ، وينعم على كل شخص حسب استعداداته واستحقاقه ، وكان ينعم على جميع الصدور والعلماء والمشايخ والأمراء حسب حالتهم كلما وصلتته رسالة فتح أو حدث حادث سعيد لأحد الأمراء أو يولد ببيته ولد ، وكان يطلع على أخبار الزاهدين ويتفقد أحوالهم ، وكلما سمع عن شخص من أهل مملكة اضطراب أحواله ، يتدارك أمره .

« عندما صارت السعادة قرينة للملك ، ضحك الجلائر وفتح الورد »
« فتح الكنز على آخره ، وصار الجيش غنيا من الكنز والجواهر »
وكان يستدعى أولاد واتباع وأعوان وأركان دولته كل شهر ، وينظر فى أحوالهم ، وإذا وجدهم فى حاجة أو ضرر ، سعى لتلقى هذا ، وكان يتبع أسلوب السلطان علاء الدين فى حلبة الفرسان ، ومعرفة الجياد وقيمتها ، ورعاية أحوال الحشم ، وأقر ما كان قد وصل الى الحشم من خسروخان سنويا وكتب ما تبقى فى دفتر الزيادات بأسهم ،

(٣٤٢) لشكرخان « ١ » ص ٩٦ .

(٣٤٤) ديوكير « ١ » ص ٩٦ .

(٣٤٥) معمار الدين « ١ » ص ٩٦ .

وأنعم عليهم في السنوات المستقبلية بالتدريج ، وأعاد الحق للمستحق من الوظائف والدخول والأوقاف ، التي كان قد أعطاهما السلطان قطب الدين وهو في حالة سكر بدون وجه حق وأستردها ، وظهرت المساواة بين الناس من بركة عدل وانصاف السلطان تغلقشاه وسقط اسم التمرد والبغى ، ولما كانت أبواب دخول المغول قد سدت ، فإنه لم يصل بخاطرهم قط أمل المجيء الى الهندوستان في مدة سلطنته ، وكان يرغب في إقامة المبانى ، وأمر ببناء قلعة تغلق آباد ومبان أخرى ، وكان حسن الذات طيب الاعتقاد ، جتقيد الأمر والنهي ، وكان يقضى أكثر أوقاته في العبادات ، ويقوم الليل ويؤدى النفل ، ولا يقترّب من المسكرات ، وكان يتشدد في منع الشراب ولم ينحرف عن السلوك الذى كان يسلكه في أثناء ملكه (٣٤٦) مع أهل البيت والغلمان ومماليكه القدامى وأتباعه .

وفى سنة ٧٢١ هـ عين السلطان محمد الملقب بالغ خان (٣٤٧) مع بعض أعوانه القدامى وسائر الأمراء الكبار على أرنكل ، وتوجه الغ خان بجيش جرار ويكامل العظمة والقوة الى أرنكل ، وعندما وصل الى ديوكير ، رافقه الأمراء الذين كانوا في ديوكير ، ودخل ولاية تلك في رحيل متواتر ، ونهب هذه الولاية ، وتحصن رأى رودريو (٣٤٨) والرايان الآخرون في قلعة أرنكل ، وحاصر الغ خان قلعة أرنكل ، وسعى في أعداد النقب والمجانيق ، وكانوا يقتلون الناس يوميا من الطرفين ، وأخيرا عندما تغلب جنود الغ خان واقتربوا أكثر وفتحت القلعة ، أرسل رأى رودريو الرسل الى السلطان محمد وقيل دفع المال والأفيال والجواهر النفيسة ، وقرر أن يقدم الهدايا أيضا في السنوات القادمة على النظام الذى كان متبعا مع السلطان علاء الدين ، ولم يقبل الغ خان الصلح ، وسعى أكثر في الاستيلاء على القلعة ، واقترب موعد فتح القلعة ، ولما كان من المقرر أن تصل جياد البريد (٣٤٩) من دهلى مرتين في الأسبوع ويحضروا خبر السلامة ، وتصادف أن مر شهر ولم يصل خبر بسبب أنه لم يكن طريق جياد البريد آمنا ، وأطلق عبيد شاعر وشيخزاده دمشقى ، وكانا أس الفساد والفتنة ، ولهما تقريب عند الغ خان ، اشاعة كاذبة من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه قد توفى في دهلى ، واستولى آخر على عرش السلطنة ، واضطرب حال الجيش

• (٣٤٦) أثناء عمله بلقب « ملك » .

• (٣٤٧) الف خان « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٤٨) رأى لدرديو « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٤٩) دا كجوكى .

من هذا الخبر ، فى ذلك الحين اختلى عبيد شاعر وشيخزاده دمشقى بملك تمر (٣٥٠) وملك تكين (٣٥١) وملك مل أفغان وملك كسافور مهردار (٣٥٢) وقال لهم : لما كان ألغ خان يعلم أنكم من أكابر ملوك السلطان علاء الدين وشركائه فى ملكه ، فقد قرر أن يقبض على أربعتكم ويقتلكم ، واضطربوا من سماع هذا الخبر ، وحدث فزع عظيم فى الجيش ، وأخذ كل شخص رأسه ونجا ، واضطرب ألغ خان نفسه وفر مع عدد محدود من خاصته من طريق ديوكير ، وخرج أهل القلعة ، وسلبوا مؤخرة الجيش وقتلوا كثيرا من جنود ألغ خان .

أثناء هذا الحال ، وصل جواد البريد وباصطلاح هؤلاء القوم « آلاخ » (٣٥٣) من دهلى ، وأحضر الفرمان من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه يصحح وسلامة وتمكن من عرش دهلى ، ووصل ألغ خان سالما الى ديوكير ، وجمع جيشه المتفرق ، وتفرق هؤلاء الأربعة أمراء الذين كانوا قد خرجوا من الجيش عن بعضهم ، فقتل حشمتهم وخدمهم ، وسقطت امتعتهم وأسلحتهم فى يد « زمينداران » ، ودخل ملك تمر مع عدة أشخاص بين زمينداران ، واختفى ، وقتل الهنود ملك تكين حاكم أوده ، وأرسلوا جلده الى ألغ خان ، وقبضوا على ملك مل أفغان وعبيد شاعر وأهل الفتنة الآخرين أحياء ، وأرسلوهم اليه فى ديوكير ، وأرسلهم ألغ خان الى والده فى دهلى ، وكانوا قد قبضوا فى دهلى على أولادهم وأتباعهم أيضا ، وعقد اجتماعا عاما فى ميدان سرى ، وقضى على عبيد شاعر وأرباب الفتنة ، وألقى بأولادهم وأتباعهم تحت أقدام الأفيال ، ونال ألغ خان أيضا الانعامات الطيبة من والده .

بعد أربعة أشهر أرسل السلطان غياث الدين ألغ خان بجيوش جرازة كاملة الاستعداد الى أرنكل ، وفى هذه المرة دخل ألغ خان ولاية تلنك ، واستولى على قلعة بسدر ، وقبض على حاكمها وتوجه من هناك الى أرنكل وحاصرها ، وفى مدة قصيرة فتح القلعة الداخلية والخارجية ، وقبض على رايان هذه الولاية وأولادهم وأتباعهم ، واستولى على أفيالهم وامتعتهم وخزائنهم ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقرأوا هذه الرسالة على منبر دهلى وسرى وتغلقآباد وعقد الأفراح والحفلات وأرسل راي رودديو أفياله وخزائنه مع ملك بيدار الملقب بقدر خان

• (٣٥٠) ملك تمر « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٥١) ملك تكين « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٥٢) كاهور مهروار « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٥٣) « آلاف » ١ ص ٩٧ وتعنى جواد البريد .

وخواجه حاجى نائب عرض ممالك الى السلطان تغلقشاه ، وسمى ارنكل « سلطانپور » وضبط جميع ولاية تلنك ونصب العمال والولاة ، وأخذ خراج سنة ، وتوجه من هناك الى جاجنكر للزئمة ، واستولى على أربعين فيلا وأرسل الأفيال الى السلطان .

بعد ان فتحت ارنكل ونواحيها ، وتحقق للسلطان غياث الدين النجاح فى كل ناحية ، عرض بعض رجال الدولة ظلم وتعدي ، وفساد حكام البنغال ، وحرصوا السلطان على التوجه الى لكهنوتى ، وصمم السلطان التوجه الى هناك ، واستدعى الغ خان من ارنكل ، وتركه نيابة عنه فى دهلى ، وتوجه بالمسافر الظافرة القاهرة الى لكهنوتى ، ولما كان صيت شجاعة وبطولة السلطان تغلقشاه قد غطت النواحي والأطراف ، فمجرد أن نزل فى نواحي ترهت ، استقبله السلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى ، والرايان الآخرون وزمندان حكام هذه البلاد ، وأسرعوا لملازمته ، وسير امامه تاتارخان وكان ابنه بالتبني وحاكما لحكومة ظفر آباد ، بجيش جرار ، وذهب واستولى على جميع هذه البلاد ، واحضر السلطان بهاد رشاه والى سناركام الذى كان مستقلا والقييد فى رقبته ، وأرسل جميع أفيال هذه الديار التى كانت قد وقعت فى يده الى « فيل خانه سلطانى » وسقطت غنائم كثيرة فى يد جيش السلطان فى هذه الرحلة ، وسلم السلطان تغلقشاه « جترودرباش » للسلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى الذى كان قد بايع واطاع ، ودخلت سناركام ضمن البلاد ، وقرأوا رسالة فتح لكهنوتى فى دهلى ، وعقدوا الأفراح والحفلات ، وعاد السلطان ظافرا منتصرا الى دهلى وانفصل بنفسه عن الجيش وأسرع فى طريق العودة فكان يقطع المنزليين فى زمن واحد .

عندما علم الغ خان أن والده سيأتى سريعا ، أمر أن يبنوا قرب أفعانپور قصرا على مسافة ثلاثة فراسخ من تغلقآباد فى ثلاثة أيام . حتى اذا جاء السلطان ينزل فيه ويقضى الليل ويستقبل أهل المدينة الذين يدركون ملازمته هناك ، وعندما يحل الصباح ، يدخل المدينة فى ساعة سعد بركوبة وأبهة سلطانية ، وعندما وصل السلطان الى هذا القصر ، عقدوا الأفراح فى تغلقآباد ، وخرج الغ خان مع الملوك والأمراء وأكابر المدينة لاستقباله ، وتشرفوا بملازمته وجلس السلطان تغلقشاه مع الجماعة التى استقبلته فى هذا القصر ومدوا المائدة الخاصة وعندما رفعوا الطعام ، وأدرك الناس أن السلطان سيركب بسرعة ، خرجوا دون أن يغسلوا أيديهم وظل السلطان يغسل يديه ، وفى هذه الأثناء سقط سقف القصر ، والتحق السلطان تحتة برحمة الله ، وكانت مدة سلطنته أربع سنين وعدة أشهر .

مذكور في بعض التواريخ انه لما كان القصر حديث البناء وجديداً ، والأفيال التي كان قد أحضرها السلطان تغلقشاه من البنغال تجرى حول القصر ، لذا هبطت أرض القصر ، وسقط السقف ولم يكن خافيا على ضمائر أرباب البصيرة أنه لم يكن ضروريا أبداً بناء هذا القصر ، وان المغ خان كان يقصد ما حدث لأبيه ، والظاهر هو أن صاحب تاريخ فيروزشاهي ، عندما صنف في عصره السلطان فيروز قد أهمل ذكر ذلك لأن السلطان محمد كان مقرطاً في حب السلطان فيروز ، وقد سمعت أنا (٣٥٤) هذا المعنى نكراراً من الثقة ، والمشهور هو أنه لما كان السلطان تغلق يستاء من خدمة الشيخ نظام الدين أولياء فقد أرسل الى الشيخ رسالة أنه عندما أدخل دهلي يخرج الشيخ منها ، قال الشيخ « لم تزل دهلي بعيدة » ، شاع هذا اللفظ بين أهل الهند ومثلاً ، والمشهور هو أن السلطان محمد تغلق كان مريداً للشيخ ، ومعتقداً فيه ، والعلم عند الله ، وفي نفس هذه السنة أيضاً انتقل الشيخ نظام الدين قدس سره وأمير خسرو من ضيق الجسد الى العالم الروحاني .

نذكر السلطان محمد تغلقشاه :

كان خلف صدق وولى عهد السلطان غياث الدين تغلق ، استقر على عرش السلطنة بعد وفاة الأب ، وتوقف هناك أربعين يوماً من أجل اصلاح أمر المملكة وترتيب أمور الحكم واختيار الساعة (٣٥٥) بعد ذلك جلس في « دولت خانة » القديم بالرسم المعهود على عرش سلاطين السلف ، وتلقب بالسلطان محمد شاه ، ودقوا طبول الفرح في المدينة ، وعقدوا الأفراح ، وزينوا الأسواق والحارات ، وعند دخول المدينة ، كان هذا القدر من الفضة والذهب والتذكرة التي نثرت على جتر لم تحدث في أى عصر قط وكان السلطان محمد من عجائب الخلق وجامعاً للاشياء ، أراد فترة أن يكون مثل الاسكندر ويسخر الأقاليم السبعة ، وأحياناً عقد العزم على الا يخرج الجن والانس عن دائرة اطاعته ، وأحياناً كان يتمنى أن يجمع السلطنة بالنبوة ، وينفذ بنفسه الأحكام الشرعية والملكية ، وكان يلتزم التزاماً تاماً بأداء الصلاة والصوم ، وقيام النوافل والمستحبات والأشتغال بالأوراد ، وكان يسعى سعياً جاداً في اجتناب المناهى والمسكرات وسائر ما يسمى معصية ، وبلغ في القهر والقتل واراقة الدماء البريئة ، وتشديد وتعذيب عبيد الله درجة أن خلت الدنيا من خلق الله ، وبلغ سخاؤه درجة الى أن خلت الخزائن في طرفة العين ،

• (٣٥٤) نظام الدين أحمد مؤلف طبقات الكبرى

• (٣٥٥) ساعة الحظ المناسبة

ركان الغنى والفقير والغريب والمعروف فى نظره سيان وعندما اعطى السلطان بهادر سناركامى ملكه سمح له بالسفر ، وانعم بما كان فى خزائنه من نقد عليه ، وكان يهب ملك غزنين عشرة ملايين تنكه سنويا ، ويهب قاضى غزنين نفس القدر أيضا كى لا يضيق على أحد ، وملسك سنجرىد يدخشانى ثمانية ملايين تنكه ، وملك عماد الدين سبعة ملايين تنكه ، وسيد عضد أربعة ملايين تنكه ، وعلى هذا القياس لم تقل انعاماته عن لكة (٣٥٦) وواضح أن المراد من هذه التنكه ، تنكه فضة لأن « باره » (٣٥٧) نحاس وتعادل ثمانى تنكات ، وكل من ذهب الى بلاطه من الأفاضل وأهل الأدب يجد أنواع الرعاية والانععام ، وكل من لاذ ببلاطه من خراسان والعراق وما وراء النهر وسائر اطراف العالم نال هذا القدر من الاحسان لكى يامن نل الحاجة حتى آخر العمر ، ولم يوجد مثله فى اختراع ضوابط الحكم واصابة الرأى ، وكان يحكم على الثور بالبديهية ومعرفة محاسنه وذنائله لما كان يتمتع به من فراسة صادقة ، وحدة قوية ، وكان يعلم ما فى ضمير الشخص قبل أن يتكلم ، وكان له لطافة فى البيان وانشاء العبارات واختراع المضامين وضرب المثل ، ولديه موهبة مناسبة فى النظم والنثر ، وماهرا فى علم التاريخ ، وكان مغرما بعلوم الحكمة والمعقولات ، وكان فى صحبته سعد منطقى وعبيد شاعر ومولانا علم الدين وكانوا من علماء الفلسفة ، ولا يهتمون بظاهر الشريعة ، ومن كثرة مصاحبتهم وممارستهم للعقليات استقر فى خاطره أن الحق منحصر فى العقلانية ، وكان يقبل من النقليات ما بوافق العقليات ، ولم يكن يقبل النقليات الصرفة ، ومع هذا الحال كان مطيعا ومعتقدا فى الخليفة العباسى ، ويدرك أنه حرام الحكم دون موافقته وأنه ، وكان يبالسخ فى تعظيم وتوفير رسلهم ، ويذهب فى استقبال سفارتهم مترجلا .

وسعى فى تسخير البلاد وضبط الممالك الى أن استولى على الكجرات ومالوه وديوكير وتلنك ، وكنبله ودهورسمند ومعير وترهت ولكهنوتى وستكام (٣٥٨) سناركام (٣٥٩) فى أقل مدة ، وكان خراج ومجمل الدخل لهذه الولايات مثل قصبات بين الدواب ، تصل الى دهلى ، ووصل استقامة الولاة والعمال الى درجة أنه لم يكن لأحد قط من المقدمين أو المتمردين فى هذه النواحي مقدرة ، أن يخفى أحدهم درهما واحدا

• (٣٥٦) لك ، لكة : عشرة آلاف

• (٣٥٧) باره « ١ » من ١٠٠

• (٣٥٨) وستكام « ١ » من ١٠٠

• (٣٥٩) سناركام « ١ » من ١٠٠

من مال الديوان أو يتمرد ، وعقد جميع رايات وزميندران الممالك العقد على خدمته ، وكانوا يأتون إلى البلاط دائما ، وهذا القدر من الأموال التي تأتي من أطراف الممالك لم يكن يظهر منها شيء في الخزانة بسبب الإفراط في البذل وكثرة هبات السلطان محمد :

« أعطى ملك الدنيا من هذا الكنز ، كثيرا من الجواهر والفضة والذهب لكل شخص »

« أعطى لماليكه وحشمه أيضا والدرويش »

« إلى درجة أنه لم يبق في هذا الكنز جواهر ، ووجد الأجر بالعطاء والانعام » .

ومن كثرة ما لديه من سليقة مخترعة ، كان يريد أن يحدث أحكاما جديدة يخترعها ، ونسخ الأحكام السابقة للحكام التي كانوا قد وضعوها بإراء صائبة ، وكان يخترع يوما حكما خاصا وقاعدة جديدة ، وكان يصدر الفرمانات باسم العمال وولاية الممالك ، لينفذوا أحكامه ، ولما كانت أحكامه تخالف ما أقره سلاطين السلف وطرق العقل فإن ذلك كان موجبا للنفور العام ، وكان عماله يعجزون عن تنفيذها ، وكلما وجدوا نفورا عاما ، أهملوا تنفيذها فكانوا يعاقبون بعقوبات مختلفة ، وإذا نفذوها فإن عامة الناس سيقتلون ، ووجد الفساد العام طريقه في أمر الملكة ، ووضع في الجملة عدة قواعد ستذكر بالتفصيل ، حتى عجز الناس ، فقتل جماعة لعدم استطاعتهم ، وتمردت جماعة كانت لديها القوة ، ولوت عنان الخلاف ، ولما كان السلطان محمد سيء الطبع حاد المزاج وكان في طبعه قتل الناس ، فلم يكن يتأني أو يتوقف عن قتل الخلائق ، وبسبب عدم تنفيذ أحكامه فإن خلقا كثيرين قد قتلوا بسيفه ، وخلت البلاد من خلق الله حتى وصل الأمر إلى درجة خرجت أكثر الممالك من تحت سيطرته ، بل شاع العصيان والتمرد أيضا في دهلي العاصمة ، وانقطع مجيء الخراج من الأطراف ، وخلت الخزائن ، وكان رفاقه أمثال زين الدين ومخلص الملك ويوسف بغرا (٣٦٠) وإيوراجا وابن قاضي الكجرات يسعون دائما في قتل واعدام خلق الله .

من جملة القواعد الهزيلة والأفكار الخاطئة ، احداها أنه كان قد قرر أن يدفع خراج جميع ولاية ما بين « دوآب » مرة واحدة ، وأبدى تشددا في هذا الأمر ، وكان هذا باعثا لاستئصال البرايا وتمرد الرعايا ، وتعطل امر الزراعة ، ووقع امساک للأقطار أيضا ، وحدث قحط

(٣٦٠) يوسف بقراط « أ » ص ١٠١ .

عظيم في دهلي ، لدرجة ان خربت اكثر المنازل ، واختل المجتمع ، وحدث
 تزلزل كامل في امر الملك ، ومن افكاره الأخرى انه اعتقد أن ديوكير وكانت
 وسط الممالك ، أسماها دولت آباد واتخذها دارا للملك ومن أجل هذا
 هجر دهلي التي كانت تماثل بغداد ، وأمر سكانها الذين كانوا قد اعتادوا
 ماءها وهواءها بأن ينتقلوا بأهليهم وزوجاتهم ويذهبوا الى ديوكير ،
 وأعطى كل واحد نفقة الطريق وثمان المنزل من الخزانة ، وصرف مبالغ
 كثيرة في هذا الأمر ، وأكثر الأهالي الذين سافروا لم يتمكنوا من الوصول
 الى ديوكير ، والجماعة التي استطاعت أن تصل لم تستطع أن تبقى
 وحدث تغيير وتبديل بأحوال الناس ، وحدثت زعزعة كبيرة في أمر
 الملك ، وكان آخرون يريدون أن يستولى على الربيع المسكون (٣٦١)
 ولكن حشمه وجيشه لم يف بهذه الرغبة ، ومن أجل تنفيذ هذه الرغبة
 ظهرت عملة نحاسية ، وأمر أن يكون للنحاس مثل الذهب والفضة في
 الوزن بدار الضرب وازدهرت العملة النحاسية على نظام التنكة الذهبية
 والفضية واستعملوها في البيع والشراء وأحضر الهنود من الممالك مبالغ
 نحاسية الى دار الضرب ، وسكوها ، وقد بلغت « لكها وكروها » (٣٦٢)
 واشتروا الامتعة والأسلحة ، وكانوا يرسلونها الى الاطراف وكانوا يبيعونها
 بالتنكة الفضية والذهبية وسك كل شخص الذهب الغالي في منازلهم ،
 وكان يبيعها في السوق ، وبعد فترة انتشر هذا الأمر في الأماكن البعيدة ،
 وكان الأهالي هناك يشترون التنكة النحاسية بدلا من النحاس العادي
 وأحضرها الى المكان الذي ينفذ فيه هذا الحكم ، واشتروا التنكة الذهبية
 والفضية ، وبالتدريج كثرت التنكة النحاسية وصارت لها قيمة وصارت
 التنكة الذهبية والفضية أعلى سعرا من السابق وزادت عن نظام البيع
 والشراء .

« هذا الذهب الذي صار عياره مثل النحاس ، بسعر النحاس صار في
 كل البلاد »

عندما رأى السلطان محمد أن هذا الحكم لا ينفذ ، ولا يستطيع أن
 يقتل كل الخلق ، فأمر أن يدع كل شخص لديه تنكة نحاسية ، الخزانة ،
 ويأخذون بدلا منها « مهر » (٣٦٣) القديم وأي تنكة ذهب وفضة ، على
 أمل أنه ربما تتحسن التنكة النحاسية ، وتروج في المعاملات ، وكان قد
 جمع التنكة النحاسية من منازل الناس وأفقدتها قيمتها ، وأودعها

-
- (٣٦١) الربيع المسكون : اليايسة
 - (٣٦٢) كروور عشرة ملايين
 - (٣٦٣) نوع من العملة الذهبية

الخزائنة ، وعوضهم بالتكنة الذهبية والفضية ، وكثرت العملة النحاسية ،
وخلت الخزائن تماما ، ولهذا السبب حدث فتور عام فى أمر المملكة .

وكان من أفكاره الباطلة أنه فكر أن يسخر خراسان والعراق ، وبناء
على هذا أخذ فى انفاق الخزائن على الرجال الذين قدموا اليه من هذه
الديار لتأليف قلوبهم ، وجمع جيشا كبيرا ، وحدد لهم مقدار ثلاثمائة
وسبعين ألف فارس من الخزائنة ، وفى السنة الأولى وصلهم الانعام ،
وفى السنة الثانية لم تحن الفرصة ، لكى يأمر هذا الجيش بتجديد
تسخير الولاية ، ولما لم تقع بيده غنائم حتى يقدم لهذا الجيش الزاد
ويرضيهم ، فقد كان قد أنفق فى خزائنة دهلى كلها فى السنة الأولى ،
وتفرق جميع الجنود ولم يستقم أمرهم ، وكان هذا تفرقة أخرى جرت فى
خزائن ملكه ، ومن أفكاره الفاسدة الأخرى ، هى أنه أراد أن يستولى
على جبل هماجل (٣٦٤) الذى يقع حائلا بين ممالك الهند وبلاد الصين ،
وأرسل لهذا الغرض الأمراء المشاهير ، والقواد المحنكين على جيوش
جراره ، لكى يدخلوا هذا الجبل ويسعون فى الاستيلاء عليه ، وعندما
دخل الجيش كله الجبل حصن الهنادكة ممرات الجبل ، وسدوا طريق عودة
الجيش ، وقتلوا أكثرهم ، والعدد القليل الذى عاد سالما قتله السلطان
محمد .

ولما كان السلطان محمد يصدر منه أحكاما شاقة وتكليفات صعبة
كل يوم ، وكان الناس يعجزون عن تحملها ، لذا ابتعد أمر الملك عن
الانتظام والالتئام ، وتولدت الفتن فى كل ناحية ، والفتنة الأولى كانت
بغى بهرام أبيه فى الملتان ، وعندما سمع السلطان محمد بخبر تمرده
وهو فى ديوكير ، أسرع بقدر ما يستطيع الى دهلى ، ومن هناك أعد
الجيش وتوجه الى الملتان ، وقابله بهرام ، وقتله (٣٦٥) فى القتال :

« اذا خرجت على ولى النعمة ، فربما ينقلب الفلك »

وأحضروا رأسه عند السلطان ، وخمدت الفتنة ، وأراد السلطان
محمد أن يقتل أهالى الملتان الذين كانوا قد وافقوا بهرام أبيه ، فتشفع
شيخ الاسلام الشيخ ركن الدين قدس سره العزيز للمسندين ، وقبل
السلطان ، وعاد الى دهلى منتصرا وظافرا ، ولما كان أهالى الأطراف
الذين أجبروا على سكن ديوكير قد تفرقوا ، وصارت ديوكير خربة ،
فقد توقف السلطان فى دهلى ، ولم يذهب الى ديوكير ، وفى هذه

• (٣٧٤) هيمالايا

• (٣٦٥) قتل السلطان محمد بهرام أبيه

الأيام خربت ولاية ما بين النهرين (٣٦٦) من شدة المطالب وارتفاع الخراج ، ولهذا أحرق أكثر الرعايا محاصيلهم وفروا بمواشيهم ، وتشتموا ، وأصدر السلطان فرمانا أن يقتلوا كل من يجده ، وينتهبوا هذه الولاية ، وكان العمال والولاة هناك يقتلون الخلق بموجب الفرمان ، وينتهبهم ، ودخل كل من بقى حيا فى الغابة واختفى :

« ضاقت البلاد كلها من الظلم ومن اليوم »

فى نفس هذه الأيام توجه السلطان الى « برن » للصيد ، ونهب ولاية برن كلها ، وأطاح بالسيف من كان فيها ، وأمر أن يعلقوا الرؤوس على مسننات قلعة برن .

وغتنة أخرى وهى أن فخرا المسمى باسم ملك فخر الدين قد تمرد بعد وفاة بهرام خان فى البنغال ، وقتل قدرخان ، وانتهب خزائن لكهنوتى ، واستولى على لكهنوتى وسناركام وستكام (٣٦٧) وكان السلطان اثناء ذلك مشغولا بنهب ما حول قنوج ، ونهب من قنوج حتى ولاية همومه (٣٦٨) وقتل الناس أفواجا ، ولم يكف عن النهب والسلب حتى علم أن حسن والد ابراهيم خريطة دار قد بغى فى معبر (٣٦٩) وقتل الأمراء ، واستولى على هذه الولاية ، وجاء السلطان الى المدينة (٣٧٠) وقبض على ابراهيم خريطة دار وأقرباء سيد حسن ، وسجنهم ، وأعد الجيش ، وتوجه الى معبر وعندما وصل الى ديوكير ، فرض مطالب ظالمة على عمال وأمراء وحكام هناك ، حتى ضاق أكثرهم من شدة المطالبات ، وفرض خراج عمال أيضا فى ولاية مرهت ، وعين المحصلين القساة الظلمة ، وبعد ذلك أرسل أحمد اياز الى دهلى ، وتوجه الى تلك ، وعندما وصل الى ارنكل ، كان هناك وباء أصاب أكثر الناس بالمرض ، وتوفى كثير من الأمراء المشاهير ، ومرض السلطان محمد أيضا فترك ملك قبول نائب وزير الملك هناك ، وقوضه على ولاية تلك ، وعاد الى جانب ديوكير ، وعندما وصلها ، ظل عدة أيام للعلاج ، ولقب شهاب سلطانى بنصرت خان ، وسلمه ولاية بدر ، وأقطع اقطاعات هذه النواحي وعشرة ملايين تنكة ، وقوض قتل خان على ولاية مرهت وعاد الى دهلى وهو لم يزل مريضا .

(٣٦٦) ما بين النهرين السند والكنك .

(٣٦٧) سناركام وستكام « ك » ص ٢٠٥ .

(٣٦٨) ولاية هيمو « ١ » ص ١٠٣ .

(٣٦٩) تفر « ١ » ص ١٠٣ .

(٣٧٠) دهلى .

وكان قد أصدر فرمانا من قبل أنه من أراد أن يعود الى دهلى من أهلها من ديوكير فليعد ، وإذا ارتاح فى ديوكير يبقى هناك ، وعاد أكثر الناس من ديوكير بمرافقة السلطان الى دهلى ، وفضل البعض ولاية مرهت ، وأقام السلطان هناك عدة أيام وتوجه من هناك ورأى فى الطريق المتجه الى دهلى فى ولاية مالوه خربة بسبب القحط ، وكان يابكان الذين كانوا فى طريق البريد مستعدين جميعا وهناك آثار معمارية فى هذه النواحي . وعندما وصل الى دهلى رأى دهلى خربة ، ووصل القحط الى درجة أن « سيرى » (٣٧١) من الغلة لم يجده بسبع عشرة درهما ، وملك أكثر الناس ، ونفقت المواشى أيضا لعدم وجود علف :

« عندما حل القحط سنة ما فى دمشق ، كان بسبب أن المحبين نسوا العشق »

« وهكذا بخلت السماء على الأرض ، لأنهم لم يزرعوا الزرع والنخيل .»

ويعد أن رأى السلطان الخراب اهتم بتعمير البلاد وتكثير الزراعة ، وأعطى للناس مالا من الخزانة واهتم بأسر الزراعة ، ولما كان الناس مضطرين من كثرة الخراب فكانوا ينفقون جزءا منها على هيئة تقاوى وماكولات وجزءا آخر كانوا يصرفونه على الزراعة ، ولكن بسبب امسك الأمطار التى حدثت فى هذه الأيام ، لم تقدر ، وقتل أكثر الناس عقابا لهم .

فى اثناء ذلك رفع شاهو افغان لواء المخالفة ، وقتل بهزاد (٣٧٢) نائب الملتان ، وفر ملك بهوره من الملتان ، وجاء الى دهلى ، وتوجه السلطان محمد من دهلى الى الملتان بجيش مسلح ، ولم يكدم يتقدم منزل حتى التحقت والدته ملكة جهان التى كانت نظام وجامعة شمل أسرة السلطان تغلقشاه برحمة الله ، وحزن السلطان ، وأمر أن يقدموا الطعام والصدقات فى المدينة على روحها ، وأسرع الى الملتان ، وعندما اقترب منها أرسل شاهو رسالة اليه مظهرا الندم ، وعاد وترك الملتان وتوجه الى افغانستان ، وعاد السلطان الى دهلى ، ووصل القحط فى دهلى الى درجة أن أكل الانسان لحم بنى آدم ، وبذل السلطان من جديد جهدا فى مجال الزراعة ، وأعطى الناس الذهب من الخزانة ، وأمر أن يحفروا الآبار ويهتموا بالزراعة ، وكان ينسب الاممال والتقصير للناس ويقتلهم ، فى هذا الحين كانت طائفة منداهران (٣٧٣) وجوهانان

(٣٧١) مكيال .

(٣٧٢) بهنواد ١٠٣ ص .

(٣٧٣) منداران ١٠٤ ص .

– وبهتيان (٣٧٤) وميانه الذين كانوا فى ولاية سنام وسامانة
يشرعون فى التمرد ، وأقاموا فى الغابات العظيمة منازلهم ، وملأوا
الخزانات بالمياه ، وأقاموا قلعة حصينة واجتمعوا ، وسلكوا طريق التمرد
والعصيان ، ونهبوا الأموال ، وقطعوا الطريق ، وقاد السلطان الجيش
لدفعهم ، وهدم قلعتهم المسماة باصطلاحهم « مندل » وألحق بهم الضرر ،
وأحضر قوادهم معه وأعطاهم مكانا فى المدينة ، ودخل أكثرهم فى سلك
الامراء ، وقضى على شرهم فى تلك الديار .

فى نفس هذه الفترة ، طغى كنيايايك (٢٧٥) الذى كان فى ذواحى
ارنكل بالاتفاق مع زمينداران هذه البلاد ، وفر ملك مقبول نائب وجاء
الى دهلى ، وسقطت ارنكل فى يد الهنادكة ، وخرجت من تحت سيطرة
السلطان ، وفى هذا المكان كان السلطان محمد قد أرسل شخصا من
أقارب راجه كنبه اليها ، وقد أعلن اليبغى وأرتد عن الاسلام ، وخرجت
أيضا من يد السلطان ولم يبق له سيطرة على الممالك البعيدة ، والكجرات
ديوكير ، وحدثت فى كل ناحية الفتن والفساد ، واضطرب السلطان من
هذا الأمر أكثر وأمر بتقتيل الخلق ، وزاد نفور الناس عند استماع خبر
القتل ، وكان سببا فى زيادة الفتنة والحوادث ، وسعى فى تكثير الزراعة
وتعمير المملكة ولكن لم يأت بفائدة بسبب امسك الأمطار ، وأخيرا
اضطر الى أن يصدر أمرا أن يفتحوا أبواب المدينة وأن يدعوا الناس
الذين ظلوا فى المدينة مكرهين بأن يذهبوا أينما شاموا ، وتوجه أكثر
الناس فى هذه الأيام بأولادهم وأتباعهم الى البنغال ، وخرج السلطان
من المدينة ، ومر من بتيالى وكتبه واختار الإقامة على شاطئ نهر
الجانج ، وأمر أن يتجمع الناس هناك ويسكنوا ، وأسموا هذا المكان
« سركدوارى » ووصلت الغلة هناك من كرد وأوده ، وظهر الهدوء على
المدينة ، وكان عين المالك حاكم أقطاع أوده وظفر آباد مع أخوته يرسلون
دائما الغلة والأقمشة وسائر ما يحتاج اليه فى سركدوارى ، وأرسل
خلال هذه المدة التى أقام فيها السلطان محمد فى سركدوارى من النقد
والغلة ما يساوى ثمانية ملايين تنكة ، مما جعل السلطان يعتقد فيه ويثق
ثقة كاملة فى حسن كفاءته .

وفى هذه الفترة التى كان السلطان فى سركدوارى حدثت أربع فتن ،
وخمدت بسرعة ، وأول فتنة ظهرت هى فتنة نظام ما بين (٣٧٦) فى

(٣٧٤) بهمان « ١ » ص ١٠٤ .

(٢٧٥) كنيا يايك « ١ » ص ١٠٤ .

(٣٧٦) نظام الدين باين « ١ » ص ١٠٤ .

كرد ، ونظام ما بين هذا كان رجلا ثرثارا عديم الفائدة ليس لديه استعداد ، وبسبب عدم استطاعته أن يحافظ على المقاطعة ، تمرد ، وأخذ « جتر » ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، فاهتم السلطان محمد بدفعه ، وأرسل عين الملك وأخوته لمهاجمته وأسره ، وسلخ جلده وأرسل رأسه الى السلطان ، وسلم أقطاعه لشيوخ زاده بسطامى الذى كان زوجا لأخت السلطان محمد ، وعهد اليه بقتل الجماعة التى كانت فى هذه الفتنة شركاء لنظام ما بين ، فأخذ هذه الفتنة ، والفتنة الأخرى هى فتنة شهاب سلطانى الملقب بنصرت خان ، فلما كان قد أقطعه ولاية بدر كلها بعشرة ملايين تنكة ، ولم يكن يستطيع أن يف بها ، فبغى ، وتحصن فى قلعة بدر ، وعين قتلخان من ديوكير ، وأرسل أمراء آخرين من دهلى أيضا لمساعدته ، وحاصر قتلخان قلعة بدر ، وأنزله من القلعة بالاقناع وأرسله الى السلطان ، وسكنت هذه الفتنة ، ولم يكد يمر شهر على هذه الحادثة حتى قام على شاه ابن أخت ظفرخان وكان أميرا لمائة ، وذهب للتحصيل من ديوكير وعندما رأى هذه النواحي خالية من العمال ، جمع أخوته ، وقتل يهرف حاكم كلبركه غدرا ، وسلب أمواله ، وتوجه الى ولاية بدر ، وقتل نائبها أيضا ، واستولى على هذه الولاية ، وعين السلطان محمد قتلخان لدفعه ، وأمر أيضا بأن يرأسق قتلخان (٣٧٧) بعض أمراء دهلى وجيش دهار ، واستقبل على شاه قتلخان ، وقتله ، وهزمه ، وتحصن فى قلعة بدر ، وأقنعه قتلخان وأخرجه من القلعة مع أخوته ، وأرسلهم الى السلطان محمد فى سركدورابى ، فأرسل السلطان على شاه وأخوته الى غزنيين ، وعندما عادوا من غزنيين قتل أخويه .

بعد ذلك أراد السلطان محمد أن يسلم مهام ديوكير لعين الملك ويستدعى قتلخان منها ، وقيل هذا كان قد نفذ حكم الاعدام فى جماعة من الكتاب (٣٧٨) فى دهلى متهما اياهم بالخيانة وبسبب ارتفاع أسعار الغلال خرج من دهلى وتوجه الى أوده وظفر آباد ، وألقى بنفسه تحت رحمة عين الملك وأخوته ، وقد كان هذا الأمر يقلق السلطان ، ولكن لم ير مصلحة فى اظهاره ، وعندما علم عين الملك بانصراف مزاج السلطان ، خاف ، ومن أجل هذا أمر أن يتوجه الى ديوكير ، وأن يذهب معه الى ديوكير خيوله وأتباعه ، وحمل هذا الأمر على أنه خدعة ومكر من السلطان ، وفكر فى أمره ، واستدعى عين الملك بموجب أمر السلطان الجيش وأخوته من أوده وظفر آباد ، ولم يكد جيشه يسير فى الطريق

• (٣٧٧) قتلخان أو قتلخان

• (٣٧٨) من المحتمل أن تكون « وقائع نويسندكان » كتاب الوقائع

حتى خرج عين الملك ذات ليلة من سركدواری (٣٧٩) والتحق بجيشه ، ورفع لواء المعارضة ، والتف اخوته بأربعة آلاف فارس نواحي سركدواری ، واستولوا على أفيال وجياد السلطان التي كانت ترعى في الصحراء أمام معسكره ، واستدعى السلطان بسبب اضطرابه جيش سامانه وأمروه وبرن وكول ، ووصل أحمد آياز أيضا بجيش دهلى اليه وأعد السلطان الجيش ، وتوجه صوب قنوج ، وأقام المعسكر في نواحيها ، وقاد عين الملك واخوته أيضا الجيش في مواجهة السلطان .

« زمجرة الأفيال الضخمة ، حطمت الأسود الضارية »

« الأب يرفع عن ابنه الحقد ، وصارت الحباية دوما »

وعبروا من معبر بانكر على الجانج ، وحاربوا ، وهزموا ، وأسر عين الملك وقتلوا أخويه ، وصار جزءا من جيشه علقا للسيف ، ومن بقى من السيف غرق في نهر الجانج ، والجماعة التي خرجت من نهر الجانج ، سقطت في مآسى الهنادكة ، وقتلوه هناك ، وعندما احضروا عين الملك عند السلطان فأمر ألا يصيبوه بأى أذى ، فقد كان أهله كذلك ، وطلب من عين الملك التقدم ، ولطفه وخلع عليه الخلع ، وأحال اليه أعمالا كبيرة ، وأنعم على أولاده وسائر رجاله وأهله .

وتوجه السلطان من بانكومثو (٣٨٠) الى بهرائج ، وزار سيهسالار مسعود شهيد الذى كان قريبا للسلطان محمد الغزنوى ، وتصدق على المجاورين لهذه الروضة العظيمة والفقراء الذين كانوا هناك بمبالغ كثيرة ، وأرسل أحمد آياز (٣٨١) الى بهرائج ، ليقطع طريق لكهنوتى ، ولا يدع الفارين من جيش عين الملك أن يذهبوا الى لكهنوتى ، وأرسل الأهالى الآخرين الذين كانوا قد فروا واقاموا فى أوده وظفر آباد بسبب القحط أو خوفا من عقاب السلطان الى أوطانهم ، وعاد السلطان من بهرائج الى دهلى ، وكان أحمد آياز قد انتهى أيضا من المهمة الموكولة اليه ووصل الى خدمته .

ولما كان قد تمكن فى خاطر السلطان انه لا يجوز الحكم بدون إذن الخليفة العباسى ، وأن ارتكاب هذا حرام ، وظل يتتبع مقام الخلفاء العباسيين حتى سمع أن فى مصر خليفة من آل عباس متمكن من عرش

(٣٧٩) وردت سركدواری وسر كدواری .

(٣٨٠) بلنكر مثو أو بانكر مؤ .

(٣٨١) أحمد آياز « ١ » ص ١٠٦ .

الخليفة ، وباتفاق كمال الملك بايع هذا الخليفة غيايبا ، وأخذ يرسل الرسائل الى الخليفة شهرين أو ثلاثة ، ويكتب في كل مجال للكتابه ، وكان يذكر في هذه الرسائل بيعته واطاعته ، وأعلن في المدينة بأن يوقفوا صلاة الجمعة والعيد ، وأن يثبتوا اسم الخليفة على السكة محل اسمه ، حتى سنة ٦٤٤ جاء حاجي سعيد صرصرى من مصر الى دهلي ، وأحضر من الخليفة منشور الحكومة وخلعة للسلطان ، وذهب السلطان مع جميع الأمراء والعلماء والمشايخ لاستقباله ، وعندما اقترب ، ترجل ووضع منشور الخليفة على راسه ، وقبل قدم سعيد صرصرى ، وقدم كل التواضع ، وسار مترجلا خلف رسول الخليفة وأمر أن يقيموا الافراح ، ونشروا الذهب على منشور الخليفة ، وسمح بإداء صلاة الجمعة والأعياد التي كانت موقوفة ، وقرأ الخطبة باسم الخليفة ، وأبعد أسماء السلاطين الذين لم يأذن لهم الخلفاء العباسيون بالسلطنة من الخطبة ، وأمر أن يكتبوا اسم الخليفة مطرزا على الملابس الذهبية وشرفات العمارات ، وبعد مجيء حاجي سعيد صرصرى كتب السلطان رسالة وأرسل رجب برقمى الى الخليفة بصحبة حاجي ومعه جوهر نفيس ليس فى الخزانة مثله وتحف وهدايا أخرى ، وجعل ملك كبير سرجاندار (٢٨٢) وكان غلاما للسلطان وليس له نظير في حسن الأخلاق واصابة الرأي وكثرة العبادات والشجاعة والبطولة ولم يكن أحد مقرب من السلطان أكثر منه ضمن هداياه ، وأدخله ضمن أملاك الخليفة ، وأرسل رسالة متضمنة اقرار ملك كبير بعبوديته للخليفة مع حاجي رجب برقمى ولقبه بملك قبول خليفتى ، وبعد سنتين عام مرة أخرى حاجي ورجب برقمى وشيخ مصرى الى السلطان ، وأحضروا منشور النيابة وخلعه خاصة ولواء أمير المؤمنين ، واستقبلها السلطان وجميع الأمراء والأكابر ، وعندما اقترب ترجل ، ووضع منشور الخليفة على راسه ، ودخل من البوابة الى القصر ، وأمر الأمراء أن يبائعوا منشور الخليفة وكان يضع أمامه دائما المصحف والأجاديث الشريفة ومنشور الخليفة ، ويأخذ البيعة من الناس باسم الخليفة ، وكان كل حكم أو فرمان يصدر من السلطان ينسبه الى الخليفة ، وكان يقول هكذا أمير المؤمنين ، وهكذا حكم ، وسمح لشيخ الشيوخ مصرى بعد فترة بالانصراف ، وأنعم عليه بكل أنواع الانعام ، وأرسل أموالا وجواهر كثيرة مع شيخ الشيوخ الى السلطان عن طريق البحر ، ووصلت مناشير الى السلطان مرتين من الخليفة فى بروج وكنبايت (٢٨٢) وكان يقدم

• (٢٨٢) ملك كبير. نهر جاندار « ١ » ص ١٠٦ .

• (٢٨٢) كوناكيت « ١٠ » ص ١٠٧ .

فى المرتين كل تعظيم وتكريم ، ويبدل الكثير من الهدايا ، وعندما جاء مخدوم زاده بغداد عند السلطان ، استقبله السلطان فى قصبة بالم على مسافة خمسة فراسخ من دهلى ، وأنعم عليه بمائة ألف تنكة ومقاطعة وقصر سيرى وجميع انتاج الأرض فى القلعة ، وأحواض وحدائق اخرى ، وكلما جاء مخدوم زاده الى السلطان ، ينزل من فوق العرش ويتقدم عدة خطوات ، ويجلسه مكانه على العرش ، ويجلس أمامه بالدب تام ، بعد أن نال السلطان محمد منشور الخليفة العباسى اعتقد أنه أهل للسلطنة ، وشرع من جديد فى أمر أولى النعمة ، وعاد واستقر فى سركدورارى ، وسلك طريق التعمير وتكثير الزراعة ، واخترع فى هذا المجال عدة طرق فى مجال زيادة الزراعة كانت تلعب فى رأسه ، ولم يياس ، وأنشأ ديوانا مستقلا فى هذا المجال ، أسموه « ديوان أميركوى » ولكن لم يتقدم مطلقا بهذه الأساليب ، ولم يحقق نتيجة ، سن جملة أحكامه أنه كان يخط دائرة حول ثلاثين فرسخا وقرر أن كل أرض تقع فى هذه المساحة اذا لم تكن مزروعة تزرع ، واذا كانت مزروعة ، تنتقل من الجندس الأدنى الى الأعلى ، وعهد بهذا الأمر لمائة « شقدار » (٣٨٤) كان بعضهم قد جاء مضطرا من الجوع والبعض الآخر لم ينظر فى عاقبة أمره بسبب حرصه وطمعه ، وتكفلوا بزراعتها ، ونالوا مبالغ كثيرة على هيئة تقاوى وانعامات ، وكانوا ينفقونها فى حوائجهم الضرورية ، وانتظروا العقاب ، وصرف فى هذه المدة وهى سنتين عدة مئات الألوف من التنكة من الخزانة كنفقات لهذا الأمر ، وعندما عاد السلطان من مهمة تهته لم يدع أحدا من المهتمين والمتكفلين بهذا الأمر حيا .

وأمر آخر كان قد أقدم عليه السلطان محمد فى سركدورارى ، وهو أنه كان قد عين عمالا وولاة جدد وعزل القدامى ، وعندما عرضوا على السلطان أن ولاية مرهت وديوكير قد خربت بسبب ظلم وتعدي عمال قتلخان ، وأن محصولها وصل أقل من العشر ، فأقر السلطان لولاية مرهت ثمانين مليونا وقسمها أربعة أقسام ، وعين أربعة شقدارهم سرور الملك ومخلص الملك ويوسف بغرا وعزيز خمار (٣٨٥) وجعل وزارة ديوكير فى عهدة عماد الملك سرير سلطانى (٣٨٦) ونيابة الوزارة بعهدة « دهاراو » الذى كان متكفلا بالتقاوى والأساليب

• (٣٨٤) حاكم ناحية

• (٣٨٥) يوسف نغيرا وعزيز خمار « ١ » ص ١٠٧

• (٣٨٦) سرير سلطانى « ١ » ص ١٠٧

الاسطانية ، واستدعى قتلغخان بخيله وأتباعه من ديوكير ، واستاء
الاهالى في ديوكير من خروج قتلغخان ، ولما كان عقاب السلطان قد
لحق بالنواحي فان اهالى ديوكير كانوا فى حماية قتلغخان وكانوا
راضين ومسرورين من حسن سلوكه ، وامر مولانا نظام الدين الذى
كان فى بروج أن يتوجه الى ديوكير ، وعهد اليه بترتيب الأمور واصلاح
المعامات هناك حتى يصل عمال ديوكير اليها ، ولما لم يكن من المخن
احضار الخزانة التى كان قد جمعها قتلغخان هناك الى دهلى خوفا
من الطريق ، امر أن يدعواها فى دهاراكرهى قلعة حصينة وعبارة عن
حصن خلعة دولت آباد ، وبعد أن جاء قتلغخان الى دهار ، أرسل عزيز
خمار وكان من الأرازل الى حكومة مالوه ، وفى وقت الوداع أوصاه
بعدة وصايا وقال اثناء هذه الوصايا : اننى أسمع أن كل فتنة تظهر
فى هذه الولاية يكون سببها أمراء مائة (٢٨٧) فهم يقرون أرباب الفتنة
ويضعون رأس الفساد ، فكل من تعرف أنه شرير ومثير للفتنة اقض
عليه فى وقته ، وعندما وصل عزيز خمار الى ولاية دهار ، اهتم بأداء
أعمالها ، قبض دون روية زيادة عن ثمانين شخصا من قواد « أمير
مائة » وقتلهم ، ولم يفكر فى أن أمراء مائة فى الكجرات والسكن والولايات
الأخرى سيخافون ويثيرون أنواع الفتن ، وفى هذا الوقت كان أمير
مائة يسمونه « يوزباشى » ، المهم عندما كتب عزيز خمار هذه الواقعة
وأرسلها الى السلطان ، سر السلطان ، وأرسل اليه خلعة خاصة ،
وفرمان عناية ، وأمر الأمراء أن يكتب كل واحد لعزيز خمار رسالة
ثناء ، ويرسلون اليه جوادا وخلعة ، واختص السلطان عزيز خمار
هذا وعدة اشخاص من أسافل الزمان بقربه ، ورفع درجاتهم أكثر من
درجات الأمراء ، ولما كان قد فوض حنا مطرب بجه على ولاية الكجرات
والملتان ويداون ، وعهد بديوان الوزارة لابن بستانس من أسافل
الناس ، وميز فيروز الحجام ، ومكا الطباخ ولدى البستانى وشيخ
يابوومانك جولاهه بجه بقربه ، وأحال اليهم أشغال واقطاعات كبيرة ،
وفوض مقبل نام غلام أحمد اياز الذى كان أحقر الغلمان صورة ومعنى
على وزارة الكجرات ، وكان السلطان محمد يعتقد أنه كلما أعطى
الأسافل والأرازل اعتبارا ورفع قدرهم من الأرض ، أدركوا أهميتى
ولا يخرجون عن جادة الاخلاص ، ولكنه لم يكن يعلم أنه لا يمكن مطلقا
أن يبدل من طينة السفلة ، ولن يأخذ منهم حق السلطنة ، وكان غافلا
عن هذا المضمون :

«رفع رؤوس السفلة ، على أمل الحصول منهم على خير »

« رؤوسهم المتمردة تخفي التمرد ، والحية ربيبة في جيوبهم »

وعندما وصل العملي الشنيع لعزیز خمار الى أمراء مائة في الأطراف والجوانب ، تجمع أمراء مائة حيثما كانوا ، وانتظروا الفرصة .

أثناء هذا كان ملك مقبل نائب الكجرات متوجها بالخزانة والجياد السلطانية الطويلة التي كانت قد جمعها من الكجرات من طريق ديوسى وبروده الى دهلى ، ونهب أمراء مائة الكجرات ، الأموال التي كانت مع ملك مقبل ، وسلبوا أموال وأمتعة التجار الذين كانوا معه أيضا ، وتوجه ملك مقبل الي نهرواله وحيدا ، وغضب السلطان عند سماع هذا الخبر ، وأراد التوجه الي الكجرات وكلما عرض قتلخان (٢٨٨) أن يفتن أمراء ديوسى وبروده ليست من هذا النوع الذى يتوجه السلطان من أجل دفعه ، لا فائدة ، وينقل ضياء برنى مؤلف تاريخ فيروز شاهى أن قتلخان قد كتب رسالة بخط يده الى السلطان « أننى استطيع تسكين هذه الفتنة بهذا القدر من الجيش الذى أعده السلطان ، لأن تحرك السلطان بنفسه سيكون سببا فى تولد فتن وحوادث أخرى فى أطراف البلاد :

« اذا أشرفت الشمس بدون الملك ، فان كل مكان تسطع عليه يخرّب »

ولم يقبل السلطان رسالته ، وأمر أن يعدوا الجيش ، وترك ملك فيروز ابن عمه نيابة عنه مع ملك كبير أحمد اياز فى دهلى ، ورحل بنفسه من دهلى ، ونزل بقصبة سلطانپور على مسافة خمسة عشر فرسخا من المدينة ، وجمع الجيش ، وهناك وصلت رسالة عزیز خمار من انه لما كان أمراء مائة ديوسى وبروده قد أثاروا الفتنة وأنا أكثر قربا منهم ، فاننى ساعد جيشا واتوجه لصددهم ، ففكر السلطان وقال : ان عزیز لا يعرف طريق القتال وليس بعيدا من أن يقتل ، ووصل الخبر عقب ذلك انه لما كان عزیز قد قاتل المتمردین فقد اليد والقدم ، ووقع من فوق جواده وأسره المتمردون ، وقتلوه على أسوأ حال ، وتوجه السلطان من سلطانپور ، ويقول ضياء برنى قال لى السلطان عند توجهه الى الكجرات انه على الرغم من أن الناس كانوا يقولون : ان الفتن تحدث من كثرة تقتيل السلطان ، ومن كلام الناس هذا كنت أترك كثيرا من الفتن دون عقاب ، وقال بعد ذلك أنت قارىء للتاريخ وبصير به فأى

طريقة مناسبة لعقاب السلاطين؟ فعرضت عليه أنه مذكور في التواريخ
 الحبرى أنه للسلطان الحق فى القتل فى سبع حالات ، اولها : الشخص
 الذى يرتد عن دين الحق ، وثانيها : (٢٨٩) من يريق الدم البرىء ،
 وثالثها : من يزنى من الرجال أو النساء المتزوجات ، رابعها : من
 يفكر فى الغدر بالسلطان ، خامسها : من يثير الفتنة ويباشرها ،
 سادسها : من يوافق أهل البغى من الرعايا ، ويقدم الأسلحة والمبدد
 والمعونة لهم ، وسابعها : هو أنه من لا ينقاد لحكم السلطان ، بعد ذلك
 قال انه فى هذا القتل كم قسما مطابقا للحديث ؟ قلت هناك سبعة أقسام
 للمقتل منها ثلاثة واردة فى الحديث ، وهى الارتداد (٣٩٠) وقتل المسلم
 والزنا المحصن ، وأربعة أنواع أخرى تخص السلاطين ، قال
 السلطان : انه فى الأزمنة الأولى كان الناس صادقين فى القول والفعل ،
 وفى هذا الزمان العقاب لازم لى بسبب فساد الزمان حتى يستقيم
 الناس ، ويتروكون البغى والخلاف ، ويشيع الأمن بيننا ، طالما ليس لدى
 وزير كامل ينفذ أمور الملك بحسن التدبير ولا يحتاج لاراقة الدماء .

عندما وصل الى جبل آبهو على حدود الكجرات ، عين أحد
 الأمراء ، وقاتل التمرديين ، وفروا امامه ، وسلخوا طريق ديوكير ،
 وجاء السلطان من آبهو الى بهروج ، وأرسل ملك قبول نائب وزير
 الملكة مع أمراء مائة بهروج لتعاقب الفارين ، ووصل اليهم ملك قبول
 على شاطئ نهر نريده ، وقتل أكثرهم ، وقبض على أولادهم وأتباعهم ،
 وفر البعض أحياء وتوجهوا الى مانديو حاكم جبل سالير مولير (٢٩١)
 ونهبهم مانديو أيضا ، وأصابهم بالضرر ، وقضى على شرهم تماما فى
 الكجرات ، وتوقف ملك قبول عدة أيام على شاطئ نهر نريده ، وقتله
 أيضا أكثر أمراء مائه بهروج بأمر السلطان ، ولجأ القليلون الذين
 بقوا بالأطراف ، وأقام السلطان فى بهروج فترة ، واستولى على أموال
 بهروج وكنبايت وسائر بلاد الكجرات التى كانت قد بقيت عند الأهالى ،
 وأدخلها الخزانة ، وقتل الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا فى الفتنة
 جميعا ، وعين زين بنده الملقب بمجد الدين وابن ركن التانيسرى اللذان كانا
 من شريدى زمانهما على ديوكير ، ليقبض على أهل الفساد هناك
 ويقتلهم ، وقد اضطرب وضاق جمهور أهالى هذه البلاد الذين كانوا قد
 سمعوا أخبار تقتيل السلطان محمد ، وأرسل السلطان بعدهم الى
 ديوكير أميرا آخر ، وأرسل الى مولانا نظام أخى قتلخان فرماتا بان

(٢٨٩) سقطت من نسخة « ١ » ص ١٠

(٣٩٠) ارتداد « ١ » ص ١٠٩ .

(٢٩١) سالير مولير « ١ » ص ١٠٩ .

يعد ألفا وخمسمائة فارس وأن يرسل أمراء مائة المعروفين هناك برفقة هذين الأميرين إلى البلاد ، وأرسل مولانا نظام ألفا وخمسمائة فارس حسب أمر السلطان إلى البلاط مع أمراء مائة هناك مع هذين الأميرين ، وفي أول مسافة اتفق أمراء مائة والفرسان الآخرون سويا بسبب الخوف الذي تملكهم ، فقتلوا هذين الأميرين ، وحبسوا مولانا نظام ، وقتلوا عماله الذين كانوا يعملون في ديوكير من قبل السلطان ، ومزقوا ابن ركن الدين تانيرى (٣٩٢) أربا ، واستولوا على الخزانة التي كانت في دهاراخر ، واجلسوا ملك مخ أخا ملك مل افغان (٣٩٢) على العرش ، وقسموا الخزانة بين الفرسان والمشاة ، ووزعوا ولايته مرهت على أهل الفتنة ، واتحد أعوان وانصار ملك مخ افغان وأمراء مائة ديولى (٣٩٤) وبروده جميعا في ديوكير ، واتفق أهالى هذه البلاد مع بعضهم ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر وصل إلى ديوكير من بهروج برخيل حتواتر ، وجاء أهل الفتنة لمواجهة السلطان ، وتقاتلوا وهزموا ، وقتل أكثرهم ، وتحصن مخ افغان قائد أهل البلخي مع أعوانه وانصاره في سلعة دهاراكر وفر حسن كانكو وأخوه مخ افغان ، وذهبوا إلى كلبركه ، ونهب العوام والخواص ديوكير وأرسل السلطان محمد عماد الملك سرتيز سلطان (٣٩٥) مع أمراء آخرين إلى كلبركه (٣٩٦) ليحكم هذه الولاية ، وأن يقتل كل من يجده من المفسدين الفارين ، وتوجه أكثر المواطنين في ديوكير برفقة نوروزكركن (٣٩٧) إلى دهلى ، وكتب رسالة فتح لكى يقرأها في دهلى على المنبر ودقوا طبول الفرح ، واهتم بتنظيم أمور ديوكير ومرهت ، ولم يكد ينتهى من مهام هذه الولاية حتى وصل الخبر أن طغى ابن الحرام ، وكان غلام السلطان ، واشتهر بالصفدرى ولشكر كشنى ، ودمغ ناصيته بخاتم الطغيان ، ورفع لواء المعارضة ، واتفق أمراء مائة وزميندران الكجرات معه ، ودخل نهرواله ، وقتل ملك مظفر نائب الشيخ معز الدين ، وقبض على الشيخ معز الدين مع عماله الآخرين ، وحبسهم ، وتوجه من هناك إلى كنباييت بجيش جرار ، وانتهبها ، وتوجه من هناك إلى بهروج ، وبالفعل حاصر قلعتها ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، ترك خداوندزاده قوام

(٣٩٢) تانيرى د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٣) ملك ملا افغان د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٤) ديوى د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٥) سرير سلطانى د ٤ ، ص ٢١٤ . سريور د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٦) كلبركه د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٧) جركن د ١ ، ص ١٠٩ .

الدين وملك جوهر والشيخ برهان بلارامى (٣٩٨) وظهير الجيوش مع جيش كبير فى ديوكير ، وتوجه مسرعا الى جانب بهروج ، واخذ معه كل من كان قد بقى من سكان ديوكير وعندما وصل الى بهروج ، نزل على شاطيء نهرنييده ، وترك طغى بهروج ، وتوجه الى كنبايث ، وعين السلطان ملك يوسف بغرا بجيش جرار لتعقبه ، وعندما وصل ملك يوسف الى كنبايث قابله طغى ، وقتله ، وقتل ملك يوسف بغرا مع عدد من المعارف فى هذه الحرب ، وفر رجال جيشه ، وجاءوا الى السلطان فى بهروج ، وقتل (٣٩٩) الشيخ معز الدين والعمال الآخرين الذين كانوا فى حبس طغى ، عبر السلطان نهر نريده فى ساعته ، وتوجه الى كنبايث ، وفر طغى من كنبايث وتوجه الى اساول ، وعندما اقترب السلطان من اساول فر الى نهرواله ، وتوقف السلطان فى اساول لمدة شهر بسبب هطول الأمطار ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن طغى يتوجه مع جيشه من نهرواله الى اساول ، ونزل فى كرى ، وتوجه السلطان أثناء الامطار من اساول ، ووصل الى كرى ، وعندما رأى طغى وجيشه أن جيش السلطان قد وصل ، شربوا الخمر جميعا وهجموا على جيش السلطان الخاص على عادة الفدائية ، ولما كانت الأفيال واقفة كما هى حوله ، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، واضطروا العودة ، ودخلوا بين الأشجار الكثيفة التى كانت قريبة فيها ، وتوجهوا من هناك الى نهرواله ، وقبضوا على خمسمائة نفر أحياء من أهل الفتنة الذين كانوا فى عقب جيش طغى ، وقتلهم ، وأرسل السلطان محمد ابن ملك يوسف بغراخان بجيش جرار لتعقبهم فى نهرواله ، وتوقف ابن ملك يوسف فى الطريق عندما حل الليل ، فأخرج طغى أهله وعياله والمتمردين الآخرين من نهرواله ، وعبر من نهر رن ، وتوجه بجانب كنت من ولاية كجه ، وظل هناك عدة أيام ، وفر الى تهته ، وجاء السلطان بعد ثلاثة أيام الى نهرواله ، ونزل على شاطيء حوض سبهلنك (٤٠٠) ، وانشغل بحكم ولاية الكجرات ، وجاء المقدمون (٤٠١) ورايان الكجرات من كل ناحية ، وقدموا الهدايا ، ونالوا الانعام والاكرام ، ويسعى واهتمام السلطان اعد اصلاح أمر الكجرات ، وانفصل عدة أشخاص مشهورين من جيش طغى ، ولجأوا لراننا سبرى (٤٠٢) وقتلهم رانه مندل ، وأرسل رؤوسهم الى السلطان .

• (٣٩٨) بلا رانى ذ ١ ، ص ١١٠

• (٣٩٩) طغى

• (٤٠٠) سبهلنك ذ ١ ، ص ١١٠

• (٤٠١) رؤساء القرى

• (٤٠٢) رانه مندل سبرى ذ ١ ، ص ٢٢١

لم يكده ينتهى السلطان من تنظيم ولاية الكجرات ، حتى وصل الخبير ان حسن كانكو والمتمردين الذين كانوا قد هزموا من قبل فى ديوكير وتفارقوا ، قد اتحدوا وقتلوا عماد الملك سرتيز (٤٠٣) سلطانى ، وفرقوا جيشه ، وتوجه خداوند زاده قوام الدين وملك جوهر وظهير الجيوش من ديوكير الى دهاركر ، ودخل حسن كانكو ديوكير ، واخذ « جتر » وجلس على العرش ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، والتحق به أيضا حراس قلعة دهاراكر ، وقامت فتنة كبيرة ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، صار متحيرا ومهوما ، وبعد تأمل واف ادرك ان كل هذه الفتن التى قامت اثر بعضها من كثرة قتله ، وكف عدة أيام فى نهره اله عن القتل عامة :

« عندما تتلطف ، يصبح الخصم شجاعا ، واذا قسوت ينفرون منك »
« القسوة واللطف رقة واحدة ، مثل نيض المرأة ليس له جراح ولا مرهم »

فى ذلك الوقت استدعى السلطان ملك فيروز واحمد ايازوملك غزنيين قتلعيه وصدرجهان بجيوشهما من دهلى ، ليرسلهما لمهاجمة حسن كانكو ووصلا اليه بجيوشهما ، وعندما وصل الخبر ان حسن كانكو قد جمع جيشا لا حصر له توقف السلطان عن ارسالهما ، واستهدف من ذلك انه من الأهم ان يريخ خاطره من أمر الكجرات وتسخير كرنال وهى الآن تشتهر بجوندكر وسوف يقوم بنفسه بدفع حسن كانكو ، وبناء على ذلك قضى سنتين فى الكجرات ، فى السنة الأولى كان مشغولا بتنظيم الولاية وأعداد الجيش ، والسنة الثانية اهتم بتسخير قلعة جوندكر (٤٠٤) واستولى على قلعة كرنال وتوابعا ، واطاعه المقدمون ورايان هذه النواحى جميعا ، وجاءوا لخدمته ، ووصل كنگار راجه ولاية كجه أيضا الى السلطان .

يقول ضياء برنى : « ان السلطان قال لى فى هذا الحال : ان مملكتى اصابتها امراض متضادة اذا عالجت احداها ، غلب عليها مرض آخر ، وطالما انت قارئ ومطلع على كتب التاريخ ما هو العلاج الذى تراه فى هذا المجال ؟ قلت : لقد كنت ارى انه عندما ينفرد الناس من السلاطين وتهدب الفتن ، يجلسون ابنا او اخا جديرا بالسلطنة محلهم ، ويتوارون فى ناحية والبعض كان يعالج هذا المرض بتترك الاعمال التى تسبب النفور العام » ، فاجابه السلطان : ليس لى على

٠ (٤٠٣) سرتيز « ١ » ص ١١٠ .
٠ (٤٠٤) جوندكر « ١ » ص ١١١ :

هذا النحو ابن أو خلف يستطيع أن يحل مجلى ، وقد تركت سياسة العقاب ، لعل لا يحدث شيء .

مرض السلطان في كوندل على مسافة خمس عشرة فرسخا من كرنال ، وقبل أن يأتي الى كوندل كان ملك كبير قد توفي في دهلي فأرسل أحمد اياز ومك قبول نائب وزير الممالك الى دهلي واستدعى خداوند زاده ومخدوم زاده ، ومعارف آخرين من دهلي الى كوندل ، وعندما وصلوا الى كوندل ووصل جميع أزواجهم وأهاليهم ، وتجمع حول السلطان جمع كبير ، نظم الجيوش ، وتحسنت صحته ، وطلب بعد ذلك السفن من ديبالبور والملتان وأجه وسيوستان (٤٠٥) الى تهته ، وتوجه من كوندل ، ووصل الى شاطيء النهر ، وعبر النهر بالجيوش والأقبال ، ونزل على الشاطيء الآخر ، وأثناء ذلك التحق بالسلطان التون بهادر بخمسة آلاف فارس مغولي ، وكان قد جاء من قبل الأمير قرغن (٤٠٦) وأنعم عليه السلطان وعلى جيشه بأنواع الانعام والاكرام ، وتوجه من هناك لاستئصال طائفة « سومره » وطفى ابن الحرام الذي كان قد لجأ اليهم بجانب تهته ، وعندما وصل لمسافة ثلاثين فرسخا من تهته ، كانت يوم عاشوراء (٤٠٧) وكان صائما ووقت الاقطار اكل سمكيا فعاوده مرض الحمى الذي اصابه من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ركب السفينة ونزل على مسافة أربعة عشر فرسخا من تهته ، وتوقف هناك لشدة المرض ، واشتد المرض يوما بعد يوم حتى توفي في الحادي والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة ، وكتب ضياء بونى هذه المراثية في تاريخه :

« لشراب العالم سم نافع ، ولبذره آدم فاكهة مسمومة ،
« فيا نديم العدم خفف اللوطه ، فهذا العالم قليل من قليل
« تنفس صبح المحشر ، ونحن نيام ، فأطلق الصيحة للنائمين ،
« هنا هم فرشوا فرش الصبا ، وجعلوا هذا البساط سعيدا ،
« انها القيامة - قم وافتح ، سقف الديوان وسقف السماء ،
« تواری شه محمد فی قلب الثرى ، فلتلبس الرمادى لباس الماتم ،
« فانهش كثيرا فى جسد الدهر ، ومزق هذا اللباس المزخرف »

• (٤٠٥) سيوستان د ١ ص ١١١ .

• (٤٠٦) قرغن د ١ ص ١١٢ .

• (٤٠٧) عاشوراء د ١ ص ١١٣ .

ذكر السلطان فيروز شاه :

هو ابن أخى السلطان غياث الدين تغلقشاه ، وعندما اشتد المرض على السلطان محمد تغلقشاه فى جيش سويستان ، وعند الارتحال قام ملك فيروز نائب وكان ابن عم السلطان ، وكان السلطان يعتبره أحسب بولاية العهد ، قام بالعمل على معالجة السلطان ، ونال بهذا شفقة وعناية السلطان ، وعندما رأى السلطان تألمه عليه ، أوصى له بولاية العهد ، وقال :

لتكن أهلا للسلطنة ، لأننى سحبت الوسادة من تحت رأسى »

وعندما توفى فى بواحي تهته ، حدث تأثر كبير يزيد عن الوصف فى الجيش ، ورأى ملك فيروز ياريك أن العلاج هو أن يفصل بلطائف الحيل عن الجيش أولا التون بهادر مع الثلاثة ألف فارس مغولى الذين كان قد أرسلهم لمساعدة السلطان محمد الأمير قرغن ، ليأمن من شرهم ، وبعد ذلك اتعم على الأتراء المشاهير وسائر الفرسان الانعامات والخلع واللباس كل حسب حالته ، وسمح لهم بالعودة الى ملكهم ، وأمر أن ينفصلوا عن الجيش فى الحال ويبتعدوا أكثر ، وفى أثناء هذا الحال لم يكن قد مر يومان على وفاة السلطان ، كان رجال الجيش مضطربين من هول النهب والسلب ، فأشار نوروز كركين ، وهو صهر يرمة شيرين زبيب السلطان محمد ، الخلف ، واتفق مع المغول على أنه فى وقت الرحيل وبما لديهم من قدرة حيث يكون الجيش فى ارتباك واضطراب ينطلقون فى النهب، ويأسرون ويتهبون ، وفى هذا اليوم ضاع كثير من الأموال ونزجات الرجال بيد المغول ومفسدى تهته ، وقضى رجال الجيش هذا اليوم فى خوف وفرح لا حدود له ، وفى اليوم التالى رحلوا باحتياط كامل وبترتيب الجيوش ، وفى هذا اليوم أيضا اغار المغول ومفسدو تهته ، حتى وصل الجيش الى شاطيء النهر ونزل ، ولما كان القطيع بلا راع مما سبب الموت والتلف ، اجتمع مخدوم زاده عباس والشيوخ نصير الدين محمد أودهى المشهور بمصباح دهلى وهو خليفة الشيخ نظام الدين اوليا ، والعلماء والمشايخ والسلوك والأمراء - واستدعوا ملك فيروز ياريك للجلوس على العرش :

« قبل الجيش كله الأرض ، لأن الملك وطأ العرش »

« وأينما يضع قدمه نضع رؤوسنا ، ونضع فرمانه على رأسنا تاجا »

« لو جعل الماء والنار مكانا لنا ، ما تراجعنا عن رأينا فى أمره »

وكان ملك فيروز يرغب فى السفر الى الحجاز وزيارة الحرمين الشريفين ، فاعتذر ، واخيرا وبالتماس الأكاير والأصاغر جلس على عرش السلطنة فى الرابع والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وأطلق سراح عدة آلاف شخص كانوا قد وقعوا فى أسر المفسدين ، وفى اليوم الثالث ركب وأسر من كل ناحية كل فارس مغولى وغيرهم ، وقتلهم ، وأسر عدة قواد مغول ، وأبعد مضايقة المغول ومفسدى تهته .

« فرد الهما (٤٠٨) مظلة همايون عليه مثل الجناح ، ومن ثم لا تدعى اليوم أنها باز » (٤٠٩)

« هكذا جعل العالم تابعا لدولته ، مع انه من طبيعة الأشياء الشذوذ »

وصار زمرة الخواص والعوام فى أول جلوس السلطان فيروز شاه رهنا لانعاماته السلطانية ، وبعد ذلك وصل برجيل متواتر الى سيوستان ، وأنعم على الأمراء والملوك والمشايخ والجنود بالجياد والخلع والسيوف والحزام ، وخص أيضا سكان سوستان بالانعامات والأموال وتوجه الى هندوستان (٤١٠) ، وفى الطريق كان ينعم ويسعد كل مدينة وقرية ويصل اليها بالانعام والأموال .

« قوم الطريق ، وافتح ببطله الخزينة المغلقة »

« جعلت الفاتحين أغنياء بالكنز ، والجيش يتعمد من الجواهر »

وفى اثناء الطريق أيضا وصله خبر مخالفة ملك احمد اياز الملقب بخواجه جهان وكان من المقربين للسلطان محمد شاه ، وتركه السلطان تياية عنه فى دهلى فى غيبته ، من أنه رفع طفلا مجهول النسب بادعاء أنه ابن السلطان محمد شاه على السلطنة ، ولقبه بالسلطان غياث الدين محمد شاه ، وجعل نفسه وكيفا مطلقا له ، وحل السلطان هذه الأفعال الشنيعة على حمقه وانحرافه ، فأصدر فرمان عفو باسمه وأخذ فى هدايته ، وبعد ذلك أرسل ملك سيف الدين « شحته بيل » بالفرسان اليه ، ولكن لم يطع ، وأرسل ملك دهيلان (٤١١) ومولانا نجم الدين رازى وداود مولانا زاده اليه برسالة جاء فيها : لم تنزل

(٤٠٨) الهما : طائر خرافى يجلب المساعدة .

(٤٠٩) الباز : صقر الصيد .

(٤١٠) توضح هذه الجملة ان الهندوستان لفظ يطلق على المنطقة الشمالية فقط والتي

عاصمتها دهلى .

(٤١١) ديالان « ١ » ص ١١٢ .

السلطنة في أسيرة السلطان محمد ، وأقبلكم نائبا ، ومستقلا تماما بامور المنحية ، وای امیر تريد معك يكون معك ، وبعد وصوله الرسالة عقد السلطان مجلسا ، حضره الشيخ نصير الدين محمد أودهی (٤١٢) ومولانا كمال الدين أودهی ومولانا كمال الدين سامانه ومولانا شمس الدين باجززی وأكابر آخرون وعلماء ، وعرض عليهم حقيقة الأمر ، وقال : ما رأيكم في هذا المجال ؟ وماذا ينبغي فعله من وجهة نظر الشیخ ؟ قال مولانا كمال الدين : « نظرا لأنه في أول السلطان فإنه من الأولى أن يرعى السلطان رسل أحمد اياز ، ويرسل داود مولانا زاده وهو من جملة رسله اليه ، ليهديه بالنصائح » ، وبعد وصول داود ، أدرك أحمد اياز أن الأمر انقلبت منه ، ورأى أن أكثر الأمراء قد استقبلوه والتحقوا بجيش السلطان ، ما عدا ملك نتهو (٤١٣) حاجب وملك حسن ملتاني وأمثالهم الذين بقوا مع أحمد اياز وأخذوا منه الذهب الوافر .

وفي نفس هذا الوقت وصل خبر قتل طغی الذي طغى وكان قد توجه إلى الكجرات ، واخذت آثار اقبال السلطان فيروز شاه تظهر في كل ناحية ، وأراد أحمد اياز مرافقته بسبب عجزه وأرسل أشرف الملك وملك خلجين (٤١٤) وملك كبير وحسن أمير میران إلى السلطان من أجل العفو عن ذنوبه ، وخط السلطان بقلم عفو على جرائمه وأجاز حضوره ، ووصل أحمد اياز مع أتباعه مطلق الرؤوس الجارية والأغلال في أعناقهم للزمنه في نواحى هانى ، فأمر السلطان أن يسلموا أحمد اياز كوتوالا لهانسی ، وعين ملك غياث الدين على تيرهنده (٤١٥) وطرد شيخزاده بسطامی ، وكان لسان الزمان يردد مضمون هذه القطعة :

« الزمان أوقع مخالفيك في فتن آخر الزمان ، كل واحد في نوع مختلف »
« أحدهما مات ، وقطع الفلك بخنجرك رقبة آخر ، وسلب أموال الآخر »

في الثاني من رجب سنة ٧٥٢ هـ جلس السلطان فيروز شاه في دهلي على عرش السلطنة مستقلا تماما ، وبشر بالعدل والاحسان ، ووصلت أنعامه إلى كافة الأنام من الخواص والعوام ، وظهرت الرقاهية في الرعايا وعموم البرايا من الصغير إلى الكبير :

(٤١٢) أودى « ١ » ص ١١٣ .

(٤١٣) نتهو : « ١ » ص ١١٣ .

(٤١٤) ملك خلجى « ١ » ص ١١٣ .

(٤١٥) ترهنده « ١ » ص ١١٣ .

«جلس على العرش محظم الأعداء ، الملك المحظوظ صاحب القال الحسن»
« جدد رونق ونشاط ونصر الدولة الموقفة على طول الزمان » (٤١٦)

وفي الخامس من صفر سنة ٧٥٣ هـ توجه السلطان للتنزه والصيد
بجانب جبل سرمور ، ووصل أكثر زمينداران هذه النواحي لملازمته
وقد تقلدوا حلقة العبودية في آذانهم ، وغاشية الطاعة على اكتافهم :

« ما هذا الشنعاع الذى يشرق فى الدنيا

وما هذه الجلبة التى ترن فى السماء »

« أهـو موكب الملك أم نسيم الجنـة

فان رائحة الامن والامان فى مشام الروح »

وفي يوم الاثنين الثالث من جمادى الاولى من السنة المذكورة ، ولد
الأمير محمد خان فى دهلى فعقد السلطان فيروز شاه الاحتفالات وأنعم
على الخلائق ، وفى سنة ٧٥٤ هـ (٤١٧) اصطاد فى كلانور وسفوح جبالها
وعاد ، وإثناء العودة بنى عمارة عالية على شاطئ نهر سرستى ، ولقب
الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا بشيخ الاسلام ، وجعل
ملك قبول نائب الوزير والملقب بخانجهالى وزيراً للمملكة ، وعهد
لخداوند زاده توام الدين الملقب بخداوندخانى بعهدة « وكيل در » (٤١٨)
وقال ملك تاتار لقب تاتارخان وصار ملك شرف « نائب وكيلدر » ، وجعل
سيف الملك « شكاربيك » (٤١٩) وخداوند زاده ، عماد الملك
« سلاحدار » (٤٢٠) وصار عين الملك مستوفيا ومشرفا على الديوان ،
وقال ملك حسين أمير ميران منصب « استيفاء كل » (٤٢١) .

وفي شهر شوال سنة ٧٥٤ هـ ترك خانجهان فى المدينة وأعطى سلطات
كاملة ، وتوجه بجيش جرار الى لكهنوتى ، لدفع ظلم الياس حاجى الذى
لقب نفسه السلطان شمس الدين وتحصن ببندوه (٤٢٢) ، ووصل حتى
نواحي بنارسى ، وعندما وصل قرب كوركهبور ، وجاء اديسك مقدم
كوركهبور الى السلطان ، وقدم الهدايا اللائقة وفيلين ، وقال الانعام

(٤١٦) سبق أن ورد نفس البيئتين ص ١٠٦ .

(٤١٧) ٧٦٤ ، ١ ، ص ١١٤ .

(٤١٨) وكيل البلاط .

(٤١٩) أمير الصيد .

(٤٢٠) أمير السلاح .

(٤٢١) المستوفى العام .

(٤٢٢) شاندة ، ١ ، ص ١٧٤ .

السلطاني ، وقدم راي كبيرهم (٤٢٣) خراج عدة سنوات وتوجها للملازمة ، وخرج الياس حاجي من بندره ودخل قلعة اكداله (٤٢٤) أحكم قلاع البنغال ، ووصل السلطان في السابع من ربيع الأول الى اكداله ، ووقعت معركة حامية في نفس هذا اليوم ، وابتعد جيش السلطان عن المدينة في التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، ونزل على شاطئ نهر الجانج ، وفي الخامس من ربيع الآخر خرج الياس حاجي ثانية بقصد الشمال من القلعة ، وتحرك حركة المذبوح ، وفر داخل القلعة ، واستولى السلطان على أربع وأربعين فيلا مع جتر وعلم وأمتعة وحشم الياس حاجي ، وقتل مشاة كثيرين ، وأقام السلطان اليوم التالي ، وأصدر فرمانا بأن يطلقوا سراح اسرى بلاد لكهنوتى ، ودخل في الصلح في يوم السابع والعشرين من ربيع الآخر بسبب شدة الأمطار ، وعاد ، وعبر من معبر مانكبور من نهر الجانج ، ووصل دهلى في الثانى عشر من شعبان ، وأمر ببناء مدينة فيروز آباد على شاطئ نهر جون .

وفى سنة ٧٥٦ هـ توجه للصيد فى ديبالبور ، وأوصل نهر من نهر ستلد الى جهجر (٤٢٥) على مسافة ثمان وأربعين فرسخا ، وفى السنة الثانية مد نهرا ثانيا من نهر جون الى نواحي مندل (٤٢٦) وسمرور وأوصل سبعة اناهار أخرى به ومده الى هانسى ، ورحل من هناك الى رالين ، وبنى قلعة هناك ، أسماها قلعة «فيروزه» ، وأقام أمامها قصرا وحوضا واسعا ، كان يمتأ من نهر جون ، وقرع نهرا آخر من نهر كهكر ، ومده حول قلعة سرستى ، وأوصله حتى نهر كره ، وبنى قلعة بينهما أسماها «فيروز آباد» وذرع نهرا آخر من نهر بدهى ، وأوصله الى الحوض المذكور ، ومده أكثر من هناك وفي شهر ذى الحجة من السنة المذكورة يوم عيد الأضحى وصل منشور أبى الفتح خليفة مصر متضمنا تفويض مملكة الهند والسند ، فكان سببا فى اقتضار سرور السلطان ، وفى نفس السنة المذكورة ارسل الياس حاجي هدايا لائقة ، وصار موردا للعناية الملكية ، وكانت بلاد الهند تحت تصرف السلطان ما عدا لكهنوتى والدكن ، فان السلطان شمس الدين الياس حاجي قد استولى على لكهنوتى بعد وفاة السلطان محمد تغلقشاه ، واستولى حسن كانكو تماما على الدكن ، وكان يقدم هدايا الصلح ، وفى سنة ٧٥٨ هـ التحق ظفر خان فارس من سناركانو بفيلين بالبلاط ، ونال الانعام ، وصار نائب وزير ، وفى ذى الحجة سنة ٧٥٩ هـ توجه السلطان

• (٤٢٣) كتورهم « ١ » ص ١١٤

• (٤٢٤) كداله « ١ » ص ١١٤

• (٤٢٥) جنجر « ١ » ص ١١٥

• (٤٢٦) مندى « ١ » ص ١٠

الى سامانه (٤٢٧) واثناء الصيد علم ان جيش المغول الذى كان قد جاء الى نواحى لاهور عاد دون قتال ، فعاد السلطان دهلى ، واهتم بالصيد ، واثناء ذلك ارسل الرأى المذكور رسولا وطلب الصلح ، وارسل ثلاثة وثلاثين فيلا مع تحف وهدايا اخرى ، وعاد السلطان من هناك وجاء الى بدماوتى وهى مرعى للأفيال يقصد صيد الفيل ، واصطاد ثلاثة وثلاثين فيلا حيا ، وقتل اثنين ، وقال ضياء الملك رباعية فى هذا المجال :

« الملك الذى أسس بحق الدولة
وأضاء أطراف الدنيا مثل الشمس ،
« جاء من أجل صيد الفيل التى جأجكر
فاصطاد ثلاثة وثلاثين أحياء وقتل اثنين »

وعاد من هناك الى كره برحيل متوافر ، ودخل دهلى فى رجب سنة ٧٧٢ هـ (٤٢٨) .

بعد فترة ركب الى جانب نهر يسمونه « اسليمه » والنهر المذكور يحتوى على نهريين كبيرين تجرى دائما ، وفى وسط هذا النهر تقع هضبة عالية أمر السلطان ان يقوم بحفرة خمسون الفا من الفيالة ، وظهر فى هذه الهضبة الكبيرة عظام أفيال وبنى آدم ، وكانت عظام يد الانسان ثلاث ياردات ، جزء منها متحجر وآخر لم يزل عظاما ، واثناء ذلك فصل سرهند (٤٢٩) وكانت فى الأصل ضمن دجل سامانه ، ولعشرة فراسخ حولها ، وسلمها ملك ضياء الملك شمس الدين ابورجا ، واقام هناك قلعة أسماها فيروزپور ، وتوجه من هناك الى نكرکوت ، وعندما وصل الى دامن كره ، واحضروا ثلجا ، قال السلطان : انه عندما وصل السلطان محمد شاه المرحوم وكان مولأى الى هنا ، احضروا اليه شربة ثلج ، وطالما جئت الى هنا (٤٣٠) فأمر ان يسقوا الأفيال والابل ماء مثلجا ، وقسم الثلج على جميع الجيش ذكرى للسلطان محمد شاه ، وأسرع راجه نكرکوت مع ابنائه الى السلطان ، وأخذ على كتفه رداء العبودية ، فأكرمه السلطان ، وسمى نكرکوت باسم المرحوم السلطان محمد « بمحمد أباه » .

(٤٢٧) سامانه « ١ » ص ١١٥ .

(٤٢٨) ورد خطأ « ٧٦٢ » ص ١١٦ ، ك ٧٢٢ .

(٤٢٩) سرسعه « ١ » ص ١١٦ .

(٤٣٠) انتهت نسخة كلكتا وآخر عبارة غير كاملة وهى « جون من حاضر

وفى آخر السنة المذكورة ، وصل تاج الدين مع أمراء آخرين من
لكهنوتى بسفارة ، وقدموا الهدايا النفيسة ، ونال الانعام ، وأرسل
للسلطان ملك سيف الدين « شحنة فيل » (٤٣١) وجيادا عربية وتركية
وتحفا أخرى برفقة ملك تاج الدين الى السلطان شمس الدين ، ووصل
الخبر فى بهار أن السلطان شمس الدين قد توفى وحل محله ابنه السلطان
سكندر ، فكتب ملك سيف الدين رسالة الى السلطان وأخبره فرد عليه أن
ارجع التحف والنفائس التى كانت مرسله الى السلطان شمس الدين وأعط
الجياد لجيش بهار ، وأرسل الرسل الى كره ، وبعد ذلك وفى سنة ٧٦٠ هـ
توجه السلطان الى لكهنوتى ، وترك خانجهان نائباً عنه فى غيبته عن دهلى
وجعل تاتارخان حاكماً (٤٣٢) من نواحى غزنيين حتى اللتان ، وأقام عدة
أيام بسبب المطر فى ظفر پور ، وفى ذلك الوقت جاء شيخزاده بطامى الذى
كان قد طرده من عند خليفة مصر بخلعة ، فلقبه بأعظم الممالك ، وأرسل
سيد رسول دار برفقة رسول لكهنوتى الى السلطان سكندر ، فأرسل السلطان
سكندر خمسة أفيال وتحفا ونفائس أخرى مع سيد رسول دار الى دهلى ،
وقبل وصول سيد رسول دار جاء عالم خان برسالة من لكهنوتى فتوجه
للسلطان الى لكهنوتى ، وأثناء الطريق أنعم على الأمير فتح خان بأسباب
الملك مثل جتر ودورباش وقيل خيمة حمراء ، وأمر بضرب السكة باسمه ،
وعين أصحاب الأعمال .

عندما وصل السلطان الى بندره (٤٣٣) تحصن السلطان سكندر فى
قلعة اكداله ، ونزل السلطان فيروز فى هذه النواحى ، واهتم بالحصار
وبعد عدة أيام طلب السلطان سكندر الأمان ، وقيل دفع المال الذى يرسله
كل عام هدية ، وفى العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، عاد
السلطان ، وأحضرها فى بندره سبعة أفيال وتحفا وهدايا أخرى من
السلطان سكندر هدية ، وبعد ذلك وصل جونپور وبدأ موسم المطر ، ففضى
فصل المطر هناك وفى ذى الحجة من السنة المذكورة توجه من طريق بهار
الى جابنكر فى أقصى ولاية كرهه كتنكه ، وعندما وصل الى كرهه كتنكه ،
ترك ملك قطب الدين أخا ظفر خان فى الجيش والمعسكر وأسرع وحيداً
وعندما وصل الى سنكره ، فرأى سارين راجه سنكره (٤٣٤) ، ووقعت
أخته فى الأسر ، فصافى السلطان عليها وأثناء الطريق لازم أحمد خان
الذى قر من لكهنوتى وتحصن فى قلعة بنتهپور السلطان فرقه وميزه

(٤٣١) شحنة فيل او شحنة بيل

(٤٣٢) شقدار « ١ » ص ١١٥ .

(٤٣٣) هندره « ١ » ١١٦ .

(٤٣٤) فرأى بفارس راجه سنكره « ١ » ١١٦ .

بمراحم وانعامات كبيرة ، وعندما عبر نهر مهندي (٤٣٥) ووصلوا الى مدينة بنارس مسكن ومقام راي جاجنكر ، فر الرأى المذكور الى تلنك ، ولم يهتم السلطان بتعقبه ، واهتم بالصيد .

قالوا للسلطان انه عندما جاء سكندر ذو القرنين الى هنا فى ذلك الوقت ، رسم الناس صورة شبيهة له ، لديهم فى بيوتهم ، وصار الها لأهالى هذه الديار وأنه فى معبدهم ألف وثلاثمائة كتاب من كتب البراهمة السابقين التى تشتهر « بجالامكهى » وجمع السلطان علماء هذه الطائفة ، وترجمت بعض هذه الكتب : منها نظم عز الدين خالد خانى وكان من شعراء عصره كتابا فى الحكمة الطبيعية والسواكن والتفاؤل ويسمى باسم « دلائل فيروز شاهى » وقد اطلعت (٤٣٦) على هذا الكتاب ، والحق هو كتاب يتضمن اقسام الحكمة العلمية والعملية .

المهم ، رحل السلطان الى تهته بعد فتح نكركوت ، وعندما وصل الى تهته وتحصن جام حاكم تهته « بقوت آب » وقاتله فترة ثم عزم التوجه الى الكجرات بسبب قلة الغلة ونقص العلف والكلأ ونقص الماء ، وقضى موسم المطر هناك ، وتوجه الى تهته ثانية ، وأعطى الكجرات لظفر خان وعزل نظام الملك ، وجاء نظام الملك واتباعه الى دهلى وعينه نائبا للوزير .
عندما جاء السلطان الى تهته ، طلب الأمان ، ولازم السلطان طبقا لمضمون هذا البيت :

« عندما طلب الأمان أمنته وعندما أبدى عجزا وهبته الروح »

وطيب السلطان خاطره وأحضره مع سائر أعيان هذه البلاد الى دهلى ، وبعد فترة عين جام على تهته ، وسمح له بالانصراف .

وفى سنة ٧٧٢ هـ توفى خانجهان ، ولقب ابنه الأكبر « خوباتشه » لقب خانجهان ، وفى سنة ٧٧٣ هـ توفى ظفر خان فى الكجرات ، فلقب ابنه الكبير بظفر خان وسلمه الكجرات ، وفى الثامن عشر من صفر سنة ٧٧٦ هـ توفى الأمير فتح خان فى كهتوار .

وفى سنة ٧٧٨ هـ عرض شمس الدين أفغانى أن يضيف أربعة ملايين تنكه على أصل خراج الكجرات ومائة فيل ، وماثتى جواد عربى وأربعمائة مملوك سنويا ، وقال السلطان : « لو قيل ضياء الملك ملك شمس الدين ابورجا نائبا ظفر خان هذه الزيادة ، نترك له الكجرات ،

(٤٣٥) مها ندرى « ١ » ١١٦ .

(٤٣٦) نظام الدين أحمد مؤلف طبقات اكبرى .

ولم يقبل ملك شمس الدين ، فأعطى شمس دماغاني حلة ذهبية وحريرة وكيسين فضة وسمح له بالسفر الى الكجرات بدلا من المرجوم ظفر خان ، ولما كان شمس الدين دماغاني لن يفى بوعده الذى وعده عندما قبل هذا ، فقد جاء وبغى وأثار العصيان بالاتفاق مع جميع أمراء مائة الكجراتين مثل الشيخ فريد الدين ورؤساء الجماعات الأخرى ، وأرسل السلطان جيشا لمقاتلة شمس الدين دماغاني ، وأرسلوا رأسه الى السلطان بعد قتله ، وسلم الكجرات الى ملك مفرح سلطاني الملقب « بفرحة الملك » .

وفى سنة ٧٧٩ هـ توجه الى اتاوه وكجل ، وهزم راي بيرداند هرن وأهل اتاوه الذين حاربوا جيش السلطان ، وأرسل زوجته وابنه الى دهلى ، وبني قلعة فى كجل ويتلاهى ، وترك ملك زاده فيروز ابن ملك تاج الدين وجماعة من الأمراء وسلمه أيضا بتلاهى ، وسلم كجل للملك افغان وعاد الى دهلى .

وتوفى نظام الدين حاكم أوده والذى كان تابعيا للسلطان فى نفس هذه السنة ، فأعطى أوده لابنه الأكبر ملك سيف الدين .

وفى سنة ٧٨١ هـ توجه السلطان الى سامانه ، وقدم ملك قبسول حاكم سامانه هدايا كثيرة ، ومر من ابناله وشاه آباد ، وتوجه الى جبل ساتهور ، وأخذ الهدايا من راي سرمور والملوك الآخرين وعاد الى دهلى ، وأثناء الطريق علم أن كهركو مقدم كهترا استضاف سيد محمد حاكم بداوى وسيد علاء الدين وأخوته فى بيته وقتلهم ، فركب فى سنة ٧٨٢ هـ للانتقام لذمء سادات كهتر ، وفر كهركو ، ونهب بلاد كهتر ، وتوجه كهركو الى جبل كماؤن ، ونهب السلطان هذه البلاد ، وسلم بداون للملك قبول ، وترك ملك خطاب افغان لتتبع كهركو فى سنبل ، واصطاد فى هذه البلاد حتى صارت خرابا قفرا .

وفى سنة ٧٨٧ هـ أقام السلطان فى قرية هولى على مسافة سبعة فراسخ من يدوان قلعة أسماها فيروزپور ولما لم يبين أى قلعة بعدها اشتهرت هذه القلعة المذكورة « بحزين پور » .

وفى هذه السنة غلب المرض والشيوخوخة على السلطان ، وسيطر عليه خانجهان تماما ، وأراد خانجهان أن يقبض على الأمير محمد خان وأمراء آخرين أمثال دياخان بن مظفر خان وملك يعقوب محمد حاجى وكمال الدين الذين كانوا من المخلصين والتابعين للأمير ، وأن يبعدهم عن الحكم وأبلغ السلطان أن الأمراء المذكورين يريدون الخروج عليه ، ووثق السلطان بكلامه ، وأمر أن يقبضوا على هؤلاء الأمراء ، ولم يأت الأمير الى والده لمدة بضعة أيام ، واستدعى خانجهان دياخان بحجة حساب

مهربه ، وسجنه فى بيته ، وعندما سمع الأمير هذا الخبر اضطرب ، وذهب الى أبيه ، والمخ له أن خانجهان يهدف الى إثارة التمرد ، ويريد أن يبعد الأمراء الكيار من حولى ، وبعد ذلك يعمل على القبض على ٥٠ وأمر السلطان بقتل خانجهان ، وأحضر درياخان من السجن وأمر الأمير ملك يعقوب أن يتوجه بجياده الخاصة ، لمحاربة ملك قطب الدين شحنة فيل وقاتله وفى آخر الليل توجه الأمير على رأس جماعة ، وخرج خانجهان من البيت مع عدة أشخاص وقاتلهم ، وأصيب أخيرا بجرح وهزم ، فدخل الأمير بيته ، وذهب الى بدر من طريق آخر ولجا الى كوكا جوهان حاكم ميوات ، وانتهب الأمير بيته وقتل بمساعدة ألف من القبجاق ملك عماد الدولة وملك شمس الدين وملك مصالح الذين قبض عليهم فى الحرب .

وبعد هذه الواقعة جعل السلطان الأمير وزيرا مطلقا ، وسلمه اسباب الملك مثل الجياد والحشم والأقبال جميعها ، ولقبه ناصر الدين والدنيا محمد ، وانشغل بالعبادة والطاعة ، وتليت الخطبة يوم الجمعة باسميهما سويا ، وجلس السلطان محمد شاه على العرش فى شعبان سنة ٧٨٩ هـ .

قرر السلطان محمد شاه لأصحاب الوظائف ما سبق تقريره ، وخلق عليهم الخلع ، وأحال الكجرات ملك يعقوب الملقب باسكندر خان ، ولقب ملك راجور بمبارزخان وكمال عمر بدستورخان وسائر عمر بمعين الملك ، وملك يعقوب باسكندر خان ، وأرسل اسكندر خان بجيش عظيم لمهاجمة خانجهان ، وعندما اقترب الجيش من ميوات ، قيد كوكا جوهان خانجهان وأرسله الى اسكندر خان وقتله اسكندر خان ، وأرسل رأسه الى الأمير محمد شاه ، وتوجه الى الكجرات .

توجه الأمير محمد شاه فى نفس هذه السنة الى جبل سرمور للصيد ، واثناء الصيد علم أن ملك مفرح اتفق مع أمراء المائة فى الكجرات ، وقتل اسكندر خان وانتهب الجيش الذى كان يرفقته ، ووصل بعض الجرحى الى دهلى مع سبه سالار ، وسمع محمد شاه هذا الخبر فجاء الى دهلى ، ولم يهتم بالانتقام لدم اسكندر خان وانشغل باللهو والطرب ولغفلته حدث تصدع كبير فى أمر الملكة .

وبعد عدة شهور من واقعة اسكندر خان ، ابتعد قواد السلطان عن محمد شاه بسبب الحقد والحسد اللذين ظهرا على سماء الدين وكمال الدين ورفعوا لواء المعارضة ، وأرسل محمد شاه ملك ظهير الدين لاهورى لتسكين الفتنة ، وعندما وصل ملك ظهير الدين الى الميدان الذى تجمّع فيه جيش فيروزشاه ، رماه الجنود بالحجارة وجرجروه ، وعاد الى الأمير

محمد شاه على هذا الحال ، فجمع الأمير جماعته وواجه جيش السلطان وقاتلهم وأخيرا قوى جيش الأمير وغلب جيش السلطان ولجأ القواد الى السلطان فيروز شاه ، ومرد اليوم فى قتال وجدال ، وفى اليوم الثالث ضاق الأمر على غلمان فيروز شاه ، وأحضروا السلطان الى مكان المعركة وأطلعوه على الأمر وعندما رأى جيش محمد شاه ، وقواد فيلة السلطان ، كفوا عن القتال وجاءوا الى السلطان وتفرق جيش السلطان محمد وذهب مع من بقى الى جبل سرمور وانتهب جيش السلطان قرابة مائة ألف رجل من فرسان ومشاة منازل محمد شاه وأعوانه واستاء السلطان من وشاية أهل الحسد لمحمد شاه ، وجعل تغلقشاه بن فتح خان حفيده وليا للمعهد ، ورفع الى السلطنة ، وأحضر تغلقشاه محمد حسين صهر السلطان وكان من المقربين لمحمد شاه الى البلاط وأطاح برأسه وقيد أيضا غالب خسان أمير سامانه لتأييده لمحمد شاه ، وأجلاه عن وطنه ، وأرسله الى بهنار وأعطى سامانه الى ملك سلطان .

وفى الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠هـ توفى السلطان فيروز:

« لقد اختلط الفلك من القاء الرءوس ، ولا ينبغى فصل الرأس عن الجسد »

« لأنه يعلم أن هذا التراب منقلب
ويمتزج الدم بالقلوب »
فليت كل الطرقي من عيون العمى
« اديم القبر من سوء الحظ »
حكم ثمان وثلاثين سنة وعدة أشهر
وتأريخ وفاته « وفات فيروز »
لقد ترك هذا السلطان العادل بين الناس كثيرا من قواعد العدل
والاحسان وقواعد الأمن والأمان ؛ ومن جملة أحكامه كانت ثلاثة ضوابط
أساسية :

القاعدة الأولى :

هى أنه ترك العقاب تماما ولم يعاقب قط مسلما او آدميا ولم يكن محتاجا لتأليف قلوب الناس بسبب كثرة الانعامات والدخول ، وكانت سياسته أعظم سياسة ، وصارت أخلاقه الحميدة وصفاته الجيدة سبب العدالة والانصاف بين الناس ، وسد طريق ظلم وتعدي الناس على بعضهم البعض ، ولم يكن لمخلوق قط قدرة على ابداء آخر فى عهده .

القاعدة الثانية :

هى انه كان يأخذ خراجا من الرعايا تبعا لمطاعتهم ، وكان يرفض الزيادة ولم يكن يستمع الى كلمة سوء فى حق الرعايا ، وصارت هذه القاعدة سببا فى زيادة التعمير ورفاهية الرعايا والبرايا .

القاعدة الثالثة :

وهى انه كان يولى رجالا متدينين يخافون الله على الأعمال والحكومة والولاية ولم يعط خدمة قط لشئ سىء السلوك ولم يجعله حاكما أو اميرا ، وكان الناس جميعا يتبعون حكامهم بناء على القول « الناس على دين ملوكهم » .

كان السلطان يضع قواعد العدالة والانصاف بينهم ، ولم يكن يظلم أو يتعدى على أحد ، وشاع الأمن والأمان تماما بين الأدنى والأعيان ، وامتاز عن سلاطين الهند الآخرين بخيراته ، وبره وانفاقه وخلعه ، وقد اطلعت (٤٣٧) على رسالة من تأليف السلطان فيروز شاه ، والتي جمعت وقائع أحواله مسماه « يفتوحات فيروز شاهى » وتذكر بها بعض الخصوصيات تتركها وتيمنا وبمقتضى القول كلام الملوك ملوك الكلام ، حتى يتبصر أرباب البصيرة بالذات الطيبة والصفات المحببة لهذا السلطان الملاك ، ويعلمون سيرته ، وقد بنى هذا السلطان العادل قبة عالية فى المسجد الجامع بفيروز آباد ، وهى مثمنة ، وعلى الثمانية جوانب لهذه القبة فكر أن يحفر على الحجر مضمون هذا الكتاب بأبوابه الثمانية ، وكتب فى الفصل الأول أوقات المسجد وسبب شهرته ، وأكد فى فصل آخر أنه فى الأزمنة السابقة كانت تراق دماء المسلمين لأقل جريمة ومن أنواع التعذيب قطع اليد والقدم والأذن والأنف والسمل وتفتيت عظام الأعضاء بمسمار وحرق الجسد بالنار ، وخرق اليد والقدم والصدر بمسمار ، وسلخ الجلد ، وقطع القدم ، وشق الانسان نصفين ، وأنواع أخرى تفننوا فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن أنسخ جميع الأحوال ، وقد اسقطت من الخطبة أسماء السلاطين السابقين الذين صارت الهند دارا للإسلام بجهودهم وأننى أحيى أسماءهم وأدخلها فى الخطبة ثانية حتى تكون الفاتحة رحمة لهم على الدوام .

وفى فصل آخر كان يزجر الأمور غير المعقولة الكثيرة التى دخلت بدون داع سنويا مثل الرعى وبيع الورد والنيله وبيع السمك والندافى وبيع

الحيال وشوى الحمص والمخللات والحانه ورئاسة القسرية وكوتوالى
والاحتساب ، واقتلعها جميعا لأن العظماء يقولون :

« جميع قلوب الأصدقاء أفضل من الكنز
والخزينة الخاوية أحسن من انسان مضطرب »

وقررت أن كل مال مخالف لسنة الرسول عليه السلام لا يؤخذ ، وكان
الجيش يأخذ قبل هذا القانون الخمس من مال الغنيمة ، ويأخذ الديوان
أربعة أخماس وقررت أن يكون الخمس للديوان ليوافق الشريعة المطهرة .

وآخر :

أخرجت من ولايتى أصحاب المذاهب السيئة والملحدين
والمتدعين والمرائين لأنهم ضلوا الخلق ، ودرست رسوهم وعاداتهم
وكتبهيم .

وآخر :

كان أهل الزمان قد اعتادوا لبس اللباس الحريرى واستعمال
الذهب والفضة ، وقد ألغيتها جميعا ، وأمرت بموافقة أحكام الشريعة .

وآخر :

لم يصبح متيسرا للنساء المسلمات والكافرات زيارة الأضرحة
والمعابد لأنهم كانوا يضعون أس الفساد ، فمنعت ذلك ، وبنيت مسجدا
محل العبادة .

وآخر :

جددت بناء ما كان قد أندرس عن السلاطين السابقين من مسجد
وخانقاه ومدرسة ويتر وحوض وجسر وقصر وحددت الأوقات ، وكان
مولاي المرحوم السلطان محمد قد عاقب بالقتل وقطع أعضاء جماعة
وجدت لهم أبناء ورثة ، فأنعمت عليهم بالانعام والوظيفة وأخذت منهم
براءة لذمة السلطان ، أمهرتها بخاتم الأكابر والأشراف وأودعتها مقبرة
السلطان محمد شاه .

وآخر :

فى أى مكان أسمع أن به فقيرا أو عابدا اذهب اليه وارعى
خاطره .

وآخر :

قررت لمقواد الجيش والأمراء الذين وصلوا سن الكبر ويطلبون
الاعتزال والراحة الوظائف والدخول ، واهتمت بأمر الآخرة .

بقي مما بناه (السلطان فيروز) من عمارات ويقاع خير بهذا الشرح :

جدول : ٤ مسجد : ٤ مدرسة : ٣٠ خانقاه : ٢٠
قصر : ١٠٠ رباط : ٢٠٠ مدينة : ٣٠ حوض : ٤
دار الشفاء : ٤ مقبرة : ١٠٠ حمام : ١٠ منارة : ١٠
يئر : ١٥٠ جسر : ١٠٠ حدائق : لا حصر لها

وسجل في كل بناية أسماء الوقف ، وعين الخدم بكل المساجد والمدارس والخوانق والحمامات والآبار وقرر لهم الرواتب وتفصيل هذا يطول ويزيد .

آخر :

يقولون أنهم أعطوني السم مرتين ، وتناولته وأنا أعلم ، ولم أصب بضر ، ولما كانت الوقائع الأخرى لهذه الرسالة تدخل ضمن التساويح فلا داعي للتكرار ، وليتغمده الله برحمته .

ذكر السلطان تغلقشاه بن فتح خان بن فيروز شاه :

جلس على عرش السلطنة في الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠ هـ في قصر فيروز آباد بمساعدة بغض الأمراء ، ولقب بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، ووزر ملك فيروز بن تاج الدين ، ولقبه بخان جهان ، وعين غياث الدين ترمذي سلاحداري ، وأطلق سراح ملك فيروز على من السجن ونصبه « جامداري » وكان هذا هو منصب أبيه ، وأرسل ملك فيروز على وبهادر لمهاجمة السلطان محمد شاه ، وأرسل سلطان شه حاكم سامانه وراي كمال الدين وأمراء آخرين أيضا لهذه المهمة ، وتوجه في شوال من السنة المذكورة الى جبل سرمور ، ورحل الأمير محمد شاه من هناك ودخل الجبل وتحصن بقلعة كناري ، وتعبه تغلقشاه ، وانتقل محمد شاه من هناك وتوجه الى قلعة نكركوت ، وعاد الجيش من تعبته .

ولما كان السلطان تغلقشاه مستغرقا في اللهو والمجون منذ عنفوان شبابه ، ولذا أهمل أمر الملك وشئون السلطنة ، وأخذت القصور تظهر في أمور الملك ، وسجن تغلقشاه أخاه الشقيق خرم سالارسه لقلته خبرته ، وانزوى أبو بكر بن ظفر خان وهو ابن أخيه بسبب الخوف الذي سيطر عليه وتوجه من ميان الى بدر ، وخرج معه ملك ركن الدين نائب الوزير وأمراء آخرون وقتلوا ملك مبارك كبير في فيروز آباد على بوابة قصر تغلقشاه ، وأدرك (تغلقشاه) غلبة المتمردين ، فخرج من البوابة الخلفية

بمساعدة خانجهان الى نهر جونبور ، وكان ملك ركن الدين موجودا فتعقبه وقبض عليه وعلى خانجهان ، وقتلها ، وعلق رأسيهما على نفس البوابة ، ووقعت هذه الواقعة فى الحادى والعشرين من صفر سنة ٧٩١ هـ ، وكانت مدة حكمه ستة أشهر وتسعا وعشرين يوما والله أعلم بالصواب .

ذكر السلطان أبى بكر شاه :

رفع الأمراء أبى بكر بن ظفر خان ابن السلطان فيروز الى السلطنة عنوة بعد هذه الواقعة ولقبوه بأبى بكر شاه ، وعين ركن الدين بمنصب الوزارة ، وبعد فترة أخبر أبو بكر شاه أن ركن الدين جنده اتفق مع عدد من أمراء الفيروز شاهيه ويريد أن يقضى على أبى بكر شاه ، ويجعل نفسه سلطانا ، وسبقه أبو بكر شه ، وقتل أبو بكر ركن الدين جنده ، وأطاح بالسيف أيضا جمعا من هؤلاء القوم الذين وافقوا ركن الدين ، وسيطر أبو بكر شه على دهلى ، واستولى على أفيال وخزائن السلاطين وظهرت غلبته وسيطرته .

وعلم فى هذه الأثناء أن أمراء مائة سامانه قتلوا ملك سلطان شه خوشدل حاكم سامانه بطعنة خنجر فى الرابع والعشرين من صفر من السنة المذكورة بجوار حوض سنام ، ونهبوا بيته ، وأرسلوا رأسه الى الأمير محمد شاه فى نكركوت وتوجه السلطان محمد شاه من نكركوت الى جلندهر وجاء الى سامانه ، وجلس على العرش فى ربيع الأول للمرة الثانية ، وجدد امراء مائة سامانه وأهالى دامن كوه البيعة له ، وترك أيضا بعض أمراء وملوك دهلى أبى بكرشه والتحقوا بمحمد شاه ، وتجمع حوله عشرون ألف فارس ومشاة لا حصر لهم ، وعندما عزم السفر من سامانه الى دهلى بلغ جيشه عند الوصول الى نواحى دهلى خمسين ألف فارس .

نزل السلطان محمد شاه بقصر جهان نما فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ ، واتجه أبو بكر شه وجيشه لمواجهة جيش محمد شاه فى فيروز آباد ، والتحمت الجيوش فى الثانى من جمادى الأول من السنة المذكورة فى حوارى فيروز آباد ، وفى هذه الأيام دخل بهادر ناهر وجماعته المدينة ، ورجحت كفة أبى بكر وفى اليوم التالى صف أبو بكر الصفوف ، وقاتل ، وهزم محمد شاه وعبر نهر جون بالفين من الفرسان وتوجه الى دوآب ، وأرسل همايون خان ابنه الأوسط الى سامانه ليجمع جمعه هناك ورافقه ملك ضياء الملك أبو رجا ، وراى كمال الدين مئين وراى خلجين بهتى وكانوا حكاما لهذه النواحى ، واتخذ من جليسر على شاطيء الجانج مستقرا له ، والتحق بمحمد شاه بعض أمراء الفيروز شاهيه مثل ملك سرور « شحته شهر » وملك الشرق ونصير الملك حاكم ملتان وخواص

الملك حاكم بهار وملك حسام الدين حاكم أوده وسيف الدين وملك كبير
وأبناء حسام الدين وأبناء ملك دولت يار وحاكم قنوج وراى شيرى وملوك
آخرون بخمسين ألف فارس ومشاه كثيرين ولقب ملك سرور بخواجه
جهان وجعله وزيراً ، وجعل خواص الملك « خواص خان » وسيف الملك
« سيف خان » ونصير الملك « خضر خان » وراى شير « راى رايان » .

رفع محمد شاه لواء السفر الى دهلى مرة أخرى فى شعبان من السنة
المذكورة وقاتل ابا بكر شه فى قرية « كندلى » ولما كانت نوبة السلطان
لم تصل بعد الى السلطان محمد فقد أصيب جيشه بالهزيمة .
« كل أمر يكون فيه خوف لا يتحقق وكل رفيق مريح لا يحقق الصداقة »
وتعقبه أبو بكر شه ثلاثة فراسخ ، وعاد الى دهلى ، واستقر محمد
شاه مرة ثانية فى جليسر .

وفى رمضان من السنة المذكورة أصدر أمرا وأحكاما الى أهل اللتان
ولاهور والقصبات الأخرى أن يقتلوا من يجسده فى أى مكان من الممالك
الفيروزشاهيه ، وحدث قتل عام فى أكثر الأماكن التى نفذ هذا الحكم
فيها ، وشاع الهرج والمرج بين الخلائق وسدت الطرق ، وخرت المنازل ،
وقتل أكثر الرعايا ، واستولى على ضريبة وخراج هذه الولاية وظهست
أنواع الفساد .

وفى المحرم سنة ٧٩٢ هـ اجتمع الأمير همايون خان مع أمراء آخرين
مثل غالب خان حاكم سامانه وضياء الملك وأبى رجا ومبارك خان وملاخون
وشمس خان حاكم قلعة فيروز ، وجاءوا الى بانى بت ، وخرّبوا ما حول
دهلى ، وأرسل أبو بكر شه عماد الملك مع أربعة آلاف فارس مشاة كثيرين
لمواجهته ، وتقابلا فى نواحى بانى بت ، وهزم جيش الأمير همايون خان ،
وذهب الى سامانه ، ولما كان لأبى بكر شه حظ فى فتوحات متتالية ، لذا
توجه فى جمادى الأولى فى السنة المذكورة بجيش جرار لدفع محمد شاه
فى جليسر ، ونزل على مسافة عشرين فرسخا من دهلى ، وكان محمد شاه
قد ترك أكثر الجيش فى جليسر ، وانفصلت جماعة من أربعة آلاف فارس
شجاع لم يقاتلوا جيشه الى بكر شه ، وتوجهوا من طريق جب الى دهلى ،
وقاتلوا القوة التى تركها أبو بكر شه لحراسة أبواب المدينة ، وأشعل
محمد شاه النار فى بوابة بداون ، ودخل المدينة ، ونزل فى قصر همايون
والتحق أهالى المدينة الشريف والوضيع بالسلطان محمد شاه ، وأخبر
أبو بكر شاه بالخبر ، فتوجه فى نفس هذا اليوم من نفس الطريق ودخل
المدينة بجيشه، وقتل ملك بهاء الدين جنكى الذى كان قد تركه السلطان محمد
شاه لحراسة الأبواب ، وتوجه الى قصر همايون ، وتنبه محمد شاه فخرج

من بوابة الحوض الخاص وعاد الى جليسر والتحق بجيشه وقبض أبو بكر على بعض أمراء محمد شاه ، مثل خليل خان ياريك وملك آدم واسماعيل ابن أخت السلطان فيروز شاه وقتلهم ، وقتل بعضهم فى الحرب أيضا .

وفى رمضان من السنة المذكورة اختلف ميسرحت سلطانى مع أبى بكر شاه وتمرد بعض غلمان السلطان فيروز شاه الذين كانوا أمراء ، وأرسلوا رسائل فى الخفاء الى محمد شاه ، وصار أبو بكر شاه ضعيقا وذهب الى بهادر ناهر فى كوتله وطلب منه المساعدة ، وترك ملك شاهين عماد الملك وملك بحرى وصفدر خان سلطانى على دهلى ، وكانت مدة سلطنته سنة ونصف سنة .

ذكر السلطان محمد شاه ابن السلطان فيروز شاه :

وصلت رسالة ميسرخت ورسائل بعض المماليك الفيروزشاهيه الى محمد شاه فى السادس عشر من رمضان المذكور من أن أبا بكر قد رحل مع بعض خاصته الى كوتله ، وركب خان خانان الابن الأصغر للسلطان محمد على فيل وظلل رأسه ، ودخل محمد شاه دهلى فى التاسع عشر من رمضان المذكور وجلس على العرش فى قصر فيروز آباد ، ووزر ميسرخت سلطانى ولقبه بإسلام خان والتحق المماليك الفيروز شاهيه وأهل المدينة جميعا بمحمد شاه .

دخل محمد شاه بعد عدة أيام قادما من فيروز آباد واستقر فى قصر همايون ، واستولى على أقيال مماليك الفيروز شاهيه جميعا وأودعهم الى « فيلخان » واستاء مماليك الفيروز شاهية من هذا الأمر ، وخرجوا من المدينة ، وسلكوا طريق الفرار ليلا ، وعندما وصلوا بنسائهم وأولادهم الى كوتله ناهر ، التحقوا بأبى بكر شه ، وأصدر محمد شاه حكما أنه كل من يكون من مماليك السلطان فى المدينة عليه أن يرحل الى بدر وفى خلال ثلاثة أيام ذهب كثيرون الى مدينة بدر ، وقبض على الذين لم يتمكنوا أن يذهبوا خلال هذه الثلاثة أيام ، وقتلهم ، ومن المعروف أن بعض مماليك السلطان الذين وقعوا بيده بعد ثلاثة أيام كانوا يقولون من الخوف أننا أصلاء ، قال محمد شاه أن كل واحد منكم كهراكهرى يقول أصيل ، وطالما أراد السلطان محمد شاه فلم يستطيعوا أن يتلفظوا بلفظ ، وكانوا يتحدثون بلسان أهل بورب من البنغال ، وقتلوا ، وقتل أهل بورب جميعا أيضا وكانوا أصلاء ، ولم يكونوا يحسنوا الحديث ، وبعد ثلاثة أيام خلت المدينة من مماليك وآل بيت فيروز شاه الذين كانوا يعارضون محمد شاه .

اهتم محمد شاه بتنظيم أمره ، وجمع الجيش من الأطراف والجوانب، واشتد ساعده ، وجاء همايون خان من سامانه بجيش كبير الى دهلى

وتحقق. لجمد شاه الغلبة تماما ، فأرسل همايون خان وغالب خان وراى كمال الدين وراى خلجين لمهاجمة أبى بكر شاه ، وعندما وصل الجيش الى كوتله ، اجتمع ابو بكر شه بالاتفاق مع بهادر ناهر وأهل بيت فيروز شاه فى المحرم سنة ٧٩٣ هـ وفاجأ جيش الأمير همايون خان وجرح جماعة من رجاله ، وخلال ذلك هجم اسلام خان على الأطراف وكان مستعدا ، ونظم الأمير جيشه أيضا ، وتقاتلا ، وفى أول الأمر هزم أبو بكر شه وأعوانه ، ودخل قلعة كوتله ، وعندما علم محمد شاه بهذا الخبر ، رحل من موضعه ، وطلب أبو بكر شه وبهادر ناهر ، وجاءا للملازمة ، وخلق خلعة على بهادر ناهر وسمح له بمرافقة أبى بكر شه وجاءا الى قرية كندى وتفرقا هناك ، وأرسلهما الى القلعة حيث توفى فى نفس هذا السجن، وذهب السلطان محمد الى دهلى .

ووصل خبر تمرد وظلم مفرح سلطانى حاكم الكجرات فى هذه السنة الى السلطان ، فعين ظفر خان بن ونجه الملك على حكومة الكجرات ، وفى سنة ٧٩٤ هـ وصل خبر تمرد برسكنة سردالبيرن ، وتوجه اسلام خان لمهاجمة المتمردين طبقا لأمر السلطان ، وحارب برسكنة اسلام خان ، وهزم وقتل كثير من الكفار وتمتعه جيش السلطان وأخيرا طلب الأمان ، ورافق اسلام خان الى دهلى .

وإثناء ذلك وصل الخبر أن مرداد بيرن قد عبر الى قصبية « ملاكرام » وعندما توجه السلطان اليه بنفسه ، ووصل الى شاطيء نهر بياه ، فر ، ودخل قلعة اتاوه ، وعندما وصل السلطان الى اتاوه تحرك الكفار حركة المذبوح ، وتركوا القلعة ليلا وقرؤا ، وفى اليوم التالى ، دمر السلطان القلعة وتوجه الى قنوج وأبقى كفار قنوج ورايان دلتو ، وجاء الى جليسر ، وبنى قلعة هناك أسماها محمد آباد .

وصلت رسالة من خواجه جهان نائبه على المدينة وفى رجب من السنة المذكورة مضمونها أن اسلام خان أراد البغى ، ويريد الذهاب الى البنجاب وإثارة الفتنة وبمجرد أن سمع السلطان هذا الخبر جاء الى المدينة بجيش جليسر وكتب أمرا باحضار اسلام خان ، واستفسر عن حقيقة الأمر ، فأنكره وشهد جاجو نام هندوى وابن أخيه وكانا من أعدائه بتكديبه ، وقتل السلطان اسلام خان وعين خانجهان وزيرا ، وأرسله بالجيش مع ملك مقرب الملك الى محمد آباد .

ووصل خبر تمرد ميرداد برن وجيت سنكه وبريهنان سو فى سنة ٧٩٥ هـ فأرسل السلطان ملك مقرب الملك لتسكين الفتنة ، وعندما التقى الفريقان ، تدخل ملك مقرب الملك للمصلح ، ورضى بعهد وقول

رايان المذكورين ، وصاروا منقادين وطائعين ، وحملهم الى قنوج ،
وقتلهم بالمكر والخديعة ، وفر راي سير منه الى بدر ودخل اتاوه ،
وعاد ملك مقرب الملك الى محمد آباد .

توجه السلطان فى شوال من نفس السنة الى ميوات ، وانتهبها
ونهب من محمد آباد الى جليسر ومرض ، وعندما وصل الى كوتله قابل
بهادر ناهر ، وهزم ، وتحصن فى كوتله ، ولما لم يكن لديه طاقة للقتال
فر من كوتله .

شاع الخبر أن السلطان قد وصل الى المبنى الذى وضع أساسه
فى محمد آباد ، وزاد مرضه فى هذه الأثناء ، وفى شهر ربيع الأول
سنة ٧٩٦ هـ عين الأمير همايون خان لمهاجمة شيخاكهوكهر الذى أثار
التمرد وسيطر على قلعة لاهور ، وأراد الأمير أن يتوجه الى لاهور
لكن وصله خبر الوفاة فى السابع عشر من ربيع الأول من السنة
المذكورة ، وتوقف الأمير فى المدينة وكانت مدة سلطنة السلطان محمد
شاه ست سنوات وسبعة أشهر .

تذكر السلطان علاء الدين سكندر شاه :

هو الابن الأوسط للسلطان محمد شاه الملقب بهمايون خان ،
وعندما مات محمد شاه ، عقد مجلس العزاء ثلاثة أيام وجلس فى التاسع
عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة على عرش السلطنة بموافقة
الأمراء والملوك والسادات والقضاة وأكابر دهلى ، ووزر خواجسه
جهان ، وقرر الوظائف لأصحابها على القاعدة السابقة ، ومرض وتوفى
فى الخامس من جمادى الأولى من السنة المذكورة .

« يا مالك الدهر ماذا حدث من رفيق الحظ والملك ، لن يستطيع أن يأكل
من هذه المائدة الا نصيبه » وكانت مدة سلطنته شهرا وخمسة عشر يوما
والله أعلم .

تذكر السلطان محمود شاه :

هو الابن الأصغر لمحمد شاه ، عندما توفى السلطان علاء الدين ،
خرج من المدينة أكثر الأمراء مثل غالب حاكم سامانه ورأى كمال مئين ،
ومبارك خان هلاجون خواص خان حاكم أندرى وكرنال ، وأرادوا أن
يرحلوا الى ولاياتهم دون إذن السلطان محمود شاه ، وعلم خانجهان
بالخبر ، فتوعد اليهم ليحضروا الى المدينة .

وفى العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة أجلس على عرش السلطنة فى قصر همايون بسعى الأمراء وملوك وأكابر المدينة ، ولقب بالسلطان ناصر الدين محمود شاه ، وجعل الوزارة لخواجه جهان ، ولقب مقرب الملك بمقرب خان وجعله وليا للعهد ، ولقب عبد الرشيد سلطانى بسعادت خان وجعله باربيكى ونال ملك سارنك لقب سارنك خان وعينه حاكما لديبالبور ولقب ملك دولت يارديبير بـ « دولت خان » وجعله عارضا للممالك ، وكان هذا هو منصب عماد الملك من قبل .

وعندما أصابت الفوضى أحوال عظماء الهندوستان الذين كانوا فى جونبور وتواحيها بسبب غلبة الأعيان ، فأمر خواجه جهان الملقب « بسلطان الشرق » بالرحيل من قنوج الى بهار ، ورحل فى رجب سنة ٧٩٦ هـ ومعه عشرون فيلا وجيش جرار ، واستولى سلطان الشرق تماما على هذه الديار ، وجعل اهالى هذه الديار طائعين وتابعين ، وبنى بعض القلاع التى كان قد خربها وأرسل معه راي جاجنكسر وسلطان لكهنوتى الهدايا والتحف التى كانوا يرسلونها الى السلطان فيروز شاه سنويا ، وفى نفس هذه السنة سمح لسارنك خان بالسفر لحكم ديبالبور ودفع فتنة شيخا كهوكهر .

وصل سارنك خان الى ديبالبور فى شعبان من السنة المذكورة ونظم الجيش فى ذى القعدة سنة ٧٩٦ هـ ، وتوجه معه راي خلجين مهنتى وراى داود وكمال مئين وجيش الملتان ، وعندما اقترب من لاهور ، صف شيخا كهوكهر جيشه الكبير ، واستعد للمقاتل على مسافة اثنى عشر فرسخا من لاهور وهبت نسائم الفتح والظفر على راية سارنكخان ، وهزم شيخا كهوكهر ، وتوجه الى جبل جسمو واستولى على قلعة لاهور فى اليوم الثانى وترك ملك كندهو أخاه الملقب بعادلخان هناك ، وعاد الى ديبالبور .

ترك السلطان محمود شاه مقرب خان مع عدد من الأفيال وجمع من الخيول الخاصة فى المدينة فى شعبان من السنة المذكورة ، وتوجه مع سعادت خان الى كواليار وبيانه ، وعندما اقترب السلطان محمد من كواليار فكر ملك علاء الدين وهاراول ومباركخان وابن ملك راجو وملو آخر سارنك خان فى الغدر بسعادت خان ، وعلم سعادت خان ، فقبض على ملك علاء الدين ومباركخان وقتلها ، وفر ملو وذهب الى مقرب خان فى دهلى وعاد السلطان مسرعا ، وجاء الى دهلى واستقبله مقرب خان .

ولما كان (مقرب خان) يعلم أن مجيء ملو قد أساء الى خاطر السلطان لذا دخل بلطائف الحيل الى المدينة ، ورفع لواء المعارضة ، وحاصر السلطان سعادت خان ، وقامت الحرب يوميا ولمدة ثلاثة أشهر ، وخاب بعض تابعى مقربخان السلطان فانفصلوا عن سعادت خان ، ودخلوا المدينة ، وتركوا الأفيال والجياد والمتاع لدى سعادت خان ، وقوى مقربخان بسبب مجيء السلطان وعزم على الحرب ، وهزم وتحصن ثانية ، وعندما رأى سعادت خان أنه من الصعب تسخير قلعة دهلى ، وهطلت الأمطار ، فنهض من حول المدينة ، وذهب الى فيروز آباد ، وجلس على عرش السلطنة ولقب نفسه ناصر الدين نصرت شاه وعندما وجد أمراء نصرت شاه أن نصرت شاه نموذج ليس له مثيل انفصلوا بالمكر والخديعة عن سعادت خان ، ووصلت جماعة لمهاجمة سعادت خان أثناء غيبته ، ولم يكن لدى سعادت خان طاقة ، فذهب الى دهلى ، والتحق بمقرب خان واحتال عليه هذا الغدار بحيلة وقتله ، وجدد أمراء نصرت شاه مثل محمد مظفر وشهاب ناهر وفضل الله بلخي والبيات فيروز شاهى جميعا البيعة لنصرت شاه وجعل محمد مظفر وكبلا للممالك ، ولقبه بتاتار خان ، ولقب شهاب ناهر بشهاب خان وفضل الله بلخي بقتلخان والتقى السلطانان ما بين دهلى وفيروز آباد ، وترك مقرب خان بهادر ناهر مع قوة كبيرة على قلعة دهلى القديمة ولقب ملو ياقبال خان ، وسلمه القلعة الخارجية ، واصطفت الصفوف ما بين دهلى وفيروز آباد ، وتساوى الطرفان ، وقعت بعض القرى بين النهرين وبانى بت ومن بت ورهتك وجمهجر ولسافة عشرين فرسخا من المدينة تحت سيطرة نصرت شاه ، ولم يبق لحمود شاه سوى قلعة دهلى وتهران ، واستولى أمراء وملوك هذين السلطانين كل واحد على ولاية واستقلوا واجازوا لابنهم الحكيم الولاية ، ولمدة ثلاث سنوات نهج أمر الملك على هذا النهج ، وظل أمر ملك السلطانين غير مستقر .

وفى سنة ٧٩٨ هـ اختلف سارنكخان حاكم ديالبور ولاهور وكان ذى الأصل معيناً من قبل محمود شاه مع خضرخان حاكم الملتان ، والتحق بعض مماليك بهتى سارنك ، وقوى نفوذ سارنك واستولى على الملتان فى رمضان سنة ٧٩٩ هـ ، وجمع جمعه وتوجه الى غالب خان حاكم سامانه بن قيل نصرت شاه ، وقاتل غالب خان وهزم ، وجاء الى باني بت عند تاتارخان ، وسمع نصرت شاه هذا فأرسل عشرة أفيال رقوة أخرى لمساعدة تاتارخان ، واصطف بالمقرب من كوتله فى الحادى عشر من المحرم سنة ٨٠٠ هـ ، وهزم سارنك خان ، فتوجه الى جانب الملتان ، وسيطر على ملك الماس حاكم سامانه ، وبسلمها الى غالب خان وتقع تانلودى .

وفى ربيع الأول من السنة المذكورة عاد تاتارخان وعبر مرزا بير محمد حفيد أمير صاحب قران تيمور كوكان من نهر ستلد ، وحاصر قلعة أوجه ، وتحصن ملك على الذى كان حاكما على أجه من قبيل سارنكخان ، وقاوم لمدة شهر ، وأرسل سارنكخان ملك تاج الدين ناتبا مع أربعة آلاف فارس من الشجعان لمساعدة ملك على ، وعلم مرزا مير محمد فترك القلعة ، واستقبل الأعداء ، وحصد رؤوسهم ، وهزم ملك تاج الدين ، وتعقبه مرزا مير محمد ، وحاصر قلعة الملتان ، وحارب سارنكخان لمدة ستة أشهر وكانت الحرب تقع يومياً وأخيراً طلب الأمان ، ولازم ميرزا مير محمد وتوقف ميرزا مير محمد بعد فترة بالملتان لعدة أيام فى تلك الأثناء .

وفى شوال من السنة المذكورة ذهب اقبال خان الى نصرت خان وتحديثا فى مزار الشيخ قطب الدين بختيار كاكى قدس الله سره ، فى القرآن الكريم ، وتعاهدا واحتمى نصرت شاه بجيشه وأقباله فى قلعة « جهان بناه » وظل محمود شاه مقصنا مع مقرب خان وبهادر ناهر نى دهلى القديمة وفى اليوم الثالث دبر الخديعة والمكر ، وأراد أن يقبض على نصرت شاه ، وخرج نصرت شاه من القلعة مضطرا ، وقبض عليه اقبالخان مع عدد من أتباعه فى فيروز آباد وبذل مقرب خان قلعة جهان بناه ، واحتمى بها .

جمع اقبال خان جيشه وغافل منزل مقرب خان ، ولم يعطه الأمان وقتله ، ولم يؤذ السلطان محمود شاه أبى انبى وكرمه ، وأجلسه على السلطنة ، وذهب اقبالخان الى تاتارخان فى ذى القعدة من نفس السنة المذكورة فى بانى بت ، وترك تاتارخان جماعة مع عدد من الفيلة داخل القلعة وتوجه الى دهلى من طريق آخر ، وبعد ثلاثة أيام فتحت قلعة بانى بت ، واستولى اقبال خان على أقبال وحشم تاتارخان ، وعلى الرغم من سعى تاتارخان لفتح قلعة دهلى فلم يفلح ، واضطرب عند سماع خبر فتح بانى بت ، وذهب الى أبيه بالمكجرات ، وجاء اقبال خان الى دهلى ، وحرص نصير الملك خويش تاتارخان وكان من تابعى اقبال خان على ذهابه الى تاتارخان ، ولقبه بعابليخان ، وسلميه سامانه وما بين دواب ، ووضع أساس حكومة مستقلة له هناك .

ووصل خير اقدم صاحب قران أمير تيمور كوركان فى صفر سنة ٨٠١ هـ وفتح « طليته » ونزل بالملتان ، وقتل كل من أسره مرزا بير محمد جميعا ، وخاف اقبال خان من هذا الخير فجمع جيشه وحزم امتعته ، رحل صاحب قران من الملتان وحاصر قلعة بهيره وأسر رأى خلجين بهتى وقتل خلقا كثيرين كانوا متحصنين ، واتجه صوب سامانه

ومن هناك فر بعض الأهالى من ديبالبور وأجودهن سرستى وجاءوا الى دهلى وأسر وقتل خلقا كثيرين ، وتوجه أمير صاحب قران من هناك ودخل ولاية دواب بالنصر والفتح ، ونهب اكثر الأماكن ، ونزل بقصبة « لوني » .

ويروون انه أسر خمسين ألف شخص من أهالى الهند والجانج حتى نهر السند ، وقتل خلقا كثيرين ، وفر أكثر الخلائق ، وتحصنوا فى الجبال ، وفى جمادى الأولى سنة ٨٠١ هـ عبر نهر جون ونزل بفيروز آباد ، وفى اليوم الثانى نزل بجوار الحوض الخاص ، وخرج اقبال خان من المدينة وتحرك حركة المذبوح وفى أول هجوم هزمه الجيش الظافر ودخل المدينة ، ودمم خلائق كثيرين ، وقتل وأسر جمع غفير ، ووقعت أكثر الأقيال والحشم بيد أصحاب دولة صاحب قرانى ، وعندما حل المساء ترك ملوخان زوجاته وأطفاله وذهب الى قصبة برن ، وأخذ السلطان محمد وقليل من خاصته وخدمه الى الكجرات ، وفى اليوم التالى أمن صاحب قرانى أهالى المدينة ، وعين جماعة لتحصيل مال الأمان .

حدث أن بعض أهالى المدينة أنكروا ظلم المحصلين ، وقتلوا عددا منهم ، فأثار هذا نائفة صاحب قرانى ، فحكم بإبادة المدينة ، وفى هذا اليوم قتل وأسر خلق كثيرين ، وفى النهاية صدر عفو عن جرائم هذه الطائفة ، وأعطى الأمان والأمن لهم .

جاء خضر خان بعد عدة أيام وكان يسيطر على جبل ميوات ، وأمن بهادر وناهر ومبارك خان ووزير خان ، ولازموا صاحبقرانى ، وقيدهم جميعا عدا خضرخان ، الذى كان يعلم أنه « سيد » ورجل كريم ، ورفع راية العودة وعاد من طريق دامن كوه ، وصارت ولاية دامن كوه من أثر وطأة الجيش الظافر عاليها سافلها .

عندما وصل الى لاهور ، جاء شيخاكهوكهر الذى كان عدوا لسارنك خان من قبل ، الى صاحب قرانى ، وأبدى تأييدا وطاعة ، واستولى على لاهور بالحيلة ، وقبض عليه بلبائف الحيل وأمر زوجاته وأتباعه وانتهت لاهور ، وسلم الملتان وديبالبور لخضر خان ، وعاد من طريق كابل الى سمرقند بعد أن خرب دهلى خلال شهرين .

جاء نصرت شاه الذى كان قد فر خوفا من اقبال خان من بين التهرين فى رجب من السنة المذكورة ، وعاد بجمع قليل الى بهرت ، والتحق به عاد لخان بأربعة أقيال وجيشه ، والتحق بعض الأهالى الذين فروا من يد المغول وكانوا بين دواب بنصرت شاه ، وجاء نصرت شاه

الى فيروز آياد بالقين ، واستولى على دهلى الخربة ، وجاء شهاب خان من ميوات مستعدا بعشرة أفيال وجيشه ، وجاء ملك الماس من دواب ، وقوى جمعه ، فأرسل شهاب خان لمهاجمة أقبالخان فى برن واثناء الطريق اغار اهالى هناك بتحريض اقبالخان على جيشه فاستشهد شهاب خان وتفرق جمعه ، وسقط حشمه وقيله فى يد اقبالخان ، وبدت له القوة على اقبالخان يوما بعد يوم ، وترجع الى دهلى ، ولم يستطع نصرت شاه مقاومتها ، فترك فيروز آياد وذهب الى ميوات ، وسيطر اقبال خان على دهلى ، وكان الاهالى قد تفرقوا فى كل مكان ، ورحلوا عن دهلى خوفا من المغول ، وجاءوا فى وقت قصير .

بنى اقبال خان قلعة بدرسىرى ، وضبط ولاية دواب ونواحى المدينة ، وظلت بلاد الهند تحت سيطرة الامراء ، فكانت الكجرات تحت سيطرة ظفرخان وابنه تاتارخان ، وحكم خضرخان الملتان وديابلور من نواحى السند ، وسيطر محمود خان بن ملك زاده فيروز على مهويه وكالبي ، وسيطر خواجه جهان سلطان الشرق على قنوج واوده ودلنو وسنديله وبهرايج وبهار وجونيور ، وحكم مالوه دلاور خان وسامانه غالب خان وبيانه شمس خان اوحدى واستقل كل منهم بولايته ، ولم يقدم الطاعة لأحد .

توجه اقبال خان الى بيانه فى ربيع الأول سنة ٨٠٢ هـ ، وتقابل مع شمس خان وهزمه ، ودخل قلعة بيانه ، واستولى على اقباله ، وتوجه من هناك الى « كبر » وأخذ من رأى برسنكه الهدايا ، وعاد الى المدينة .

توفى خواجه جهان فى جونيور ، فى نفس هذه السنة ، وجلس محله على السلطنة ملك مبارك قرنفل وكان ابنه بالتبني ، ولقبوه بالسلطان مباركشاه ودخلت ولاية خواجه جهان تحت سيطرته ، وفى جمادى الأولى سنة ٨٠٣ هـ توجه اقبالخان لمهاجمة مباركشاه شرقى ورافقه شمس خان حاكم بيانه ومباركشاه خان وبهادر ناهر وعندما وصل الى قصبه يتالى على شاطيء نهر الجانج ، تقابل مع رأى سر « وزمينداران » هذه النواحى ، وهزم بعد القتال ، وذهبوا الى اتاوه ، وتوجه اقبالخان الى قنوج ، وتقدم مباركشاه أيضا ، وظلا متقابلين لمدة شهرين على شاطيء نهر الجانج ، وأخيراً تقرر الصلح ، وعاد الطرفان ، واثناء العودة ظن اقبالخان ظن السوء فى مباركخان وشمس خان اوحدى وقتلها غدرا ، وفى نفس هذا الوقت ذهب طغى خان تركنجه صهر غالب خان حاكم سامانه بجيش جرار لمهاجمة خضر خان ، وتقابل الطرفان من التاسع من رجب من السنة المذكورة فى نواحى

أجودهن وهى كشتهر بيتن الشيخ فريد وبعد القتال والحرب هزم طغى خان ودخل قصبه بهو وقبض غالب خان والأمراء الآخرون الذين كانوا برفقته على طغى خان وقتلوه .

وفى سنة ٨٠٤ هـ كان السلطان محمود قد فر خوفا من صاحبقران الى دهار . وبعد عودة صاحبقران ، توقف هناك ثم جاء آمنا من دهار الى دهلى ، واستقبله اقبال خان وانزله فى قصر « همايون جهان نماى » ولكن مقاليد السلطنة والحكومة كانت بيده ، واضطر للموافقة ورافق محمود شاه اقبالخان فى سفره الى قنوج ، وأثناء الطريق علم أن مباركشاه شرقى قد توفى وحل محله السلطان ابراهيم أخوه ، فتقدم السلطان محمود لتسخير جونپور وشحن همته ، واستعد واستعد أيضا السلطان ابراهيم بالجيش ، وواجهه بالأفيال الضخمة ، وتقابلا ، وظل الشجعان من الطرفين يتقاتلان عدة أيام ولما كان السلطان محمد فى خوف ووجل من اقبال خان ، فقد اعتبر أن السلطان ابراهيم تابعه ومن أهل بيته ، وخرج ذات ليلة من جيشه ، وذهب وحيدا الى جيش السلطان ابراهيم ، ولم يقدم السلطان ابراهيم بسبب خسته وكفرانه للنعمة لموازم الضيافة والخدمة ، ولسوء تصرفه عاد السلطان من هناك ، وجاء الى قنوج ، وجعل الأمير هربوى الذى كان حاكما لقنوج من الناحية الشرقية على بدر ، واستولى على قنوج وذهب اقبال خان الى دهلى وعاد السلطان ابراهيم أيضا الى جونپور ، والتف أهل قنوج الوضع منهم والشريف حول محمود شاه ، ووصل مماليكه واتباعه المتفرقين من كل مكان ، وقنع هو أيضا بقنوج .

عزم اقبال خان على السفر الى كواليار فى جمادى الأول ٨٠٥ هـ وكانت قلعة كواليار قد سقطت بيد راي برسنگه حين جاءت جيوش صاحبقران الى دهلى ، وبعد وفاته سيطر بيرم ديو ابنه عليها ، ولما كانت القلعة حصينة تماما لم يستطع فتحها ، فخرّب ولاية كوالير وعاد الى دهلى ، وذهب ثانية الى كوالير فى السنة التالية ، واستقبله بيرم ديو ، وقامت الحرب بظاهر قلعة دهولبور وهزمه ، ودخل القلعة ، وعندما حل الليل ، ترك قلعة دهولبور خالية وذهب الى كواليار ، وتعبه اقبال خان حتى كواليار ، وقام بالسلب والذهب وعاد الى دهلى .

وفى سنة ٨٠٦ هـ وصل الخبر أن تاتارخان بن ظفر خان قد عزل آياه من حكم الولاية ، ولقب نفسه بناصر الدين محمد شاه ، وفى سنة ٨٠٧ هـ توجه اقبال خان لتسخير اهالى اتاوه ، وتحصين راي، هردز وراى كواليار وراى جمالها وملوك آخرون فى اتاوه ، وقاتلوا،

أربعة أشهر ، وأخيرا عقدوا الصلح على أن يرسل راي كوالير الى حاكم،
دهلى سنويا أربعة أقيال ومبلغا من المال .

توجه اقبالخان فى شوال من نفس السنة الى قنوج ، وحاصر
السلطان محمود ، وعلى الرغم أنه قاتله ، لكن لا فائدة ، وعاد دون
تحقيق الهدف :

توجه اقبال خان الى سامانه فى المصرم سنة ٨٠٨ هـ وترك
بهرامخان تركبجه الذى كان مخالفا لسارنك خان مقاطعته خوفا من
اقبالخان ، وذهب الى جبل يدهنور وتعقبه اقبال خان ، ونزل قرب
الجبل ، وبعد عدة ايام توسط الشيخ عالم الدين حفيد الشيخ جلال
البخارى وصالحهما وأخذ اقبالخان بهرام خان برفقته ، وتوجه الى
الملتان ، وعندما وصل الى بنفوندى قبض على راي داود كمال مئين
وراي هنوبن راي خلجين بهتى وسجنهما ، وفى اليوم الثالث من
الصلح نقض العهد وسلخ بهرامخان ، وعندما نزل على شاطئ
نهر وهنده قرب أجودان ، جاء خضرخان من ديالبور عازما الحرب
والقتال ، وصف الجنود فى التاسع عشر من جمادى الأولى من السنة
المذكورة وأسر اقبالخان فى أول هجوم بيد رجال خضرخان ، وقتله .
خضرخان ، وانقلب عليه الزمان بسبب أصله الحرام ونقضه للمهد .

« لا تنقض عهد الشهامة ، لان الفلك سرعان ما يأتى بنتيجة عملك »

عندما وصل خبر (مقتل اقبالخان) الى دهلى استدعى دولت خان.
واختيار خان والأمراء الذين كانوا فى دهلى محمود شاه من قنوج ،
وجاء محمود شاه الى دهلى فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ،
وجلس على عرش السلطنة ، وطرد اهل واتباع وزوجات اقبالخان من
دهلى وأرسلهم الى كوله ، ولم يصب أحد منهم بسوء قط ، وفوض
قيادة ما بين النهرين لدولت خان وترك فيروز آباد لاختيار خان ، وفى
نفس هذا الوقت قدم اقليم خان وبهادر ناهر فيلين هدية ولزاموه ، وبعده
نجاح السلطان محمود فى تحقيق هدفه رفع اللواء سنة ٨٠٩ هـ الى
جونبور وأرسل دولت خان بجيش جرار الى سامانه لمهاجمة بيرم خان
تركبجه الذى استولى على سامانه بعد مقتل بهرامخان وعندما اقترب
محمود شاه من قنوج قابله السلطان ابراهيم من جونبور ، ونزل
الجيشان على شاطئ نهر الجانج فى المواجهة ، واشتعل القتال والنزال
عدة ايام وأخيرا تقرر الصلح بسعى الأمراء ، وذهب كل منهما الى
مكانه .

فكر السلطان ابراهيم بعد أن عاد وتفرق أكثر أمراء وجنود السلطان محمد عنه في انتهاز الفرصة ، وجاء الى قنوج وتحصن ملك محمود ترهتي الذي كان حاكما على قنوج من قبل السلطان محمود وحارب أربعة أشهر حتى يؤس من مساعدة وعون السلطان محمود ، وسعى السلطان ابراهيم فترك له قنوج ، وسلم السلطان ابراهيم كنبله لاختيار خان حفيد دولت يار وقضى موسم المطر هناك أيضا .

وفي سنة ٨١٠ هـ انفصل نصرت خان كرك انداز وتاتارخان بن سارنك خان وملك مرحبا غلام اقبال خان عن محمود شاه والتحقوا بالسلطان ابراهيم ، وتوجه السلطان ابراهيم من هناك الى سنبل وكان عليها أسد خان لودي نائبا عن السلطان محمود وبعد يومين تصالح مع قلعة سنبل وسلمها السلطان ابراهيم الى تاتارخان ، وتوجه الى دهلي ، وعندما وصل الى شاطئ نهر جون ، أراد أن يعبر النهر ، وعلم أن ظفر خان حاكم الكجرات قد فتح بلاد مالوه ، وأسر الف خان ابن دلاور خان ، والملقب بالسلطان هوشنك ، وبمجرد سماع هذا الخبر عاد الى دهلي ووصل الى جونپور في ذي القعدة من السنة المذكورة .

توجه السلطان محمود لمهاجمة ملك مرحبا حاكم قصبه برن من قبيل السلطان ابراهيم ، وخرج مرحبا من القلعة لمقاتلته وهزمه في أول هجوم ودخل القلعة ، ودخل جيش محمود شاه أيضا وراءه القلعة ، وقتل مرحبا وذهب محمود شاه الى سنبل ، ولم يقاتل تاتارخان ، وترك سنبل ، وفر الى قنوج ، وترك محمود شاه أسد خان لودي على سنبل ، وعاد الى دهلي .

وفي شهر رجب سنة ٨١٠ هـ وقع قتال بين دولت خان وبيرمخان تركبجه على مسافة فرسخين من سامانه ، وهزم بيرم خان ودخل سرهند وتحصن ، وأخيرا نال الأمان من دولت خان ، ولما كان بيرم خان قد بايع من قبل خضر خان ولم ينقض العهد ، فقد جمع خضر خان جمعه وذهب الى دولت خان ، ولم يكن لديه مقدرة للمواجهة فعبر نهر جون ، وانفصل جميع الأمراء الذين كانوا قد التحقوا بدولت خان عنه وجاءوا الى خضر خان ، وسلم قلعة فيروزه الى قوام خان ، وأخذ سامانه وسنام من بيرم خان وسلمها الى زيرك خان ، وترك مدينة « ندرا » وعددا من القرى الأخرى الى بيرم خان وعاد الى فتحبور ، وفي هذا الوقت كانت دواب وزهتك تحت سيطرة محمود شاه ، وتوجه محمود شاه لمهاجمة قوام خان في سنة ٨١١ هـ وتحصن في قلعة فيروز ، وبعد عدة أيام أرسل ابنه بهدايا كثيرة الى السلطان واعتذر وعاد السلطان الى دهلي .

سمع خضر خان هذا الخبر فجاء الى فتحآباد ، فألحق بأهالى.
فتح آباد الذين كانوا قد التحقوا بمحمود شاه الضرر جميعا ، وعين
ملك تحفه على دواب ودهاتراب اللذين كانوا تحت سيطرة السلطان ،
ورحل تبار وفتح خان من دهاتراب وتوجه الى دواب ، وأسر بعض
الاهالى الذين بقوا فى دهاتراب ، وتوجه خضر خان من رهتك الى
دهلى ، ودخل محمود شاه فيروز آباد ، واستولى عليها ، وحاصر
قلعة فيروز آباد وبعد عدة أيام عاد دون تحقيق هدفه وتوجه الى فتح
پور .

وفى سنة ٨١٢ هـ اختلف بيرم خان مع خضر خان ، وذهب الى
دولت خان وأرسل أهله وزوجاته الى الجبل ، وتعبه خضر خان حتى
وصل الى شاطيء نهر جون ، واضطرب بيرم خان وجاء عاجزا الى
خضر خان فعينه على القرى التى كانت مقاطعة له من قبل وعاد.
خضرخان إلى فتحپور .

وفى سنة ٨١٣ هـ توجه خضر خان الى ملك ادريس ، الذى كان
حاكما لرهتك من قبل محمود شاه ، وتحصن ملك ادريس فى قلعة
رهتك ، وقامت الحرب ستة اشهر ، وأخيرا اضطر الى ارسال ابنه اليه
وقدم مبالغ هدية وبايعه ، وتوجه خضرخان من طريق سامانه الى
فتحپور ، وبعد عودة خضرخان ذهب محمود شاه الى كهتيل للصيد ،
وعاد الى دهلى وانشغل باللهو والطرب وظل على هذا الحال .

وفى سنة ٨١٤ هـ توجه خضر خان الى رهتك وكانت ضمن ولاية
محمود شاه ، واستقبله ملك ادريس وأخوه ميارك خان ولازموه فى
هانسى ، وحظيا بعنايته واهتمامه الحار ، ونالا رضاه ، وبعد ذلك انتهبه
قصابة نارنول وكانت تحت سيطرة اقليم خان وبهادر ناهر ، وجاء الى
دهلى ، وحاصر قلعة سيرى وتحصن محمود شاه ، وتحرك حركة
المدبوح ، والتحق اختيار خان بخضر خان وكان حاكما لفيروز آباد من
قبل محمود شاه ، ورحل خضر خان من أمام بوابة قلعة سيرى ونزل
بقصر فيروز آباد ، واستولى على القصبات ما بين دواب وحسول
المدينة ، وفك الحصار بسبب نقص الغلة ، والعلف ، وجاء الى فتحپور
من طريق بانى بت فى سنة ٨١٥ هـ .

وفى رجب من السنة المذكورة توجه محمود شاه الى كيتهل
للصيد ، وعاد الى دهلى ، وأثناء العودة وفى ذى القعدة من السنة
المذكورة مرض وتوفى فى نفس هذا الشهر ، وانتهت منذ ذلك التاريخ
سلطنة سلسلة الفيروز شاهيه وامتد حكم السلطان محمود شاه بن

محمد شاه بن فيروز شاه الذي لم يكن الا اسما اثنتين وعشرين سنة
وشهرين .

استمر الفساد في دهلي بعد ذلك بشهرين ، وبإيع امراء السلطان
محمود شاه دولت خان ، وارقد ملك ادريس ومبارزخان عن خضرخان
والتحققا بدولت خان ، وقضى خضرخان هذه السنة في فتحپور .

وفي المحرم سنة ٨١٦ هـ توجه دولت خان الى كيتهل ، وجاء راي
برسنكه والملوك الآخرون ولازموه ، وعندما وصل الى قلعة بيتالي جاء
مهابت خان أيضا اليه ، وفي هذه الأثناء ، علم أن السلطان ابراهيم
شاه شرقي قد حاصر قادرخان بن محمود خان في كالبى ، ولم يكن
لدولت خان جيش يمكن أن يقاوم السلطان ابراهيم ، فعاد الى دهلي .

توجه (خضر خان) في رمضان من السنة المذكورة الى دهلي ،
وعندما وصل الى قلعة فيروزكوه جاء امراء هذه الديار الى خضرخان ،
ودخلوا ضمن مؤيديه ، وبقي ملك ادريس متحصنا في قلعة رهتك ، ولم
يتعرض له خضر خان مطلقا ، وتركه هناك وتوجه الى ميوات ، ووصل
جلال خان ابن أخى بهادر تاهر اليه هناك ، وعاد من هناك الى سنبل ،
وانتهبها وسلبها ، وعاد الى دهلي في ذى الحجة من السنة المذكورة ،
ونزل أمام بوابة سيرى ، وجعل دولت خان جيشا في القلعة لمدة أربعة
أشهر ، وأخيرا استولى ملك تومان وسائر تابعى خضرخان على بوابة
دولت خان بحسن تدبيرهم ، وضاع الأمر من يد دولت خان ، واضطر
اطلب الأمان وجاء الى خضر خان وسلمه خضرخان الى قوام خان ،
وأمر أن يحافظوا عليه حبيسا في قلعة فيروزه ، فكانت هذه الواقعة
في ربيع الأول سنة ٨١٦ هـ .

ذكر الرايات العاليات لخضر خان بن ملك سليمان :

رووا أن ملك مردان دولت أحد امراء السلطان فيروز قد ربي
ملك سليمان في طفولته وتبناه حتى بلغ درجة الشباب ، وذات يوم
استضاف ملك مردان دولت أمير جلال بخارى قدس سره ، وأثناء
تقديم الطعام أمر ملك مردان دولت ملك سليمان أن يقوم بغسل يد أهل
المجلس ، فقال سيد جلال هذه المهمة لا تليق بفتى ابن سيد ، وصدق
سيد جلال نسبة بكلامه هذا ، وكان خضر خان شابا صادق القول
محبيب الأطوار ، صاحب أخلاق ، طاهر الطينة وكانت عظمة حاله دليل
عظمته !

« مع أن أفعاله الطيبة جاءت من حبه ، لكن مديح صفاته تنسب لحاله »
المهم ، حكم ملك مردان دولت الملتان فى زمان فيروز شاه ، وبعد
وفاته ، استولى عليها ملك شيخ ، وتوفى بعد فترة قصيرة ، وأعطى
السلطان فيروز شاه الملتان لخضر خان ، وصار خضرخان من الأمراء
الذخيار .

وقبل أن يستولى على دهلى ، وقعت حروب كبيرة ، وحقق
فتوحات عظيمة حتى انتقل وسيطر على دهلى فى الخامس عشر من
ربيع الأول سنة ٨١٧ هـ .

ومع أنه كان أهلا للسلطنة ، وأسباب الملك لكن لم يطلق اسم
السلطنة على نفسه ، وكان ملقباً « برايات أعلى » ، وجعل السكة
والخطبة فى أول الأمر باسم أمير تيمور ثم باسم ميرزا شاهرخ (٤٢٨)
وكانوا يزيلون الخطبة باسم خضرخان ، ويدعون له ، لقب (خضرخان)
ملك بجورا بلقب تاج الملك ، واتخذ وزيراً ، وأعطى سيد معالم سبارن
بور ، ولقب ملك عبد الرحيم الابن بالتبني ملك سليمان بعلاء الملك
وأحال له الملتان وفتحبور وجعل ملك سرور « شحنة شهر » (٤٣٩)
وجعل ملك خير الدين خانى عارضا للممالك وجعل ملك كالى « شحنة
شيل » (٤٤٠) وملك داود فى وظيفة « دبيرى » (٤٤١) وعين اختيار
خان على « ميان دولت » ، وأقر لآل بيت السلطان محمود شاه الرواتپ
والوظائف كل حسب حالته وسمح لهم بالتوجه الى مقاطعاتهم .

وأرسل تاج الملك بجيش جرار الى بداون وكهيتز فى نفس السنة
المذكورة ، ليؤدب المتمردين فى الولاية ويرعى الرعية ، وعبر تاج الملك
نهر جون والجانب ، ودخل ولاية كهتر ، وأدب أهلها بما يناسبهم ، وفر
راى هرسنكه ودخل فى وادى آذوله ، ولما ضاق الأمر عليه ، اضطر
لدفع المال واختار الولاء ، وجاءت مهاتب خان حاكم بداون أيضاً
ولازمه ، ومن هناك توجه الى شاطيء نهر رهب ووصل الى رأس جسر ،
وعبر نهر الجانب واستعد كفار كهور التى تشتهر حالياً بشمس اباد
وكنبله ، وتوجه من طريق قصبية « سيكتة » ، وجاء حسن حاكم رابرى
وأخوه حمزه ورأوا أن راى سرور قد وصل أيضاً مطيعاً ومؤيداً ، وقدم

-
- (٤٢٨) ابن تيمور كوركان
 - (٤٣٩) حاكم المدينة
 - (٤٤٠) المسئول عن الاقبال
 - (٤٤١) الكاتب

راجه كواليار وسرور جندوار الخراج ، واستولى على قصبة جليسر من يد راجيوتى جندوار ، وسلمها للمسلمين الهدامى ، وعين « شقدار » عليها ، ودخل من هناك ولاية كوالير ، وانتهبها وسلبها ، وأخذ ما كان مقررا عليها كل عام ، وذهب من هناك الى جندوار ، وأخذ المال من برسنكه حاكم كنبله وبيتالى وعبر نهر جون قرب جندوار ، وعاد الى دهلى .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، علم أن جماعة الأتراك من قوم بيرم خان وتركبجه وملك سدهو ناهر الذى كان بجسانب مباركخان حاكم سرهند قد استولوا على سرهند بعد مقتله ، وعين خضر خان زيرك خان بجيش جرار لمهاجمتهم ، وعبر الأتراك نهر ستند ، وتحصنوا فى الجبل وتعقبهم زيرك خان ودخل الجبل وظل شهرين ، وعاد دون تحقيق هدفه .

وفى رجب من السنة المذكورة جاء الخبر أن السلطان أحمد كجراتى قد حاصر قلعة ناكوز فعزم خضرخان تسكين هذه الفتنة ، وتوجه من طريق توده الى ناكور ولم يقاتل السلطان أحمد ، وعاد الى ولايته ، وعاد خضر خان وتوجه الى مدينة « نوعروس » جهاتن التى كانت من عمائر السلطان علاء الدين خلجى ، وجاء الياس حاكم هذه المدينة ، وأدب المفسدين ، وتوجه الى كواليار ، ولما لم يتيسر الاستيلاء على القلعة ، أخذ المال المقرر من راي كواليار وتوجه الى بيانه وأخذ المال من شمس خان أوحدى حاكم بيانه وعاد الى دهلى .

وفى سنة ٨٢٠ هـ وصل خبر يغبى طوغان وبعض الأتراك الذين قتلوا ملك سدهو ، وأرسل زيرك خان حاكم سامانه لمهاجمتهم ، وعندما اقترب من سامانه ترك المتمردون قلعة سرهند ، وذهبوا الى الجبل ونجا ملك كمال بدهن الذى كان فى القلعة ووصل اليه ، وتعقب زيرك خان المتمردين ووصل الى قصبة مايل ، وأبدى طوغان قائد الأتراك الولام ، وقبل تقديم الهدايا فأعطى ابنه « بكرو » وانفصل الأتراك قتل ملك سدهوعنه ، وعاد زيرك خان الى سامانه ، وأرسل ما له وابنه الى خضر خان .

وفى سنة ٨٢١ هـ أرسل خضر خان تاج الملك الى هرسنكه راجه كتهير ، وعندما عبر الجيش نهر الجانج ، أخلى هرسنكة الولاية ، ودخل غابة أتوله ، ولان بها ، ودخل جماعة الغابة وهزموه واستولوا على جياده وسلاحه ومناعه ، وتعقبوا الجيش حتى جبل كباؤن واستولوا على غنائم كثيرة ولحقوا بالجيش فى اليوم الخامس .

جاء تاج الملك بعد هذا من طريق بداون الى شاطيء نهر الجانج ،
وعبر من جسر « بجلانه » واستأذن مهابت خان حاكم بداون وجاء الى
اتاوه ، وتحصن راي سرور في اتاوه ، ونهب تاج الملك ولاية اتاوه
واخيرا عقد الصلح ، وفي ربيع الآخر من السنة المذكورة عاد الى المدينة .

وفي نفس السنة المذكورة توجه خضر خان الى بثنه لمهاجمة مفسدى
كتهير ثم تانديب مفسدى ولاية كول ، وعبر نهر رهب وخراب سنبيل ، وتوجه
الى ذى القعدة من نفس السنة المذكورة الى بداون ، وعبر بالقرب من
بيتالى نهر الجانج ، ووقع الخوف في قلب مهابت خان من هذا العبور ،
فذهب الى بداون ، وفي ذى الحجة تحصن في قلعة بداون ، وقضى ستة
أشهر في قتال وجدالٍ واثناء ذلك فكر في الغدر ببعض الأمراء أمثال
قوام خان واختبار خان وسائر آل بيت محمود شاه الذين انفصلوا عن
دولت خان وكابوا قد التحقوا بخضر خان ، وعلم خضر خان بهذا الأمر
فترك محاصرة القلعة وعاد الى دهلي .

وإثناء عودته وفي العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، وعلى
شاطيء نهر الجانج قتل قوام خان واختبار خان وأهل بيت محمود شاهي
وسائر أهل الغدر والمكر وعاد الى دهلي .

وبعد عدة أيام علم أن شخصا يفكر في الفتنة سرا ويدعى سارنك
قد جمع جماعة في جبل بجواره ، فأرسل ملك شه بهرام لودي صاحب
سرهند اليه ، ووصل الى سرهند (٤٤٢) في رجب من السنة المذكورة ،
خرج سارنك من الجبل ووصل الى نهر ستلد ، وتجمع الناس في روبر
حول ووقعت معركة حول سرهند ، وهزم سارنك ، وذهب الى قصبية
لسهوري من توابع سرهند وجاء خواجه علي اندراني بجماعته واستسلم
لسلطان شه ، وجاء زيرك خان حاكم سامانه ، وطوغان تركيجه حاكم
جلندر لمجاونة سلطان شه وعاد سارنك وذهب الى روبر وعندما تعقبه
الجيش حتى روبر فر سارنك وتحصن بالجبل .

في هذه الأحوال كان ملك خير الدين أيضا قد أرسل بجيش جرار
لمهاجمة سارنك ، ووصل في رمضان من السنة المذكورة الى روبر ،
وقضى فترة حول الجبل ، وعندما تفرقت جماعة سارنك واختفى مع
عدد معدود في الجبل ، عاد الجيش وحط ملك خير الدين رحاله في
سرهند ، وجاء زيرك خان الى سامانه ، وبقي سلطان شه مع جماعة
معاونة في تهانه ويوبر .

(٤٤٢) لم يفرق نظام الدين أحمد بين سرهند وسرهند .

خرج سارنك من الجبل فى هذا الوقت ، والتحق بطوغان فى الحرم من سنة ٨٢٣ فقتله طوغان غدرا ، وكان خضرخان يستريح بالمدينة فى هذه الفترة ، فأرسل تاج الملك لتسخير حكام اتاوه وهذه النواحي ، وتوجه من طريق برن الى كول ، وقضى على المفسدين فى هذه البلاد وتحصن راي سرور فى اتاوه ، وأخيرا تصالح وقبل الخراج المقرر ، وتوجه تاج الملك الى جندواز وانتهبها ، وتوجه من هناك الى كتهير ، وأخذ الخراج من راي هرسنكه وعاد الى المدينة .

وفى رجب من السنة المذكورة علم أن طوغان تركبجه عاد للمعارضة ، وحاصر سرهند ، واستولى حتى حدود متصور بور ويابل ، فأرسل خضر خان ملك خير الله لمهاجمته ، ووصل الى سامانه وتمقب طوغان بمساعدة زيرك خان حتى لود هيانه ، وغبر نهر ستك ، ودخل ولاية جزته كهوكهر ، وأرسل زيرك خان لمهاجمته ، عاد ملك خير الله الى دهلى .

وعزم خضرخان فى سنة ٨٢٤ هـ تسخير المتمردين فى ميوات وتحصن بعض المتمردين فى قلعة كوتلنه ، وجاء البعض مستسلما وعندما حاصر القلعة ، وقابل الميواتيين ، فرروا فى اول هجوم وفتحت كوتله ، وذهب الميواتيون الى الجبل ، وضرب خضر خان القلعة ، وذهب الى كواير ، وفى الثامن من الحرم من السنة المذكورة توفى تاج الملك فوزر ابنه سكندر محله ، ولقب بملك الشرق ، ولما كان راجه كوالير قد نهب ولايته وأخذ الخراج أيضا منها ، فجاء الى اتاوه وكان راي سير توفى . وقدم ابنه الولاء .

وفى هذه الأثناء مرض خضر خان ، وعاد الى دهلى ، وانتقل الى رحمة الله فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ ، وكانت مدة حكمه سبع سنوات وشهرين ويومين ، وقد حدثت فضائل كثيرة فى عصره ، وصار الجميع ممن مع صاحب قران واهله وعشيرته فى نعيم خلال فترة حكمه .

ذكر السلطان مباركشاه ابن رايات اعلى خضر خان :

عندما غلب المرض خضرخان ، جعل مبارك خان وليا للعهد قبل وفاته بثلاثة أيام ، وجلس مبارك خان على العرش بعد وفاة خضر خان بيوم واحد بموافقة الأمراء ، ولقب بالسلطان مباركشاه ، وأقر لكل أمير من الأمراء والملوك الكبار والأكابر ما كان لهم من ولايات أو قرى أو

وظيفة أو دخل على نفس النظام السابق في عهد خضرخان ، وأضاف
لنبيض ، وعزل ملك رجب تادره عن فيروز آباد وهانسى وسلمها لملك مدد
واين أخيه ، وعوض ملك رجب تادره بديالپور .

وصل خير بغي شيخا كهوكهر وطوغان خلال هذا الوقت ، وكان
سبب تمرد شيخا هو أنه في جمادى الأولى سنة ٨٢٣ هـ جاء سلطان على
سلطان كشمير إلى تهته ، وإثناء عودته منها قطع شيخا الطريق عليه
وقاتله ، فرق جيش سلطان على وأصيب بالهزيمة وأسر بيد شيخا ،
وانقسم الغنائم الكثيرة وكثرت المال عقل شيخا ، فلوى رأس البغي ،
وأراد أخذ دهلى وسلطنة الهندوستان واستولى على ولايات هذه الناحية
وانتهبها وعبر نهر ستلد ، وانتهب نلونديراى ٠٠ وفر راي فيروز حاكمها ،
وتوجه إلى جون ، وجاء شيخا إلى قصبه لودهيانه ، وانتهب حتى حدود
هوير ، وبعد ذلك عبر ستلد وحاصر قلعة جالندهر ، وتحصن زيرك
خان حاكمها ، وقاتله ، وتصلح شيخا وقرر زيرك أن يخلى جالندهر
ليسلمها لطوغان ، وأن يرسل ابن طوغان إلى مباركشاه وأرسل شيخا
أيضا الهدايا اللاتقة .

وفي الثاني من جمادى الآخر سنة ٨٢٤ هـ خرج زيرك خان من
قلعة جالندهر ، ونزل على مسافة ثلاثة فراسخ من جيش شيخا على
شاطيء نهر مئين ، وفي اليوم التالي نقض شيخا العهد ، وذهب إلى
زيرك خان وقبض عليه ، ورفع لواء العصيان ثانية ، وعبر نهر ستلد ،
وجاء إلى لودهيانه ووصل إلى سهرند في العشرين من جمادى الآخرة
من السنة المذكورة ، وتحصن سلطان شبه لودهى حاكم سهرند ، ولما
كان موسم الأمطار قد حل فقد سعى شيخا جاهدا ولكن لم يستطع فتح
القلعة ، وخرج السلطان مباركشاه من المدينة في رجب من السنة المذكورة
على الرغم من الأمطار وتوجه إلى سهرند ، وعندما اقترب من سامانه ،
توجه شيخا إلى لودهيانه والتحق زيرك خان بالسلطان مباركشاه في
سامانه ، وجاء السلطان من سامانه إلى لودهيانه ، وعبر شيخا نهر
ستلد ونزل على الطرف المقابل للجيش ، لما كان النهر واسعا والسفن
جميعا بيد شيخا فلم يستطع مباركشاه أن يعبر النهر ، وتقابل الطرفان
لعدة أربعين يوما ، وعندما طلع سهيل (٤٤٣) ونقص النهر ، توجه
مباركشاه على شاطيء النهر صوب قبول وتوجه شيخا أيضا على
شاطيء النهر وكان يستعد لمواجهة جيش السلطان حتى الحادى عشر
من شوال من السنة المذكورة ، أرسل السلطان مباركشاه ملك سكندر

تحفه وزيرك خان ومحمد حسين وملك كالكو وامراء آخرين على جيش جرار وستة افيال الى اعلى النهر ، وعبروا النهر صباحا من مخاضة وجدوها ، وتبعهم السلطان أيضا وعبر النهر ، ولم يجد شيئا قدرة للمقاومة ففر بجانب جالندهر ، واستولى السلطان على أكثر أمتعته وحشمه ، وقتل كثيرا من فرسانه ومشاة جيشه .

تعقب جيش السلطان شيئا حتى نهر جناب ، وعبر شيئا النهر ، ودخل الجبل ، وجاء راي بهيلم راجه جمون الى السلطان ، وعبر الجيش نهر جناب ، وخرب تهتر ، وكانت من أحكم الأماكن لشيئا وملجأ له ، وأسر بعض رجال شيئا الذين كانوا قد تفرقوا في الجبل ، وعاد الى لاهور سالما غانما في المحرم سنة ٨٢٥ هـ ، وكانت لاهور مخرية تماما فتوقف بها لمدة شهر ، واهتم بتعمير القلعة وبنائها ، وعندما أتم القلعة وأقام الناس بمساكنهم ، سلم لاهور لملك محمود حسن وترك معه الفين من الفرسان ، وعاد الى دهملي .

جمع شيئا كهوكهران في جمادى الآخرة من السنة المذكورة بالاتفاق مع زمينداران والفرسان ومشاة كثيرين ، ووضع أسس الفساد والفتنة ، وتوجه الى لاهور ، ونزل قرب مزار سيد حسين ریحاني قدس سره ، وفي الحادى عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، خرب قلعة لاهور القوية ، وقتل اناسا كثيرين وعاد ثانية في الحادى والعشرين من الشهر المذكور بجيش جرار لضرب القلعة المزدحمة ، ولم يفعل شيئا واستعد على مسافة عدة فراسخ وأخذ يضرب لمدة شهر وعدة أيام ، ولم يفعل شيئا ، ولما لم يستطع أن يحقق تقدما ، عاد الى كلانور ، وقابل راي بهيلم الذى كان قد جاء الى كلانور لمساعدة محمود حسن ، وفي رمضان من السنة المذكورة عقد الصلح ، وتوجه شيئا الى جانب نهر بياه .

وصل ملك سكيندر تحفه الذى عين على جيش من قبل مباركشاه لمساعدة ملك محمود وحسن الى معبر بوى ، ولم يكن لدى شيئا قوة للقتال ، وتقدم الى برتل ، وعبر نهر راوى وجتاب ، دخل الجبل ، وعبر ملك سكيندر معبر بوى على نهر بياه ، وتوجه الى لاهور ، وفي العاشر من شوال من نفس السنة استقبله ملك محمد حسن ، ورحب به ، وقاد الجيش ومعه ملك رجب حاكم ديپالپور وملك سلطان شه حاكم سهرند وراى فيروز وزمينداران الذين كانوا قد التقوا بملك اسكندر وتوجه الى شاطيء نهر راوى ، وسار الى كلانور ، وعندما وصل الى حدود جمون التحق بهم أيضا راي بهيلم ، قدم لوازم الخدمة ، وانتهب طائفة كهوكهران الذين كانوا قد انفصلوا عن شيئا ، وعاد الى لاهور -

فى هذه الأثناء توجه ملك محمود حسين بموجب أمر السلطان مباركشاه الى جالندهر ، وتزك مقامه ، وتوجه الى دهلى ، وجاء ملك سكندر الى لاهور ، وفى نفس هذا الوقت عين سرور الملك بمنصب الوزارة بدلا من ملك سكندر .

عبر السلطان مباركشاه نهر الجانج فى سنة ٨٢٦ هـ ، وتوجه لتسخير حمار وممردى هذه الديار ودحل ولاية كهتر فى الحرم من السنة المذكورة ، وحصل الخراج ، وتوجه بعض المتمردين الى سزا ، وجاء مهايت خان جاكم بداون طائعا وكان خائفا من خضرخان ، وعبر السلطان نهر الجانج وفتح ولاية راته ومهوبه وانتهبهما ، وأسر وقتل خلقا كثيرين ، وتوقف عدة أيام على شاطئ نهر الجانج ، وترك فى قلعة كهنتله ملك ميارز وزيرك خان وكمال خان بجيش جرار لتسخير لاهور ، وأرسل ملك خير الدين لكى الى ابن راي سير الذى كان قد فر من خضرخان لكى ينتهب ولايته ، وذهب الى اتاره ، وتحصن الراجبوت ، وقتلوا ، وأخيرا أعلنوا الولاء لعجزهم وضعفهم ولازمه ابن راي سير أيضا وأدى الخراج المقرر عليه ، وعاد مباركشاه ظافرا منتصرا وجاء دهلى .

فى هذه الأثناء جاء ملك محمود حسين بجيشه من جالندهر الى دهلى ولازمه وعينه السلطان بمنصب « بخشيكري (٤٤٤) » الذى كان يطلق عليه فى هذا الزمان « عارضى » .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وقعت حرب بين شيخا وراى بهيلم ، وقتل راي بهيلم وسقط حشمه وأمتعته بيد شيخا وقوى شأنه ، وأغار على نواحى دييبالبور ولاهور ، وتحرك ملك سكندر عازما سقعه وعبر نهر جناب ، وعاد ولم يفعل شيئا .

وفى هذه الأثناء وصل خير وفاة ملك علاء الدين بن علاء الملك حاكم الملتان ، وأيضا وصل الخبر أن شيخ على نائب بن سورغتش توجه بجيش عظيم من كابل لغزو بهكر ونيويستان وأرسل السلطان ملك محمود حسين بجيش جرار لتسكين فتنة المغول ، وضبط الملتان حتى أقصى السند ، وعندما وصل ملك محمود الى الملتان ، أئعم علي جميع الخلائق عامة والمسلمين هناك بالأنعام وعمر قلعة الملتان التى كان قد حربتها أحداث المغول . وعاد جيش المغول أيضا فى ذلك الوقت .

(٤٤٤) بخشى او بخشيكري او عارضى الملك : المستول عن رواتب الجند والمشرى على شئون القوات .

ووصل الخبر أن ألف خان حاكم دهار وهي تابعة للسلطان هديشك قصد قلعة كوالير ، وتوجه مباركشاه الى خوالير ، وعندما وصله الى نواحي بيانه علم أن أمير خان بن أوحده خان حاكم بيانه قد قتل عمه مبارك وخرب بيانه ، وتحصن فى قمة الجبل ، ونزل مباركشاه على سقج الجبل ، وبعد الرسل والرسائل ، أقر أمير خان دفع الخراج سنويا والطاعة ، وتوجه السلطان من هناك الى كوالير ، واستولى ألف خان على معبر جنبل ، ونزل هناك ، واكتشف مباركشاه معبرا آخر ، وعبر النهر بسرعة ، وأغار بعض الأمراء الذين كانوا على مقدمة الجيش على جوانب جيش ألف خان ، وأسروا جمعا كبيرا ، وأحضرهم ولما كانوا مسلمين ، فقد أطلق سراحهم جميعا ، وفى اليوم التالى أراد ألف خان الصلح ، وأرسل هدايا لائقة ، وتوجه الى دهار ، وتوقف مباركشاه على نهر جنبل ، وأخذ الخراج على القاعدة القديمة من حكام هذه الديار وعاد الى دهلى فى رجب سنة ٨٢٧ هـ .

توجه مباركشاه فى المحرم سنة ٨٢٨ هـ الى كهتر ، وجاء مرستكه راي كهتر الى شاطيء نهر الجانج ولازمه ، وبسبب بقائه ثلاث سنوات وعدة أيام فى القيد فقد سلم أخيرا ماله وتحرر ، وعبر السلطان من هناك نهر الجانج ، وقضى على المفسدين على شاطيء النهر ، وعاد .
علم مباركشاه فى هذا الحين بخبر تمرد وطغيان الميواتيين (٤٤٥) . وتوجه السلطان الى هذه الناحية وسلب وانتهب وخرب أكثر بلاد ميوات . وهجر أكثر الميواتيون بلادهم وتحصنوا فى جبل جهره ، وعاد السلطان بسبب قلة الغلة والعلف ، وحصن المكان ، وجاء الى دهلى ، وسمح للأمرء بالعودة الى ولاياتهم ، وأنشغل باللهو .

وعاد السلطان الى ميوات فى سنة ٨٢٩ هـ ليؤدب متمردي هنته ، الديار ، وأخلى « جلودقدو » (٤٤٦) وسائر الميواتيين الذبن وافقوهم . أماكنهم وتحصنوا بالجبل ، وتحركوا حركة المذبوح لعدة أيام وأخلوا القلعة ، وذهبوا الى جبل آلور ، وظل السلطان يقاتلهم كل يوم وكان يقتل رجال من الطرفين ، وأخيرا طلب الميواتيون الأمان لعجزهم ، وجساء العدو (٤٤٧) ولازمه ، وسجنهم ونهب السلطان قلعة ميوات وعاد .

قاد السلطان الجيش بعد أربعة أشهر وأحد عشر يوما الى ميوات فى المحرم سنة ٨٣٠ هـ وقتل المتمردين هناك ، وذهب الى بهانه وحارب .

(٤٤٥) أهالى قلعة ميوات .

(٤٤٦) جماعة كانت تقيم فى ميوات .

(٤٤٧) جلود قدو أو قدو فقط .

محمد خان بن أوحى خان حاكم بيانه المتحصن فى قمة الجبل لمدة ستة عشر يوما ، وانفصل أكثر الناس عنه ، والتحقوا بالسلطان مباركشاه ولما لم يصبح لديه طاقة للمقاومة ، خرج من القلعة فى ربيع الآخر من السنة المذكورة بسبب العجز والضعف والحيل حول عنقه ، ولازمه ، وأهدى الجياد والسلاح والنفائس الأخرى التى فى قلعتيه جميعها ، وأخرج مباركشاه زوجاته ومتعلقاته من القلعة وأرسلها إلى دهلى . وأعطى بيانه لقبيل خان ، وسلم سيكرى التى هى الآن فقجبور (٤٤٨) إلى ملك خير الدين تحفه ، وتوجه إلى كوالير وأطاعه زائى كوالير وتهكر رجندوار وجعل الاقطاعات على النظام القديم ، وعاد السلطان إلى دهلى فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وبذل ملك محمود حسن عن ولايته وأعطاه قلعة فيروزه ، وحظى ملك رجب تادره بالملتان .

فر محمد خان بعياله وذهب إلى ميوات ثانية ، والتحق به بعض الرجال الذين كانوا قد تفرقوا وسمع أثناء ذلك أن ملك أحمد مقبل خانى ذهب بجيشه إلى بهاون ، فترك ملك خير الدين تحفه على القلعة ، ونظرا لأن مدينة بيانه كانت خالية فقد انتهز محمد خان الفرصة ، وتوجه إلى هناك بجمع قليل معتمدا على « زمينداران » بيانه ، والتحق كثير من أهالى قصبه وولاية بيانه به ولم يستطع ملك خير الدين أن يجمي القلعة فطلب الأمان وتوجه إلى دهلى ، وأعطى مباركشاه بيانه الملك مبارز وسمح له بالتوجه إلى محمد خان ، وتحصن محمد خان بالقلعة واستولى ملك مبارز على القلعة ، وأدخلها فى أعماله ، وترك محمد خان جمعا من خاصته فى القلعة ، وتوجه على وجه السرعة بجيش إلى خدمة السلطان ابراهيم شرقى .

استدعى مباركشاه ملك مبارز من أجل المصلحة ، وتوجه بالنفس والنفيس عازما فتح بيانه وأثناء الطريق وصلت رسالة قادرخان حاكم كالمين من أن السلطان ابراهيم شرقى قد أعد الجيوش وتوجه إلى كالمين ، فترك السلطان مباركشاه مهام بيانه ، وتوجه لمواجهة السلطان ابراهيم .

فى هذه الأثناء عبرت الجيوش الشرقية (٤٤٩) إلى «هوكانورا» وقصدوا بداون ، وعبر السلطان مباركشاه نهر جون ، واستولى على قرية هرتولى التى كانت مشهورة فى سواس ، وتوجه من هناك إلى ترولى وأرسل محمود حسن بعشرة آلاف فارس لمهاجمة ابن مختقم خان

(٤٤٨) سنة ١٠٠٢ هـ .

(٤٤٩) جيوش السلاطين الشرقية ، حكام جونبور .

أخى السلطان ابراهيم شرقى الذى كان قد جاء الى اتاوه ، وعندما وصل جيش محمد حسن الى الجيوش الشرقية ، لم تستطع الجيوش الشرقية مقاومته وعادت وتوجهت الى سلطانها ، وتوقف محمود حسن عدة ايام والتحق بجيشه .

سار السلطان ابراهيم شرقى على شاطئ نهر بياه ، واقترب من يرهان آباد ، وتوجه مباركشاه من ترولى وجاء الى قصبة « مانى حوته » وشاهد السلطان ابراهيم شرقى عظمة وقوة جيش مباركشاه فتسرك المواجهة فى جمادى الاولى من السنة المذكورة ، وتوجه الى قصبة رابرى ، وعبر من هناك نهر جون وتوجه الى بيانه ، واقام على نهر كهتر ، وعبر مباركشاه من قرب جندوار نهر جون ، ونزل الجيش على مسافة خمسة فراسخ ، واخذ جيش مباركشاه يغير على اطراف جيشه ، ويباسرون المواشى والناس ويحضرونهم ، ونهج هذا النهج عشرين يوما ، حتى توجه السلطان ابراهيم شرقى فى السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة للقتال ، وارسل السلطان مباركشاه محمد حسن وفتح خان ابن السلطان ظفر وزيرك خان واسلام خان وملك جمن حفيد خاجهان وملك كالمو « شحنة فيلان » وملك احمد مقبل خانى لمواجهة ، وتقاتلوا من الظهيرة حتى المساء ، وعاد الطرفان فى آخر اليوم ، ونزلا فى المواجهة ايضا ، وفى اليوم التالى السابع عشر من جمادى الآخرة حل السلطان شرقى وتوجه الى جونبور ، وتوجه السلطان مباركشاه من طويق هسكانت الى كوالير ، واخذ من راي كوالير الخراج على النظام القديم ، وعاد الى بيانه ، ولم يتقدم محمد خان اوحدى خطوة واحدة ، ولم يفعل شيئا ، وعندما يئس من معاونة السلطان ابراهيم شرقى ايضا طلب الامان ، ولازمه مباركشاه ، ومحا السلطان بقلم عفوه على جزائمه ، وامته وخرج محد خان فى العشرين من رجب من القلعة ، وتذهب الى ميوات وترك السلطان محمد حسين للمحافظة على القلعة ووضبط الولاية وعاد الى دهلى فى الحادى عشر من رمضان سنة ٨٣١ هـ .

قتل السلطان فى شوال من السنة المذكورة ملك قندو ميواتى لرافقته للسلطان ابراهيم شرقى ، وارسل ملك سرور لحكم ولاية ميوات ، وهجر اكثر اهالى هذه الولاية منازلهم ، وتحصنوا بالجبل وتحصن جلال خان اخو ملك قندر و احمد خان وملك فخر الدين وسائر الاقرباء فى داخل القلعة واخذ ملك سرور الضرائب منهم وعاد الى المدينة .

علم السلطان ان جسرت وشيخا كهوكهر قد حاصرا كلانور فى

ذى القعدة وهزما ملك سكندر حاكم لاهور الذى كان قد ذهب اليهما ،
وعاد الى لاهور ، وعبر جسرت نهر بياه وتوجه لتسخير قلعة جلندر (٤٥٠)،
ولما لم يستطع عبر الى قرى هذه الناحية واستولى عليها ، وعاد الى
كلاتور ، فأرسل السلطان مباركشاه وزيرك خان حاكم سامانه واسلام
خان أمير سرهند لمعاونة ملك سكندر ، وقبل وصولهم توجه ملك سكندر
برفقة راي غالب كلا نورى مع جمعه الى بياه وتقابل مع جسرت وهزمه ،
فتوجه الى بهكر (٤٥١) ، واستولى جيش ملك سكندر على غنائم كثيرة
كان قد استولى عليها « جسرت » من نواحي جلندر .

وفى المحرم من سنة ٨٣٢ هـ قضى ملك محمود حسين على الفتنة
التي كان محمد خان أوحدي قد اثارها فى ولاية بيانه ، وعاد الى دهلى .

وتوجه السلطان مباركشاه الى هضبة ميوات ، وجاء الى مهدوراي
وتوقف عدة أيام ، وقتل جلال خان ميواتى وسائر الميواتيين بالولاية ،
ولازمه بعضهم ، وعاد السلطان فى شوال من السنة المذكورة الى دهلى ،
وفى هذه الأثناء وصل خبر وفاة ملك رجب نادره حاكم الملتان ، فلقب
ملك محمود حسن بعماد الملك وأرسله الى الملتان .

قاد السلطان الجيش الى كوالير فى سنة ٨٣٣ هـ ، وتوجه من
طريق بيانه الى كوالير ، وسكن فتنة هذه الولاية ، وتوجه الى هتكانت ،
وهزم راي هتكانت ، ودخل (راي هتكانت) الهضبة ، وانتهب السلطان
ولايته ، وأسر خلقا كثيرين ، وتوجه من هناك الى رابرى ، وأخذ هذه
الولاية من ابن حسين خان وأحالها لملك حمزة ، وعاد فى رجب من
السنة المذكورة .

توفى سيد سالم اثناء الطريق فلقب (السلطان) ابنه الكبير
بسالم خان والابن الآخر بشجاع الملك ، وكان سيد سالم قد سلك فى
خدمة المرحوم خضر خان ضمن الأمراء الكبار لمدة ثلاثين سنة ، وكان
مسئولا عن الخزانة لعدة سنوات فى قلعة ترهنده ، وفى شوال من السنة
المذكورة دخل فولاد تركبجه قلعة ترهنده ، ورفع لواء المعارضة فسجن
مباركشاه أولاد سيد سالم ، وأرسل راي هنوبتهى لهاجمة فولاد
والاستيلاء على أموال سيد سالم فى ترهنده وعندما اقترب من ترهنده ،
قام فولاد بالصلح وفى اليوم التالى غافلهم وخرج فجأة من القلعة
وأغار على جيشه ليلا ولم يكن ملك يوسف وراى هنو يدركان غدرة ،

(٤٥٠) جلندر هى جالندر وجالندهر .

(٤٥١) بهكر أو بكر « قموت » به ، فى الأردية بين « الباء والهاء » .

وحاربهما ، وهزمهما وتوجه الى سرستى ، وسقطت أمتعتهم وجيوشهم
فى يد فولاد مما قوى شوكته واستعلاءه .

سمع السلطان هذا الخبر فتوجه الى ترهنده ، والتحق الأمراء
والقواد بالجيش من كل ناحية وبأدر « زمينداران » أيضا بالذهاب اليه ،
وعندما استعد فولاد استعدادا تاما تحصن فى قلعة ترهنده وأرسل
السلطان مباركشاه زيرك خان وملك كالى واسلام خان وكمال خان
لمحاصرته ، واستدعى عماد الملك حاكم الملتان لتسكين فتنة فولاد ، وفى
ذى الحجة من السنة المذكورة وصل عماد الملك الى سرستى ولازمه ،
ولما كان فولاد يثق فى قول عماد الملك فقد أرسله (السلطان) الى فولاد
فى ترهنده والتحدث معه ، فأصر على الفتنة ، وعاد عماد الملك ، دون
تحقيق هدفه الى مباركشاه ، وسمح السلطان لعماد الملك بالتوجه الى
الملتان فى صفر من سنة ٨٢٤ هـ وعاد الى دهلى ، وترك اسلام خان
وكمال خان وقيروز مئين لمحاصرة ترهنده ، وترك عماد الملك ترهنده
وحاصر الأمراء القلعة وذهب الى الملتان ، وحارب فولاد ستة أشهر ،
وقدم مبلغا بيد خاصته الى شيخ على بيك بكابل وطلب المعونة ، وفى
جمادى الأول من السنة المذكورة توجه شيخ على الى ترهنده وعندما
وصل لمسافة عشرة فراسخ من ترهنده ، تركها اسلام خان وكمال خان
وسائر الأمراء وتوجهوا الى أماكنهم ، وخرج فولاد من القلعة ودفع مبلغ
مائتى ألف تنكة كان قد قبل دفعها وعاد شيخ على ورافقه أطفال وزوجات
فولاد ، وأسر بعض أهالى ولاية جلندر ، وذهب فى رجب من السنة
المذكورة الى لاهور ، وعاد ملك سكندر الى دفع ما كان يدفعه سنويا ،
وتوجه من هناك الى تلواره ، وعمل على تخزينها ، وتوجه عماد الملك
لصد الشيخ على حتى قصبة طلبنه ، ولم يكن لدى شيخ على مقدرة
على المقاومة فتوجه الى خطيبور ، وأمر السلطان عماد الملك ان يتوجه
الى الملتان ويترك طلبنه ، ورحل الى الملتان فى الرابع والعشرين من
شعبان من السنة المذكورة ورحل عماد الملك الى الملتان .

لما كان شيخ على مغرورا فقد عبر نهر راوى من قرب خطيبور ،
وانتهب دسأكر شاطيء نهر جيلم وهى المشهورة بجيناب ، وتوجه الى
الملتان ، وعندما وصل الى مسافة عشرة فراسخ من الملتان أرسل عماد
الملك سلطان شه لودى وهو عم ملك بهلول لودى لمقابلته ، وأثناء الطريق
وصل الى شيخ على وحاربه واستشهد وقتل جماعة من جيشه وفر
الباقى ، ووصل الى الملتان ، وفى الثالث من رمضان من السنة المذكورة
نزل شيخ على فى خير آباد قرب الملتان ، وفى الرابع من رمضان وقعت
الحرب على بوابة القلعة ، وأخرج عماد الملك مشاة المدينة لكى يعطلوا

جيش الشيخ على فى الحدائق ، ولم يفعل شيخ على فى ذلك اليوم أى شىء ، وتوجه الى معسكره ، وفى السابع والعشرين من رمضان رفع لواء الحرب ثانية ، وتوجه الى القلعة ، وقتل اناس كثيرين ، وعاد شيخ على واستقر بمعسكره ، وأخذ يقاتل يوميا على هذا المنوال مدة فأرسل السلطان مبارکشاه فتح خان بن ظفر خان كجراتى مع أمراء مشاهير مثل زيرك خان وملك كالمو « شحنة فيل » واسلام خان وملك يوسف وكمال خان وراى هنوبهتى لمعاونة عماد الملك ، وفى السادس والعشرين من شوال وصل الأمراء قرب الملتان وقاتلوا فى اليوم التالى شيخ على ، وانتصروا ، ولم يكن لدى شيخ على طاقة فتحصن داخل القلعة التى قد التقوا حولها ، ولم يستقم الأمر هناك ، وعبر نهر جيلم وفر ، وغرق كثير من جيشه ، وقتل جزء وأسر آخر ، وذهب شيخ على مع عدد محدود الى قصبه شور ، وانتهب جيشه وسائر أمتعته وتعبه عماد الملك وكل الأمراء الى قصبه شور ، وتوجه سير مظفر ابن أخى شيخ على مع جماعة قليلة الى كابل ، وعاد الأمراء الذين كانوا قد جاءوا لمساعدة عماد الملك الى دهلى بناء على الأوامر ، وأخذ مبارکشاه الملتان من عماد الملك وسلمها لخير الدين خانى .

انتهز شيخا كهوكهر الفرصة فى تلك الأثناء وقوى من شوكته ، وأثار الفتنة والأضراب ، فتحرك ملك سكندر تحفه الى جلندر لتسكين الفتنة وجمع شيخا جمعا وخرج من جبل تهكر ، وعبر نهر جيلم وراوى وبياه ونزل على شاطيء نهر مئين بجوار جلندر ، وغافل ملك سكندر وهاجمه فجأة ، وهزم ملك سكندر ، وأسر ، وتوجه شيخا بكامل استعداده الى لاهور ، وحاصرها وتحصن سيد نجم الدين نائب ملك سكندر وملك خو شخير غلامه ، وحارباه يوميا ، وأثناء هذا عاد شيخ على من كابل وأغار على ضواحي الملتان ، وأسر أهالى خطب بور وكثيرا من قرى شاطيء جهيلم وفى السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة وصل الى قصبه طلبنه وأعطى سكانها العهد ، وقيد رجالها البارزين ، واستولى على القلعة ، وقتل بعض المسلمين وأطلق سراح البعض وأصاب هؤلاء القوم بالأضراب وأثناء هذا جمع فولاد تركبجه جيشا من ترهنده وأغار على ولاية راي فيروز ، وقتل راي فيروز أثناء الحرب وسمع السلطان مبارکشاه بهذه الحوادث فتوجه الى لاهور ، والملتان فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وجعل ملك سرور على المقدمة ، وعندما وصل ملك سرور الى سامانه ، ترك شيخا كهوكهر الحصار وتوجه الى جبل بيانه تهكر ، وحمل ملك سكندر معه ، وعاد شيخ على خوفا من جيش السلطان وتوجه الى مارتوت ، وأخذ السلطان ولاية لاهور من ملك الشرق عماد

الملك وأعطاهما لنصرت خان كركانداز ، وأحضر ملك سرور أهل وعيال ملك الشرق من قلعة لاهور ، وأرسلهم الى دهلى ، وفى ذى الحجة من السنة المذكورة خرج شيخا بجمعه من الجبل ، وأنعم عليه ببعض القرى وعاد الى الجبل .

أقام السلطان مباركشاه المعسكر على شاطئ نهر جون قرب بانى بت فى ذلك الوقت ، وتوقف فترة ، وأعد لعماد الملك جيشا ، وفى رمضان من السنة المذكورة أرسله لتسخير حكام بيانه وكوالير وعاد الى دهلى .

وفى المحرم سنة ٨٣٦ هـ توجه لتسكين فتنة ولاية سامانه وأرسل ملك سرور لمهاجمة فولاد تركبجه وتحصن (تركبجه) وقاتله وترك ملك سرور وزيركخان واسلام خان بجيش جرار حول قلعة ترهنده وذهب الى السلطان ، وفتح السلطان هذه الناحية ، وعزل نصرت خان عن لاهور ، الملتان وسلمها ملك الهداد لودى ، وعندما وصل ملك الهداد الى جلندهر عبر شيخا نهر بياه وحاربه وهزم ملك الهداد وتوجه الى جبل بيانه كوتهى بجواره ، وأخذت فتنة شيخا تزداد وعزم التوجه الى ميوات فى ربيع الأول من السنة المذكورة ، وعندما توجه الى تادرور دخل سيد جلال خان ميواتى مع جماعة قلعة يلدوز ، وفى اليوم التالى فر جلال خان وتوجه الى بدر ، واستولى السلطان على غلة وذخيرة القلعة ، وتوجه السلطان من هناك الى « تجارة » وخرب معظم الولاية وأطاعه جلال خان بسبب عجزه ، وأدى المال طبقا للقانون القديم ، وجاء عماد الملك من ولاية بيانه بجمع غفير ولازمه ، وسمح السلطان لملك كمال الدين وعدد من الأمراء بضبط كوالير واثاوه ، وجاء فى جمادى الأولى من السنة المذكورة الى دهلى .

وصل الخبر فى هذه الأثناء أن شيخا على سوف يأتى الى الأمراء الذين يحاصرون قلعة ترهند ، وأرسل السلطان مباركشاه ، جيشا لمساعدة الأمراء ، وأغار شيخا على شور فى هذا الوقت ، وأغار على ولاية شاطئ نهر بياه ، وأسر خلقا كثيرين ، وتوجه الى لاهور ، وتحصن ملك يوسف وملك اسماعيل اللذان كانا حكاما للاهور وتقدما لئنه ، وأبديا تشددا فى حماية القلعة والمدينة ، ولما علم ملك يوسف ملك اسماعيل معارضة أهل المدينة ، قررا الفرار ، وذهبا الى بدر ، وأرسل شيخا على جيشا لتعقبهما حتى قتلوا جمعا غفيرا وأسروا جمعا آخر ، وكان من جملة الأسرى ملك راجا وهو من الأعيان ، واستولى شيخا على لاهور وانتهبها ، ووضع أساس تعمير قلعة لاهور ، وترك عشرة آلاف فارس من الفرسان المقاتلين لحماية المدينة وتوجه الى ديالبور وتحصن

ملك يوسف الذى كان قد فر من قلعة لاهور الى قلعة دييبالبور ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى عماد الملك فى ترهنده ، أرسل أخاه مع جيش كبير لمساعدة ملك يوسف ، ونزل شيخ على فى دييبالبور أثناء وصول المدد ، واستولى على القصبات التى بين لاهور ودييبالبور .

وصلت أخبار فتنة شيخ على الى مباركشاه فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ، فتوجه الى سامانه وانتظر الجيش عدة أيام ، وعندما وصل ملك كمال الدين وبعض الأمراء توجه الى تلوندى ، وجاء عماد الملك واسلام خان حاكما ترهنده ، ولازماه ، وأمر الأمراء الآخرين برفع الحصار من حول ترهنده وأن يسرعوا الى معبر بوى ، وفر شيخ على وعاد عندما وصل السلطان مباركشاه الى نواحى دييبالبور ، وكان الشيخ على قد عبر نهر جناب ، وسلم السلطان مباركشاه دييبالبور وجلندهر لملك سكندر تحفه الذى اطلق سراحه من سجن شيخا كهوكهر ولقبه بشمس الملك ، وتعقب شيخ على الى الحدود وكان قد ترك فى قلعة شور مظفر ابن أخيه ، ووقع جزء من أمتعته وأسلحة جيشه (شيخ على) بيد جيش شمس الملك ، وعبر السلطان نهر راوى من أمام تلته (٤٥٢) ، وحاصر قلعة شور ، وقاوم مظفر شهرا وأخيرا سلك طريق الصلح لضعفه وعجزه ، وقدم أخته مع هدايا كثيرة الى السلطان مباركشاه ، وعاد السلطان ، وأرسل شمس الملك الى لاهور ، وطلب الجيش الذى كان فى لاهور من قبل شيخ على الأمان فى شوال من السنة المذكورة ، وأخلى القلعة واستولى شمس الملك على القلعة .

عندما انتهى مباركشاه من أمر شور ولاهور توجه لزيارة مشايخ الملتان ، وجاء من هناك الى دييبالبور ، ولما لم يكن لعماد الملك أى مقاطعة فقد أعطاه ولاية دييبالبور وجلندر ، أخذهما من شمس الدين وأهداهما الى عماد الملك ، وعين شمس الملك على ولاية بيانه التى كانت ضمن ولاية عماد الملك ، وعاد السلطان الى دهلى .

ولما لم يكن أمر الوزارة متمشيا مع سرور الملك وكان ملك كمال الدين قادرا على جميع الأمور ، فقد عهد اليه بمهمة الاشراف ، وقرر أن يقوم الاثنان متفقين على تنظيم المهام ، ولما كان ملك كمال الملك رجلا ، رزينا ، مجريا لذا صار مرجعا للناس ومهما فى الأمور ، وقد استاء سرور الملك بسبب عزله عن دييبالبور والولايات السابقة ، وبسبب الحسد صار منافقا ، ووافقه أبناء كانكو وكجورا أصحاب الخدم والحشم والأسر ، وسلك أمراء مائه ونائب « عرض الممالك » والقاضى عبد الصمد خاص ،

(٤٥٢) ودبت بالتمام والطاء .

والحاجب وأناس آخرون أيضا طريق المخالفة ، وانتهزوا الفرصة ، وعندما كان السلطان ، مبارکشاه يضع أساس مدينة على نهر جون فى السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣٧ هـ وأسمها مبارکشاه آباد ، ووصلت فى هذه الأيام أخيار. فتح ترهنده ورأس فولاد تركبجه ، وتوجه السلطان مبارکشاه الى ترهنده ، بحجة الصيد وخلال فترة وجيزة جعل زمينداران هذه الديار فى ولائه وعاد وجاء الى مدينة مبارك آباد .

علم السلطان فى هذا الوقت أن حرباً تقع بين السلطان ابراهيم شرقى والسلطان هوشنك مالوى على كالبى ، وأرسل الفرمانات مستدعيا أمراء النواحي ، وتوجه الى كالبى فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ونزل قرب دهلى ، وتوقف عدة أيام لجمع الجيش ، وحدث أن ذهب السلطان مبارکشاه يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٨٣٧ هـ لمشاهدة مبنى مبارك آباد ، ولم يكن يرفقته إلا حريمه وخاصته وكان سرور الملك منتظرا لهذه الفرصة ، وأشار الى جماعة فدائية كان قد اتفق معها ورفعوا السيف فجاء وقتلوا السلطان مبارکشاه ، وكانت أيام سلطنته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما .

ذكر السلطان محمد شاه بن مبارکشاه بن خضر خان :

هو محمد شاه ابن الأمير فرید بن خضر خان ، وكان مبارکشاه قد تبناه بالرعاية ، وذكر مؤلف تاريخ مبارکشاهى (٤٥٣) الذى ألف فى عهده أنه ابن مبارکشاه ، وذكر صاحب تاريخ بهادرشاهى أنه ابن الأمير فرید ، ولما كان قد أطلق عليه فى القوارىخ الأخرى أنه ابن مبارکشاه أيضا ففى هذا الكتاب أيضا أورد ما يوافق المشهور .

المهم ، أنه فى آخر يوم الجمعة الذى استشهد فيه السلطان مبارکشاه جلس السلطان محمد شاه بموافقة أفراد وأركان الدولة على عرش السلطنة ، وعلى الرغم من أن سرور الملك قد بايعه فى الظاهر لكنه استحوذ على كل أسباب السلطنة مثل الخزانة والأقبال والأسلحة ، ولقب (محمد شاه) سرور الملك بخانجهان ، وميران صدور بأمين الملك ، وعزم ملك الشرق وكمال الملك على أن ينتقم لدماء الملك مبارکشاه من سرور الملك وميران صدور وسائر أولاد الجرام .

استدعى سرور الملك فى اليوم الثانى لجلوس محمد شاه بعض المماليك ذوى الشوكة والجماعة الى بيانه وقبض عليهم ، وقتل بعضهم ،

(٤٥٣) يحيى بن احمد .

وسجن البعض مثل كرم جفد وملك مقبل وملك فتوح ، وسعى جاهدا لاستئصال أهل بيت مبارکشاهى ، واستولى على الولايات والنواحي التي كانت فى ناحية خلاصة زيده ، ووزع القليل على الآخرين ، وسلم ولاية بيانه وأمروه ونازل وكهرام وعدة ولايات بين النهرين لسيد هارون واقربائه ، وأرسل أبوشه غلامه لتحصيل المال لعدة سنوات من بيانه ، ودخل مدينة بيانه فى الثانى عشر من الشهر المذكور ، وأراد ان يستولى على القلعة ، وعلم يوسف خان أحدى ، فجاء الى بيانه من الهندوستان ، وحارب أبوشه ، وقتله ، وأسر عياله وزوجاته ، ولما كانت الخسة ظاهرة على سرور الملك لكافة الأنام ، لهذا كان دائم التفكير فى الأمراء الذين كانوا أتباعا لخضر خان والسيلطان مبارکشاه ، وكان يدبر الأمر أيضا للقضاء عليهم .

علم سرور الملك ، اثناء هذا الحال ان الهداد لودى حاكم سنبل واهار وملك جمن حاكم بداون وأمير على كجراتى وأمير كسل تركبجه قد رفعوا لواء العصيان ، فأرسل سرور الملك وكمال الملك وسيد خان ويوسف ابنه الأصغر وسيد هارون كاتكو لدفع فتنهم ، ونزل كمال الملك على شاطيء نهر جون فى رمضان ، وتوجه من هناك الى قصبية برن ، وتوقف فى برن للانتقام لدم مبارکشاه من ابن سرور الملك وسيد هارون ، وعلم ملك الهداد ما فى باطن كمال الملك ، فلم يتقدم من أهار ، ووقف سرور الملك على غدر كمال فأرسل ملك هشيار (٤٥٤) غلامه بحجة مساعدة جيش بهاء الملك لكى يطلع على غدره ويحمى يوسف وسيد هارون ، واثناء ذلك جاء ملك جمن الى أهار ولحق بالهداد ، وزاد خوف يوسف وسيد هارون وهوشيار وكانوا يعلمون غدر كمال الملك ، وانفصلوا عن الجيش وجاءوا الى دهلى .

وفى آخر رمضان اتحد ملك الهداد وملك جمن والأمراء المؤيدون لملك كمال الملك ، وتوجه كمال الملك مع جمع غفير الى دهلى ، وتحصن سرور الملك فى قلعة دهلى ، وتحاربا لمدة ثلاثة أشهر ، واثناء ذلك وصل خبر وفاة زيرك خان حاكم سامانه ، وفوض أمر ولايته لابن محمد خان .

ومع ان محمد شاه كان موافقا فى الظاهر مع أهل القلعة لكنه كان يحدث ان اقام سرور الملك وابناء ميران صدور فى الثامن من المحرم وهو فى قلعة دهلى ، ولهذا أعد كميننا لمحمد شاه .

وحدث ان اقام سرور الملك وابناء ميران صدور فى الثامن من المحرم

(٤٥٤) هشيار أو هوشيار .

سنة ٨٣٨ هـ يرفع سيوف الغدر والمكر ، واقتحموا خيمة محمد شاه ، وكان محمد شاه على حذر طوال الوقت ومستعداً بجيش كبير من اتباعه خوفاً منهم ، فقتل سرور الملك فى مكانه ، واحضر أولاد ميران صدور وقتلهم أمام البلاط :

« الغزال الذى يجد ، لا يخشى النمر ، حتى لو صار الثرى من دمائه شقائق النعمان » .

وتحصن سده باى وأولاد الحرام الآخرون وقاتلهم ، وفتح محمد شاه المدينة لكامل الملك ، واشعل سده باى النار فى منزله ، وجعل زوجته وأولاده طعاماً للنار (٤٥٥) ، وقتل .

ويحكم محمد شاه قتلوا سيد هارون كاتكو وكهرمانى اللذين كانا قد أسرا ، قرب خيمة محمد شاه ، وأطاحوا برؤوس هوشيار ومبارك كوتوال أمام بوابة « لعل كردن » جدد كمال الملك وجميع الأمراء الذين كانوا خارج القلعة البيعة لمحمد شاه فى اليوم التالى ، وأجلسوه على عرش السلطنة بموافقة عامة الناس ، ونال كمال الملك منصب الوزارة ، ولقب بكمال خان ولقب ملك جسن بغازى الملك وأمر له بولاية أمره ، ويداون كسابق عهده ، ولم يقبل ملك الهداد لودى أى لقب فلقب أخاه « بدرينا خسان » ولقب ملك كهوبراج مباركخان بأقبال خان وعين على ولاية حصار فيروزه كما كان من قبل ، وحظى جميع الأمراء بالانعامات وزيادة فى التكريم ، وتلقب الابن الأكبر لسيد سالم بمجلس عالى سيد خان وابنه بشجاع الملك صده بعلاء الملك ، ونال ملك ركن الدين نصير الملكى وصار ملك الشرق حاجى « شحنة دهلى » (٤٥٦) .

سافر محمد شاه الى الملتان فى ربيع الأول من السنة المذكورة الى مكان يسمى مباركپور ، ووصل أكثر الأمراء اليه مثل عماد الملك واسلام خان ومحمد خان ومحمود خان بن نصرت خان ويوسف خان وأوحدى وأقبال خان للالزمته ، وزار لمحمد خان « مشايخ الملتان » وترك الملتان لخانجهان وجاء الى دهلى فى السنة المذكورة ، وتوجه محمد شاه الى سامانه سنة ٨٤٠ هـ ، وأرسل جيشاً لمهاجمة شيخا كهوكهر وخسرب ولايته ، وعاد الى دهلى .

(٤٥٥) وهو ما يعرف باسم « جوهى » عند الهنود ، وهى طريقة كان يتبعها الهنود عندما يضيق بهم الحال فكانوا يشعلون نارا عظيمة ويقذفون بنسائهم وأولادهم فيها ويتقدموا للقتال بكل قوتهم .
(٤٥٦) حاكم دهلى .

وفى سنة ٨٤٠ هـ جاءت الاخبار أن جماعة « لنكاه » يفسدون فى دهلى ، وعلم أن السلطان ابراهيم شرقى قد استولى على بعض الولايات وكف راي كوالير وملوك آخرون أيديهم عن دفع المال عندما لم يتحرك عرق الحمية عند محمد شاه وتغلب عليه المساهلة والغفلة ، وبان كل سر فى السويداء وأمنية فى القلب .

« عندما يكفل الملك جينا فان الملك يكون أمنية كل شخص »

واستدعى بعض الأمراء السلطان محمود خلجى سلطان مالوه .

وصل السلطان محمود فى سنة ٨٤٤ هـ الى دهلى ، وأعد محمد شاه الجيوش ، وأرسل ابنه ، وجعل ملك بهلول لودى على المقدمة ، وأرسل السلطان محمود خلجى ابنه لمواجهة السلطان غياث الدين قدرخان ، وكان غبار الهيجاء قائما من الصباح حتى المساء ثم عاد الطرفان مساء واستقرا فى أماكنهما ، وفى اليوم التالى أراد محمد شاه الصلح ، وإثناء ذلك علم السلطان محمود أن السلطان أحمد كجراتى آت صوب مندو ، فقبل الصلح وعاد على الفور ، وكان هذا الصلح علامة على زيادة ضعف محمد شاه فى الأنتظار والقلوب ، وعندما رحل السلطان محمود تعقبه ملك بهلول لودى وغنم جزءا من الأمتعة القيمة التى يحملونها وعاد ، وسر محمد شاه من فعله ملك بهلول وخصسه بالهدايا وجعل ملك بهلول ابنا له بالتبنى .

توجه محمد شاه الى سامانه فى سنة ٨٤٤ هـ ، وعين ملك بهلول على ولاية ديابلور ولاهور ، وأرسله لصيد جسرت كهوكهر ، وعاد الى دهلى ، وتصلح جسرت مع ملك ، والتحق به ، وبشره بسلطنة دهلى ، ولعب هوى السلطنة فى رأس ملك بهلول فجمع جمعه ، واستدعى الأفغان فى النواحي والأطراف ، ورعاهم ، حتى تجمع حوله فى مدة قصيرة خلق كبير ، واستولى على كثير من الولايات والنواحي ، وكان يضع أسس الخلاف مع السلطان محمد شاه لأقل سبب ، وتوجه الى دهلى بكامل عظمته وأبهته ، وحاصرها مدة ، وعاد دون أن يحقق مأربه ، وهان أمر سلطنة محمد شاه يوما بعد يوم ، ووصل الأمر الى درجة أن لوى الأمراء رأس الطاعة عنه وهم على مسافة عشرين فرسخا من دهلى واستقلوا ، وفى آخر الأمر ودع السلطان محمد شاه الحياة فى سنة ٨٤٤ هـ وكانت مدة أيام حكومته عشر سنوات وعدة أشهر .

« عندما يرفع القانون ، فأحيانا تكون الرحمة وأحيانا يكون الظلم »

« ويكون الوفاء أملا من الزمان ونور العين من السهاد »

« عندما يكون الجنون علامة ظاهرة ، فان علامة الوفاء لها تكون في وجهه »

ذكر السلطان علاء الدين بن محمد شاه بن مياركشاه بن خضر خان :

عندما توفى السلطان محمد شاه اجلس الأمراء وأكابر الدولة ابنه الملقب بالسلطان علاء الدين على عرش السلطنة ، وبايعه ملك بهلول وسائر الأمراء ، وخلال فترة وجيزة اتضح أن السلطان علاء الدين أضعف من أبيه وأعجز منه في أمر السلطنة ، فقوى أمل ملك بهلول ، « عندما ترى أنه لا أذى من الحية ، فان العاقل لا يدع الكنز من يده »

توجه السلطان علاء الدين الى سامانه سنة ٨٥٠ هـ ، واثناء الطريق علم أن سلطان جونبور يقصد دهلي فعاد مسرعا الى دهلي ، وقال له حسام خان وزير الممالك ونائب الرعية أنه ليس من اللائق لحال السلطان الأمر بالمجيء لمجرد صوت كاذب عن عدو السلطان ، واستاء السلطان علاء الدين من هذا القول الذي يخالف سجيته ، وتآذى خاطره ، وتوجه الى بداون سنة ٨٥١ هـ وتوقف هناك بعض الوقت ثم عاد الى دهلي ، وقال لقد أسعدتني بداون وأريد أن أقدم هناك دائما فعرض عليه حسام خان مرة أخرى « ان ترك دهلي واتخاذ بداون عاصمة ، أمر ليس في صالح الدولة » ، واستاء السلطان من هذا القول كثيرا ، وابتعد عنه ، وترك دهلي وجعل أخواه لأمه أحدهما « شحنة شهر » (٤٥٧) والثاني « ميركوثي » (٤٥٨) .

« طالما لم يكن متديرا للأمر ، فانه يستحق الندم أخيرا من الزمان »

وتوجه الى دهلي سنة ٨٥٢ هـ ثانية ، وانشغل باللهو ، وقنع بأقل ولاية كانت في حكمه ، ويعد مدة وقع خلاف بين أخويه لأمه في دهلي وتحاربا سويا وقتل أحدهما ، وفي اليوم التالي اقتصر أهل المدينة بتحريض حسام الدين من الأخ الثاني ، وقرر السلطان بوشاية أرباب الفتنة في ذلك الوقت قتل حميد خان وزير مملكته ، فجاء الى المدينة واستولى عليها بسعي حسام خان ، واستدعى ملك بهلول للسلطنة وتفصيل هذا الاجمال المذكور في أحوال ملك بهلول .

المهم ، جاء ملك بهلول لودى مع جيشه الى دهلي واستولى عليها ، وبعد عدة أيام ترك دهلي لجماعة من تابعيه ، وتوجه الى ديالبور ، وجمع

• (٤٥٧) حاكم المدينة

(٤٥٨) من المحتمل أن تكون « مير كبير » أما « مير كوثي » فليس هناك وظيفة بهذا

الاسم .

الجيش وعرض على السلطان علاء الدين من أنه تابع للسلطان ومملوك له ورد عليه السلطان علاء الدين أنه « طالما تبناك أبى ولست شاكاً فى بنوتك فاننى أترك لك السلطنة قانعا بولاية بداون » (٤٥٩) .

« تحقيق الهدف الذى كان يتمناه الملك ، دون ألم رأس الحورية والتعامل بالسيف »

ووجد ملك بهلول أن الفتح والأقبال والسلطان يعادلون قامته ، فنال السعادة ، وجاء الى دهلى من دييبالپور وجلس على عرش السلطنة ولقب بالسلطان بهلول ، وأقر الانعام لأمرء السلطان علاء الدين الذين كانوا مبعه ، وبعد فترة توفى السلطان علاء الدين (٤٦٠) ، ودان الأمر للسلطان بهلول ، وكأنت أيام سلطنة (علاء الدين) سبع سنوات وعدة أشهر (٤٦١) .

« نظام العالم هو هذا أيضا وكفى ، لا وفاء لشخص قط »

تذكر السلطان بهلول لودى :

روى عن الثقة أن ملك بهلول هو ابن سلطان شه لودى (٤٦٢) الملقب بإسلام خان ، وكان من أمرء خضر خان ومباركشاه الكبار وكان يحكم سهرند ، ولما كان قد وجد دلائل الرشد فى ابن أخيه ، جعله ابنا له بالتبنى ، وأوصى له فى آخر عمره أن يحل محله ، وعندما توفى كان لإسلام خان ابن اسمه قطب خان لودى ، لوى رأسه عن اتباع ملك بهلول وجاء الى السلطان محمد ، وأرسل السلطان محمد حاجى شدى الملقب بحسام خان بجيش جرار لمهاجمة ملك بهلول وتحارب الطرفان فى قرية كرهه من قرى ولاية خضر آباد وساد هوره ، وهزم حسام خان وذهب الى دهلى ، وحظى ملك بهلول بالقوة والتمكن تماما .

يروون أن ملك بهلول ذهب ذات يوم الى دياره بسامانه فى أول أمره ، وكان هناك « عزيز » توجه اليه ملك بهلول ورفاقه وجلسوا بأدب ، وجرى على لسان هذا المجذوب « اليس منكم شخص يشتري ملك دهلى

(٤٥٩) ان عالم شاه قد تنحى لبهلول لضغط الأخير ، وان بهلول قد اهل عالم شاه فاضطر التوجه الى بدوان سنة ٨٥٢ هـ (تاريخ مباركشاه - يحيى بن أحمد . البيوت ج ٧ ص ٨٦ ، ٨٨) .

(٤٦٠) توفى سنة ٨٥٣ هـ .

(٤٦١) ان رابع السادات الخضرخانية هو علاء الدين محمد شاه (بداونى جلد اول ص ٣٠٥) .

(٤٦٢) بهلول بن كالا لودى (بداونى جلد اول ، ص ٣٠٦) .

بألقى تنكة ، فأخرج ملك بهلول ألفا وستمائة تنكة ودرهم كانت لديه ،
وقدمها لهذا العزيز ، وقال « ليس لدى أكثر من هذا ، وقبلها العزيز ،
وقال « لتكن سلطانا مباركا » واستهزأ رفاقه فقال لهم « لن تخرج هذه
القضية عن حالين فاذا وقعت فيكفى أن أنالها مجانا وان لم تحدث فلن
يخلو من أجر خدمة الصوفية »

« اذا أردت همة سالكى الطريق فجد بملك كاوس وأفريدون » (٤٦٣)

ونذكر فى بعض التواريخ أن ملك بهلول كان يعمل فى التجارة وليس
حقيقيا ، ويبدو أن جد أبيه كان يعمل بالتجارة ، وكان يتاجر بالهند •

المهم استولى ملك بهلول مع عمه ملك فيروز وسائر أقربائه على
ولاية سهرند ، وبلغ درجة من القوة والمكنة ، ومن كلام هذا الصوفى
الذى حفظه فى خاطره منذ الصغر وأغواء جسرت كهوكهر (٤٦٤) له
وضع طائر السلطنة بيضة على رأسه وصار طالبا للملك •

وبعد الانتصار على حسام خان أرسل ملك بهلول رسالة مشتملة
على سوء أفعال حاجى شدى وإيمانه وإخلاقه للسلطان ، وذكر فيها
أنه لو قتل السلطان حاجى هذا وأعطى منصب الوزارة لحמיד خان
ستكون تحت امرته وبخدمته ، وقتل السلطان محمد دون تفكير وروية
حسام خان وجعل حميد خان وزيرا له •

« لا بد أن يبرى العداوة كل من يميط اللثام عن وجهه »

وجاء اللوديون اليهما طائعين ، ولأزموا السلطان ، وجعلوا ولايتهم
طائفة له ، وبعد ذلك حارب ملك بهلول السلطان محمود مالوى من قبل
السلطان محمد ، ونال لقب « خان خانان » (٤٦٥) وبالتدريج قوى نفوذ
اللوديين فى لاهور وديبالبور وسنام وحصار فيروزه وولايات أخرى ،
ولما بلغ درجة الكمال والعلو استولى على لاهور وديبالبور دون إذن
السلطان ورفع لواء المعارضة وذهب لمهاجمة السلطان محمد فى دهلى
وحاصر السلطان فترة ، ولما لم يتيسر له الاستيلاء على دهلى ، عاد الى
سهرند ، ولقب نفسه بالسلطان بهلول ، وأوقف الخطبة والسكة لحين
تسخير دهلى ، وأثناء ذلك توفى السلطان محمد ، وأجلس السلطان
علاء الدين ابنه على عرش السلطنة بسعى أمراء وأعيان المملكة •

(٤٦٣) كاوس أو كاوه بطل أسطورى ثار على الضحك وجمع الشعب حول رايته.
« درفش كاويانى » وسار بها وراء أفريدون •

(٤٦٤) جسرت كهوكهر رئيس جماعة كهوكهر ، وهى جماعة ذات شوكة وغلبة ،
اشتهرت بمناماتها لسلطين دهلى •
(٤٦٥) أمير الامراء •

« آه من ملك الزمان والرأس فى الحضيض ، وذهب الأب وجاء الابن فى
الركاب »

فى هذا الوقت صارت الهند كلها « ملوك طوائف » (٤٦٦) وكانت
السيطرة تماما بيد اللوديين وكان أحمد خان ميواتي مسيطرا على
مهورتى حتى لاروسراى المتصلة بمدينة دهلى ، واستولى اللوديون على
ولاية سهرند ولاهور حتى يانى بت ، وكان دريا خان لودى حاكما على
ولاية سنبل حتى معير خواجه خضر ، وتتصل بمدينة دهلى ، وسيطر عيسى
خان تركبجه على كول ، وكان قطب خان بن حسن خان أفغان حاكما على
رابرى وكان راي يرتاب حاكما على قصبه بهون كانو وبيتالى وكنبلا ،
وكانت بيانه فى قبضة داود خان أوحدى ، وكان السلطان علاء الدين
حاكما على مدينة دهلى وعدة أماكن ، وتسطن عليها ، واستقل حاكم
الكجرات والدكن وجونبور وألينغال .

جمع السلطان بهلول جيشه مرة ثانية وتوجه من سهرند الى
دهلى ، ولم يفتح دهلى وعاد الى سرهند .

وأثناء ذلك استشار السلطان علاء الدين قطب خان وعيسى خان
وراي برتاب لكى يقوى حاله ، واتفقوا على انه لو سجن السلطان حميد
خان وعزله من منصب الوزارة ، واستولى على عدة ولايات من الأمراء
وجعلها خالصة له فان الأمر سيستقيم ، وأمر السلطان علاء الدين بسجن
حميد خان :

« من يحاكي الورد من أجل الطيور ، لن يكون لك الا البلبل وما يقول »

ورحل من دهلى وجاء الى برهان آباد قرب باهره حيث لازمه هناك
قطب خان وغيسى خان وبرتاب وعرضوا عليه ان يقتلوا حميد خان مقابل
أربعين قرية خالصة لهم ، وكان فتح خان والد حميد خان قد انتهب
ولاية برتاب من قبل ، واستولى على امراته وبناء على العداوة القديمة ،
رغب السلطان فى قتل حميد خان ، وأمر السلطان علاء الدين ، الذى لم
يكن أهلا للسلطنة ، أمرا دون تفكير أو تأمل قتل حميد خان ، فى ذلك
الوقت كان صهر حميد خان وخاصته قد تحرروا من سجنهم بالحيلة ،
وفروا وجاءوا الى دهلى ، وتعقبهم ملك محمد جمال وهو من

(٤٦٦) أخذت أغلب الولايات الهندية فى الانفصال عقب الغزو التيمورى عن سلطان
دهلى ، وقامت حكومات مستقلة فى مالوه والكجرات وجونبور والبنغال ، وظلوا كذلك
حتى عهد اكبر .

الملك محمد جمال بضرية رمح ، وتجمع رجال كثيرون حول حميد خان ، وارتفعت الغوغاء ، ودخل حميد خان الحرم السلطاني ، وأخرج نساء وبنات وبنات السلطان عرايا أيضا من قلعة المدينة ، واستولى على خزائن وأمالك السلطنة ، وأجل السلطان علاء الدين لسوء حظه الانتقام من اليوم الى الغد ، وتوقف في بداون بسبب المطر ، وانتهب حميد خان الفرصة وفكر في أن يجعل شخصا آخر محل السلطان علاء الدين ، ولم ير أن استدعاء السلطان محمود شرقي سلطان جوتبور مناسباً لأنه مثل السلطان علاء الدين نفسه بل ان السلطان محمود شرقي كان بعيداً عن الهند ، فاستدعى اللوديين أقرباء ملك بهلول الذين كانوا في سرهند ، وجاء ملك بهلول بجمعه كاملاً الى دهلي ، وبعد العهد والقسم سلمه حميد خان مفاتيح القلعة ، وجلس في السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٥٥ هـ على كرسي الحكم .

« على هذا العرش فيروزه كل صباح ومساء ، احدهما خرزة البخت الموفق »

« الشخص الذي لا يحمل هذا البخت وهذه الخرزة ، لن يوفق في الملك » . كان للسلطان بهلول في ذلك الوقت تسعة اولاد هم خواجه بايزيد الابن الأكبر . نظام خان وهو السلطان سكندر شاه وباريكشاه ومباركخان وعالم خان المشهور بالسلطان علاء الدين وجمال خان وميان يعقوب وفتح خان وميان موسى وجمال خان ، وكان له من الأمراء والأقرباء اربعة وثلاثون شخصاً هم : قطب خان بن اسلام خان لودي ، وديرا خان لودي ، تاتارخان بن دريا خان ، مباركخان نوحاني ، تاتارخان ، يوسف خان ، عمر خان شرواني ، قطب خان بن حسن خان أفغان ، أحمد خان ميواتي ، يوسف جلواني على خان جلواني ، على خان تركبجه الشيخ أبو سعيد قرملي ، أحمد خان شاهي ، خان خانان نوحاني ، شمس خان ، وزير خان ، خان خانان بن أحمد خان شرواني ، نهك خان ، لشكر خان ، شهاب خان ، بيرمبارز خان بهته رستم خان ، جوناخان بن غازي ملك ، ميان جمن بن خانجهان ، بلنكي ، حسين خان دور ، عماد الملك اقبال خان ، ميان فريد ، ميان معروف قرملي ، راي يرتاب ، راي كيلن ، راي كرن .

(٤٦٧) جماعة لنكاه لهادر مشهورة في التاريخ الاسلامي الهندي وسيرد ذكرها اكثر من مرة في طبقات اكبرى .

كان السلطان بهلول ملتزماً بالصلاح والشريعة الغراء تمام الالتزام ، وكان يسلك المسالك الشرعية في كل الأحوال ويتشدد في العدل والانصاف ، ويقضى أكثر الأوقات في مجالسة العلماء ومصاحبة الفقراء ، ويتفقد أحوال الفقراء وأهل الحاجة .

المهم ، عندما دخل السلطان بهلول دهلي كان حميد خان لديه القوة والهيمنة التامة ، فأخذ في مداهنته استغلالاً للوقت ، وكان يذهب يومياً للسلام عليه ، وذات يوم نزل ضيفاً على حميد خان ، ووصى الأفغان أن يأتوا ببعض الحركات الغريبة عن العقل والفهم في مجلس حميد خان حتى يسهل عليكم أن تبعدوا عن قلبه الرعب والهيبة وألا يحذركم « وحينما دخل الأفغان في المجلس أتوا بحركات غريبة فربط البعض أحذيتهم في الخصر ، ووضع البعض أحذيتهم في طاقة أعلى رأس حميد خان فقال حميد خان ما هذا العمل ؟ قالوا نحافظ عليك من اللصوص ، وبعد فترة قال الأفغان لحميد خان ان بساطك العجيب له عدة ألوان فلو أنعمت علينا بكليم من هذا البسط لنجعله تاجاً وطاقيّة لأولادنا ليعلم أهل الدنيا اننا في خدمة حميد خان ويكرمونا ورد حميد خان مبتسماً « اننى انعم عليكم بالقمشة الفاخرة من أجل هذا الأمر » وعندما مندوا الموائد العامرة ، لعق بعض الأفغان « الجوه » (٤٦٨) وأكلوا الورد ، وفتح البعض زجاجات الجعة وأكلوا الخميرة على حده ، وعندما التهب الفم ألقوا زجاجات الجعة من أيديهم وسأل حميد خان ملك بهلول ، لماذا يفعلون هذا ؟ قال انهم قرويون سدج وليس لديهم هم الا الأكل والشرب ، وفي يوم آخر نزل ملك بهلول ضيفاً على حميد خان ، ولما كان قد اعتاد عليه فحين دخل ملك بهلول منزل حميد خان رافقه عدد معدود ، ووقف أكثر الناس بالخارج . وفي هذه المرة التي استضاف فيها لطم الأفغان الحراس بتحريض ملك بهلول ودخلوا عنوة . وقالوا اننا أيضاً خدم حميد خان فلماذا نحرّم من سلامه ، وعندما حدثت الغوغاء والجلبة سأل حميد خان عن هذا الحال فقالوا : دخل الأفغان التابعون لملك بهلول وقالوا نحن أيضاً مثل ملك بهلول خدم حميد خان ودخلوا وقالوا : لماذا لا ندخل ولا نسلم ؟ قال حميد خان دعوهم !

« لا تتوقع تبدلاً لزماننا ، لأن في الجيب والذيل تحل الحياة . »

وهجم الأفغان ودخلوا ووقف نفر بجوار كل خادم كان يقف حول حميد خان ، وخلال ذلك أخرج قطب خان لودي قيّداً من تحت ابطيسه

وقدمه لحميد خان وقال « المصلحة فى هذا لأنه ينبغى أن تنزوى عدة ايام ،
وبسبب حق الصلح لا أبغى روحك » وقيد حميد خان وسجنه .
وعندما سيطر ملك بهلول على دهلى دون منازع أو معارض ،
جعل السكة والخطبة باسمه ولقب بالسلطان بهلول ، وكتب الى السلطان
علاء الدين :

« لما كنت ابن ابيكم بالتبني وقد أعدت للسلطنة الرونق والازدهار
الذى سلب منكم بالوكالة ولن أضع اسمكم فى الخطبة ، وأجابه السلطان
« طالما كنت ابنا بالتبني لأبى فاعلم أنك تحل محل أخيك الأكبر ، واننى
أترك السلطنة لك ، واقنع بيداون » وحظى السلطان بهلول بالتوفيق
وشرع فى أمر الملك .

نهض السلطان بهلول فى نفس هذه السنة لضبط ولاية الملتان
ونواحيها ، واستدعى أمراء السلطان علاء الدين الذين لم يكونوا راضين
عن حكم اللوديين السلطان محمود شرقى من جونبور وجاء السلطان
محمود بجيش جرار الى دهلى وحاصرها وتحصن خووجه بايزيد ابن
السلطان بهلول وأمراء آخرون ، وسمع السلطان بهلول بهذا الخبر ،
فعاد من ديبالبور ونزل بقرية نليره التى كانت على مسافة خمسة عشر
قرسحا من دهلى واستولى جيشه على ايل ويقر كانت ترعى من جيش
السلطان محمود ، وأرسل السلطان محمود فتح خان هربوتى بثلاثين
ألف فارس وثلاثين فيلا لمهاجمة السلطان بهلول ، وتعقب اللوديون
الجيش ودخلوا الميدان ، وكلما تقدم فيل من جيش فتح خان هربوتى
شل قطب خان لودى الذى كان ماهرا فى اطلاق السهام ، حركته بسهم
واحد ، وانسحب دريا خان لودى من الحرب وكان قد التحق بالسلطان
محمود وكان مستعداً للمقتال حين صاح فيه قطب خان بصوت عال
« ان أمهاتك وأخوتك متحصنون فى القلعة فهل يليق بك أن تحارب بجانب
العدو ولا تحفظ الشرف » فقال دريا خان اننى سأبتعد ولن أتبعك وذكره
قطب خان بالقسم فتحول اليه دريا خان وبمجرد عودته هزم فتح خان
وأسر ، وأخبر هنو راي كرن بقتل فتح خان وفصل راي كرن رأس فتح
خان وجاء بها الى السلطان بهلول ولم يجد السلطان محمود بعدها
ما حدث مقدره فعاد الى جونبور .

استقامت الأمور بعد ذلك للسلطان بهلول ، وصارت له القوة
والهيمنة التامة ، وتوجه لضبط البلاد أولا ، وتوجه الى ميوات واستقبله

أحمد خان ميواتى أعلن ولاءه ، وأدخل السلطان سبع قرى تحت سيطرته ، وترك له الباقي وأرسل أحمد خان ميواتى عمه مبارك خان دانى فى خدمة السلطان .

توجه السلطان من ميوات الى قصبه برن وأعلن دربا خان لودى حاكم سنبل أيضا الطاعة والولاء له ، وقدم سبع قرى هدية ، وجاء السلطان من هناك الى كول ، وعين عيسى خان على كول كسابق عهده ، وعندما وصل الى برهان آباد أسرع مباركخان حاكم سكيت اليه فلم يغيره عن ولايته أيضا ، وسلم أيضا لرأى يرتاب حاكم بهون كانون اليه ولايته ، وتوجه من هناك الى قلعة راي برى ، وتحصن قطب خان ابن حسن خان حاكم رابرى ، وفى مدة وجيزة فتحت قلعة راي برى ، واحضر خانجهان الى السلطان واستسلمت ولايته أيضا ، وتوجه من هناك الى اتاوه وأطاعة أيضا حاكمها .

عاد السلطان محمود شرقى أيضا مرة ثانية فى ذلك الوقت لمهاجمة السلطان بهلول ، ونزل فى سواد اتاوه ، وتحارب الجيشان فى اليوم الأول وتوسط قطب خان راي يرتاب للصلح ، وفى اليوم التالى قررا ان كل ما كان تحت سيطرة مباركشاه سلطان دهلى تصبح تحت سيطرة السلطان بهلول وما هو فى قبضة السلطان ابراهيم سلطان جونبور يكون تحت سيطرة السلطان محمود ، وإثناء الحرب كان فتح خان هربرى قد استولى على سبعة أقبال من السلطان محمود ووقعوا فى يد السلطان بهلول وأعادهم السلطان بهلول له ، وقررا أن يأخذ السلطان بهلول شمس آباد من جونا خان حاكمها من قبل السلطان محمود وذلك بعد موسم المطر .

توجه السلطان محمود الى جونبور بعد هذا ، وأرسل السلطان بهلول فى الموعد المحدد قرمانا الى جوناخان أن يسلمه شمس آباد ولم يطمعه ، فتوجه السلطان بهلول لمهاجمته ، وفر جونا خان ، وسلم السلطان بهلول شمس آباد لرأى كرن ، وسمع السلطان محمود الخبر فتوجه الى شمس آباد لمهاجمة السلطان بهلول ، وأغار قطب خان ودريا خان لودى على جيش السلطان ليلا ، وقناة أصيب جواد قطب خان بسهم فسقط قطب خان من فوق الجواد ، وقبض عليه ، وأرسله محمود الى جونبور فظل سبع سنوات سجينا ، وترك السلطان بهلول الأمير سكندرو عماد الملك لمواجهة جيش السلطان محمود لمساعدة راي كرن ؟ الذى كان فى القلعة ، واهتم بنفسه لمواجهة ومحاربة السلطان محمود ، وإثناء هذا مرض السلطان محمود ، وخلع رداء الحياة .

« فى هذه القنينة يكون السم أحيانا والسكر أحيانا أخرى ، وخالق الروح
يربى الروح »

« يضع انسان تاجا من الذهب على رأسه ، وآخر يطاح رأسه بسيف
الحقد »

« ليس البغض مكانا للحب فى هذا الخفاء حيث يكون عدم الوفاء »

أجلست بى بى راجه أم السلطان محمود الأمير بيهيكن خان بموافقة
الأمرآ على سرير الملك ولقب بمحمد شاه ، ووقع الصلح بين السلطانيين ،
وتعاهدا أن تكون ولاية السلطان محمود تحت سيطرة محمد شاه ، وأن
يكون ما فى قبضة السلطان بهلول معقودا للسلطان بهلول ، وذهب محمد
شاه الى جونبور ، وعاد السلطان بهلول الى دهلى .

عندما اقترب من دهلى أرسلت شمس خاتون أخت قطب خان
رسالة (جاء فيها) طالما أن قطب خان فى سجن محمد شاه فالاستقرار
للراحة والنوم حرام على السلطان ، وتأثر السلطان وعاد من دهنكو
وتوجه الى محمد شاه ، وتوجه اليه محمد شاه أيضا من جونبور ،
وعندما وصل الى شمس آباد استولى عليها من رأى كرن حاكمها من
قبل السلطان بهلول ، وسلمها جونا خان والتحق به رأى برتاب حين
رأى غلبة محمد شاه ، وجاء محمد شاه الى سرستى ، ونزل السلطان فى
رببرى قرب سرستى ، وقامت الحرب عدة أيام ، وأرسل محمد شاه رسالة
من سرستى الى كوتوال جونبور بأن يقتل أخا حسن خان وقطب خان
ابن اسلام خان لودى ، وعرض الكوتوال الأمر على بى بى راجه التى
كانت تحافظ عليهما على أنه ليس لدى قدرة على قتلها ، وعندما وصلت
الرسالة الى محمد شاه ، استدعى أمه من جونبور التى صالحته على
أخيه حسن خان على أن يعط جزءا من ولايته الى حسن خان ، ورحلت
بى بى راجى من جونبور ، فقتل محمد شاه الأمير حسن ، فتوقفت بى بى
راجى للتعزية فى حسن خان فى قنوج ، ولم يأت الى محمد شاه ، وأرسل
محمد شاه الى أمير الأمرآ ليقدموا العزاء لها ، وكان محمد شاه
سلطانا ظالما سفاكا للدماء وكان الأمرآ فى خوف ووجل منه ، وذات
يوم عرض الأمير حسن أخو محمد شاه بالاتفاق مع سلطان شه جلال خان
أجودنى على محمد شاه من أن جيش السلطان بهلول قد أغار علينا
واستولى على ثلاثين ألف (٤٦٩) جواد وثلاثين فيل ، وانفصلا عن
جيش محمد شاه بحيلة لكى يقطعا الطريق على الأعداء ، ووقفوا على

(٤٦٩) يبدو أن الرقم مبالغ فيه جدا .

شاطيء نهر جهرنه وسمع السلطان بهلول بهذا الخبر ، فأرسل جيشا لمواجهةهما ، وأراد الأمير حسن خان أن يرافق الأمير جلال خان وأرسل شخصا يستدعيه ، وأثناء ذلك علم سلطان شه أنه ليس هناك مصلحة فى التوقف وأنه سيتبعهم جلال خان ، وسار صوب قنوج ، وحدث أن وصل جيش السلطان بهلول الذى كان مرسلا لمواجهةهم ، فوقف فى مكانه ، وخرج الأمير جلال خان بموجب استدعاء حسين خان من جيش محد شاه وسار صوت جهرنه ، وظن أن جيش السلطان بهلول هو جيش الأمير حسين خان فاقترب منه ، وأسر السلطان بهلول جلال خان ، وأحضروه الى السلطان ، فسجنه عوضا عن قطب خان ، ولم يستطع محمد شاه المقاومة فتوجه صوب قنوج ، وتعبه السلطان بهلول حتى نهر الجانج ، واستولى على جزء من أمتعته ، وعاد .

وفى سنة ٨٥٥ هـ جاء الأمير حسين خان الى بىبى راجى ، وجلس على عرش السلطنة بسعى الوالدة وأعيان الدولة الشرقية ، ولقب بالسلطان حسين خان ، وهكذا سلك ضمن الطبقة الشرقية كما هو مسطور بالتفصيل .

وأرسل السلطان حسين ملك مبارك ككك وملك على كجراتى وسائر الأمراء لمهاجمة محمد شاه الذى كان قد نزل بالقرب من معبر راجكر على شاطيء نهر الجانج ، وعندما اقترب جيش السلطان حسين خان انفصل بعض الأمراء الذين كانوا برفقة محد شاه ، وفر محمد شاه مع عدد من فرسانه ، ودخل فى حديقة كانت فى هذه النواحي وحاصروه هناك .

« عندما كانت الدولة معقودة له ، كان الدرغ أمام سيفه بارزا »
« فى تلك الوقت الذى يتمسك بحظه ، ولم يجعل خشبة القاسى تمر على الحرير »

ولما كان ماهرا فى اطلاق السهام ، فقد قبض على السهم والقوس وتقدمت بىبى راجى بسلاحها وكان نصل السهم بعيدا عن كنانة محمد شاه وكلما أخرج محمد شاه سهمها من كنانته يكون بلا نصل وأخيرا خرج بالمسيف وقتل عدة أشخاص ، وفجأة أصاب سهم من يد مبارك ككك جنب محمد شاه ، فسقط من فوق جواده جريحا ، ومات .

« نحن لا نملك الدنيا ، ولا نزرع الابن الشجاع ، فلا تضع القلب على
حب زال (٤٧٠) هذا واحذر قتل الابن » .

« وعندما لا ترى للملك أجلا فلا تستجد يوم القضاء ، فلن تعطى السلطنة
سعادة ولن تأتي السعادة بشيء » .

« اننى استوليت على الدنيا جميعها من شرقها الى غربها ، ولا أريد
اخذ الأجل منك يوما بالاضطرار »

بعد هذا تصالح السلطان حسين مع السلطان بهلول ، وعقدوا
العهد على أن يقنع كل منهما بولايته لمدة أربعة أعوام ، والتحق راي
برتاب الذى كان من قبل قد التحق بمحمد شاه بالسلطان بهلول بناء على
شفاة قطب خان أفغان ، وعندما رحل السلطان حسين من قنوج نزل
على شاطيء معوض يدعونه « هرسه » ، واستدعى قطب خان من
جنونبور ، وخصه بالعباية والجياد والخلع والهدايا الأخرى ، وأرسله
معززا مكرما تماما الى السلطان بهلول ، وأنعم أيضا السلطان بهلول
على الأمير جلال خان بالانعامات الطيبة ، وأذن له بالسفر الى السلطان .

عزم السلطان بهلول التوجه الى شمس آباد بعد فترة ، واستولى
على شمس آباد من جونا خان وسلمها لراى كرن ، وهناك لازم هرسنكة
ابن راي برتاب السلطان بهلول ، وكان راي برتاب مشغولا بالتحصيل
من قبل هذا فى الزمان السابق ، وكان قد استولى على « ظبال » من
دريا خان عنوة وقتل دريا خان ابنه هرسنكة انتقاما وبتحويض قطب
خان ، وفى هذه الأثناء كان قطب خان بن حسين خان ومبارزخان وراى
برتاب متفقين مع السلطان حسين شرقى ، ولم يستطع مقاومة السلطان
بهلول ، وعاد وجاء الى دهلى .

وبعد عدة أيام عزم السلطان بهلول نية السفر لترتيب أمور البنجاب
وبغى حاكم الملتان وترك قطب خان لودى وخانجهان نيابة عنه فى دهلى ،
وبينما كان السلطان بهلول فى الطريق أخبروه أن السلطان حسين أعد
الجوبوش وعزم التوجه الى دهلى بأفيال ضخمة ، وعاد السلطان بهلول
الى دهلى مسرعا ، وأسرع لاستقبال غريمه ، وقابله فى جندوار ، وظل
الجمشان يتحاربان لمدة سبعة أيام ، وفى هذه الأثناء التحق أحمد خان
ميواتى ورستم خان حاكم كول بالسلطان حسين ، واتفق تاتار خان مع

(٤٧٠) زال بن سام البطل الأسطوري ربيب العنقاء الذى القى به فى شعاب جبل
البرز لانه كان بشعر أبيض كالشيوخ ولكنه بعد أن كبر بحث عنه والده وأحضرتة
العنقاء .

السلطان بهلول بعد أن طال القتال والجدال ويسعى أعيان الدولة إلا يتحارب الطرفان لمدة ثلاث سنوات ، وأن يقنع كل منهما بولايته ، وبعد الصلح عاد السلطان حسين إلى أتاوه وجاء السلطان بهلول إلى دهلي ، وأقام ثلاث سنوات ، اهتم فيها بتنظيم الملك والجيش وذهب السلطان أثناء ذلك إلى أحمد خان ميواتي ، الذي أيد السلطان حسين قبل هذا ، وعندما وصل إلى ميوات ، أكرم أحمد خان خانجهان وكان من أمراء السلطان حسين الكبار ، وحضر إليه في ذلك الوقت ، وكان أحمد خان ابن يوسف خان جلواني حاكم بيانه يقرأ الخطبة باسم السلطان حسين ، وعندما انتهت الثلاث سنوات توجه السلطان حسين بمائة ألف فارس وألف فيل إلى دهلي ، وخرج السلطان بهلول من دهلي ، وتقابلا قرب قصبية تهنوازه وتوسط خانجهان ، وتصالح الطرفان ، وبعد الصلح عاد السلطان حسين إلى أتاوه ، وجاء السلطان بهلول إلى دهلي .

عاد السلطان حسين إلى السلطان بهلول بعد فترة وجيزة ، وخرج إليه السلطان بهلول من دهلي ، وتقابل الطرفان عدة أيام ، وتقاتلا عدة مرات ، وأنهى الأمر بالصلح بينهما وتوجه السلطان حسين إلى أتاوه ، وعاد السلطان بهلول إلى دهلي .

توفيت أم السلطان حسين بي بي راجي في أتاوه في تلك الأثناء ، وجاء كليان مل بن راي هرسنكه راجه كوالير وقطب خان لودي وكانا قد ذهبا من جندوار إلى كالير عند السلطان حسين ونظرا لأن قطب خان قاتل بجوار السلطان بهلول ضد السلطان حسين لهذا قال له أن بهلول من زمرة تابعيك ولا يمكنه أن يتنافس أمامك ، ولن يهدأ باله ما لم تدخل دهلي تحت سيطرتكم واستاذن بلطائف الحيل السلطان حسين ، وجاء إلى السلطان بهلول ، وقال انني تخلصت بالحيلة والتدبير من قبضة السلطان حسين وانني وجدته مغاليا في معاداتكم ، وكنت دوما في فكره واعتباره .

توفي السلطان علاء الدين في بداون في تلك الأثناء ، فجاء السلطان حسين من أتاوه للتعزية في بداون ، وبعد مراسم العزاء أخذ بداون من يد ابن السلطان علاء الدين واستولى عليها ، وأجازها لنفسه بخسة ، وذهب من هناك إلى سنبل ، وسجن سياركخان بن تاتارخان حاكم سنبل وأرسله إلى سارن ، وجاء بنفسه بجيش عظيم وألف فيل من دهلي ، وفي ذي الحجة سنة ٨٨٣ هـ نزل على شاطئ نهر جون قرب المعبر القديم فأرسل السلطان بهلول حسين خان بن خانجهان إلى ميرته وجاء من سهرند إلى دهلي ، وقضى الطرفان فترة في الحرب والنزال وانصرف

الشرقيون بسبب الكثرة والقوة ، وآخر الأمر أرسل قطب خان شخصا الى السلطان حسين وسلمه رسالة « اننى عبد احسان بى بى راجى وعندما كنت محبوسا فى جونبور ابدت هذا المصونة كثيرا من الاحسان لى والآن الصلاح فى أن تعقد الصلح مع السلطان بهلول وتأمرا بالعودة وأن تكون الولاية شرق نهر الجانج لكم وما هو فى غرب الجانج تترك للسلطان بهلول » ، وارتضى الطرفان ، وتركوا النزاع ، وتقهر السلطان حسين معتمدا على الصلح ، ورحل وانتهد السلطان بهلول الفرصة وتعقبه وأغار على مؤخرة جيش السلطان حسين ، وسقط بيد السلطان بهلول جزء من الخزائن والأمتعة التى كان يحملها الجياد والأفيال ، وأسر قرابة أربعين أميرا مشهورا من جيش السلطان حسين مثل قتلخان الوزير الذى كان أعلم علماء عصره « وأويتهو » نائب عرض ، وأمثالهما ، وسجن قتلخان وسلمه لقطب خان لودى ، وتعقبه حتى استولى على بعض قرى السلطان حسن مثل قسبة كنبل وبيتالى وشمس آباد وسكيتيه وكول وما رهه وجلالى وعين على كل قرية « شقدار » (٤٧١) وعندما زاد التعاقب عن الحد عاد السلطان حسين ، واستعد للمقاتلة والمقابلة قرب قرية آرام نجو من أعمال ريرى ، وأخيرا عقد الصلح المشروط بأن يقتنع السلطان حسين والسلطان بهلول بولايتهما وحدودهما القديمة .

عاد السلطان حسين بعد الصلح الى ريرى ، وجاء السلطان حسين الى قرية هرياسو بعد مدة ، ثم عاد بجيش لمهاجمة ابن السلطان بهلول ، ووقعت حروب ضارية فى نواحي قرى « سوتها » ، وعاد السلطان حسين مهزوما .

« عندما تفقد الحظ ، فما فائدة القوس القوى »

« يعمل الحظ عمله فى صف الجيوش القوية ، وكثيرا ما يكون للجيش القوى حظ قليل »

« يكون الحظ قليلا ، ويفقد الجيش الحرب كلية »

وسقطت اموال لا حصر لها فى يد اللوديون مما سبب فى زيادة قوة ومكنة السلطان بهلول وعاد السلطان حسين الى ريرى ، ونزل السلطان بهلول قرب دهرابو .

وصل خبر وفاة خانجهان الذى كان فى دهلى فى تلك الأثناء ، فلقب السلطان ابنه بخانجهان ، وسلمه مكان أبيه ، وجاء من هناك الى

(٤٧١) شقدار : حاكم ناحية وهى مكونة من « شق » وهى عربية ودار بمعنى

صاحب .

السلطان حسين بريرى ، وبعد الحرب والقتال حقق النصر والفتح ،
وفى أثناء الفرار وعبور نهر جون غرق عدد من زوجات وأبناء السلطان
حسين فى البحر .

توجه السلطان حسين الى كوالير ، وفى نواحي هتكانت أغارت
طائفة « بهدوريه » على معسكره وانتهيته ، وعندما وصل الى كوالير
اطاعه راي كيرت سنكة راجه كوالير ، وسلك ضمن خدمه وقدم عدة
مئات آلات تنكه (٤٧٢) وعدة خيام وسرادقات وجياد وأفيال وأبل هدية
وانتظم ضمن التابعين ، وأعد جيشا لمرافقة السلطان حسين ، وتبعه حتى
كالبي .

توجه السلطان بهلول الى اتاوه خلال هذا ، وتحصن ابراهيم خان
أخو السلطان حسين وهبيت خان المعروف بملك كركر فى اتاوه وقاتلا
ثلاثة أيام ، وأخيرا طلبا الأمان ، وسلم اتاوه ، وسلم السلطان بهلول
اتاوه لابراهيم خان بن مبارك خان توحانى ، وأعطى قرية من ولاية
اتاوه تكريما لراى داندور ، وتوجه بجيش جرار الى السلطان حسين
وعندما وصل الى راكانوا من توابع كالبي ، أسرع السلطان حسين أيضا
من كالبي لمواجهة ، وقضى الطرفان عدة أشهر فى القتال ، وأثناء ذلك
جاء راي ملوك جند حاكم ولاية « بكر » الى السلطان بهلول ، وطلب من
السلطان أن يرحل من المكان الذى كان منخفضا ، ولم يكن للسلطان
حسين قدره على المقاومة وتوجه الى بهته .

« الأسد الذى لطم بمخالب هزير (٤٧٣) ، فى المرة الثانية لا يفكر فى
المواجهة »

« الباز الذى يخرج الصيد من كف الشاهين (٤٧٤) ويكفيه من الصيد
حمامه »

استقبله راجه بهته ، وعامله معاملة انسانية ، وقدم عدة مئات
الآلاف تنكه ، وعدة جياد وأفيال هدية ، وأعد جيشا لمرافقته وتابعه حتى
جونبور .

رفع السلطان بهلول لواء الرحيل بعد ذلك ، وتوجه صوب جونبور ،
وعندما اقترب من جونبور تركها السلطان حسين وتوجه الى قنوج من

(٤٧٢) جند لك : عدة مئات الآلاف .

(٤٧٣) هزير : نوع من الأسود القوية .

(٤٧٤) الباز والشاهين نوع من الصقور .

طريق بهراج ، وتوجه السلطان بهلول أيضا الى قنوج ، وتقابلا على شاطئ نهر رهب ، وبعد الحرب والنزال وقعت الهزيمة على السلطان حسين وكانت متوقعة ، وسقط الحشم وأسباب سلطنته بيد اللوديين ، وأسرت زوجته المحببة بي بي خواندا وهي أخت السلطان علاء الدين حفيد خضر خان ، وحافظ السلطان بهلول على هذه السيدة المصونة لصالحها وعفتها ، وبعد فترة توجه السلطان بهلول ثانية لتسخير ولاية جونبور ، وتخلصت بي بي خواندا بالحيلة ، وصلت الى زوجها واستولى السلطان بهلول على جونبور في هذه المرة ، وسلمها لمبارك خان نوحاني ، وترك بعض الأمراء الآخرين مثل قطب خان لودي وخانجهان ، وأمثالهما في قسبة محموتى ، وتوجه الى بداون .

انتهر السلطان حسين الفرصة وجاء بجيش كبير الى جونبور ، وترك أمراء السلطان بهلول جونبور ، وذهبوا الى قطب خان في محموتى ، ولم يستقروا هناك أيضا بل دخلوا في طاعة السلطان حسين وتوسط رجال الدولة حتى تصل المساعدات سرا ، وعلم السلطان بهلول بما أصاب جيشه من ضرر والذي كان برفقة قطب خان لودي ، فأرسل ابنه باريكشاه لمساعدته ، وتوجه أيضا بنفسه بعده الى جونبور ، ولم يستطع السلطان حسين المقاومة ، وتوجه الى بهار ، وعندما وصل السلطان بهلول الى قسبة « بلدى » سمع خبر وفاة قطب خان لودي فانشغل عدة أيام بالعزاء ، وتوجه الى جونبور ، وأجلس باريكشاه على عرش السلطنة الشرقية ، وتركه هناك وتوجه الى ولاية كالبى ، وسلم كالبى الى أعظم همايون ابن الأمير خواجه يازيد ، وذهب الى دهولبور من طريق جندوار ، واستقبله راي دهولبور ، وقدم عددا من المدين (٤٧٧) ذهباً هدية ودخل ضمن التابعين ، وعندما اقترب السلطان بهلول من قرية بارى قدم اقبال خان حاكم بارى الخدمة ، وانتظم ضمن سلك التابعين ، وأهداه أيضا عددا من المدين ذهباً ، فأقره على بارى ، ومن هناك توجه الى النبور وهي من توابع رنتهبور ، وانتهب ولاية النبور ، وخرب الحدائق والمزارع ، وجاء الى دهلى استقر .

توجه السلطان بهلول ، بعد عدة أيام الى قلعة فيروزه وأقام هناك عدة أشهر ، وجاء الى دهلى ، وبعد فترة توجه الى كوالير ، فجاء حاكمها طائعا ، وقدم ثمانية ملايين تنكه (٤٧٦) فأقره على كوالير ، وجاء

(٤٧٥) نوع من العملة تعادل في قيمتها ووزنها « الهى وجلالى » ونصف سليمة وأربع عدل كتنكه وهي عملات كانت موجودة في ذلك العصر وما يليه حتى عصر أكبر (آيين أكبرى ج ١ ص ١٣ ، ١٤) .

(٤٧٦) ثمانون لك : ثمانية ملايين .

الى أتاوه من هناك ، وعزل « سكيت سنكه بن راى داندو » عن حكم أتاوه ،
وعاد وأثناء الطريق مرض بالمقرب من قرية « بلادلى » من أعمال سكيت
وتوفى فى سنة ٨٩٤ هـ وكانت مدة حكمه ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر
وثمانية أيام .

« لو أن افراسياب وزال تأدبا من يد الأجل » .

« فان الكأس التى قدمها الساقى محال أن تزيد شيئا للإنسان »

« لو أن السلطان بائع حمير لبلغ الأجل صوت موته الى الأذن »

« رحل عن العالم فى ثمانمائة وتسعين وأربعة ، مالك الملك وفتح العالم
بهلول »

« كان سيف المملكة لكن سيف الأجل حل محل السيف والخنجر المصقون »

وكانت هذه القطعة قد رويت فى تاريخ وفاته .

السلطان سكندر ابن السلطان بهلول :

عندما أسلم السلطان بهلول لودى الروح لقاؤها ، وكان الأمير
نظام خان فى دهلى فتوجه مسرعا كالريح ، وحمل تابوت السلطان
بهلول بنفسه حتى قصبة جلال ، وأرسل نعش أبيه الى دهلى وجلس
على عرش السلطنة بموافقة خانجهان وخان خانان فرملى وسائر أمراء
أبيه فى يوم الجمعة السابع عشر من شعبان سنة ٨٩٤ هـ قرب قصبة
جلالى على ربوة عالية تقع على شاطيء نهر بياه ويطلقون عليها قصر
السلطان فيروز ، ولقب بالسلطان سكندر .

« عندما أخفى القمر وجهه تحت النقاب الهادى ، ظهر عيانا وجه الشمس
من الأفق »

« نثر الياسمين لكن الأرجوان تفتح ، وتفتحت كل وردة جاء دورها فى
الحديقة »

كان السلطان بهلول فى ذلك الوقت ستة أبناء هم : ابراهيم خان
وجلال خان واسماعيل خان وحسين خان ومحمود خان ونظام خان وأعظم
همايون ، ومن الأمراء البارزين كان لديه ثلاثة وخمسون أميراً هم ،
خانجهان بن خانجهان لودى ، أحمد خان بن خانجهان بن خانجهان
مباركخان نوحانى ، محمود خان لودى ، عيسى خان ، تاتارخان لودى
خان خانان ، شيوخزاده ، محمد فرملى خان خانان نوحانى أعظم همايون
شروانى ، وريا خان بن مباركخان نوحانى نائب بهار ، عالم خان

لودى ، جلال خان بن محمود خان لودى نائب كالمبى ، شيرخان لودى ، موسى خيل ، أحمد خان بن مباركخان لودى ، عماد بن خان خانسان قرملى ، عمر خان سروانى ، بهكين خان بن عالم خان لودى حاكم اتاوه ، ابراهيم خان سروانى ، محمد شاه لودى ، باير خان سروانى ، حسين قرملى نائب سارن ، سليمان قرملى بن دوم خان قرملى ، سعيد خان لودى بن مباركخان لودى ، اسماعيل خان توحانى ، تاتارخان قرملى عثمان قرملى شيخزاده ، محمد بن عماد قرملى ، شيخ جمال عثمان ، شيخ أحمد قرملى آدم لودى ، حسين أخو آدم لودى ، كپير خان لودى ، نصير خان لودى ، غازى خان لودى ، تاتارخان حاكم جهتره ، مولانا جمن كنبو حجاب خاص ، مجد الدين حجاب خاص ، شيخ عمر حجاب خاص ، مجد الدين حجاب خاص ، شيخ عمر حجاب خاص ، شيخ ابراهيم حجاب خاص ، مقبل حجاب خاص ، القاضى عبد الواحد بن طاهر كاملى حجاب خاص ، خواجى خان بموده بن خواجى خان ، خواجه نصر الله مباركخان ، اقبالخان حاكم قصبه بارى ، خواجه اصغر ابن قوام حاكم دهلى ، شيرخان أخو مباركخان نوحانى ، عماد الملك كنبو تابع دريا خن نوحانى الذى كان « مير عدل » (٤٧٧) .

توجه السلطان سكندر صوب قرية رايرى بعد فترة ، وتحصن عالم خان أخو السلطان سكندر فى قلعة ريرى وجندوار عدة أيام ، وأخيرا فر وتوجه الى عيسى خان بن تاتار خان لودى فى بيتالى ، وعين خان خانان نوحانى على ولاية ريرى ، وتوجه السلطان الى اتاوه ، وقضى هناك سبعة أشهر وجاء عالم خان اليه ، وانفصل عن اعظم همايون ، وسلمه ولاية اتاوه ، وأرسل اسماعيل خان نوحانى لعقد الصلح مع باريكشاه سلطان جونبور ، وتوجه بنفسه لمهاجمة عيسى حاكم بيتالى ، وجرح عيسى خان بعد القتال والنزال ، وأخيرا أبدى الطاعة والولاء بسبب العجز والضعف ، وتوفى أيضا بسبب الجراح ، وجاء راي كنيس الذى كان تابعا لباريكشاه ، والتحق بالسلطان وعينه على اقطاع بيتالى ، وتوجه لمهاجمة باريكشاه ، وجاء باريكشاه من جونبور الى قنوج ، وتقابل الطرفان وبعد الحرب والقتال أسر مباركشاه ، وهزم باريكشاه ، وتوجه الى بداون ، وتبعه السلطان ، وحاصره ، وأطاعه باريكشاه بسبب العجز والضعف ، وسعد السلطان وأخذه برفقته ، ورحل الى جونبور ، وجلس على الشرقية كما كان من قبل لكنه قسم قرى ولاية جونبور على أمرائه ، وأرسل حكاما من قبله على كل مكان تركه حاكمه ، وجاء من

هناك الى كوتله وكالبي ، واخذ كالبي من اعظم همايون ابن الامير خواجه بايزيد ، وعين عليها مجمد خان لودى ، وتحرك صوب قلعة كوالير ، وارسل خواجه محمد قرملى بخلعة خاصة الى راجه مان يكوالير ، وقدم راجه مان ايضا طائعا ، وارسل ابن اخيه اليه ، ورافق السلطان حتى بيانه ، وجاء شرف حاكم بيانه ابن احمد حلوانى ايضا اليه طائعا ، وامره السلطان ان يترك بيانه واعطاه جليسر وجندوار ومارهره وسكينه بدلا منها ، واخذ السلطان شرف عمر خان سروانى معه وجاء الى بيانه حتى يسلمه مفاتيح القلعة ، وعندما دخل بيانه نقض العهد ، واحكم القلعة ، وجاء السلطان الى اكره ، وتحصن هيبه خان جلوانى فى قلعة اكره التى كانت من توابع السلطان شرفا ، وترك السلطان عودا من الامراء على رأس القلعة ، وعاد الى بيانه وبالمخ فى امر الحصار ، وعندما ضاق الامر على السلطان شرف طلب الامان بسبب العجز ، وفتحت بيانه فى سنة ٨٩٧هـ وعين خانخانان قرملى على ولاية بياته ، وطرد السلطان شرف وتوجه الى كوالير ، وعاد السلطان الى دهلى ، وتقف فى دهلى اربعة وعشرين يوما .

علم السلطان اثناء ذلك ان حكام ولاية جونبور والبهكوتيين واناس آخرين قد جمعوا قرابة مائة الف من المشاة والفرسان ، وطردوا مباركخان ، وقتلوا شيرخان اخا مباركخان ، وعبر مباركخان معبر « جوسى بياك » حيث عمرت هناك مدينة اله آباد وهى من عمارات خليفة الهى (٤٧٨) على نهر الجانج ، واسر على يد الملاحين ، وعلم فى هذه الاحوال ايضا راي تهتد راجه بهته امر مباركخان ، وادرك باريكشاه غلبة هذه الطائفة ، فجاى من جونبور الى دريا باد لمواجهة محمد قرملى ، والتى تشتهر بكالا بهار ، وعاد السلطان سكندر فى سنة ٨٩٧ هـ الى هذه الناحية ، وعبر الجانج ووصل الى دلتو ، فالتحق به باريكشاه وجميع الامراء ، ونالوا الرعاية والاهتمام وبسبب مهابة وقوة قدوم السلطان اطلق راي بيل مباركخان نوحانى من السجن ، وارسله اليه .

توجه السلطان من هناك الى كهكهر ، واجتمع هناك زمينداران كثيرون ، وواجههم ، وقتلوه واخيرا هزموا وصاروا علقا للسيف ، وتفرقوا ، ووقعت غنائم كثيرة فى يد جنود السلطان ، وتوجه السلطان الى جونبور ، وترك باريكشاه فى جونبور مرة اخرى ، وعاد ، وقضى قرابة شهر فى نواحى اوده فى التنزه والصيد ، وعندما وصل الى كهكهر اخبروه ان باريكشاه منعهم من الدخول فى جونبور بسبب غلبة « زمينداران » ، الذين اتفقوا معه ، وامر السلطان محمد قرملى واعظم

(٤٧٨) السلطان جلال الدين اكبر .

همايون و خان خانان نوحانى الذهاب من طريق أوده ، وأرسل مباركان من طريق كره الى جونبور ليقيدوا ياريكشاه ويرسلوه الى السلطان ، وذهبوا حسب الحكم الى جونبور ، وفيدوا ياريكشاه ، وسجنوه ، وأرسلوه الى السلطان ، وعندما أحضروا ياريكشاه امام السلطان ، سلمه لمهيت خان وعمر خان سروانى ، وتوجه من نواحى جونبور الى قلعة جنار ، وقاتل بعض أمراء السلطان حسين شرقى ، الذين كانوا هناك ، وهزمهم ، وتحصنوا بالقلعة ، ولما كانت القلعة حصينة ، فلم يهتم السلطان بحصارها ، وتوجه الى كنتمنت ، وهى من توابع بهته واستقبله راي بهيل راجا هناك وقدم الطاعة ، وعينه السلطان على كنتمنت ، وتوجه صوب أريل ، واثناء ذلك توجه راي بهيل منه خوفا فترك أمتعته وحشمه ، وفر الى بهته ، وأرسل كل أمواله وحشمه اليه ، وعندما وصل السلطان الى أريل أطلق يد النهب وخرب الحدائق والمباني ، وتوجه من طريق كره الى دلتو ، وتزوج زوجة شير خان أخى مباركان نوحانى ، وجاء الى شمس آباد (٤٧٩) .

وأقام هناك ستة اشهر ، وذهب الى سنبل ، وعاد من سنبل الى شمس آباد ، واثناء الطريق انتهب وخرب قرية « مددو ناكل » وكانت مأوى ومسكن للمتمردين ، وهجر التمردون هذا المكان ، وتسلموا الى مكان « وزير آباد » . فأمر أيضا بالقتل والأسر فى وزير آباد وجاء الى شمس آباد ، وقضى موسم الأمطار .

توجه السلطان الى ولاية بهته سنة ٩٠٠ هـ لتأديب راجه بهيل ، واثناء الطريق كان يغير على أماكن التمردين ويقتل ويأسر منهم ، وعندما وصل الى كهاعون كهاتى حارب هناك نرسنكه بن راجه بهته ، وهزم نرسنكه ، وترك كهاتى وفر صوب بهته ، وعندما وصل السلطان الى بهته فر راجه بهته الى سركىج وتوفي اثناء الطريق ، وتوجه السلطان من سركىج الى سنده من أعمال بهته ، وعندما وصل الى هناك ، ارتفع سعر الأفيون والخشخاش والملح والزيت ، فتوجه السلطان من هناك الى جونبور ، وقد نفقت أكثر الجياد التى استعملوها فى رحلة بهته لدرجة أنه فقد كل من كان يمتلك مائة جواد فى الأصطبل تسعين جودا منها ، وأرسل راي لكهنى عددا من أبناء راي بهيل وسائر زمينداران الى السلطان حسين « انه لم يبق أى جواد فى جيش السلطان سكندر ، وأن الأسلحة البيضاء تالفة ، وعليه أن يعتنم الفرصة » وجمع السلطان حسين جيشه ، وجاء من بهار بمائة فيل لمهاجمة السلطان سكندر ، وعبر

(٤٧٩) وردت بالخطوط شمشاباد .

السلطان مدير كنتمنت من نهر الجانج ، ووصل الى جنار ، وجاء من هناك الى بنارس ، وأرسل خان حاتان الى سلباهن بن راي بهيل لكي يحضره مكرما ، وفى ذلك الوقت كان جيش السلطان حسين على مسافة ثمانى عشرة فرسخا من بنارس ، فتوجه السلطان سكندر مسرعا ، لمهاجمة هزم السلطان حسين وأثناء الطريق جاء الخبر أن السلطان حسين قد توجه الى بهار ، فعاد السلطان بعد تسعة أيام والتحق بالمعسكر وتوجه السلطان حسين ، وأثناء الطريق وصل الى سالباهن وبعد القتال والحرب الى بهار وترك السلطان حسين ملك كندو فى قلعة بهار وذهب الى كيل كانو من توابع لكهنوتى ، وأرسل السلطان سكندر شاه لمهاجمة ملك كندو من قرية تدعى « ديوبار » وفر ملك كندو ، ووقعت بهار بيد الولاية السكندريين ، وتركوا محبت خان مع عد من الأمراء فى بهار ، وجاء السلطان الى درويشبور وترك خان خاتان وخانجهان لمهاجمة يرتال ، وتوجه الى ترهت واستقبله راي ترهت ، وأطاعه فحدد عدة مئات الآلاف تنكته خراجا على راي ترهت ، وترك مباركخان نوحانى لتحصيل ذلك ، وعاد بالمعسكر الى درويشبور .

توفى خانجهان فى السادس عشر من شوال سنة ٩٠١ هـ ، فلقب أحمد خان بن كلان بلقب أعظم همايون ، وبعد ذلك هب لزيارة الشيخ شرف منيرى قدس سره ببهار ، وأغدق على فقراء ومساكن هناك ، وعاد الى درويشبور ، وتوجه من هناك لمهاجمة السلطان علاء الدين سلطان البنغال ، وعندما وصل الى تغلقبور من أعمال بهار ، أرسل السلطان علاء الدين ابنه دانبال لاستقباله ، وتوجه السلطان سكندر ومحمود خان لودى ومباركخان نوحانى لمواجهته ، والتقى الطرفان فى « باره » ووقع بينهما الصلح ، وقررا ألا يتدخل السلطان سكندر فى ولاية السلطان علاء الدين والأيزاحم أيضا السلطان علاء الدين السلطان سكندر فى ولايته وألا يحمى أعداءه ، وبعد الصلح عاد مباركخان نوحانى ومحمود خان الى قسبة بهته من توابع بهار حيث توفى مباركخان ، وجاء سكندر من تغلقبور الى درويشبور ، وتوقف عدة أشهر ، وعين أعظم همايون على هذه الولاية ، ونال دربا خان بن مباركخان نوحانى ولاية بهار ، وفى هذه الأثناء ، تعسرت الغلة ولهذا قرر منع زكاة الغلة فى كل ولايته من أجل التوسيع على الناس ، وأصدر أمرا بمنع الزكاة ، ومنذ ذلك اليوم عادت زكاة الغلة الى هذه الناحية .

جاء السلطان الى قسبة سارن فى ذلك الوقت ، وعزل بعض حكام القرى التى حول سارن ، وعين رجاله محلهم ، وجساء من هناك الى جونيور عن طريق عليكره ، وأقام هناك ستة أشهر وأقام بجانب بهته .

ويروى أن السلطان كان قد طلب من سلباهن رأى بهته أخته ، ولكنه رفض ، فعزم السلطان السفر الى بهته فى سنة ٩٠٤ هـ للانتقام ، وعندما وصل اليها أطلق يد النهب ، ولم يترك أثرا لعامر ، وعندما وصل الى قلعة ماهركر وهى أحكم القلاع فى هذه الولاية ، ابدى المقاتلون شجاعة وجلدا ، وبسبب حصانة القلعة توجه السلطان من هناك الى جونيور ، وأقام هناك عدة أيام ، واهتم بتنظيم أمور المملكة ، وفى هذه الأثناء حدث شقاق بين مباركخان وموجى خيل لودى وكانا من قبل فى سجن باريكشاه وأحال اليهما جونيور ، وكلما أراد مباركخان أن يدعه بلطائف الحيل ، ويوسط الأمراء للشفاعة ولكن دون جدوى ، وأمر أن يحصل منه ما يحصله السلطان فى عدة سنوات .

وحدث فى هذه الأيام أن خرج السلطان ليلعب لعبة « الجولف » (٤٨٠) وأثناء اللعب ، أصابت عصا الجولف الخاصة بسليمان بن درياخان شروان عصا هيبىت خان وشجت رأس سليمان وحدث بينهما ، جدال واستاء سليمان وقام خضر أخو سليمان قاصدا الانتقام لأخيه ورفع العصا على رأس هيبىت خان فقامت الغوغاء والاضطرابات ، وهذا محمود خان وخان خانان هيبىت خان وحمله الى المنزل وخرج السلطان من الميدان ، ودخل قصره ، وبعد أربعة أيام عاد الى لعبة الجولف ، وأثناء ذلك وقف شمس خان نامى من اقرباء هيبىت خان غاضبا عندما رأى خضر أخا سليمان ، وضرب رأسه بالعصا ، قاطمه السلطان كثيرا ، وعاد ودخل فى مكانه ، وبعد هذا ظن السوء فى الأمراء ، فعين بعض الأمراء المخلصين ، والتابعين له فى حراسته ، واستعد الأمراء وكانوا يحرسونه كل ليلة ، وفكروا فى المكر والخداع واتفق اثنان وعشرون أميرا من قادتهم واثاروا الأمير فتح خان ابن السلطان بهلول بهدف السلطنة ، واقسموا له وعاهدوه ، وقصدوا الفتنة والفساد وأفشى الأمير هذا السر عند الشيخ طاهر وأمه ، وذكر قائمة بأسماء أصحاب الرأى السئ ، فنصح الشيخ المذكور وأمه ، وحملوا هذه القائمة الى سكندر ، وبرأوا سباحته من تهمة البغى ، وذكر الأمير أيضا هذه الجماعة سيئة التفكير والظالمة للسلطان ، واتفق الوزراء على تسكين الفتنة بتشريد كل شخص الى ناحية .

(٤٨٠) هى لعبة جوكان أو البيولو ، كان اللاعبون يضربون الكرة وهم يركضون بخيولهم وعليهم أن يقدفونها فى ضربتين خلال حلقتين مثبتتين بأوتار الواحدة خلف الأخرى ، وتستلزم هذه اللعبة مرونة فى الجسم .
(تاريخ بخارى : ارمينوس قامبرى ترجمة احمد الساداتى ص ١١٧) .

توجه السلطان بعد هذا الى سنبل سنة ٩٠٥ هـ وأقام هناك أربع سنوات ، واهتم بأمور المملكة ، وترك اللهب والمجون ، وقضى أكثر الأوقات فى الصيد ولعبة الجولف ، وأثناء ذلك علم بسوء عمل « أصغر » حاكم دهلى ، فأرسل الى خواص خان حاكم ماجهواره أمرا أن يأمر أصغر ويرسله الى البلاط ، وتوجه خواص خان حسب الحكم الى دهلى ، وقبل أن يأتى اليها خرج أصغر فى ليله . نسبت (٩) فى شهر المحرم سنة ٩٠٦ هـ من القلعة ، وذهب الى السلطان فى سنبل ، وسجنه ، واستولى خواص خان على دهلى واستقل بأمر الحكومة .

ويروى ان هندوكيا (٤٨١) اسمه لودهن اتخذ من كانتهن مقرا له ، وذات يوم أقر أمام بعض المسلمين أن الاسلام حق وأن دينه أيضا حق ، وشاع هذا الكلام عنه ، ووصل الى مسامع العلماء ، وافقى القاضى بياره والشيخ يده اللذان كانا فى لكهنوتى بفتوى يناقض كل منهما الآخر ، فأرسل أعظم همايون حاكم هذه الولاية الهندوكى المذكور مع القاضى بياره والشيخ يده الى السلطان فى سنبل ، ولما كان السلطان لديه رغبة تامة فى سماع المناقشات العلمية لذا استدعى العلماء والمشاهير من كل ناحية ، فجاء ميسان قارن بن شيوخ جوفو وميان عبد الله بن الهداد بلبنى وسيد محمد بن سعيد خان من دهلى وملا قطب الدين وملا الهداد وصالح من سرهند وسيد أمان وميرانى سيد من قنوج وكان برفقة السلطان دائما جماعة من العلماء دائما وهم سيد صدر الدين قنوجى وميان عبد الرحمن ساكن سيكرى وميان عزيز الله سنبلى ، وحضروا جميعا أيضا فى هذه المعركة ، واتفق العلماء على أن يحبسوه ، ويعرضوا عليه الاسلام ، فاذا رفض قتل ، وأبى لودهن الدخول فى الاسلام ، فقتل وأنعم السلطان على العملاء المذكورين وسمح لهم بالسفر الى بلادهم .

بعد عدة أيام تولى ترك خواص خان دهلى مع ابنه اسماعيل خان رجاء الى سنبل حسب الحكم وحظى بالانعام والاکرام ، وجاء سعيد خان شروانى من لاهور فى ذلك الوقت ولازمه ، ولما كان من جملة أهل الغدر فقد طرده من ولايته مع تاتار خان ومحمد شاه وسائر أهل الغدر ، وتوجهوا من طريق كوالير ، وأثناء ذلك أرسل مان راجه كوالير ويدعى ريجان خواجه سرا بالتحف والهدايا النقيسة الى السلطان ، وعندما سأل السلطان خواجه سرا عدة أسئلة ورد عليه باجابات غير مناسبة ، فسمح للسفارة بالرحيل وهدد بالاستيلاء على القلعة ، وفى هذا الوقت وصل

(٤٨١) أى اتباع الهندوسية وهى ديانة وضعية لها قدسيته وتعاليمها وشعائرها ، وليس لها نبي مرسل ، وكتبها المقدسة من وضع البشر ، وهى الديانة التى يتبعها اغلب سكان الهند منذ القدم وحتى الآن .

خبر وفاة خان خانان قرملى حاكم بيانه ، وبعد فترة أرسل عماد وسليمان ولدا خان خانان الى بيانه ، ولما كانت بيانه على الصدود وقلعتها حصينة لذا كانت محل فساد وبغى ، ووصل عماد وسليمان واتباعهما من بيانه الى سنبل ، وأخذ بيانه من عماد وسليمان وأعطاهما لخواص خان ، وبعد عدة أيام عين صفدار حاكم أكره وكانت من توابع بيانه عماد وسليمان الى شمس آباد وجليسر ومنكلور وشاه آباد وقرى أخرى ، وصدر أمر لعالمخان حاكم ميوات وخان خانان حاكم بيرى أن يهتما بتسخير قلعة دهوليور مع خواص خان وأن يسيطر عليها من يد رأى بناكمدى ، وتقدم « الرأى » لصددهما ، وأخذوا فى القتال والجدال ، واستشهد خواجه هين هناك ، وكان من المقاتلين الشجعان ، واستمر القتال يوميا ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان سكندر ، توجه على وجه السرعة يوم الجمعة السادس من رمضان من السنة المذكورة من سنبل الى دهوليور ، وعندما اقترب من دهوليور ترك رأى بيباكدى متعلقاته فى القلعة وتوجه الى كوالير ، ولم يستطع اتباعه صد جيوش اسكندر ، وخرجوا فى منتصف الليل من القلعة وفروا ، ودخل السلطان القلعة صباحا ، وأدى صلاة الشكر ، وقام بلوازم الفتح ، وأطلق الجنود أيديهم فى النهب والتخريب ، وأغاروا على البيوت وقطعوا الغابات من جذورها فى نواحي دهوليور وكانت تمتد سبعة فراسخ ، وتوقف السلطان هناك شهرا ثم توجه الى كوالير وترك آدم لودى مع سائر الأمراء هناك وعبر نهر جنبل وتزل على شاطئ نهر « أس » المعروف « بميندىكى » وتوقف هناك شهرين ، وبسبب تلوث الماء هناك انتشر المرض بين الناس ، وجاء راجه كوالير أيضا للازمته ، وطلب الصلح .

ولجا الى السلطان سعيد خان وياجو خان ورأى لينش ؛ الذين كانوا قد فروا من قبل ، وخرجوا من قلعة كوالير ، وأرسل (راجه كوالير) بكر ماجيت بن كلان ، وأكرمه السلطان بجواد وخلعة فاخرة ، وسمح له بالانصراف ، وعاد الى أكره ، وعندما وصل الى دهوليور ، وسلم هناك الى نيلكى أيضا وجاء الى أكره وقضى موسم المطر ، ورفع لواء الرحيل بعد طلوع سهيل فى رمضان سنة ١٩١٠ هـ لتسخير مندرايل ، وتوقف شهرا فى نواحي دهوليور ، وأرسل الجيوش لنهب ما حول كوالير ومندرايل ، وطلب أهل القلعة الأمان ، وسلموا القلعة ، وخرّب السلطان المعابد والكنائس ، وبنى مسجدا ، وولى ميان مكن ، وترك مجاهد خان على قلعتها ، ونهب وسلب هذه النواحي أثناء تحركه ، وأسر خلقا كثيرين ، وانتهب الحدائق والمباني وتوجه الى أكره ، وعندما وصل الى دهوليور عمر القلعة ، وخلع رأى بنامكى وسلمها لملك قمر الدين واستقر فى أكره ، وسمح للأمراء بالسفر الى ولاياتهم .

وقع زلزال عظيم فى تلك الأيام يوم الأحد الثالث من صفر سنة ٩١١ هـ فى أكره لدرجة أن اهتزت الجبال وسقطت المباني العالية والحصينة ، وظن الأحياء انها القيامة ، واعتقد الأموات أنه الحشر .

« فى ٩١١ هـ صار سواد أكره مثل عاليها ، ومع أن مبانيها كانت عالية جدا فصارت من الزلزال عاليها سافلها » .

ولا يذكر شخص قط زلزالا فى الهند مثل الزلزال منذ عهد آدم حتى هذا الحين .

يروون أنه فى نفس هذه الأيام وقع زلزال فى أكثر بلاد الهندوستان، وبعد طلوع سهيل فى سنة ٩١١ هـ توجه السلطان صوب كوالير ، وتوقف شهرا ونصف فى دهوليور ، ونزل من هناك على شاطئ جينل قرب المعبر القديم ، وأقام عدة أشهر ، وترك شاهزاده خان وجلال خان مع أمراء آخرين هناك ، وتوجه عازما الجهاد والاغارة وسفك دماء الذين تسلبوا فى الغابات والجبال ، وأمر بالمسلب والأسر ، وبسبب عدم مجيء التجارة وقلّة غلة الجيش فأرسل مير سيد أعظم همايون وأحمد خان ومجاهد خان لاحضار التجارة على الرغم من أن راي كوالير لم يكن مسيطرا على الطريق .

« لما كانت فراشته تعيش على المصباح ، فقد ختم على قلبه بالحسرة »

وأثناء سير السلطان وعندما وصل الى قرية جناور من قرى كوالير ، وأرسل من هناك جيشا من أجل استطلاع جيش العدو ، وتقدم أكثر من العدو ، وأخذ الحذر منه ، وأطلع على جيشه :

« مثل قادة الجيش المحارب حين يلتقى بالأشداء المقاتلين »

« والآن لا يبعد لهم عن قوس طالما أدرك الملك أن الفلك عرشه »

خرج جيش راي كوالير أثناء العودة من كمين ، وقامت حرب ضارية وكان أوده خان وأحمد خان بن خانجهان على هذه الجماعة وبسبب شجاعة هؤلاء ومساعدة جيش السلطان هزموا (راي كوالير) وقتلوا وأسروا جمعا غفيرا ، ولقب السلطان أوده خان بملك أوده وتوجه الى أكره بسبب هطول الأمطار ، وعندما وصل الى دهوليور ترك كثيرا من الأمراء البارزين هناك وتوجه بنفسه الى أكره ، واستقر هناك فصل المطر .

وفى سنة ٩١٢ هـ وبعد طلوع سهيل توجه الى قلعة أوتنكر ، وعندما وصل الى دهوليور ، أرسل عماد خان قرملى ومجاهد خان عدة آلاف من

الفرسان ومائة فيل لمهاجمة قلعة أوتنكر ، وتوقف هناك وأرسل حاجب للقاضي عبد الواحد بن طاهر بيك كابلتي ساكن قصبية نهانيسر والشيخ عمر والشيخ إبراهيم ، وعين جلال خان بن محمود خان على ولاية كابلتي بعد وفاة محمود خان ولكنه أعلن العصيان وكان له أخوين هما : بهيكن خان وحاجي خان ، وعرضوا أحواله على السلطان ، وأرسل السلطان فيروز اغوان لمهاجمته واغوان ، طائفة تقارن بالأفغان ، وترك مجاهد خان على دهليور ، ونزل على شاطئ نهر جيتل ولازمه بهيكن خان وحاجي خان وحظيا بالعناية ، وجاء السلطان في الثالث والعشرين من الشهر المذكور الى أوتنكر ، وحاصر القلعة ، وأمر باعداد الجيش باكملة للحرب والقتال ، وأعد آلات الحرب والضرب لتسخير القلعة وعين السلطان ميدان الحرب ، وحدد الفلكيون الساعة ، وتقاتل الطرفان ، وعندما التحم الجيشان تماما كالتحام النمل بالجراد ، وأبدوا رجولة وشجاعة ، هبت نسائم الفتح والظفر على أعلام السلطان ، وفتح جدار القلعة من ناحية ملك علاء الدين ، واندفع الشباب المقاتل وجاهدوا ، وكلما ارتفع صوت أهل القلعة بطلب الأمان لم يصل الى أذان أحد ، وتصدعت القلعة من الجوانب ، وسخرت القلعة .

« اذا كانت القلعة يعلو السماء ، فلن يصل القوس اليها »

واستقر الراجبوت في « برخا » وتسلبوا الى ما حولها وتقاتلوا ، وقتلوا زوجاتهم وحرقوا انفسهم وأصيب عين ملك علاء الدين بالاضلام ، وأصبحت عيناه مظلمتين ، وقدم السلطان بعد النصر لموازم الشكر وسلم القلعة لمجاهد خان بهيكن ، وحطم المعابد ، وأمر ببناء المساجد .

وعندما علم السلطان أن مجاهد خان قد أخذ رشوة من راجه اوتنكر وتعهد بالتمرد على السلطان لذا سجن السلطان ملاجمن خاص حاجب وكان من خاصة مجاهد خان في السادس عشر من ٩ سنة ٩١٣ هـ ، وسلمه ملك تاج الدين كنجور ، وأصدر أمر للملوك الذين كانوا في دهليور ان يقيدوا مجاهد خان .

وفي المحرم سنة ٩١٣ هـ توجه السلطان صوب اكره ، وأثناء الطريق وذات يوم وبسبب ضيق الطريق الذي كان يعلو ويهبط ذهب الى حيث يعبر الناس ونزل هناك ومات اناس كثيرون بسبب نقص الماء ، نفقت حيوانات كثيرة ، وبلغ سعر كوب الماء في هذا اليوم خمس عشرة تنكه ، وعندما وجدوا ماء شرب البعض كثيرا لدرجة أنهم ماتوا من كثرة الشرب ، وعندما احصوا الموى حسب الأمر كانوا ستمائة شخص ؛

« عندما تشرف أيام الحياة على النهاية ، تجعل الماء فى الغم مثل
السم »

جاء السلطان الى دهلپور فى الثامن والعشرين من الشهر المذكور ،
وتوقف عدة أيام وجاء الى أكره ، ومضى فصل المطر .

وبعد طلوع سهيل فى سنة ٩١٣ هـ توجه لتسخير قلعة ترور من
توايح مالوه ، وأرسل أمرا الى جلال الدين خان حاكم كالمى ليذهب
ويحاصر ترور ، وإذا أراد أهل القلعة الصلح فلا تحيد عن الصالح ،
وذهب جلال خان لودى ، وحاصر القلعة ، ووصل السلطان بعد عدة
أيام الى ترور وفى اليوم الثانى ركب السلطان لتفقد القلعة ، ونظم جلال
خان جيشه ، وانتظر فى الطريق لكي يجمع جيشه ، ويكون فى خدمته ،
وكان قد قسم جيشه الى ثلاثة فرق الفرقة الأولى من المشاة والفرقة
الثانية من الفرسان ، والفرقة الثالثة من القبيلة ، وعاین السلطان كثرة
جيشه فقرر أن يخربها بالتدريج وأن يبقى على حصارها ، وكانت القلعة
فى غاية الاستحكام فقد كان طولها ثمانية فراسخ ، وأخذ الجنود
يهاجمون القلعة يوميا ويقتلون ، ومرت عدة أيام على هذا المنوال ،
وأمر السلطان أن يجمع الناس المعاول والساطور والجرافات والأفبال
لاقتلاع القلعة وأن يستعدوا للمقتال ، وأمر قواد الجيش بالسعى جاهدين
وأن يقاتلوا من كل ناحية ، وأبدوا شجاعة وبطولة ، ووقف السلطان على
سطح مكان يتفرج ، ورأى أن الناس فى القلعة يسكنون فى ناحية
واحدة وأن أناسا كثيرون قد هلكوا ، ولم يتيسر فتح القلعة فى هذا
اليوم ، فقاد الجيش ونزل ، وإثناء ذلك علم السلطان بسيطرة ، وتخريب
جلال خان وسحب رجاله الأفاضل بجواره واختلط جمعه ، وأصدر بعد
ذلك امرين ، الأول : أمر ابراهيم خان نوحانى وسليم خان قرملى وملك
علاء الدين جلوانى بالقبض على جلال خان ، وأمر آخر باسم ميان بهورة
وسعيد خان بن زكو وملك آدم للقبض على الملوك المذكورين لدى جلال
خان ، وحملهم الى قلعة أوتنكر ، وان يحافظوا عليهم .

سار حال أهل القلعة بعد هذه الواقعة بسبب نقص الماء وغلاء
الغلال فطلبوا الأمان وذهبوا بأموالهم الى البلاط ، وحطم المعابد وأمر
ببناء المساجد وعين للعلماء والطلبة الوظائف والدخول ، وأقام هناك
سنة أشهر حول القلعة .

توجه شهاب الدين ابن السلطان ناصر الدين حاكم مالوه الى
السلطان فى ذلك الوقت هربا من متاعب أبيه ، وعندما نزل شهاب الدين
قرب تيسرى من أعمال مالوه أرسل السلطان اليه جوادا وخلعة ، وأرسل

اليه رسالة « من أنه اذا سلمت جنديرى ؛ وهى من توابع مالوه فسوف أقدم لك المساعدة كى لا يكون للسلطان ناصر الدين سيطرة عليك » .
وحدثت عدة عقبات للأمير شهاب الدين فلم يأت من مالوه الى السلطان وقد ذكر ضمن طبقة مالوه .

رحل السلطان سكندر من قلعة ترور فى السادس والعشرين من شعبان سنة ٩١٤ هـ ونزل فى ذى القعدة من السنة المذكورة على شاطئ نهر سرودة وخطر للسلطان خاطر انه طالما أن قلعة ترور حصينة جدا فانه لو وقعت فى يد الأعداء فلن يستطع استردادها من أيديهم وبناء على هذا بنى قلعة أخرى بجوارها حتى لا يفقدها من يده ، وبسبب ما يثيره خاطره فقد خرج الى قصبه « لبهاير » وتوقف بها شهرا وأثناء ذلك جاءت نعمت خاتون زوجة قطب خان لودى ومعها الأمير جلال خان والتحققت بالجيش وذهب السلطان لزيارتها وأنعم عليهما ، وبعد عدة أيام أرسل الأمير جلال الى حكومة كالبى ، وأهداه مائة وعشرين جوادا وخمسة عشر فيلا مع خلعة ومبلغ من التنكه وأذن له بالسفر الى كالبى برفقة خاتون ؛

« كن انسانا لأن الانسانية تجعل العبد حرا »

رحلت رايات الدولة من لبهاير فى العاشر من المحرم سنة ٩١٥ هـ ووصلت الى نواحى متكانت وأرسل الجيوش لمهاجمة المتمردين هناك ، وظهر هذه الأماكن من أهل الشرك والطغيان وانتقل من قلعة الى أخرى ، وعاد الى دار الخلافة أكره .

علم السلطان فى هذا الوقت أن أحمد خان بن مباركخان لودى حاكم لكهنوتى قد سلك طريق الارتداد بمصاحبته للكفار ، وأرتد عن دين الاسلام فأصدر السلطان حكمه الى محمد خان أخى أحمد خان أن يفيده ويرسله اليه ، وعين سعيد خان أخاه على حكومة لكهنوتى .

لجأ محمد خان نواسه فى هذه الأيام الى سلطان ناصر الدين مالوى خوفا من جده فعينه على حكومة جنديرى بدلا من ولايته وأمر الأمير جلال الدين خان بمساعدته ومعاونته حتى لا يصاب بسوء من جيش مالوه .

فى هذا الوقت تاق السلطان للسير والصيد فتوجه صوب دهليور وكان بينى فى كل مكان قصرا وعمارة من أكره حتى دهليور ، ولما كانت ادارته مشغولة بهذا الأمر انشغل هو بالصيد ، وتفصيل هذا مجملا هو أن على خان وأبا بكر خان من اخوة محمد خان حاكم ناكور ، استوليا

على ملك محمد خان بالحيلة واعتذرا عما أثاره محمد خان ، ولكن محمد خان اطلع على هذا المكر واستطاع التغلب عليهما ففرا منه وجاء الى البلاط ، ولكن محمد خان تدبر أمر معارضيته اخوته واقاربه والتجأهم الى هذا السلطان العظيم ، فأرسل الهدايا والتحف الكثرية ورسائل المودة ، وجعل الخطبة والسكة باسم السلطان ، فأرسل السلطان اليه جوادا وخلعة ، وعاد من دهليور .

أمر السلطان في هذا الوقت ميان سليمان بن خان قرملى أن يتوجه بجيشه وقوته الى أوتنكر على حدود « تبتى سوير » لمساعدة حسن خان نومسلم « (٤٨٢) وهو راي دونكر ، فاعتذر وقال « اننى لن أبعث عن ملازمتك » وكان هذا القول سببا فى اىذاء خاطر السلطان ، فأمره بأن يهجر خدمته ، واستولى على كل ما يمكن أن يحمله من أموال وأشياء تتعلق به من المساء حتى الصباح وعين له قرية « اندرى » وقفا له فذهب وأقام فى هذه القرية .

أرسل بهجت خان حاكم جنديرى وكان تابعا وموليا أبا عن جد لسلطين مالوه ، وبسبب ضعف حال السلطان محمود مالوى وسوء مملكته ، أرسل فى هذه الأيام التحف الى السلطان وعندما أرسل السلطان عماد الملك يده الملقب بأحمد خان الى جنديرى لكى يقرأ بهجت خان الخطبة باسمه فى جنديرى وهذه النواحي ، أطاعه .

وعاد السلطان بعد هذا من دهليور ، وجاء الى أكرد ، وفى السنة التالية أصدر عدة أحكام تتضمن بشرى وولاء بهجت خان وقراءة الخطبة فى ولاية جنديرى وتحقيق فتوحات جديدة فى أطراف وأكناف البلاد ، وفى هذا الوقت رأى ضرورة تغيير بعض الأمراء عن ولاياتهم وأجراء تبديل وتعديل مناسب لمصلحة المملكة فقد عزل بهيكنخان بن عالمخان عن حكومة آتاوة وسلمها لخضر خان أخيه الأصغر ، وعين خواجه أحمد على ولاية خواجه أحمد عماد قرملى أيضا ، وكان الأمراء الآخرون أيضا على هذا المقياس .

أرسل سعيد خان بن مباركخان والشيخ جمال بن عثمان قرملى وراى جكرسين كجهواهه وخضر خان وخواجه أحمد الى جنديرى ، واستولت هذه الجماعة على هذه الولاية بالحيلة وسيطروا على هذه المملكة حسب الأمر وسجن محمد خان حفيد السلطان ناصر الدين مالوى وكانت سلطنة هذه المملكة معقودة له أيضا ، وعندما رأى بهجت خان هذه المعاملة لم يجد أى مصلحة فى وجوده فى هذا العداء ولازم السلطان .

• (٤٨٢) المسلم الجديد

وفى هذا الوقت تغير خاطر السلطان على حسين خان قرملى حاكم قصبه سارن فأرسل حاجى سارنك الى هذه الناحية بحسن تدبيره ، وسحب جيش حسين خان اليه ، وكان يفكر فى تقييده فادرك ذلك ففر مع عدد من أتباعه الى ولاية لكهنوتى ، ولجأ الى السلطان علاء الدين حاكم البنغال .

فى هذا الوقت كان على خان ناكورى الذى أرسل الى ولاية « سى سوبر » قد تعاهد وتآخى وسلك سلوك التابعين مع الأمير دولت خان حاكم رنتهپور من قبل السلطان محمود لودى ، وحثه باتتبع السلطان لحسن سلوكه ، وقرر أن يقدم قلعة رنتهپور هدية للسلطان ، فأرسل على خان لعرضه هذا الأمر على السلطان ، وسعد السلطان من هذه البشرى ، وعزم السفر الى هذه الناحية ، ووصل الى بيانه ، وقضى مدة أربعة أشهر فى هذه النواحي لسير والصيد وملاقة العلماء والمشايخ وصحبة سيد نعمى الله والشيوخ عبد الله حسنى الذين اشتهروا بالخوارق والمكاشفة ؛

« لا تدع منجم الذهب لهذه البوتقة الذهبية ، فهو اقرب منها للذهب عن الحجر » .

عموما كان الأمير دولت خان ووالدته التى اختارت قلعة رنتهپور والتى أصابها الغين لأن الأمير أسرع وتوجه الى السلطان ، واستقبل السلطان جميع الأمراء وجاءوا جميعا للالزمتهم ونالوا الاعزاز والتكريم وأكرمه السلطان على عادة الأبناء ، وأهداه خلعة خاصة وعدة جواد وعدة أفيال وكلفه بحكم قلعة رنتهپور ، وحدث أن ماظله على خان وعلم الأمير دولت خان أنه لن يعطيه قلعة رنتهپور ، وأنه نقض العهد ، فمالقه الأمير لحماية القلعة ، وعلم السلطان بمماطلة على خان فعزله عن حكومة « سى سوبر » وسلمها لأخيه أبى بكر ، ولم يهتم بعلى خان ولم يخاطبه بأمير رنتهپور أيضا ، وعندما وصل السلطان من ولاية بيانه وهذه النواحي أيضا بجيشه نهض صوب تهنكر ، ووصل من هناك الى قصبه بارى ، وعزل ابن مباركخان عن هذه القصبه وسلمها لشيخ زاده بهيكن ، وتوجه الى دهلبور ، وجاء منها الى دار الخلافة وأصدر الأحكام الى الأطراف والنواحي كعادته القديمة ، واستدعى كثيرا من الأمراء من النواحي ولما كان لا وفاء لعمر ولا بقاء لملك ، فقد أصيب السلطان فى هذا الوقت بمرض عارض ، وكان يعقد الديوان متحاملا على نفسه بسبب غيرته وبالتدريج غلبه المرض ، وهكذا لم تدخل حلقومه اللقمة والماء ، وأغلق طريق التنفس .

« أعلم أن السقاة فى هذا المحفل قساة ، لأنه عند الطرب يستولون على جام المروق »

« يصنفون كأس اللهو من طين سكندر ، ويأخذون خمرة اللهو من دم قلب سنجر »

وطوى فراش الوجود يوم السبت السابع من ذى القعدة سنة ٩٢٣ هـ ،

« سكندر شه لم يترك البلدان السبعة ، ولم يبق شخص مثل سكندر »

كانت أيام سلطنته ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر .

لما كانت مناقب ومفاخر السلطان سكندر مذكورة فى بعض التواريخ الى درجة أن الكثيرين يبالغون فيها ، ويوردون ما كان أقرب الى الصحة ، ويروى أن السلطان كان يتجمل بالجمال الظاهرى ويتزين بالمكمال المعنوى ، وكان متسامحا فى أيام السلطنة للغاية ، وحقق الأمن والأمان وكل عام كان يعلن العفو العام كما كان مشغولا بالعدل والأمان صباح مساء ، واقرار المعاملات ، وكان يؤدى الصلوات الخمس فى حينها ، وفى أيام حكمه قل تسلط حكام الهند ، وصاروا جميعا فى طاعته وولائه ، وسوى بين القوى والضعيف ، وكان يرعى الانصاف كثيرا فى الأمور ، ولم يكن يسير على هواه ، وكان يخشى الله تماما وعطوفا على الخلق ، ويروى أنه ذات يوم تقاثل مع أخيه باريكشاه واثناء الحرب ظهر عليه التصوف فكف يده عنه وقال لك الظفر ، وكف السلطان يده عنه كارها ، وقال له صوفى اننى قال حسن ، وأبشرك بالفتح فما سبب كف يدك ، فأجابه : « حينما تقع الحرب بين طائفة اسلامية فلا ينبغى أن يكون الحكم على احدهما بل انه ينبغى أن تقول ما يكون فيه خير الاسلام وكل ما يكون فى صلاح الناس ينبغى أن نطلبه من الله » .

وكان يطلب من الفقراء والمستحقين فى بلاده أن يكتبوا له فى كل عام بالتفصيل ، وكان يرسل الى كل شخص مبلغا على حد سعة حاله ولمدة ستة أشهر ، وكل من جاء لخدمته كان يسأله عن آرائه ، ويوسع عليه ويؤليه عاورة على ذلك ولاية ، ويعطيه جوادا وسلاحا ، وكان يقول : انه لم يحمل متاعا من بلاده ، وكان يتعصب للاسلام الى درجة أن بلغ فى هذا المجال درجة الاقراط ، وهدم جميع معابد أصنام الكفار وجعلها بلا اسم ولا كسم ، واقام فى « متوره » وهى مكان غسل الهندود قصرا وسوقا ومسجدا ومدرسة ، وأرسل الوكلاء لكى يمنعوا أى شخص

من الغسل والاستحمام ، وإذا أراد هندی فى مدينة متوره حلق الذقن أو الرأس لا يضع الحجام يده على ذقنه أو رأسه ، وهدم عادات الكفار علانية ، ونهى النساء عن زيارة الأضرحة .

كان قد سمع أنه فى تانيسر حوضو كان ما يزال أميراً صغير السن ، وأنه يتجمع حوله الهنود ويغتسلون فسأل العلماء : ما حكم الشرع فى هذا المجال ؟ قالوا لا يجوز تخريب المعابد القديمة ، والغسل فى الحوض ، والذى كان متبعا منذ القدم لا يجوز النهى عنه فمسك الأمير الخنجر فى يده وتوجه الى هذا العالم ، وقال له انك تتحاز الى جانب الكفار فان كان يدخل فى الشرع ما تقوله فاننى أقول لك : قله ولا تخشائى فى قول الحق وهدأه الأمير .

المهم عين السلطان فى جميع بلاده فى المساجد المقرىء والخطيب والكناس ، وقرر لهم الوظيفة والدخل ، وفى الشتاء كان يرسل الملابس سنويا الى الفقراء ، وكان يرسل كل جمعة الى فقراء المدينة مبلغا يطلق عليه « جمعكى » (٤٨٣) وكان يطبخ طعاما كل يوم ويوزع على المدينة عدة خيام ، كما كان ينعم باليومية وجمعكى مرتين فى العام على كل الممالك خاصة على الفقراء وفى الأيام المباركة مثل رمضان وعاشوراء وأيام الشكر على الفتوحات والنصر كان الفقراء والمساكين يسعدون بالمتعيم .

« اذا أردت سعادة الهية فضع القلب تحت الأيادى »

وازدهر العلم ، واهتم اولاد الأمراء والعسكريون أيضا بكسب الفضائل ، وكان الناس الأغنياء يرسلون الى الفقراء وأرباب الاستحقاق من مالهم ما يوافق الشرع .

ويروى أنه حين توفى السلطان بهلول ، واستدعى السلطان سكندر للسلطنة توجه من دهلى الى بهاء الدين ، وكان من كبار عصره لقراءة الفاتحة وقال له اننى أريد أن أقرأ كتاب « الميزان » بين يديك ، وأستعد ، وعندما قرأ « أعلم أسعدك الله تعالى فى الدارين قال السلطان كرر ثانية وكرر ثلاث مرات وقبل يد هذا العزيز ، وتفاعل بهذا الدعاء وتوجه الى هناك ؛

« ان حديث اهل الفناء هو ترجمان القدر ، وضمير ولسان الملك

هو شبيهه باللوح والقلم »

(٤٨٣) جمعكى : أى العمل المتكرر أيام الجمع وهى كلمة تتكون من جمعة ثم ياء النسبية مع حذف الهاء الصامتة وإبدالها بحرف ك .

«السعادة الأزلية مضمرة فى شأنه ، الشفاء الأبدى مدعم فى شأنه »
وقرر وظيفة ومعاشا لكل محتاج وفقير من الأمراء وأرباب الدولة ،
وكان يقول « انه لا يمكن بناء شىء فى هذا النقصان ، وكان العيون
يخبرونه بأحوال الرعية والجيش ويبلغونه خصوصيات بيوت الناس .
وبالتدريج كان يعلم أخبار الناس وحده ، ولهذا ظن الناس أن السلطان
يعرف الجن وأنهم يخبروه بالغيبات »

يروى أنه حين كان يرسل الى الجيش كان يصله الأمر يوميا وذات
مرة وصل أمره فى الصباح أن يرحلوا ، وأن ينزلوا فى المكان الفلانى
ووصل أمر آخر وقت الظهر ، وآخر اليوم ، وهكذا كان يفعل ولم يتخلف
يوما واحدا عن هذه القاعدة ، فقد كانت جياذ « داكجوكى » (٤٨٤)
مستعدة على الطريق دائما ، وكان أمراء النواحي الذين تصدر اليهم
الأحكام وكانوا يذهبون لاستقباله على مسافة فرسخين أو ثلاثة ، وكان
كل شخص يحمل أمرا ويحمل لقباً ، والشخص يصدر اليه الأمر يأخذه
بيده ويضعه فوق رأسه ، وإذا كان الأمر أن يقرأ هناك ، ويعلم ، فكانوا
يفعلون ، وإذا كان الأمر أن يقرأه فى المسجد وعلى المنبر فكانوا
يقرأونه ، وإذا كان مخصوصا بشخص كانوا يكتبونه اليه خاصة وأن
يقرأه سرا .

وكانت تعرض صحيفة الأسعار والأحداث فى القرى والولايات
يوميا ، وإذا رأى أمرا غير مناسب تداركه فى الحال ، وكان مهتما
طوال الوقت بفض الخلافات وتنظيم المعاملات والمملك ورفاهية الخلق ،
وكان يردد كلاما غريبا لحدة فهمه ، وكان أقرب الى الصحة ، وكان يقلل
من المبالغة والاغراق .

وحينما ضاق الحال بأخرين من أهالى كوالير بسبب العجز والضيق
لازما الجيش الذى أرسل الى الولاية ، وفى أثناء السلب والنهب وقعت
بأيديهما قطعة ذهب وعدة أقمشة ملونة وقطعتين من الياقوت القيم ،
وقال أحد هذين الأخوين : تحقق ما نريد وقال الآخر : لقد أصبنا بالذلة
فلنذهب الى البيت ونبتعد ، وقال الثانى : يا أخى حينما وقع فى أيدينا
أمثال هذا فى المرة الأولى فلربما يقع فى أيدينا أفضل منها فى المرة
الثانية ، وقال اننى لن أذهب الى مكان آخر ، ووزعوا غنائم كثيرة ،
وتسلم الأخ الأكبر حصته أيضا كى يوصلها الى زوجته ، وجاء هذا
الشخص الى منزله وسلم الغنائم لزوجته أخيه ما عدا الياقوت ، وبعد
سنتين جاء أخوه ، وتفحص الغنائم ولم يكن بينها الياقوت فقال الأخ أين

(٤٨٤) وهى خيول البريد .

الياقوت ؟ قال سلمتها لزوجتك ، قالت ما تقوله لم يصل الى فقال : هل تكذب ، وهددها بالوعيد وأساء هذا الرجل الى المرأة وقالت فلتمهلنى الليلة حتى احضرها صباحا ، وذهبت الى منزل ميان بهود ، وهو من الأمراء الكبار « ومير عدل (٤٨٥) » والسلطان سكندر وكررت ما حدث ، فأحضر ميان بهوده زوجها وآخاه واستفسر وقال اخوه لزوجها اننى سلمتها الياقوت ايضا ؛

قال ميان : المديك شاهد ؟ قال بلى ! اى شخص يكون ؟ قال برهميان (٤٨٦) ٠٠٠ احضرهما ٠٠٠ فذهب الى بيت القمار وأعطى المقامرين مكافأة وعلمهما بما يشهدان به والبسهما لباسا طاهرا ، واحضرهما الديوان ، وعندما شهدا قال ميان بهوده لزوج هذه المرأة : ياى عقاب تريد أن تزجرها فازجرها ، وخذ الياقوت من المرأة ، وخرجت المرأة من هذه المعركة ووصلت الى ديوان السلطان ، وطلبت الاتصاف ، واستدعاهما السلطان فاستفسر عن أحوالها وعرضت الأمر ، فقال السلطان : لماذا لم تذهبي الى ميان بهوده ، قالت ذهبت ، لكنه لا يصلح ان يكون اماما ؟ فأمر السلطان أن يحضروا الجميع واستدعاهم كل واحد على حدة ، وأعطى كل واحد من هذين الأخوين قطعة شمع وجعل شكلها مثل الياقوت واتفقا على شكلها ، واستدعى الشاهدين على حدة ، وأعطاهما قطع الشمع واختلفا فى وصف شكلها وشهد الجميع فاستدعى المرأة ، وقال : صفى ما كانت عليه شكل هذه الياقوتة قالت المرأة اننى لم أر هذا الشيء فكيف أصفه ؟ وكلما حدثها لم تقبل المرأة ؟ وقال ميان بهوده للشاهدين اذا صدقتما أمنت روحكما واذا كذبتما سأقتلكما ، وعرضا القضية تماما بينهما ، واستدعى أخا زوج المرأة وعرض الواقعة بصدق ، وتخلصت هذه المرأة من التهمة ، وأظهر عقل وقراسة هذا السلطان الحقيقة .

وكان يقرض شعرا فارسيا سلسا بسيطا ، وتخلص بكبرى ، وكان الشيخ جمال كنبو من محدثيه ورفاقه وذكر هذه الأبيات عنه على سبيل الذكرى ؛

« من تراب قبرك ، الثوب على الجسد ، انه ممزق من الدمع حتى الذيل »

« صار صدرى مليئا من دموعه ، والآن سيطير صوت هذا الحاجب المقوس » .

• (٤٨٥) أمير العدل

• (٤٨٦) اثنان من البراهمة

حضرُوا ذات مرة والسُلطان يُؤدّي الصلاة ، وكان خِواجة سرا موجودا هناك ، فأشار السُلطان الى خِواجة سرا ولم يفهم ، فذهب الى البلاط وقال لميان بهوده ان السُلطان قد أشار الى ولم أفهم طلبه ، . . . وسأل ميان بهوده الى أى جانب يتجه السُلطان ، وبأى شيء كان يهتم قال بعمارة البداية الجديدة ، قال ميان بهوده ، اطلب درودكر للعمل ، واستدعى درودكر وكلكار ، وأدرك السُلطان هذا المعنى البديع فقال من أين علمت أنني أريد استدعاء هؤلاء ؟ قال ميان بهوده ، فصار السُلطان معتقدا في قول ميان بهوده .

ويروى أنه عندما كلف السُلطان سكندر ميان بهوده « مير عدل » ووزره قال له (ميان بهوده) ان كثرة الظلم على الناس يوجب تجريب الرعية فأصاب خاطره الشريف الفكر فاترك أى علاج في هذا الصدد ، واذا أصاب خاطرك فلتسعد تماما ؟ وعرض ميان بهوده ان العلاج بالبناء أفضل ، وهو أن تأخذ « جريبا » (٤٨٧) واحدا من الممالك وتعطيه الى مملوك ، ويسهل عليك أن تحدد وظيفة لكل واحد .

ذكر السُلطان ابراهيم ابن السُلطان سكندر بهلول لودى :

عندما انتقل السُلطان سكندر الى رحمة الله ، اتفق الأمراء وأعيان المملكة على أن يعهدوا بالمنصب الخطير والعظيم لابنه الكبير السُلطان ابراهيم الذى كان مشهورا ومغروفا بحسن الفراسة والكياسة والشجاعة والأخلاق الحميدة ، ولكنه لم يكن مسيطرا تماما على الجيش بسبب الرجال المشبوهين ، كما كان مبعدا عن الخدم والحشم ، ولم يكن فى مملكته حاكما مسيطرا أو مستقلا الى درجة كبيرة ، وبناء على هذا قرروا أن يجلس السُلطان ابراهيم على عرش دهلې وأن يكون حاكما حتى حدود ولاية جونبور ، وجلس على عرش سلطنة جونبور الأمير جلال خان وحكم ممالك هذه الناحية ، ولكن لم يدركوا أنه لا شركة فى السلطنة ولا يسع غمد واحد سيفين .

« لا يسع جسد واحد روحين قط ، ولا يسع بلد واحد حاكمين »

المهم ؛ توجه الأمير جلال خان وأمراء وزمندانان قرى جونبو الى هذه الناحية واستقل بكرسى حكم هذه الممالك ، وعين فتح خان بن أعظم همايون شروانى وكيلا لسلطنته .

(٤٨٧) مساحة من الارض تساوى هكتارين ونصف هكتار .

جاء خانجهان نوحانى من ربرى فى هذا الوقت للالزمة السلطان ابراهيم ، وطعن ولام الوزراء والوكلاء لانهم جعلوا امر الحكومة والسلطنة مشتركاً ، وهذا خطأ عظيم وسهو جسيم ، وقبول هذا الامر يبعد عن العقل ، وحاول أركان الدولة تلافى عاقبة هذا ، ورأوا من المصلحة انه طالما لم يحدث للأمير جلال خان الاستقلال بالأمر لذا ينبغي أن يستدعى الى دهلى وأرسلوا هيبهت خان كرك انذار لاستدعاء الأمير وصدر فرمان عطف ومكرمة من آن المصلحة بيننا تقتضى أن ترسل رسالة ولاء ، وعندما وصل هيبهت خان الى الأمير ، أبدى كل أنواع الراهنة والمالقة والخداع ، وغلب على الأمير مظنة غدرهم ومكرهم ، فكان يرد بالاجابات الملائمة ، وتركوه بلطائف الحيل ، وارسل هيبهت خان الى السلطان هذا الحال ، فأرسل السلطان شيخ زاده محمد ابن الشيخ سعيد قرملى ومساعد وملك اسماعيل ابن ملك علاء الدين جلواثى والقاضى مجد الدين حجاب مقبل لطلب الأمير ، ولم يصدق أيضاً حيلتهم ، ولم يقدم الأمير للعودة .

وبمشورة العلماء وفلاسفة العصر أصدر الأوامر الى الأمراء وزمينداران هذه النواحي ، وأنعم على كل واحد منهم على حدة ، ونال كل منهم درجة عالية حسب حاله وحسب ولايته ، وكان خلاصة هذا المضمون أن يتجنبوا الطاعة والولاء للأمير جلال خان ، ولا يذهبوا اليه ، ولا يقبلوا ملازمته وأرسل الى بعض الأمراء وأصحاب الشوكة الذين كانوا فى هذه الناحية وكان لديهم ثلاثون أو أربعون تابعاً مثل دريا خان نوحانى حاكم ولاية بهار ونصير خان حاكم غازى بور وشيخزاده محمد قرملى حاكم أوده ولكهنوتى وغيرهم أيضاً ، وأرسل الى كل شخص ذى اعتبار منهم خلعة خاصة وجوآدا وانعامات أخرى ، وعندما وصلت هذه الأحكام الى هذه الجماعة ، عدلوا جميعاً عن طاعة الأمير ، وسلكوا سبيل المعارضة .

وفى هذا الوقت أقام السلطان عرشاً مرصعاً بالجواهر النفيسة ومزيناً على جدار القصر وجلس على العرش فى يوم الجمعة الخامس عشر من ذى الحجة سنة ٩٢٣ هـ وعقد المجلس العالى وأعلنت العفو العام على الناس ، وخلع على تابعيه وأعيان الدولة وجميع القوادى كل حسب درجته بخلعة وغمد سيف وغمد خنجر وجواد وقيل ومنصب ولقب وولاية ؛

« اذا أردت دلال الدولة ولطفها ، فأنعم بالمصيد على قلوب الأصدقاء »

« فقد فاز كاوسى (٤٨٨) بسبب هذا على العدو ، مثلما فعل
رستم » (٤٨٩) .

« فانعم انعامات كثيرة على جيش الحرب ، لأنه بالحرب يقتل
الانسان الفهد »

لقد علق فى اذانهم حلقات العبودية من جديد وصاروا جميعا
فى سعادة من عنايته واحسانه ، ورضى الخاص والعام به ، وفتح أبواب
الخيرات على الفقراء والمساكين ، وجدد للحكم رونقه وبهاءه ، واستقام
أمر الملك على رأسه .

عاد الأمير جلال خان عندما رأى هذا الأمر وخالفه أمراء هذه
الممالك الى كالبى ، وأدرك أنه لم يصبح صديقا للسلطان ابراهيم ، وسلك
طريق المعارضة ، ويمشورة الجماعة التى أيدته صرف النظر عن ولاية
جونبور ، واقام فى كالبى ، وجعل الخطبة والسكة باسمه ، ولقب
بالسلطان جلال الدين ، وعنى برعاية الخدم والحشم واعداد الجيش
والمدفعية ، وتوحيد « زمينداران » قرى المنطقة ، وعندما بلغ درجة من
القوة الممكنة توجه لمهاجمة أعظم همايون شروانى الذى كان يحاصر
قلعة كلينجر بجيش جرار ، وأرسل اليه عدة أشخاص برسالة من أنه
سيحل محل أبيه وعمه وعليه أن ينقض العهد قبل السلطان ابراهيم
ولا يقصر معه ، وأنه قد أغمض العين عن قليل من الملك والمال وقد أجازته
لى ارتنا ، ولكنه رفض الموافقة ونقض العهد ، وقطع صلة الرحم بيننا ،
ولا ينبغى لك أن تقف بجانب الحق ، وتساعد المظلوم ، ولما كان أعظم
همايون فى الأصل سئ المزاج مع السلطان ابراهيم ، وتأثر بقله مال
ومسكنة السلطان جلال الدين ومع هذا لم يرفى نفسه مقدرة على مقاومة
ومحاربة الأمير فتنهقر عن كلينجر ، وأسرع الى السلطان جلال الدين ،
وبعد توثيق العهد والايمان قررا أن تدخل ولاية جونبور حتى هذه النواحي
تحت سيطرة الأول ، وبعد ذلك يتبغى أن يفكر الآخر ، وتوجها بعد هذا
الاتفاق لمهاجمة سعيد خان بن مباركخان لودى حاكم أوده ، ولم يكن
لديه مقدرة فانسحب الى لكهنؤ ، وعرض خقيقة الأمر على السلطان
ابراهيم ، واراد السلطان ابراهيم أن يتوجه بجيش لدفع ورفع هذه
الفتنة .

(٤٨٨) كاوسى أو كاوه الحداد البطل الشعبى .

(٤٨٩) رستم بن زال البطل الايرانى الاسطورى .

أمر السلطان رجال دولته بالحفاظ على عدد من اخوته الذين كانوا بالسجن مثل الأمير اسماعيل خان وحسين خان ومحمد خان والأسير دولت خان والذين كانوا فى قلعة هانسى ، وأرسل لخدمة كل واحد أيضا اثنتين من حريمه وقرر له من الطعام واللبس وسائر ما يحتاج اليه ، وتوجهت الرايات السلطانية شرقا فى الخميس الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٩٢٣ هـ ، ورحلا رحىلا متواترا ، وعندما وصل الى «هنوكار» توجه من هناك الى قنوج ، وأثناء الطريق علم أن أعظم همايون وابنه الرشيد فتح خان قد انفصلا عن الأمير جلال خان وسر من هذه الملازمة واشتد عزم السلطان .

وعندما اقترب أعظم (٤٩٠) همايون أرسل السلطان ابراهيم أكثر الأمراء لاستقباله وخصه بالانعامات الملكية القيمة ، وعلم فى ذلك الوقت أن خانجند زمين فى أجرتولى ، من توابع قرية كول وهى مشهورة «بمواس» قد تقابل مع عمر بن سكندرسور واستشهد ، وهجم عليه ملك قاسم سنبل وحقق الظفر وقتل هذا المفسد ، وسكن هذه الفتنة المفاجئة ، ووصل الى قنوج للملازمة حيث كان جيش السلطان قد نزل هناك .

وجاء أكثر الأمراء وحكام جونبور مثل سعيد خان وشيخزاده محمد قرملى وغيرهم اليه ، ودخلوا ضمن تابعيه ، فى هذا الوقت أرسل أعظم همايون شروانى لودى وبصير خان نوحانى وغيرهما مع جيش جرار وأفيال ضخمة لمهاجمة ابن الأمير جلال خان ، وكان الأمير جلال خان فى هذا الوقت فى كالبى ، ووصل الأمر الى هناك ، وكان (الأمير جلال خان) قد ترك نعمت خاتون واتباعهما وقطب خان لودى وعماد الملك ابن عماد الملك وملك بدر الدين واتباعهم مع جيش فى قلعة كالبى ، وتوجه بنفسه بثلاثين ألف فارس وعدة أفيال الى دار السلطنة أكره ، وحاصر جيش السلطان ابراهيم كالبى وقضى عدة أيام فى القتال والنزاع بالمدافع والبنادق ، وآخر الأمر عجز أهل القلعة ، وسر قلعة كالبى ، وأنتهبوا المدينة ، ووقعت غنائم كثيرة بيد الجنود ، وأرسل السلطان ملك آدم على وجه السرعة بجيش منظم لحماية أكره ، ووصل الأمير جلال خان الى نواحى أكره ، وأراد الانتقام لكالبى فى انتهاب أكره ، وأثناء هذا الحال وصل ملك آدم خور الى أكره وأخذ يلاطف جلال خان بكلام وحكايات جميلة توافق مزاجه وعطله عن نهب أكره ، حتى وصل ملك اسماعيل علاء الدين جلوانى وكبير خان لودى وبهادر خان نوحانى

(٤٩٠) ورد بالمخطوط «حازم» .

وعدد من الأمراء الآخرين بجيش جرار بعده ، وقوى ملك آدم تماما ، فأرسل رسالة الى جلال خان كى يرتد عن هوسه وهواه الباطل ، وأن يرسل اليه « جتر ، وأقتاب كبير ، ونقارة » (٤٩١) والعلامات الأخرى وأمارات السلطنة ، وأن يسلك سلوك الأمراء حتى يكون ذنبه عند السلطان ، وأن تكون كالبى كسابق عهدها ولاية له ، ورضى جلال خان بهذه الشروط ، وتأمّر بامارات السلطنة :

« لا يمكن أن نتكئ على متكأ العظماء جزافا ، الا اذا تهيأت تماما لأسباب العظمة » .

واستولى آدم ملك على « جتر ، وأفتابكبير ، ونقارة خانه » ، ووصل للملازمة السلطان الذى كان قد عاد من قنوج الى اتاوه ، ورأى هذه الأمتعة واستعرض حاله ، ولم يقبل السلطان هذا الصلح وتوجه لطرد جلال خان فلجأ الأمير الى راجه كوالير عند سماع هذا الخبر ، وأقام السلطان فى اكره .

لقد كان أمر السلطنة قد تزلزل بعد وفاة السلطان سكندر ، وعمل (السلطان ابراهيم) على رأب الصدع ، وعاد الأمراء المحالفون تائبين ودخلوا مخلصين وبعد ذلك أرسل جيشه خان كرك انداز وكريمداو ورجال الدولة لحماية وحراسة دهلى ، وأرسل شيخزاده منجهورا لحماية وحراسة قلعة جنديرى وهداية الأمير محمد خان حفيد السلطان ناصر الدين مالوى .

انصرف خاطر السلطان عن ميان بهوده وكان من أعظم أمراء ووزراء سكندرى بعد مرور أيام ولأن ميان بهوده أخذ فى اغفال ارضاء خاطر السلطان معتمدا على سابق خدمته حتى وصل الأمر الى درجة ان قيده وسجنه وسلمه لملك آدم ، واهتم بابنه وخصه بالانعام حتى نصبه مكان ابيه ، وودع ميان بهوده حياته فى السجن أيضا .

وفى هذا الوقت خطر للسلطان خاطر انه لما كان السلطان سكندر يقصد دائما تسخير كوالير وياقى قلاع وبلاد هذه النواحي ، وقد قاد الجيوش عدة مرات ولم يحقق المراد ، واذا أقبلت الدنيا ، وجاءت الدولة فاننى اعزم عزمًا أكيدا على فتح كواليار ، وسائر البلاد التابعة لها ، وبناء على هذا أرسل أعظم همايون شروانى حاكم ولاية كره مع ثلاثين الف فارس وثلاثمائة فيل لتسخير كواليار ، وعندما وصل أعظم

(٤٩١) جتر : مظلة ترفع فوق السلطان أو الامير ، آفتا بكير ، عاكس الشمس وهو مثل المظلة ، ونقاره : فرقة الطبول الملازمة للسلطان .

همايون الى نواحى كوالير أخرج الأمير جلال خان من هناك ، وتقدم صوب مالوه الى السلطان محمود ، وأرسل بهيكتخان وعالم خان لودى وجلال خان لودى وسليمان قرملى وبهادر خان نوحانى وبهادر خان شروانى ، واسماعيل بن ملك فيروز اعوان وخضر خان نوحانى وخضر خان اخا بهيكتخان لودى وخانجهان على جيش جرار وعدة أفيال لمساعدة أعظم همايون ومحاصرة كوالير وتسخير هذه الناحية .

وحدث أنه كان فى هذا الوقت راجه مان واليا على كواليار ، وكان يمتاز بالشجاعة عن أمثاله وأقرانه ، وقاوم سلاطين دهلى سنوات وكان قويا حل محل أبيه رأى بكرما جيت على كوالير ، وبالغ فى احكام القلعة ، واستعد أمراء السلطان ابراهيم حسب أمر السلطان واجتمعوا هناك ، واهتموا بالمهام والمعاملات ، وجاهدوا واجتهدوا فى محاصرة القلعة ، وحدث أن كان راجه مان قد أقام تحت القلعة عمارة عالية أقام عليها قلعة حصينة وأحكمها وكانت تسمى « أولكره » وبعد مدة حفر رجال جيش السلطان خندقا وملأوه بالبارود وأشعلوا النيران فيه ، وسقط جدار القلعة ، وفتحوا هذه الناحية ، ووجدوا فيها بقرة حديدية كان يعبدها الهنود لسنوات وحملوا هذه البقرة الحديدية الى دهلى حسب أمر السلطان ونصبوها على بوابة بغداد ، وكانت هذه البقرة على بوابة دهلى حتى أيام دولة خليفة الهى (٤٩٢) وقد رأها مؤلف هذا التاريخ (٤٩٣) .

المهم فى هذه الأيام لم يعتمد السلطان ابراهيم على أمراء سكندرى القدامى ، وقيده وحبس أكثر الأمراء الكبار ، وذهب الأمير جلال خان فى هذا الوقت من كوالير الى السلطان محمود مالوى ، ولم يرض عن سلوكه ، ففر من عند السلطان محمود وتوجه الى ولاية كره كتنكه ، وأسر هناك على يد جماعة « كوندان » وقيده وأرسلوه الى السلطان ابراهيم ، وأرسله السلطان الى قلعة هانسى ، واستشهد فى الطريق :

« شراب السلطنة والجاه يكون حلوا ، ودونه يريق الملوك دم الأخوة »

« فلا ترق دم القلوب الضعيفة من أجل الملك ، لأنك أيضا ستسقى من نفس الكأس » .

(٤٩٢) السلطان جلال الدين أكبر .

(٤٩٣) نظام الرين احمد .

وبعد فترة جاء الى دار السلطنة اكره اعظم همايون شروانى وابنه فتح خان اللذان كانا يحاصران كوالير بناء على الأمر وكان قد أوشكا على تسخير القلعة ، وحبسهما السلطان ، فرقع ازمر اسلامخان ابن اعظم همايون رأس البغى فى اكره ، واستولى على أموال وحشم أبيه ، ولم يعط الخراج لأحمد خان الذى كان « شقدارا » هناك ، ونظم الجيش ، وحارب أحمد خان وهزمه ، وأراد السلطان ابراهيم أن يتدارك الأمر بمجرد سماع هذا الخبر وأرسل جيشا لأن اعظم همايون وسعيد خان كانا من الأمراء الكبار ، وفرا من الجيش وذهبا الى ولاية لكهنؤ مقر ولاياتهم ، وبعثا بالرسائل الى اسلام خان وأثارا الفتنة والفساد .

أرسل السلطان ابراهيم أخا أحمد خان وأخا اعظم همايون لودى وأبناء حسين قرملى ومجلس عالى شيخزاده محمد قرملى وعلى خان ، خان خانان قرملى ومجلس عالى بهكنارى قرملى ودلاور خان ابن أحمد خان وسارنك خان وقطب خان بن غازى خان مالوى وبهيكين خان نوحانى وسكندر ابن آدم كاكور وغيرهم ، مع جيش جرار لمهاجمة هذه الجماعة ، وعندما وصلوا الى نواحى قصبة بانكر مؤقرب فنوج خرج اقبال خان خاصة خيل همايون لودى فجاة مع خمسة آلاف فارس وعدة أفيال من كمين ، وجهز بجيشه وقتل رجالا كثيرين ، واضطرب جيشهم ، وفروا . وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان كتب مويخا الأمراء توبيخا كبيرا ، وأرسل أمرا اليهم « طالما أنتم لم تستولوا على هذه الولاية من يد أهل البغى فستكونون من جملة المطرودين والمبعدين » ، وأرسل أمراء آخرين وخيشا جرارا لمساعدتهم على سبيل الاحتياط ، وتجمع لدى أهل البغى أيضا قرابة أربعين ألف فارس مسلح وخمسائة فيل ، وعندما اقترب الطرفان ، وقعت المعركة وتوسط الشيخ راجوى بخارى وكان قدوة عصره ومنع الطرفين واهتدى أهل البغى بالنصائح العظيمة والمواعظ الرفيعة ، وبعد أن التمسست هذه الجماعة العذر من أجل أن يخلص السلطان اعظم همايون شروانى ويكفوا أيديهم عن ولاية السلطان والمعارضة ، وأنهم سيذهبون الى سلطان آخر ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان لم يتقبله وأرسل الى دريا خان نوحانى حاكم بهار ونصير خان نوحانى وشيخزاده قرملى لكى يتوجهوا أيضا من بلادهم الى هؤلاء المتمردين ويسكنوا هذه الفتنة ، وعندما جاء الجيش من هذه الناحية لم يفكر أهل البغى بسبب الغرور الذى تملكهم وتقدموا للقتال ، ونظموا الصفوف ، والتحم عساكر الطرفين وجيوش الجانبين وأراقوا الدماء حتى أن عين الزمان اظلمت عن مشاهدة هذا ، وآخر الأمر ، وربما أن اسلوب

البغى والظلم شنوم على أهله وأنه لن يتحقق النصر أبدا لذا قتل اسلام خان الباغى وأسر سعيد خان لودى بيد جنود دريا خان نوحانى ، وأسكنوا هذه الفتنة ، وأدخلوا مالهم وملكهم كله فى يد السلطان ابراهيم :

« لا تكن كافرا للنعمة مع المنعم والمكرم من أحيابك ، لأن النعمة تاتى من البحر »

« ويحيا الانسان وحرسته على الصدر وطالما أن البحر اعتاد اداء الحق ، حتى تعطى السحاب بحرا دون قطرة من مطره » .

وحقق السلطان النصر فى آخر الأمر ، ولما كان فقد الأمراء لم يمع من قلبه فقد انحرف مزاجه على الأمراء وزادت المعارضة الظاهرة والباطنة بين الأمراء والسلطان عن الهد ومات كثير من الوزراء والملوك مثل ميان بهوره وأعظم همايون شروانى الذى كان أمير الأمراء فى سجن السلطان ، ورفع دريا خان نوحانى حاكم بهار وخانجهان لودى وميان حسين قرمى وغيرهم رأس المعارضة ضد السلطان بسبب الخوف والرعب الذى سيطر عليهم ، ورفعوا لواء المعارضة .

وحدث أن قتل حيان حسين قرمى خطيب جهنديرى بأمر السلطان وبعد فترة من الزمن توفى دريا خان نوحانى ، وارتد ابنه بهادر خان عن السلطان وكان من تابعيه ، وجمع فى بهار قرابة مائة ألف فارس واستولى على ولاية سنبل ، ولقب نفسه بالسلطان محمد ، وجعل السكة والخطبة باسمه .

وفى هذا الوقت هزم نصير خان نوحانى حاكم جونبور أمام جيوش السلطان ، وقرأوا الخطبة باسم بهادر خان لعدة أشهر فى ولاية بهار وتوابعها .

وخلال هذه الفترة وقعت معارك مع جيوش السلطان (بهار) وقاومها ، وحدث أن جاء ابن دولت خان للآزمة السلطان من لاهور وخاف من السلطان ففر ، وذهب الى أبيه ، ولما لم يجد دولت خان أى خلاص قتل من قهر وعقاب السلطان ، توجه الى كابل ، والتحق بحضرة فردوس مكنانى بابر بارشاه (٤٩٤ ، ٤٩٥) وحرص جلاله السلطان للمقدم الى الهندوستان ، وتوفى دولت خان أثناء الطريق ، وتوفى السلطان محمد أيضا فى بهار ، ومع وجود الأسباب التى تدعو لتسخير الهندوستان وتدبير مصالحها العامة ، توكل جلاله السلطان مؤيدا بالتأييد الالهى

(٤٩٤ ، ٤٩٥) اشتهر السلطان بابر فردوس مكنانى والسلطان همايون بدبشت اثنيانى والامان اكبر بخليفة الهى .

وصف الصفوف فى نواحى بانى بت لمواجهة السلطان ابراهيم ، ووقعت الهزيمة على جيش السلطان ابراهيم ، وقتل مع جماعة من الأمراء فى ميدان القتال ، وانتقلت سلطنة الهندوستان من سلسلة الأفغان اللودية الى هذه الأسرة السعيدة ، وكانت سلطنته سبع سنوات وعدة أشهر .

تذكر قانج العالم السلطان الغازى ظهير الدين بابر غازى :

هو ابن عمر شيخ بن أبى سعيد بن مرزا محمد سلطان بن ميرزا ميرانشاه بن مير تيمور كوركان (٤٩٦) طيب الله ثراهم وجعل الجنة مثوام ، وبما أن هذا التاريخ كله مختص بوقائع الهندوستان أحيل بيان الأحداث التى وقعت لجلالته فى ولاية ما وراء النهر وخراسان وأماكن أخرى الى تاريخ أكبر نامه وهو من مؤلفات ملاذ الأفاضل العليم بالحقائق والمعارف المقرب من الحضرة الخاقانية السلطانية ، العلامة الشيخ أبى الفضل (٤٩٧) وواقعات بابرى (٤٩٨) والتواريخ الأخرى وهى تبدأ بما نحن بصدده وترتبط بهذه السلسلة الأبدية ، ويشتهر جلالة السلطان بابر « بفردوس مكاني » ويذكر فى هذه الجماعة أيضا بنفس هذا الوصف .

ليس خفيا أن دولت خان وغازى خان والأمراء الآخرين الكبار لدى السلطان ابراهيم قد اتفقوا وأسلموا رسالة من عالم خان لودى (٤٩٩) تشتمل على التماس فردوس مكاني الى الهند (٥٠٠) ، وأرسل السلطان بابر جميع الأمراء المشاهير مع عالم خان كى يتقدموا الى حدود الهند ، وأن يعملوا ما هو صالح ويقوموا به فى حينه ، وتوجهت هذه الجماعة على وجه السرعة ، وسخرت سيالكوت ولاهور وتوابيعهما ، وعرضوا حقيقة الأمر ، وعزم السلطان بابر على السفر من دار الأمان كابل ترعاه .

(٤٩٦) تيمور لذك الذى اتخذ من سمرقند حاضرة له ، ومد نفوذه الى بلاد ايران والعراق والهندوستان ، وقد حكم من ٧٦٥ هـ (١٣٦٣ م) الى ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) .
(٤٩٧) أبو الفضل بن المبارك المتوفى سنة ١٠١٠ هـ وزير السلطان أكبر وصاحب

تاريخ أكبرى وآيين أكبرى .

(٤٩٨) واقعات بابرى أو بابر نامه من مؤلفات السلطان بابر وهو باللغة التركية . وتم ترجمته الى اللغة الفارسية على يد عبد الرحيم خان ، والكتاب سيرة ذاتية لصاحبه .
(٤٩٩) علاء الدين عالم خان عم السلطان ابراهيم (بداوى جلد ٣ ، ص ٣٢٨) .
(٥٠٠) أرسل دولت خان وعالم خان لودى ويوسف كحيل رسائل الى السلطان بابر يستدعونه من كابل كما أرسل اليه رانا سانكا بأن يتوجه لمقابلته فى اكوه (تاويخ شيوشاه عباس سروانى اليوت ج ٥ ، ص ٣٢٤) .

عناية ازيلية وهداية لم تنزل ، وفى اليوم الأول اقاموا مضرب الخيام الظافر حول قرية يعقوب ، وقطع مسافة قصيرة فى عدة ايام ، وكان يقيم يوما أو اثنين فى كل منزل ، وانتظر الأمير محمد همايون ميرزا الذى كان قد توقف فى كابل لاحضار جيشه من بدخشان ونواحها ، وانتظر الى أن نظم الأمير الشاب الجيش ، ووصل للزامته .

ومن الصدف السعيدة فى هذا اليوم الأغر أنه حدثلى خواجه كلان بيك وهو من عظماء اركان دولة السلطان بشرف « بايبوس » (٥٠١) وهو فى غزئين ، وعندما تجمع اتباع الدولة الظافرة فى هذه الناحية أسرع فى طي المنازل ، ورفع اعلام النصر على شاطئ السند الذى يشتهر بنهر « نيل آب » (٥٠٢) وأصدر أمرا فى هذا المقام بالاطلاع على فيالق الجيش العظيمة واستعرض عدد الفرسان والمشاة وجموع الجنود العسكريين والتجار واکابر وأهالى ورجال المجلس والحرب فبلغوا عشرة الاف فارس (٥٠٢) .

« أحيانا لا يكون للأسد حاجة فى الجيش ، ولا أمنية الصيد فى فكره »

« الحب بدون خيل وجيش يجعل العالم واسعا ، طالما أن راية النصر تبدو عيانا من الشرق »

علم اثناء ذلك من أمراء الهند أن دولت خان قد انقلب حظه واختلط غازى خان بالشقاء وعدلا عن جادة البيعة والولاء وحنثا بالمعهد والقسم ، وجمعوا قرابة ثلاثين الف مقاتل افغانى ورجال الجبل ، واستوليا على قصبه كلانور (٥٠٤) ، وتوجهوا لمواجهة أمراء لاهور ، وعندما علم « جهانكشاي » (٥٠٥) بهذا الأمر من صحيفة الرأى ، امر مؤمن على بصددهما الى أن تصل الرايات المنصورة الى الأميرين المذكورين ، ومنعوا الأمراء من الخروج من القلعة حتى وصل شهریار نصرت ، وأوقفوهما عن الحرب والقتال ، وبسرعة عبر الجيش الظافر بأكمله نهر نيلاب ، ووصل الى نواحى « كجة كوت » وعبرت سفينة الأفيال نهر كجه كوت بسرعة ، وقرر أن يستغل الفرصة ويسافر من طريق سفح جبل « منجر »

(٥٠١) تقبيل القدم وهى كناية عن الولاء .

(٥٠٢) نهر النيل .

(٥٠٢) كان بسحبته اثنا عشر الف فارس (أكبر نامه .. أبو الفضل بن المبارك

ص ٩٩) .

(٥٠٤) اغتاز دولت خان وغازى خان من تخذيل بابر لعالم عليها .

(٥٠٥) فاتح العالم والمقصود به بابر .

فى نواحى سيالكوت ، وعندما أقام نواحى قرية « هالى كهكهر ، معسكره العالى ، وقطع الطريق من هذا المكان بسرعة تامة ، وطوى الجبل والصحراء ، وعلى مسافة خمسة فراسخ خفقت الرايات العالمية فى نواحى جبل جودى فى بالونات ، وفى اليوم التالى رفع لواء السفر وعبر نهر « بهت » ووصل أمير خسرو كوكلتاش ؛ الذى كان حاكما على قلعة سيالكوت ، فى هذا المكان ، وأخلى غازى خان القلعة لضعفه ، وفر وجاء الى أمير « دلى قزل » الذى كان مرسلا لمساعدته من قبل السلطان ، ونال المشار اليهم العقاب السلطانى بسبب تقصيرهما ، وأخيرا خط السلطان بقلم عقوه على جرائمهما •

علم العيون فى هذا الوقت أن غازى خان الذليل ودولت خان المسكين قد استعدا للمقاتل بأربعين ألف فارس ، فأصدر السلطان بأمره بوقف الأمراء البارزين الظافرين الى أن يصل لواء النصر ، وعلى شاطئ نهر جناب خيم عساكر النصر ، وبعد ذلك انتظمت قسبة بهلول بور ضمن ممالك السلطان فى سنة ٩٣٢ هـ ، ولما كانت هذه القسبة على شاطئ نهر جناب تقع على أرض مرتفعة ، لذا أصدر أمرا أن يبنوا قلعة واسعة فى هذا المكان ، ونعم البذل ، وبنى مدينة سيالكوت التى كان أهلها يشربون ماء الورد على الرغم من وجودهم بجوار النهر ، وارتفعت العمارة هناك على هذا المكان الرائع ، وقضى يومين أو ثلاثة فى هذا المكان الجيد لاهيا ماجنا ونزل الى سواد سيالكوت وأرسل من هذا المكان المحتسبين (٥٠٦) ، وأمر الأمراء أن يكتبوا بالتفصيل، خصوصيات أحوال المخالفين ويرسلوها الى البلاط •

فى هذا الوقت نال « تاجر سعادة » تقبيل أقدام مسند العدالة واستعرض أخبار علم خان الذى تقابل مع السلطان إبراهيم واستقر مكانه ، وسيطر على هذا الحال ، ولما كان عالم خان لودى قد انفصل عن مرافقة الأمراء وتوجه الى الهندوستان ، ووصل بسرعة تامة الى لاهور ، استراح هناك عدة أيام ، وبنى على الأكاذيب التى كان قد سمعها من فرقة الأعداء وأنه طلب من الأمراء السلطانية الذين كانوا قد أرسلوا لمساعدته بسبب الحاجة قال لهم : « عندما أرسلكم جلالة السلطان لمعاونتى أمرنى بتسخير مملكة سكندر وإبراهيم ، وتصلح معى غازى خان ، ومن اللائق أن ترضوا أيضا على موافقته على هذا الصلح وتتوجهوا صوب دهلى وأكره » ، ولم يصغ الأمراء الذين كانوا يعلمون

(٥٠٦) المحتسب هو المسئول عن تنفيذ الأمور الشرعية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما المقصود به هنا من يقوم بجمع الضرائب •

مكر هذه الجماعة لهذه الرسالة بإذن الرضا ، وأجازوا : ان غازى خان منافق ولا اعتماد عليه فى قوله وفعله ، وأنه بأقل نفاق ومداهنة يذهب من هناك ويلحق به ، ويخرج عن القلعة وعليك أن ترسل حاجى خان أخاك الى البلاط ، أو أن تأتى الى لاهور بدولت خان ، وقال عالم خان ناقص العقل ان جلالة السلطان أمركم باتباعى ولا طاعة لكم عندى « ولم يقبل الأمراء ، وجاء شيرخان بن غازى خان فى ذلك الوقت الى عالم خان ، ووطد أساس موافقة أبيه ، وأطلق عالم خان سراح دولار خان الذى كان قد سجنه غازى خان مدة طويلة ٠٠ وفر وجاء الى لاهور ، ووافق ووافق محمود خان بن خانجهان الذى كان أيضا ضمن تابعى الدولة ، وانفصل عن الجيش والتحق بغازى خان ، وبالاتفاق مع الآخرين توجهوا الى دهلى واتفق معهم بعض الأمراء الآخرين مثل اسماعيل خان جلوانى وغيره ممن يتسوا من السلطان ابراهيم وكانوا فى نواحى دهلى ، ورفعوا لواء المحاربة فى الحال ضد السلطان ابراهيم ، وعندما وصلوا الى قصبه اندرى التحق سليمان شيخزاده المذكور أيضا بهذه الجماعة ، وبلغ عند الجيش أربعين ألف فارس اتحدوا وحاصروا دهلى ٠

و بمجرد سماع السلطان ابراهيم لهذه الأخبار عزم على محاربة هذه الجماعة ، وعلم عالم خان وجماعته خبر توجهه بعد ذلك فادعا استقباله على اطراف دهلى ، وقرر أنه عندما يتحد الأقسام الأفغان تماما ، فان الفرار عن ولى النعمة والعداء معه عند الحرب عيب وعار ، ويبدو من هذا أنه اذا وقعت حرب فى النهار فمن يشهدهما يخفى ما بيده من متعلقات ٠٠٠ والمناسب هو أنه بعد انتفاء حمرة الشفق حيث يغطى نقاب الليل الوجه الحسن والقبيح ، قصد جيش السلطان ابراهيم النهب ، ولحق به المؤيدون فى الخفاء ٠٠٠

المهم ركب عالم خان من مسافة ستة فراسخ من معسكر السلطان ابراهيم حيث كان معسكره ، يعزم الاغارة ، وفى آخر الليل ، نفذوا نيتهم بالقوة ، واضطرب جيش السلطان ابراهيم تماما ، وانتهز جلال خان وبعض الأمراء الآخرين الفرصة ، وكانوا قد وافقوا عالم خان واتفقوا معه وتمكن السلطان ابراهيم وعدد من خاصة خيالاته من قصره ، وقاتل حتى طلوع الصبح ، ولم يفروا من مكانهم ، وعندما تفرق أمراء عالم خان والاستيلاء على الغنائم ، وبعد طلوع فجر الصبح من عباءته لم يكن الذين اعتقدوا فى نصره وغلبته وطمعا فى الغارة وسلب الأموال مع عالم خان سوى عدد محدود ، ووقع نظر السلطان ابراهيم على قلة أعدائه فتقدم مع جماعة كانت معه ووجه الفيلة الى عالم خان ، وتحمل الهجمة الأولى وجعله يفر ، وسلك كل شخص كان فى هذا المكان مشغولا

بالنهب طريق الفرار ، وتفرق الأمراء الى كل ناحية ، ووصل عالم خان الى ما بين دواب وتوجه من طريق لاهور ، ووصل الى مدينة سهرند ، وسمع وصول أخبار الرايات الظافرة للسلطان يابري الى نواحي سيالكوت . وفتح قلعة بلوت ، وأصبحت هذه الفئة الضالة بالهزائم المتكررة ، فأسرع كل شخص الى مكان والى ناحية ، وكان دلاور خان دائما ضمن رجال الدولة يعمل على تتبع عالم خان للاستيلاء على أهل الفساد ، وسر عند سماع وصول الرايات العالية وتوجه لتقبيل أعتاب السلطنة ، وجاء مع عدد محدود وكان سعيدا كل السعادة ، واعتذر عن موافقته الظاهرية للمعارضين ، ونال العفو والاحسان من السلطان .

لأن عالم خان بالفرار الى قلعة كتكويه وهى قلعة مرتفعة جدا على قمة جبل من توابع بلوت ورافقه حاجى خان ، وحدث أن انفصل عن المعسكر السلطاني نظام الدين على خليفة الذى كان وكيل للسلطان مع عدد من « هزارة » و « الأفغان » ، وسار صوب كوهبايه ، وعندما وصل رب القلعة ، وشحن همته ، وملك زمام الحرب بكل جد وجهاد ، ولهذا ضاق الأمر على المحصورين فى الجبل ، واقترب من أجل فتح القلعة ، وعندما وقعت الحرب فى آخر يوم ؛ انجلت ظلمة الليل عن المحصورين . ولم يحقق الشاهد المقصود ، واندفع عالم خان للمواجهة ، وخرج من القلعة مع جيشه متجشما آلاف المشاق حول القلعة ، واضطرب جمعه ، وصاروا حيارى فى الصحراء . وفى اليوم التالى لم يجد التائهون فى البادية والضالون العصاة مقرا وطريقا للجنة سوى الالتجاء الى بلاط سلطان العالم ملاذ العالمين ، ولا جرم فقد اعتمدوا على كرم حضرة الخاقان ومرغوا الوجه بتراب أعتابه ، وانعم السلطان يابري عليهم بخلة قيمة لسابق عهدهم فى وقت ملازمته ، ولن يفى لسانهم العاجز قط عن بيان أفضاله ، وعندما قاموا عند مجيئه الى المجلس العالى وانتظم عقد جمعه ، استدعى الرسل الذين كان قد أرسلهم لاستدعاء الأمراء البارزين فى لاهور ووصل خير وصولهم الى مقرية من المعسكر الظافر .

توجهت الرايات المنصورة فى اليوم التالى الى قصبة « برسرور » ، والتحق جماعة من الأفاضل منهم مهر على جند وخواجه حسن « مشرف ديوان » (٥٠٧) وجماعة من الذين سبقوهم الى الخدمة وتقبيل ركاب السلطان وحسب الحكم توجه جمع من الشباب المقاتل لتفحص أحوال غازى خان ؛ الذى كان مسيطرا على شاطئ نهر راوى بجانب لاهور ،

(٥٠٧) المسئول عن الدخل والإيراد والمنصرف .

وعادوا ، وفى اليوم الثالث ذكروا أن المعارضين أسرعوا بالهرب حين سمعوا بخبر قدوم العساكر السلطانية : « محال أن تجد ذرة حب بلا ألم ، الصعوبة كيف تقاوم الباز بمخيلها ؟ » .

وكان جلاله السلطان بابر قد توقف لعدم يقينه بمجيئهم ، وأمر السلطان فاتح العالم بسرعة التحرك ، وعاد يتعقب هذه الجماعة ، ونزل فى نواحى كلانور وفى هذا المقام جاء السلطان على المقام محمد سلطان مرزا (٥٠٨) وعاد الأمير همايون مع سائر الأمراء من لاهور ، وتوجهوا مخلصين الى البلاط الملعا ، وقدموا الهدايا ونالوا أيضا الانعام والاکرام السلطاني كل حسب درجته .

رحل السلطان فى اليوم التالى من كلانور ، وتوج الأمير محمدى، كوكناش والأمير احمدى بروانجى والأمير قتلوق قدم والأمير ولى خازن وأكثر الأمراء بجيش عظيم بناء على الفرمان الواجب الاذعان عقب الفارين وحاصروا قلعة بلوت ، وعملوا على الايخرج أى شخص من هذه القلعة ، الا وفقد خزانته ودفائنه ، والهدف الأسمى من هذا الاحتياط. كان أسر غازى خان ، وفى اليوم التالى نزل (السلطان) حول قلعة بلوت وأمر الأمراء العظام ان يحاصروا القلعة كى يضيق الحال على المعارضين ، وخرج اسماعيل خان بن على خان وهو ابن دولت خان فى اليوم التالى ، وأخبرهم بخبر اختفاء غازى خان من القلعة وبقاء دولت خان وعلى خان وسائر الأقوام الباغية كما هو فى التقرير المشار اليه ، وأرسلوه الى القلعة ثانية باستمالة السلطان ، واهتم السلطان بتسخير القلعة ، وقربوا المجانيق كثيرا ، وعندما أخذت العساكر الظافرة أماكنها باحكام للاستيلاء على القلعة طلب دولت خان الأمان لعجزه وضعفه ، فشملته العناية السلطانية ، وعفا عن جرائمه ، وحسب الحكم علق سيفين فى رقبته واجتمعوا للعفو العام ، وعندما اقترب أمر السلطان برفع السيفين وتقدم جلاله السلطان بسبب كمال أصله اليه ، وخط بقلم العفو عن جرائمه ؛

« الكرم هو أن تحسن الى السوء ، وأهل الكرم لا يفعلون مع الصديق الا الاحسان » ، وأصدر فرمانا اعطى دولت خان وأولاده وأتباعه الأمان ، وأحصى أمواله وقسمها على جنود المعسكر الظافر ، وأرسل خواجه مير ميران صدر لحماية وخراسة أهله وزوجاته ، وعندما دخلت القلعة تحت سيطرة أتباع دولة السلطان بابر جاء على خان لملازمته فأهداه مقدارا من « الأشرفى » (٥٠٩) وأخر اليوم جمع خيوله وحريمه وخرج مع جمعه .

• (٥٠٨) همايون .

• (٥٠٩) الأشرفى عملة ذهبية .

من القلعة وأرسل أتاسا أمامه وتوجه كل هؤلاء الى خواجه مير ميران. وسلموه المشار اليه ، واتم السلطان بابر سيطرته على القلعة فى اليوم التالى ، وترك أمير سلطان جنيد برلاس وأمير محمد كوكتاش وأمير أحمدى بروانجى وأمير عبد العزيز وأمير محمد على خنك وأمير قنلق قدم وعدد آخر من الأمراء بجانب الأموال التى كانت فى القلعة .

تحركت الرايات العالمية من بلوت عندما علم السلطان أن غازى خان لم يكن بالقلعة ، وسجن دولت خان ونفرا آخر من هذه الجماعة الخائنة ، وأمر أن يحموا قلعة بلوت وهى أحصن قلاع هذه النواحي وفى اثناء الطريق ودع دولت خان الحياة ، وبعد ذلك رحل جلالة السلطان بابر جادا فى البحث والقبض على غازى خان لعتابه على أفعاله ، وقطع الطريق الوعر ونزل باجلال على سفح « دون » وهو جبل كبير جدا ودخل سواك ، وأرسل تردى بيك وجماعة ليبحث بحثا كاملا فى الجبل والصحراء ويقبض على هذا الضال ، وعندما دار الزمان وتاه من الخوف فى الجبل والصحراء ، وذهب الى مكان بعيد ولم يقبض عليه ، وبعد قطع مسافة أو مسافتين من « دون » جاءت رسالة شاه عماد الدين الشيرازى الى العرش الظافر ، ووصلت رسائل أرميخان ودرفش خان ومولانا محمد مذهب الذين كانوا منتظمين ضمن أمراء واقاضل جيش السلطان ابراهيم، مشتملة على التحريض للمجيبء واظهار تأييد غيبى للدولة وأرسل السلطان بابر منشور عناية وتكريم الى شاه عماد الدين مع الذاهبين الى هناك ، وأذن له بالمثل ، وأرسل من مقامه مبلغا من الفضة والمعدن مع امير باقى شغالول الذى كان حاكما على حكومة ديبالبور الى فقراء ودرائيش وطلبة العلم فى بلخ ، وأرسل الى كايل الأمتعة والأقمشة والهدايا النقدية حيث كان ابناؤه وتابعوه وسائر الخدم هناك .

دخل الجيش الظافر من هذه الأماكن الى الجبل حيث نادلان وقزاقان ، وسخر كثيرا من القلاع والأماكن وجلبوا غنائم لا حصر لها الى المعسكر الظافر ، وانتقل المعسكر الظافر من هناك الى منزل آخر قرب سهرند ، ومن سهرند وصل الى قرية أخرى حول قصبه تنور ، ونزل على شاطئ نهر كهكهر ، وحين رفعت ألوية النصر من هناك الى سامانه وسنام ، عرضوا عليه تسخيرها ، وبمجرد أن استمع السلطان ابراهيم خبير توجه الرايات العالمية رحل من نواحي دهلى التى كان قد سيطر عليها بعد هزيمة عالم خان ، وتقدم أكثر ، وصدر فرمان سليمانى أن يتوج الأمير كنه بيك الى نواحي معسكر السلطان ابراهيم ، ويتحقق ما كان عليه هذا الجيش من مقدرة ويعود سريعا ،

(٥١٠) سلممانى : نسبة الى نبي الله سليمان عليه السلام .

وجاء مؤمن على أنكه بعد تفحص وتحقيق جيش حميد خان « خاصه خيل » السلطان ابراهيم ، الذى كان قد جمع جيشا فى قلعة فيروزه ، وأرسل اثنين الى قصبه ابنالة ، وعاد (الأمير كنه) وعرض أحوال الطريق والمخالفين وكيفية التقدم نحوهم ، وفى نفس هذا المكان أمن الأفغان الذين كانوا قد دخلوا فى طاعته وولائه بعد البغى والتمرد ، وسعدوا بتقبيل البساط .

عندما علم السلطان بابر أن حميد خان قد تقدم مسافتين أو ثلاثة من قلعة فيروزه ، أمر الأمير محمد همايون ميرزا بالتحرك الى الناحية المشار اليها ، وسار فى ركاب الأمير العالى المقام أمير خواجه ، كلان بيك ، وأمير محمود لدلى وأمير ولى خازن وأمير على محمد خنكجك وأمير شاه منصور برلاس وأمير محب على بن أمير خليفة وبعض الأمراء الآخرين من « ايجكيان » « ويكها » ، وقطع المسافة فى لمح البصر وعندما اقترب من جيش الأعداء اختار مائتين من الفرسان ، وجعلهم على مقدمة الجيش ، وتقدموا للمقتال حتى وصل جيش الأمير العالم (همايون) وظهرت جيوش الأعداء وارتفعت نار الحرب والتحم الطرفان ، وهبت رياح الفتح والظفر على الموكب المنتصر ، وابتعدت عن الأعداء وانتصر على الأفغان ، وأسر مائتين من هؤلاء المخذولين وقتل جمعا آخر :

« مع أن جيش العدو كان بقوة عاد (٥١١) ، لكن النسيم خطف راية ملكه مثل صرصر »

أرسل ميرك مغول رسالة نصر من هذا المكان الذى كان متاحا به الى الأمير الموفق مع ثمانية أفيال ضخمة ، وجماعة أسرى جيش الأفغان . ورووس القواد ، وسلموا الأسرى حسب الأمر الى أوستاد على قلى فصاروا جميعا هدفا للمدفعية والبنادق ، وأنعم بحكومة قلعة فيروزه . وتوابعها عشرة ملايين تنكه نقدا للأمير العالى المقدار لشجاعته .

نزل الجيش بعد ذلك فى مكان قرب شاه أباد على شاطئ نهر جون ، وعلم بأخبار مؤكدة أن السلطان ابراهيم يتقدم بجيش جرار وقوى لحاربه ومقاتلته ، وقطع مسافة أخرى من هذا المكان حيث عاد حيدر قلى تابع خواجة كلان بيك والذى كان قد ذهب بناء على الحكم من أجل التجسس وعرف أن داود خان وجماعة من أمراء السلطان ابراهيم وخمسة أو ستة آلاف فارس قد عبروا نهر جون وابتعدوا عن معسكر

(٥١١) يقصد به « عاد » الذى نكروا فى قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » الفجر ٦ .

(٥١٢) لم يكن لدى بابر أول مرة سوى مدفع واحد وكان لا يطلق الا مرات قليلة فى اليوم الواحد ، ويستغرق تعبيته مدة طويلة (بابر - ص ٣٣٧) .

السلطان ابراهيم بثلاثة أو أربعة فراسخ ، فأرسل سيد مهدى خواجه
ومحمد سلطان ميرزا وعادل سلطان وسلطان جنيد يرلاس وشاه مير
حسين وأمير قتلوق قدم وأمير يونس على وأمير عبد الله كتابدان وأمير
محمدي براونجي وأمير كته بيك لقمع هذه الجماعة ، وعبر هؤلاء المقاتلة
نهر جون ، وفاجأوا جيش العدو ، وجاءت هذه الجماعة للمواجهة ،
وكان ما قدر لهم ، ولم يقصروا في البطولة والشجاعة والثبات ، وفي
ساعة هاجم شجعان الجيش السلطاني على هؤلاء القوم وقتلوا جمعا :

« عندما يرافق الحظ الملك ويكون رأسا للدولة ، يكون لجيشه
يوم الوغى الظفر والنصر »

وأسر جماعة ، وأسرع الجنود الشجعان في اثر هذه الجماعة
المعتدية ، ونجت الباقية المتبقية من السيف بألف حيلة ، وذهبوا الى
معسكر السلطان ابراهيم وأثاروا الغرغاء العالية في المعسكر المشار اليه .

أرسلوا جماعة من القواد مع جمع من الأسرى الآخرين وعشرة أفيال
الى العرش الظافر ، فأصدر بناء على سياسته الخاقانية أمرا بقتل
هذه الجماعة .

وعندما رحل من هذا المكان ، واتخذوا حسب الفرمان الواجب
الاذعان الملاذ والملجأ التام ، عرضوا أمام جلالته بناء على مشورته
الصائبة أن يهتموا بالجيش ، وأن يهيئوا عربات نقل وحمل ، وبناء
على هذا أعدوا ثمانمائة عربة في يوم واحد وأمر استاد على قلى أن يصنعوا
قواعد مثل قواعد المدافع الرومية على شكل عربة ترتبط بجنزير وجلد
مرقم ومتصل كل منهما بالآخر ، وبين كل عربتين يعاؤون ست أو سبع
مخال حتى يستطيع رجال المدفعية أن يلجأوا يوم القتال بالعربة والمخلاة
حين تفرغ الذخيرة (٥١٣) ، وأقام خمسة أو ستة أيام في مكان واحد
لإعداد هذه الأدوات ، وبعد هذا الإعداد أمر رجال الدولة بالاستعداد
للمعركة على الرغم من قلتهم أمام جيش يمثل هذه الكثرة ونقشوا على
صحف الباطن مضمون الآية الكريمة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
ياذن الله » (٥١٤) وتوجه الى مدينة بانى بت خلف الجيش ، وصف
العربات أمام الجيش ، واصطف الفرسان والمشاة خلف العربات بالسهم
والمدافع ، واندفع فرسان آخرون من الأطراف والجوانب وقاموا بالقتال
والنزال وكلما وجدوا قوة من الخصم عادوا خلف العربات ، وفي

(٥١٣) وهو ما يسمى باسم تور : والتور جوال ملهى بالترب (بداوى ج ١

ص ٣٤٣) .

(٥١٤) البقرة : ٢٤٩ .

الخميس آخر جمادى الآخر نزل الجيش ببلدة بانى بت على مسافة ستة فراسخ من جيش الأعداء ، وكان عدد جيش السلطان ابراهيم قرابة مائة ألف فارس وألف فيل وعدد الجيش السليمانى خمسة عشر ألف فارس ومشاة وعندما أقام فى بانى بت اقترب الجنود بالتدريج من المعسكر وتقاتلوا مع جيشهم وغلبوا ؛

« اللطف الالهى يكون رفيقا لكل ملك ، ما الخوف اذا امتلأ العالم بالجيش »

« السوء العقيدة يكون نصر الله معقودا للملك »

• ويكون الغفران من لطف الله على مفرقه •

وعلقوا رؤوس الأعداء فى أهذاب سروج الجياد ، وأحضرهم الى المعسكر الظافر ، وعلى الرغم مما وقع فى أيديهم فقد كرر الجنود السليمانية الكرة عليهم ، ولم تبد أى حركة من ناحيتهم ، ولم يصدر أمرا بالتقدم أو تعقبهم ، وأخيرا رأى بعض أمراء الهنود الذين سلخوا ضمن رجال الدولة أنه من المصلحة التقهقر والاغارة ، وقبل السلطان هذا الرأى ، وتوجه مهدى خواجه ومحمد ميرزا وعادل سلطان وخسروبيك كوكتاش وشاه أمير حسين وأمير سلطان جنيد برلاس ، وأمير محب على مير خليفة وأمير ولى خازن وأمير محمد بخشى وجان بيك وأمير قرار قودى مع خمسة أو ستة آلاف فارس بناء على الأمر المهاجمة معسكر السلطان ابراهيم ، وحدث أن وصلوا قرب الصباح الى معسكر الأعداء ، واقتحم الجيش ، وأبدى شجاعة ، وأطلق البعض يد النهب ، حول المعسكر ، وهلك كثير من هؤلاء القوم ، وعاد الجميع سالما ، ولم يصب أى من رجال الدولة بسوء ، ولم يتفرق الأعداء أيضا وثبتوا •

ألهم فى يوم الجمعة السادس من رجب المرجب من السنة المذكورة قبضت يد الأجل فى تلابيب السلطان ابراهيم وحضر بجيوشه لمواجهة الجنود السلطانية القاهرة ، فانتظمت الجنود الخاقانية المجندة كسد منيع بلباس حديدي وتزينوا بالفتح والظفر ، وثبت الجنود فى ميدان البطولة ، ورفعوا أعلام النصر ، وسيطر حضرة سليمان بنفسه ونقيسه كالروح فى القلب ، ونظم المقدمة واليمينه والميسرة ، واستعد للقتال والنزال ، وعندما التقى الطرفان ، ورأى كل منهما الآخر بعين العداء ، وأصدر أمرا نافذا أن يحارب أمير قرا قورجى على المسيرة وأمير شيخ على وأمير على أبو الحجة فيزه والشيخ جلال على اليمينه ولى قزل وبابا قشقة مع جماعة المغول مقسمين على دفعتين ليقاتلوا خلف جيش العدو ، وأن يتقدم أمام أمراء اليمينه جيش خاص للأمير محمدى كوكتاش وأمير يونس

على وأمير شاه منصور برلاس وأمير أحمدي بروانجي وأمير عبد الله كتابدار ، ولما كان الأعداء قد هجموا أكثر على الميسرة فقد صدر أمر إلى أمير عبد العزيز الذي كان احتياطيا ليذهب للمعاونة ، وعندما أذن لهؤلاء الأسود المحاربين في الميدان بالمقتال أيدوا يقظة في الميدان وأطلقوا السهام القاتلة من الأمام والخلف واليمين واليسار ، وسقطت أجساد الأعداء ، وكانت أرواحهم قد رافقت الطيور الطائرة إلى العالم الآخر ، ولكن لما كان قد قص بمقراض السيوف هذا الريش والجناح مرتين فقد انتفى احتمال الطيران وارتاحت الرؤوس المتمردة على الدرع وعجلت يد الأجل في صف الأعداء ؛

« هكذا سال الدم ولم يذهب هباء ، لأنه عندما سال حمل الرجال إلى حافة الموت »

« النسيم الذي هب من هذا السحر ، يجعل رائحة دم الكبد في الأنوف » .

آخر الأمر صار الأعداء الفاسدون الضالون مغلوبين ومقهورين بيمن الفضل الإلهي وعون اللطف غير المتناهي ، القوا في الفلاة بعض الذين لم يقتلوا تماما والمثخنين بالجراح والذين كانوا يأملون لو صاروا طعاما للغريان والحدأة ! وقتلوا السلطان ابراهيم بالسيوف البتارة في صحراء مجهولة مع جماعة من المقربين وأحضروا رأسه إلى البلاط السلطاني ، وكانوا قد قتلوا قرابة خمسة أو ستة آلاف جندي من أتباع السلطان ابراهيم في نفس المكان ، وتجرع عدة آلاف من الأشخاص شراب الموت أثناء المعركة ، وجرت كلمات الحمد على لسان السلطان ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، ورفع لواء الشكر لله .

أرسل السلطان رسالة فتح في اليوم الأول إلى انحاء البلاد ، وتوجه إلى دار الملك دهلي ، وأضاعت خير البلاد بنور الأنوار السلطانية ، وقرئت خطبة الدولة والسلطنة يوم الجمعة على المنابر والمساجد الجنامعة باسم السلطان السعيد صاحب المجد والسمو .

صدر فرمان السعادة الواجب النفاذ بأن يتوجه الأمير العالم محمد همايون ، وأمير خواجه كلان وأمير محمد كوكتاش وأمير يونس على وأمير شاه منصور برلاس وجماعة أخرى إلى أكره على وجه السرعة من أجل الاستيلاء على القلعة ، وأن يحافظوا على خزانها من سيطرة العوام والخواص ، وسار بعدهم السلطان أيضا إلى أكره ، ونزلوا في هذه البلدة ، ووزع على كل واحد من المحتاجين ما يناسب

حاله ، وفتح يده كالبحر ، وقسم الخزائن وأنعم على الأمير العالم محمد همايون ميرزا بسبعة آلاف ، وأنعم على كل واحد من الأمراء ما بين مائتي ألف وثمانمائة ألف وخمسمائة ألف على تفاوت درجاتهم :

« انثر الذهب بالاحسان على من يبذل الروح فى الميدان »

« فان الرجل صاحب الشجاعة يكون كالشجر المورق المثمر »

وقسم على جميع المقاتلين وسائر التابعين الهبات الملكية من نقود الخزانة ، ونال جميع الأفراد الأكاير للجيش والسادات والمشايخ وطلبة العلم والتجار وأهل السوق والأسافل والأعلى نصيب كامل وقسمة شاملة ، وأرسل للحريم والمحصات الجواهر النفيسة والأقمشة النادرة والذهب الأحمر والهدايا ، وأرسل الى جميع التابعين للبلاط والمنتظرين للانعامات السلطانية فى خراسان والعراق وكاشغر الهبات ، وأرسل النذور الى مكة المكرمة والمدينة المباركة ، والمزارات المباركة ، وأنعم على جميع أهالى كابل وخسب (؟) وبدخشان الذين كانوا يعيشون هناك ، ويمتازون بالمورع ، وأرسل الى كل رجل وامرأة « شاهرخى » (٥١٥) وأرسل رجالا أهل دين لتوصيل وتقسيم هذه الانعامات ، ولم يبق أحد قط من المحتاجين بالبلاط السليمانى لم يستفد من غنائم الهندوستان .

ولما كان الخاطر الشريف يهتم بالترفيه عن أهالى البقاع ، وتأليف قلوب أرباب القلاع ، فقد أرسل فرامين الاستمالة الى أطراف النواحي ، ولكن نظرا لعدم مؤانسة كفرة الهنود الذين كانوا نافرين ومتوحشين ، ولم يقبلوا مطلقا الاتباع ، وفروا الى الغابات والجبال ، وسلكوا طريق الادبار وأغلق المتحصنون القلاع فى وجهه ، واستعدوا لحماية القلاع ، وكان العداء مستحكما فى جميع القلاع الأخرى غير قلعة دهلى وأكره اللتان فتحتا بالقدوم الشريف للسلطان ، وكان قاسم سنلى يحكم قلعة سنبل ، ونظام خان فى قلعة بيانه ، وحسن خان نوحانى حاكما على رابرى ، وقطب خان على تتاوة ، وعالم خان على كالبى ، وكانت قنوج وسائر بلاد الجانج تحت سيطرة الأفغان البيغة ولم يكونوا طائعين أيضا فى عهد السلطان إبراهيم ، وبعد ارتفاع شمس الدولة السليمانية ، وانحطاط لواء الأفغان ظلوا مسيطرين على كثير من الولايات الأخرى ، ورفعوا ابن بهادر شاه على السلطنة ولقبوه بالسلطان محمد ، وبإيعه نصير خان نوحانى ومعروف قرملى وكثير من كبار الأفغان الآخرين ، وكانوا يعملون على افساد تفكيره ، ولما كان عدم اطاعته شائعا فان قصبته

(٥١٥) عملة ذهبية .

(٥١٦) بلغ ما وزعه اربعمائة ألف شاهرخى (كلبدين بيكم - همايون نامه ، ص ١١) .

جهاؤن على مسافة عشرين فرسخا من أكره وعلى رأسها مرغوب نامى
غلام السلطان ابراهيم لم يكن يطيعه .

وفى هذه السنة تصادف أن ارتفعت حرارة الهند الى درجة عالية
لدرجة أن مات كثير من الناس فى هذه البلاد ، وكان جلالة السلطان باهر
فى دار الأمان أكره يريح العساكر الظافرة فترة ويرعاهم فى ظل رعايته
السلطانية ، وعندما أخذت حرارة الجو فى الانخفاض ، وتبدلت رياح
السموم العاتية بنسائم اعتدال المطر ، وأنعش هذا التسييم الروح .

توجه الأمراء البارزون صوب فتح ممالك البلاد والقلاع بكل طرف
من البلاد ، وفتحت الأبواب المقصودة بأدنى جهد ، وارتفعت راية العناية
الالهية على مفارق القائمين بأمر الدولة السلطانية حيث ابتعد جميع
الفارين ، وتمنى المتفرقون الدخول نادمين تحت أنوار الفضل والامتنان.
وظل نجم العفو والاحسان ، وعاد الى ظل الرأفة الملكية كل من ذهب
الى ناحية ، وجاء فيروز خان وسارنك خان وشيخ بايزيد أخو مصطفى
فرملى وشيخ هية وجمع آخر من الأمراء الأفغان صوب البلاط طائعين ،
وحظوا بالأرزاق والولايات اللاتقة ، وأسرع الشيخ كهورن مع جماعة
المقاتلين بين الدواب الى البلاط المعلا عن طريق الصدق والاخلاص ،
وجاء طائعا ، ونال الرعاية من جميع الأمراء نوى الاقتدار .

وعندما فرغ السلطان من توزيع الخزائفة الوفيرة ، اهتم بتقسيم
القرى والحكومات المعمورة وعين على كل ولاية من الممالك المحروسة
واحدا من السلاطين البارزين والأمراء الأكفاء ، فأرسل الأمير العالم
محمد همايون ميرزا على ولاية سنبل ، وأثناء ذلك وصلت رسائل ولاء
قاسم سنبل الى البلاط السلطانى ، وعرض أن « درهين » أكل الحرام
الذى كان قد فر من معسكر السلطان قد ذهب الى هذه النواحي وجمع
جمعا وحاصر قلعة سنبل ، فصدر فرمان سلطانى بالتوجه الى هذه
الطائفة ومهاجمتها الى كنه بيك وملا قاسم أخى بابا قفشة مغل مع أخيه
مولانا آفاق وشيخ كهورن ومعه جماعة « تركش بندان » ما بين دواب
وامير هندوبيك ، وتوجه الأمراء فى الحال حسب الأمر ، واهتموا بعبور
نهر الجانج ، وأسرع ملك قاسم مع باقى العساكر المنتصرة ، وكان قد
وصل الى سنبل وقت صلاة الظهر قرابة مائة وخمسين شخصا ونظم
الجيش أيضا ، وتقدم للمواجهة ، وبدأ ملك قاسم دون توقف فى القتال
والمهاجمة وبطرفة العين أخدم الأعداء وحقق النصر ، وقتل كثيرا ،
واستولى على أقيال وجياد وأموال ، ووصل باقى الأمراء الى سنبل
فى صباح اليوم التالى ، وفر قاسم سنبل من القلعة وأسرع لرافقة
الأمراء ، وفرد بساط الطاعة والامتنان ، وأجلوا فتح القلعة الى الغد.

وتذرعوا بالأسباب ، وانشغل الأمراء بتدبير الأمر ، وذات يوم جمع شيخ كهورن مجلس الأمراء من أجل قاسم ولكى يدخل الجنود الظافرين القلعة ، وأرسلوا قاسم واتباعه الى البلاط السليمانى .

وفى نفس هذه الأيام أرسل قوة لتسخير بيانة ، وكان هناك نظام خان الذى كان قد التمس الاستمرار فى الحكم ، وفى نفس المكان أيضا كان راناسنكا وهو من الراجوات الهنود كبار الشأن وكان قد خرج من مكانه وحاصر قلعة كيدار التى كانت تحت سيطرة حسن بن مكن ، وبدأ فى الفتنة والفساد والتمرد والعناد ، واتفق فترة مع حسن بن مكن أن يسلمه قلعة كيدار ، وفى ذلك الوقت أمر السلطان الامير سلطان برلاس وعادل سلطان وأمير محمد كوكلتاش وأمير شاه منصور برلاس وجماعة كبيرة من سلاطين الملوك البارزين بالاستيلاء على قلعة دهولبور من محمد زيتون وتسليمها للأمير سلطان جنيد برلاس ، وأن يتوجهوا الى نظام خان فى قلعة بيانة ، ويتقدموا لفتحها واستئصال نظام خان بالجد والجهاد .

وأصدر السلطان بأمر الى كثير من الأمراء أصحاب الرأى كى يتخذوا من بيانة مقرا للخلافة بعد أن أرسل الجيوش القاهرة ، وبعد اجتماع هذه الطوائف انعقد مجلس الرأى والمشورة نظرا لأن متمردى نوحانى قد اقتربوا أكثر من قنوج بخمسة آلاف فارس يقومون بالفساد واستولى رانا سنكا على قلعة كيدار وكان هو الآخر على الناحية الأخرى من الفساد والعناد .

ولما قلت الأمطار التى كانت حائلة للارتجال ، وجب التوجه الى أحد الطرفين ، ونظرا لأنه لم يكن يدرك قوة رانا سنكا وأن طغيانه كان يعيدا فى البداية عما ظهر عليه فى آخر الأمر لذا عرض اهل المشورة أن رانا سنكا بعيد عن البلاد ، واقترب قدومه مستبعد تماما ، ومن اللائق والأنسب صد النوحانيين الذين اقتربوا أكثر ، واستصوب السلطان رأى الأمراء ، وقرر أن يتقدم صوب الشرق بالنفس والتفيس لصد المخالفين الشرقيين ، وعرض الامير الموفق محمد همايون ميرزا فى هذا المقام أنه « لو اقتضى رأى السلطان أن يقرر هذه الخدمة الى عهدتى فالرأى حينئذ ان يعتمد السلطان على قوة ساعد الدولة السلطانية لدفع هؤلاء الأعداء » وأرضى هذا الأمر خاطر السلطان ، وقرر أن يرسل الأمراء لفتح دهولبور صوب الشرق فى ركاب الامير الموفق وأرسل سيد مهدي وخواجه محمد سلطان ميرزا على جيش كان قد أرسله لفتح اتاره أيضا لمرافقة الامير العالم وجمع سعادتته هؤلاء الأمراء فى جليسر من توابع اكراه ، وتوقف السلاطين المذكورين عدة أيام فى هذا المكان

التجمع ، وتوجه صوب الشرق ، وسخر كل هذه الولاية والبلاد ، ونزل
فى « دارابر » فى يونيو .

اثناء ذلك قوى رانا سنكا وتوجه الى بلاد السلطان بغواية حسين
خان ميواتى والاشرار الآخريين ، وأدرك نظام خان حاكم بيانه شره ،
فأرسل رسائل ولاء الى البلاط ، ولما كان متسما بسيم الاسلام وأنه
لم يطع رانا سانكا ؛ لذا تشفع له مير سيد رفيع الدين محدث صفوى وكان
من ائمة السليمانية ، ونال انعامات لا حصر لها .

وعندما رأى تاتار خان سارنك خان حاكم قلعة كوالير ان رانا
سنكا قد استولى على قلعة كيدار فى ذلك الوقت ، اقترب من بيانه واتفق
بعض الملوك والراجبوت وزمينداران كوالير وبعض المسلمين على
الاستيلاء على قلعة كوالير ، وأرسل الرسل الى بلاط السلطان ، فأرسل
السلطان خواجه رحيم داود على خيل خراسانية وهندية ، وأرسل سحر
نور قطار الذى كان قد ترقى لسابق خدماته برفقة المشار اليه الى حكومة
كوالير ، وأرسل مولانا آفاق وشيخ كهورن أيضا لمساعدتهما ، وعندما
وصلت هذه الجماعة الى كوالير ، انقلب تاتارخان وأظهر عدم الطاعة .

اثناء ذلك جاء الشيخ محمد غوث ؛ وأحواله المذكورة فى هذا
الكتاب على حده ، مواليا ومعه أفواج قاهرة ، لأن هذه الدولة جديدة
بالتنظيم الأمور ، ودخل عدد محدود من الجند القلعة وتحقق المقصود ،
ولما كان هذا الشيخ المذكور عالما بعلم أسماء الله الحسنى ودعا لأرياب
فتح القلعة بمعونة أسماء الله ، ومن اليقين أن سهم دعواته قد أصاب
الهدف سواء بتدبير العقل واقبال الأيام السلطانية أو بدعاء هذا الصوفى
الصافى ، وعندما أرسل هؤلاء الأمراء رسالة الى تاتار خان : أن المقصود
بمجيء العساكر الظاهرة هو دفع فساد الكفار ومن أجل تسخير هذه
القلعة ، ولخوفه من اغاراتهم فكر فى أن يدخل جمع محدود القلعة وأن
يحتسى باقى الجيش قرب القلعة ، حتى يتحقق المقصود ، واتفق الجميع
على أن يخرج بمرافقة كل منهما الآخر من أجل اطفاء نيران أهل الخلاف ،
وقبل تاتار خان هذا الأمر بعد جهد كبير ، وكان خواجه رحيم داد قد
اقطع الطريق الى القلعة مع رجال قليلين ودخل خواجه المشار اليه ،
وترك عددا قرب بوابة القلعة كى يفتحوا البوابة وقت المساء من أجل
أن يدخل الذين بالخارج أيضا فى اطمئنان ، وفتحوا القلعة ليلا ، ودخل
الجيش ، وجعل تاتار خان يسلم القلعة مجبرا أراد أو لم يريد ، واستولى
على القلعة من قبضته القوية ، وسلم المشار اليه القلعة الى رحيم داد ،

وقد زادت القلعة حصانة وحماية الدولة وهيبتها ، وسلم محمد زيتون.
ايضا قلعة دهولبور مجبرا وقيل الاعتاب الملائكية ؛

« صارت الدنيا بعظمة الدولة وحاكمها مثل قصر أرم (٥١٧)
وروضة العالم »

« وصلت اليه بشرى الظفر من كل ناحية ، ودوى صوت الأمان فى
كل مكان »

المهم عندما وصل رانا سنكا الى حدود بيانه استولى على الممالك.
المسخرة للسلطان ، واستولى على الأموال يوما بعد يوم ، وكان السلطان.
مع قليل من الجيش فى دار السلطنة أكره ، وكان قد أرسل باقى العساكر
المنصورة الى كل ناحية وأصدر أمرا واجب الامتثال باستدعاء الأمير
محمد همايون ميرزا من الولاية الشرقية وأن يسلم جونبور الى بعض
الأمراء والقواد ، ويعود على وجه السرعة ، ووصل فرسان السعادة
الى الأمير الموفق حين انتصر على الأعداء الشرقيين واستولى على
ممالك جونبور ، واطلع على حقيقة الأمر ، وفى هذا الوقت وصل خيسر
نصير خان الذى أراد عبور نهر الكنك والفرار من غازى پور ، وانعطف
الأمير العسال صوب هذه الناحية ومد طريق الفرار أمام نصير خان من
غازى پور ، وأدبه أدبا بالغا ونهب وسلب خير أباد وبهار ، وجعل
عاليها سافلها ، وتحرك لواء الدولة صوب جونبور وحسب الحكم
السلطانى ولى خواجه أمير شاه حسين وأمير جنيد برلاس على حكومة
جونبور ، وتوجه الى البلاط السلطانى ، وأدرك الأمير الشاب أنه من أجل
المصلحة والوقت من المهم تدارك أمر عالم خان كالبى ؛ الذى كان من
عظماء دولة الأفغان سواء بالمصلح أو الحرب ، واندفعت العساكر
المنصورة على كالبى وبسبب استيلاء الخوف على عساكر عالم خان
فقد دخل فى سلك تابعى السلطان ، ولازم ركاب الظفر ، ونال الانعامات
الملكية الرفيعة ، وفى نفس هذا اليوم تصادق مع قدوة الأعظم والأكابر
خواجة « محمد غوث » الذى وصل من كابل .

ولما كان الجيش الظافر مستعدا لدفع رانا سنكا أمر ان ينظمو
المدفعية جيدا ، ويهتمون باستعدادهما ، واهتم استاد على قلى باعداد.
هذا الأمر الذى كان مجال اهتمام السلطان .

فى اليوم التالى نصب سرانقات عظيمة فى سواد بلدة آكره بنية
الجهاد مع رانا سنكا فى هذا المكان ، وجاء خبر سيطرة جيش الكفان.

(٥١٧) « ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » الفجز ٧، ١١٠

مؤكدًا ، واتضح أنه قد وصل الى قرب بيانه بجيش أكثر من النمل
والجراد (٥١٨) ، واجتمع فى هذا المكان بالعسائر وأرسل الطلائع لجمع
المجاهدين ودق طبول الارتحال والسفر فى الجهات الست ، وصعد
ضجيج الطبل والنفير الى الفلك وعلى الأثير ، ونزل بعد مسافة حول
قصبه مندهاكر ، وفى اليوم التالى أمر ب نصب الخيام فى نواحي كول
سيكرى المشهورة حاليا (٥١٩) بفتحبور بمشورة الأمراء أصحاب
التدبير ، وأرسل الطلائع لمنع العدو من العبور الى قصبه بسادر ، وأراد
أن يتحقق من أخبار مرور ونزول العدو من مكان الى مكان حتى يأتى
الجيش الظاهر للمواجهة ، ونزل مع وجود فاصل قرابة اثنين أو ثلاثة
فراسخ ، وجمع السلطان الأمراء ذوى الاقتدار وسائر أهل الاعتبار
وأحدى الرجال ، وعقد مجلس المشورة ورأى أكثر الناس أن يستولى
البعض على القلاع ، وأن يتقدم السلطان بالنفس والنفيس وأكثر الجيش
الى ولاية البنجاب ، وينتظر الهدية الربانية ، وسمع السلطان كلام كل
شخص ، وبعد تأمل طويل قال بلسانه الجوهري الكريم : ماذا يقول
سلاطين الاسلام الذين هم فى أطراف واكناف العسالم ؟ وبأى لسان
يذكروننى ؟ وبماذا اعتذر غدا يوم القيامة الى شفيع يوم الحشر من قول
وطعن وملامة أهل الدنيا ؟ ان هذه المملكة انفصلت عن يد سلطان
الاسلام ، وقتل خلق كثيرون كانوا قريبين من ملتنا وساتولى عهدة هذه
الولاية ، واليوم وأمام هذا الكافر ليس بيدي أقل عذر شرعى بعدم
الغزو كى أبحث عن طريق العودة تاركاً ما يصل خلق هذه الديار من
هؤلاء الكفار ، فهيهات أن يكون هذا ، لأنه ينبغى أن يوضع القلب على
الشهادة ؟

« عندما يكون ضرورياً أن تذهب الروح من الجسد ، فمن الأفضل أيضاً
أن تصل بالعزة »

« نهاية العالم هي نفس هذا وكفى ، ولكن الاسم يبقى طيباً وكفى »

نادى المنادى الجهاد الجهاد ، ومن تأثير هذا النداء اشتعلت
النار بالروح ، واتحد الجميع وقالوا بلسان واحد « سمعنا
وأطعنا » (٥٢٠) وصاحوا لتكن القبلة هي المراد وفداؤها الأرواح ، ونحن
طوعاً لكل أوامرك ، وأخيراً قرر أن يحضروا المصحف الشريف بين الجميع

(٥١٨) كان عدد جيش راناسنكا مائة وعشرين ألف فارس (٠كلبدن٠ بيكم -

همايون نامه ص ١٨)

(٥١٩) سنة ١٠٠٢ هـ

(٥٢٠) البقرة : ٢٨٥ .

واقسموا على الكلام الربانى مورد الثقة والاعتماد على اللطف الالهى ،
ونظم القلب والجناح والمينة والميسرة ، واستمدوا من الفاتحة النصر
والظفر ، واتيتوا القدم على « وجاهدوا فى سبيل الله » (٥٢١) وحاربوا
بكل هذه البهجة والسرور محاربة الأسود الجسورة الهصورة ، وكانما
هو وقت المنة وليس وقت الهيجاء ، وخاصة الأمير العالم محمد همايون
ميرزا الذى أبدى شجاعة ، واقتحم جيوش الكفار مرات ، وهجم عدة
هجمات حتى جعل الحق سبحانه وتعالى الفتح والظفر من نصيب سلطان
الاسلام ، ونكب وانقلب الكفار ٠٠٠

وكان حسن خان ميواتى الذى كان مرتدا وموافقا لهذا الكافر فى
هذه المعركة ، ووصلوا اليه وعلى الرغم من وجود ثلاثين ألف (٥٢٢)
فارس من جيشه الخاص لكن رجال جيشه فروا وهربوا ، وسجد
السلطان بابر سجدة شكر لهذا الفتح المبين ، ورفع لواء الحمد الالهى ،
وأرسل رسائل فتح الى اطراف وأكناف ولايته ، وجمع الجميع لتسخير
ممالك الهندوستان كلها ، واهتم يوما بعد يوم بأمور المملكة ، وطهر
الهندوستان من الأراذل والأسافل وأرياب الفتنة والفساد .

وفى سنة ٩٣٧ هـ طرأ على الذات المباركة لباير بادشاه المؤمن
مرض ، وأسرع فى الخامس من جمادى الأول من السنة المذكورة من عالم
المحن الى العالم المقدس ، وكانت مدة سلطنة هذا السلطان ثمانية
وثلاثين عاما كان فيها خمس سنوات فى الهندوستان ، ووصل الى
السلطنة فى سن الثانية عشرة وودع الدنيا فى سن الخمسين :

« لمن يكون للسماء فضل الا بالجور ، أمرها أن تجعل الكبد يدمى كل
لحظة »

« حتى لا تعط للأقحوان التاج ولا تجعل له الشرف وحتى لا يظلم
ظلم الأجل »

« ويبرد هذا القصر المحبوب منها وهو مثل كبدى مقولتك جعلته يرفرف »
« ليس لمفلك أسلوب الا الجفاء ، الوفاء فى طينته ليس وفاء »

ان بعض خصوصيات احوال هذا السلطان هى من غرائب الأمور ،
من جعلتها أنه كان يجرى ويقفز بحذاء ندى ساق طويلة على مسننات
القلعة ، وأحيانا كان يتأبط رجلين تحت أبطه ويقفز من سنن الى آخر ،

(٥٢١) التوبة : ٢٠ .

(٥٢٢) اثنى عشر ألف فارس (كلبدن بيكم - همايون نامه ، ص ١٨) .

واخترع خطا أسموه بالخط البابرى ، وكتب مصحفا بهذا الخط وأرسله الى مكة ، وكان يقرض شعرا فارسيا وتركيا جيدا ، واعتنى بكثير من الفضلاء والعلماء (٥٢٢) ونظم كتابا فى الفقه الحنفى باللغة التركية أسموه بأسم « مبین » ورسائله وعروضه مشهورة ، وتفصح وقائمه المكتوبة بالتركية عن فصاحته .

ذكر سلطنة الأمير السعيد همايون بادشاه بابر بادشاه :

لما كانوا قد ذكروا فى اصطلاح هذه السلسلة العالية أن هذا السلطان يلقب بـ « جنت آشيانى » فأننى أيضا لن أحميد عن الاسم المشهور لهذا السلطان السعيد ، جنت آشيانى .

المهم عندما رحل السلطان بابر بادشاه فى أكره عن الدنيا الفانية الى الجنة الباقية ، فى هذه الأيام كان قد انتظم والد مؤلف التاريخ محمد مقيم الهروى فى زمرة تابعى السلطان بابر وكان يعمل بوظيفة « ديوان بيوتات » (٥٢٤) ولما كان الأمير نظام الدين على خليفه ، الذى كان مسئولاً عن حكومة السلطنة كان يخشى ويخاف الأمير الشاب همايون محمد ميرزا بسبب بعض الأمور التى وقعت فى المعاملات الدنيوية ، لذا لم يكن راضيا عن سلطنته ، ولما لم يكن راضيا عن سلطنة الابن الكبير وكان راضيا عن الابن الصغير ونظرا لأنه كان كريما وله علاقة طيبة مع أمير خليفة لذا قرر أمير خليفة أن يرفعه الى السلطنة ، وشاع هذا الكلام بين الناس ، فذهبوا أيضا للسلام على مهدي خواجه ، وأدرك هو أيضا هذا المعنى ، فسلك سلوك السلطنة ، وحدث أن ذهب مير خليفة للقاء مهدي خواجه الذى كان فى خيمته ، ولم يكن فى هذه الخيمة سوى مير خليفه ووالد المؤلف محمد مقيم ومهدي خواجه ، وعندما جلس مير خليفه لحظة استدعوه بسبب مرض السلطان بابر المفاجيء وعندما خرج مير خليفة من خيمة مهدي خواجه ظل مهدي خواجه جالس فى الخيمة وظل والد المؤلف واقفا خلفه مراعاة للأدب ، ولما كان مهدي خواجه مصابا بالحنثن ، وكان خالى الذهن من وجود والد المؤلف ، وبعد وداع مير خليفة ، ووضع يده على رأسه وقال :

« أن شاء الله أننى سأسلخ جلدك أولا » وبمجرد قول هذا رأى والد المؤلف ، تغير وأخذ أبى من أذنه ، وقال ، أيها التاجيكى (٥٢٥) .

(٥٢٢) من شعراء وفضلاء عصره مولانا بقائى وخواجه كلان بيك ومير آخوند (منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٤١) .

(٥٢٤) المسئول عن المحال التجارية ويسمى أيضا « ناظر بيوتات » (ماجمدار : تاريخ الهند بالانجليزية ، ص ٥٥٧) .

(٥٢٥) التاجيكى هو فى الاصل تازيك وكان الايرانيين أول من أطلقها على العرب ، =

« ان طرف اللسان الأحمر يستخدم فى اللغو »

واستاذن أبى وخرج ، واسرع أبى الى مير خليفه وقال له مع انك لمن تجد افضل من محمد همايون ميرزا واخوته ذكاء ، تغض النظر عن الحلال وتريد ان تنقل هذا الملك الى أسرة غريبة ، ونتيجة هذا لن تكون الا ذلك ، وروى كلام مهدي خواجه ، فأرسل مير خليفه من ساعته شخصا بسرعة فائقة لاستدعاء همايون ميرزا ، وأرسل القواد الى مهدي خواجه بأن السلطان قد أمر بحمله الى منزله ، وفى هذا الوقت كان مهدي خواجه يتناول الطعام ومد المائدة ، وتجمع القواد حوله ، وحملوه الى منزله سواء أراد أم لم يريد ، وبعد ذلك أمر مير خليفه أن يتنادى المنادى بالا يذهب أى شخص قط الى منزل مهدي خواجه ولا يسلم عليه ، والا يأتى هو الى البلاط .

وعندما انتقل السلطان بابر من العالم الفانى ، ووصل همايون ميرزا من سنبل ، جلس بسعى الامير نظام الدين على خليفه وكيل السلطنة على عرش الحكم ومسند الدولة فى التاسع من جمادى الأول سنة ٩٣٧ هـ (٥٢٦) وجعل اكره مقرا له « ٥٢٧ » وخيبر الملوك (٥٢٨) تاريخ لجلوس هذا السلطان وقدم لوازم التكريم ، وحظى الامراء والاعيان بالانعامات الملكية العالية ، وقرر المناصب والأشغال التى كانت بعهدة الرجال فى أيام بابر كما هى فى سابق عهده ، وسعد كل واحد بعناية جديدة ولطف غير محدود ، ووصل ميرزا هندال من يدخشان فى نفس هذه الأيام ونال الانعامات ، وتباهى بما أنعمه عليه من خزائن السلاطين السابقين التى وقعت فى يده وعندما قسم الذهب بالمصندوق صارت « كشتى زر » (٥٢٩) تاريخا لذلك ، وقسم البلاد بالمره وأنعم على ميرزا هندال بولاية ميوات (٥٣٠) وأقر ميرزا كامران على ولاية البنجاب وكابل وقندهار (٥٣١) وأنعم على مرزا عسكرى بسنبل ، وخص كل

= وانتقلت الى الصين ، ويحتمل ان تكون قد وصلت للترك حسب النطق التركى « ته زيك » ، وتغيرت دلالة اللفظ بعد ذلك ، وفى القرن الحادى عشر كانت تطلق على الايرانيين ، وأغلب الظن ان الأتراك أطلقوها على العرب وحدهم ، ثم أطلقوها على كل المنتسبين الى المدينة الاسلامية ثم بعد ذلك على الايرانيين خاصة لان الأتراك كانوا يعرفونهم أكثر من غيرهم (تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - يارتولد ترجمة احمد السعيد سليمان ص ٢٨-٣٩) .

• (٥٢٦) أبو الفضل بن المبارك ، ص ١٢٨ .

• (٥٢٧) ولى سنة ٩١٦ هـ فى ٤ ذى القعدة (اكبر نامه ، ص ١٤٩) .

• (٥٢٨) خير الملوك = ٩٣٧ هـ .

• (٥٢٩) كشتى زر = ٩٣٧ هـ (بداوى ج ١ ص ٣٤٤) .

• (٥٣٠) ميوات وألور (اكبر نامه) .

• (٥٣١) ولى كامران على كابل وقندهار وطبخ فى البنجاب

أمير من الأمراء بمزيد من الاقطاعات (٥٣٢) وبعد انتظام مهام السلطنة تحركت الرايات العالية الى كالمينجر ، وتقدم راجه هناك طائعا مواليا ، ودخل ضمن مؤيدي الدولة (٥٣٣) ولما كان السلطان محمود ابن السلطان سكيندر لودي في هذه الأيام قد رفع بالقوة والاستعلاء راية العداة والاتفاق مع ابن بايزيد وأمراء الأفغان وكان قد استولى على ولاية جونيور ونواحيها ، ومن هناك توجهت رايات السلطان لدفع ورفع هذا ، وتحقق له النصر والفوز ، وعاد أيضا ركاب النصر والظفر بالنجاح والتوفيق الي آكره (٥٣٤) وأقام حفلا عظيما ، ونال كل أمير من الأمراء واعيان السلطنة الخلع الفاخرة والجياد ، ويقال انه في هذا الحفل الرفيع نال اثنا عشر ألف شخص أردية مرصعة بالذهب .

« كان للملك سيطرة على العدو ، مثل جيش هاديء ومنعم ،
 » والأسفاه لديهم جيش كبير ، والأسفاه نفض يده من السيف ،

ومن الصدف الغريبة في تلك الأيام هي ان محمد زمان مرزا بن بديع الزمان مرزا بايقرا (٥٣٥) الذي كان قد لجأ من قبل سي بلخ بالسلطان بابر ، ودعا الى المعارضة ، وأسروه (٥٣٦) وسلموه ليادكار طغيا ، وأرسله الى قلعة بيانه وأمر بسمل عينيه واعماهه ، ولكن خدم يادكر بهك انقذوا انسان عينه من ضرر السمل (٥٣٧) وفي مدة وجيزة فر من السجن ، ولجأ الى السلطان بهادر كجراتي وأرسل السلطان همايون الى السلطان بهادر طالبيا محمد زمان ميرزا ، ورد السلطان بهادر بجواب غير ملائم بسبب تكبره وتجبره ، وأبدى عداة وتمردا ، وتحرك عرق الغيرة والحمية الملكية ، فعزم السفر الى الكجرات وتأديب السلطان بهادر ، وفي نفس هذا الوقت نهضت رايات الفتح صوب كواليار ، وقضى شهرين في التتزه والصيد ، وعاد .

وحدث في هذا الوقت ان حاصر السلطان بهادر بجيوش الكجرات ومالوه قلعة جتور وقاتل راناسنكا ، وأرسل تاتارخان لودي وكان من

- (٥٣٢) . انعم على ميرزا سليمان بيدخشان ج ١ ص ٣٤٤) (اكبر نامه ج ١ ، ص ١٥١) .
- (٥٣٣) فتح همايون كالمينجر (بداوني ج ١ ص ٢٤٤) .
- (٥٣٤) ترك سلطان جنيد برلاس على جونيور (اكبر نامه ج ١ ، ص ١٥٢) .
- (٥٣٥) محمد زمان مرزا بن بديع الزمان ابن السلطان حسين بايقرا (اكبر نامه ج ١ ص ١٥٢) .
- (٥٣٦) سجن محمد زمان ميرزا بسبب قتله حاجي محمد كوكا (كلبدين بيكم ، ص ١١٤) .
- (٥٣٧) سجن محمد زمان ميرزا ومحمد سلطان مرزا وولي خوب مرزا في بيانه وسمل عيني محمد زمان وولي خوب (اكبر نامه ص ٢٨٩) .

أمرائه ذوى الشأن لشجاعته وقدرته لتسخير قلعة بيانه ، واستولى على قلعة بيانه ، وأخذ يهدد آكره •

أرسل السلطان همايون مرزا هندال لصدده ، وتفرق أكثر جيشه عند معرفة خبر قدوم مرزا هندال ، وواجهه بثلاثمائة شخص وهاجم الجيش جيش الميرزا ، وقامت الحرب ، وقتل جماعة من مراقبيه ، ودخلت بيانه وتوابعها تحت سيطرة رجال الدولة الناهضة ، واضطرب السلطان بهادر عند سماع هذا الخبر •

تقدم السلطان همايون فى هذا الوقت (٥٢٨) لتأديب السلطان بهادر ، وشحن همته ، وتوجه من آكره بعزم صادق ، وجاء السلطان بهادر من الكجرات فى المرة الثانية ، وعمل على محاصرة جتور ، وفى نفس هذه السنة ذهب مرزا كامران من لاهور الى قندهار وفتحها ، وتفصيل هذا الاجمال هو أنه حين عزل شاه طهماسب غرور خان عن حكومة هرات وعين صوفيان خليفه ، اغوى غرور خان سام مرزا أخا الشاه ليرفعه على حكومة قندهار وحتى يرسله لفتحها لتكون ملاذ له ، وتحصن خواجه كلان بيك الذى كان حاكما لقندهار من قبل كامران ، وحاصر سام ميرزا وغرور خان قلعة قندهار ثمانية أشهر ، ونظرا لأن خواجه كلان كان غاية فى الشجاعة والاقدام ، لم يجعل القزلباش (٥٣٩) يتقدمون خطوة ، وأسرع كامران مرزا لمشاهدة خواجه من لاهور واصطف فى نواحي قندهار لمهاجمة سام مرزا ويتديبر وشجاعة خواجه كلان بيك تحقق النصر ، وأسر غرور خان فى المعركة ، وقتل ، وهزم سام مرزا ، وفر المضطربون على حال سيئة الى الشاه ، وهذا المصراع تأريخ لهذه الحادثة :

« ضرب السلطان كامران سام » (٥٤٠)

عندما علم السلطان بهادر بتوجه رايات السلطان همايون ، عقد مجلس الحرب ، وقال أكثر جتوده من أنه ينبغي ترك محاصرة القلعة وقال صدرخان وكان من أعظم أمراء عصره أننا نحاصر الكفار وإذا جاء الينا فى هذا الوقت سلطان المسلمين يكون حاميا للكفار وسيشيع

(٥٢٨) غرة جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ (اكبر نامه ، ص ١٥٩) •
(٥٣٩) القزلباش : كلمة تركية أطلقت على المغول الذى كانوا أتباع الشيخ حيدر ، وكانوا يرتدون القبعات الحمراء والكلمة هنا تطلق على الجنود الفرس (شتايجس ، ص ١٦٩) •

(٥٤٠) « زده بانده كامران سام را » = سنة ٨٤١ وهى تأريخ خطأ •

هذا الأمر بين المسلمين حتى يوم القيامة ، ومن الأفضل أن نظل محاصرين للقلعة ، ومن العيب أن يأتي السلطان إلينا في هذا الوقت ، وعندما وصل السلطان همايون إلى سارنكبور من بلاد مالوه وصله هذا الكلام ، فتوقف لهذا السبب ، وسعى السلطان بهادر للاستيلاء على جتور ، واستولى عليها قهرا وجبرا ، وغنم مغانم كثيرة ، وأعد حفلا من أجل هذا الفتح العظيم وقسم ما كان قد غنمه على الجنود ، وتوجه إلى السلطان همايون ، وتوجه السلطان أيضا نحوه عند سماع خبر فتح جتور ، وتقابل الجيشان في مندرسور (٥٤١) من توابع مالوه ، وهزم السلطان (همايون) على خان وخراسان خان اللذين كانا قد التحقا بالسلطان بهادر وهزمهما الجيش الظافري أول لقاء ، وتحطم جيش الكجرات ، واستشار السلطان بهادر الأمراء وأرباب الحرب ، فقال صدرخان ينبغي أن نحارب غدا لأن الجنود قد قدموا من فتح جتور أقوىاء وحتى الآن لم يروا جيش المغول ، وقال رومي خان (٥٤٢) ، وكان مسئولا عن مدفعية السلطان بهادر ، ان المدفعية والبنادق لها فعاليتها في الحرب ، والمدفعية هامة جدا ، ونظر لأن هذه المدفعية التي لدينا لا مثيل لها الا عند قيصر الروم ، فان الصلاح أن يحفر الجيش خندقا حوله ويقاوم كل يوم ، وعندما يصل جيش المغول سيهلك أكثره من ضرب المدافع والبنادق ، وقبل السلطان بهادر هذا الرأي وأمر بحفر خندق حول المعسكر ، وتقابل الجيشان ليومين في مواجهة بعضهما ، وخرج الفتيان في أكثر الأيام في دفعات انتحارية ، وسعوا للحرب والقتال وكان جنود المغول لا يذهبون لمواجهة المدفعية ، وأرسل السلطان همايون الجيوش ، وحاصر أطراف جيش بهادر ، ومنع قدوم الغلة والوقود والحبوب وعندما مرت عدة أيام على هذا المنوال أصيب معسكر السلطان بهادر بالقحط ، ولم يجد غلة ، ونفذ العلف الذي كان في النواحي ، ولم يستطع الكجراتيون بسبب نقص السلاح وخشية السهام الابتعاد قليلا عن المعسكر ، ونفذ العلف ونفقت الجياد والأبل ومات أناس كثيرون من الضعف وهزم جيش الكجرات ، وعندما أدرك السلطان بهادر أن توقفه مرة أخرى سيوجب أسره خرج مع خمسة أشخاص من أمرائه المعتندين أحدهما حاكم برهانبور وآخر هو قادر شاه حاكم مالوه من خلف الخيمة ، وقروا صوب مندو ، وعندما علم الجنود بفرار السلطان فر كل منهم إلى ناحية ، وتأريخ هذه الواقعة « ذل بهادر » (٥٤٣) .

(٥٤١) على شاطئ نهر كبير (أكبر نامه ص ١٦٠) .

(٥٤٢) كان لقب « روس خان يطلق على المسئول عن المدفعية لانهم عرفوا المدفعية

عن طريق اتراك آسيا الوسطى أي الروم (البيوت ج ١ ط ١ الهند ص ٢٣) .

(٥٤٣) ذل بهادر يساوي سنة ٩٤٢ .

المهم ركب السلطان همايون بعد أن علم بفرار العدو عازما تعقبه ،
 ووصل الى صدرخان الذي كان قد فر مع جمع غفير بطريق مندو وطن
 انه السلطان بهادر ، فقصده ، ولم يكن برفعه سوى ثلاثة الاف شخص ،
 وكان باقى الجنود يغيرون على المغول ، وقتل كثيرا من جنود الحجرات
 وتعقبه السلطان حتى سفح قلعة مندو ، وحاصر السلطان بهادر فى
 قلعة مندو ، وامتد الحصار عدة ايام ، واخيرا دخل الجيش القلعة ليلا ،
 وكان السلطان بهادر نائما ، وحدثت ضوضاء عالية واضطرب الكجراتيون ،
 وسلكوا طريق الفرار ، وفر السلطان بهادر بخمسة او ستة فرسان بطريق
 الكجرات ، ولجا صدر خان و السلطان عالم الى قلعة سونكر وهى قصر
 فى قلعة مندو ، وبعد يوم واحد خرجا وحضر سلطان عالم وصدر خان
 وكان جريحا للالزمة السلطان همايون وسجنوا صدر خان بامر
 السلطان (٥٤٤) وقطعوا قدم سلطان عالم ، وترك السلطان القلعة بعد
 ثلاثة ايام ، وتوجه الى الكجرات ، وحمل السلطان بهادر الخزنة
 والجواهر ، التى كان يمتلكها معه من قلعة جانبانير (٥٤٥) وذهب الى
 احمد آباد ، وعندما ترك السلطان قلعة جانبانير وتوجه الى احمد آباد ،
 لم يكن للسلطان بهادر طاقة لمقاومته فذهب من احمد آباد الى كنيايت ،
 واستولى المغول على مدينة احمد آباد وانتهبت ، وسقطت فى ايديهم
 غنائم وفيرة ، وعجل جلالته بمتابعة السلطان بهادر ، وعندما وصل
 السلطان بهادر الى كنيايت بدل الجياد التى معه بجياد جديدة ، وتوجه
 الى ميناء ديو ، ووصل السلطان الى كنيايت فى آخر نفس اليوم الذى
 رحل فيه بهادر (٥٤٦) وفى آخر اليوم التالى جاءت امرأة (٥٤٧) متظلمة
 وقالت ان رجالا سيغيرون على هذه الناحية الليلة فسألها السلطان ما
 هو الدافع لهذه الشفقة على هذا الجيش اجابت ان ابنى اسير فى هذا
 الجيش ، وأريد أن أثبت حقى عندكم وأخلص ابنى ، وقضى السلطان
 الليلة بطولها حذرا ، وعند الصباح اغار خمسة او ستة الاف من
 المشاة (٥٤٨) وخرج الجنود الذين كانوا على استعداد من المعسكر ،
 وأطبقوا عليهم جميعا ، وأدخلوهم المعسكر ، وانتهبوهم وعندما طلع
 الصباح حاصر المغول الكجراتيين من الأطراف والجوانب ، وقتلوا الكثير

(٥٤٤) عومل صدر خان معاملة حسنة وقطعت قدم سلطان عالم لانه اثار التمرد

(اكبر نامه ، ص ١٦٤)

• (٥٤٥) اشعل النار فى المدينة قبل تركها (اكبر نامه ص ١٦٤)

• (٥٤٦) وعسكر على على شاطئ البحر (اكبر نامه ، ص ١٦٥)

• (٥٤٧) امرأة عجوز (اكبر نامه ، ص ١٦٦)

• (٥٤٨) قام بهذا الهجوم ملك احمد لاد وجمع من امراء بهادر شاه (اكبر نامه ،

ص ١٦٦)

منهم ، وكان جام فيروز الذى كان حاكما على تهته وهزم من جيش أرغون وجاء الى الكجرات ، وأعطى ابنته للسلطان بهادر ، وكان قد أسر اثناء هزيمة السلطان بهادر بيد جنود السلطان همايون ، وظن حراسه فى هذه الليلة أنه يفكر فى الهرب فقتلوه ، وفى نفس هذه الليلة قتل صدر خان الكجراتى فى قلعة سونكر والذى كان ملاما للسلطان .

رحل المعسكر الظافر فى اليوم التالى الى جوار قلعة جانباير ، وحاصر القلعة ، واستعد اختيار خان حاكم القلعة للدفاع عنها ، ودات يوم كان السلطان يتجول حول القلعة ، ووقع نظره على جماعة خرجوا من الغاية وعند رؤية الجيش خافوا وعادوا الى الغاية فعهد السلطان همايون الى قوة بمتابعتهم ، وقبضوا على عدد منهم ، وعلم أنهم يحملون الغلة والزيت الى القلعة بمساعدة زمينداران المجاورين ، الى هذا المكان المرتفع العالى (٥٤٩) ورأى همايون بنفسه الهمايونية (٥٥٠) نفس المكان الذى كان يسحبون منه الغلال ، وتفحص هذا المكان وعاد ، وخطر له خاطر ، ان القلعة حصينة من هذه الناحية وسيخطر لأهل القلعة أن يقللوا من حماية هذه الناحية ، فأعد الشيخ فولاد باعداد قوى ، وقاتلوا أهل القلعة نهارا من كل ناحية ، وفى الليل توجه ثلاثمائة شخص ، ودقت المجموعة المسامير الفولاذية ، وأحكموها وصعدوا ولما لم يكن يخطر ببال أهل هذه الناحية فقد صعد تسع وثلاثون رجلا وكان آخرهم بيرم خان وصعد أيضا السلطان الى أعلى (٥٥١) :

« ان شجاعة هذا الانسان هى زينة »

وبقاء الجوهر الأدمى يكون فخرا للرجال المضحين ، جعل من رأسه درعا للشجان » .

دخل القلعة ثلاثمائة شخص حتى طلع الصباح ، وكان فى نفس هذا الموضوع محل مخازن الغلال والزيت وما يحتاج اليه أهل القلعة ، وعندما أشرق الصباح ، هجم الجيش كله مرة واحدة على القلعة ، وكبر السلطان من أعلى ، وفتحت القلعة أمام الجنود ، وفتحوا هذه القلعة الحصينة ، ولجا اختيار خان (٥٥٢) بقصر القلعة وهو مشهور « بمولب » وقتلوا أكثر أهل القلعة ، وألقى كثير من النساء والشباب أنفسهم من القلعة ،

(٥٤٩) كان ستون أو سبعون قدما ارتفاعا (أكبر نامه ، ص ١٦٨)

(٢٥٠) همايونية صفة بمعنى السعيدة فهى من كلمة هما وهو طائر يجلب السعادة .

(٥٥١) أراد السلطان أن يصعد مع تسع رجال فطلب منه بيرم خان أن ينتظر حتى

يستجلى الأمر وصعد بيرم خان وتبعه السلطان (أكبر نامه ، ص ١٦٨) .

(٥٥٢) كان اختيار خان شاعرا (أكبر نامه ، ص ١٦٧)

وهلكوا ، وأخيرا خرج اختيار خان ولازم السلطان ، ولما كان اختيار خان من الكجراتيين الذين يمتازون بالفضيلة ، فقد انعم عليه وسلك فى سلك الندماء ، وقسم جلالة السلطان همايون خزائن سلاطين الكجرات التى كانوا قد جمعوها فى سنوات طويلة واستولى عليها الجنود ، وانتهب الأمتعة والأقمشة الرومية والأفرنجية والصينية والختائية (٥٥٣) التى كانت مخزونة فى خزائن حكام الكجرات ، واستولى الجيش على ذهب وأمتعة لا حصر لها بسبب ذلك ، ولم يستطع أى شخص قط أن يحصى دخل ولاية الكجرات فى هذه السنة .

أرسل أهل الكجرات رسولا الى السلطان بهادر برسالة يخبروه أن أكثر المناطق لم يحتلها المغول ، وإذا أرسلت جيشا فسندرسلك المال المقرر ، وأرسل السلطان بهادر غلامه عماد الملك الذى كان متصفا بالشجاعة ، وأعد عماد الملك جيشا ، ولما تجمع لديه قرابة خمسين ألف فارس (٥٥٤) ونزل بظاهر أحمد آباد ، وشرع فى تحصيل المال ، وعندما علم السلطان همايون بالخبر بعد فتح جانبانير وزع السلطان ذهبيا كثيرا على الجيش للمرة الثانية من غنائم الكجرات وسلم جانبانير لقردى بيك وتوجه بنفسه الى أحمد آباد ، وجعل ميرزا بيك وميرزا يادكار ناصر وميرهندوبيك على مقدمة الجيش وتقدموا عنه بمسافة يوم ، وتقاتل عماد الملك مع ميرزا عسكري فى نواحى محمود آباد (٥٥٥) على مسافة اثنى عشر فرسخا من أحمد آباد ، وهزم وقتل كثير من الطرفين ، وسمعت أنا من أبى (٥٥٦) الذى كان فى ذلك الوقت وزيراً لميرزا عسكري أن الجو وقت الظهيرة كان حارا جدا ، وأسرع الكجراتيون من أحمد آباد وكان ميرزا يادكار ناصر قد نزل على اليمينه وميرزا عسكري بمقدار نصف فرسخ وكان هندوبيك على اليسرة بنفس المسافة من الميرزا ونظرا لسرعة الكجراتيين لم تسنح الفرصة لميرزا كى ينظم الجيش ، فدخل مع عدد معدود فى منطقة أشواك ، ووقف ، ولم يهتم الكجراتيون بالميرزا ، واهتموا بالسلب والنهب واستولوا على غنائم كثيرة ، وتفرقوا ، وظهر ميرزا يادكار ناصر وميرهندوبيك فى ذلك الوقت بجيوش منظمة ، وسلك الكجراتيون سبيل الفرار ، وخرج ميرزا عسكري أيضا من هذه

(٥٥٣) الرومية أى التركية والأفرنجية أى الأوربية والختائية من بلاد الختاء

الصين .

(٥٥٤) التحق به مجاهد خان فى جناكره باثنى عشر ألف جواد (أكبر نامه .

ص ١٦٩) -

(٥٥٥) بين نارباد ومحمود آباد (أكبر نامه . ص ١٧١) .

(٥٥٦) نظام الدين أحمد وأبوه محمد مهيم الهوى .

الأشواك ، وأظهر نفسه ، وتعقبوا الكجراتيين حتى أحمد آباد ، وقتلوا
فى هذه المعركة أكثر من ألفى شخص .

المهم ، أنعم السلطان همايون على ميرزا عسكرى بأحمد آباد
وتوابعها منذ ذلك الفتح (٥٥٧) ، وجعل ميرزا يادكار ناصر مسئولاً عن
نهرواله وبتن ، وعين ميرهندوبيك على بروج وتردى بيك على جانباينير ،
وأنعم على قاسم حسين ببروده ، ونال خانجهان شيرازى وأمراء آخرون
أيضاً الأنعامات ، وعاد السلطان همايون بالنصر والفتح ووصل الى
برهانپور ومنها توجه الى مندو .

بعد فترة قام أحد أمراء السلطان بهادر فى نوسارى قرب سورت
بإتحسين المكان ، وسيطر على أهالى نوسارى ، وهاجم رومى خان (٥٥٨)
تابع خانجهان بهروج من بندر سورت ، ولم يستطع قاسم حسين مقاومته
ففر الى جانباينير ، وشرع الكجراتيون أيضاً فى العصيان فى كل ناحية ،
وحدث خلل فى كل جانب .

وحدث ذات ليلة أن جرى على لسان ميرزا عسكرى فى مجلس
شراب بسبب السكر ، اننى السلطان ظل الهى ، وغمغم غضنفر الذى
كان من رفاق الأمير وأخو مهدى قاسم قائلاً « أنك ثمل » فضحك
نهماؤه ، وأدرك ميرزا حقيقة الضحك ، فغضب ، وألقى غضنفر فى
السجن ، وبعد عدة أيام فر من السجن (٥٥٩) وذهب الى السلطان
بهادر ، وحرصه للقدوم الى أحمد آباد ، وقال : « اننى أعلم من خلال
مشورتى للمغول أنهم يفكرون فى الفرار ، اسجنى واذهب الى المغول
فإن جاء المغول للحرب اقتلنى » واتفق السلطان بهادر مع زمينداران
ولاية سورت (٥٦٠) وتوجه الى أحمد آباد ، وفى هذا الوقت حرض ابن
هندوبيك ميرزا عسكرى كى يجعل الخطبة والسكة باسمه ، وأن يرفع
إزاء السلطنة ، وسوف يضحى الجنود فى ملازمته ويحققوا أمله ، ولم
يقبل ميرزا عسكرى هذه النصيحة ولم يوافق أيضاً وبعد الجدل
الطويل قرر ميرزا عسكرى وميرزا يادكار ناصر وأمير هندوبيك والأمراء
الآخرون ترك أحمد آباد ، وأقاموا المعسكر خلف أسول (٥٦١) فى

-
- (٥٥٧) لم يسمح بدخول المدينة الا لرجال مرزا عسكرى (اكبر نامه ، ص ١٧٢)
 - (٥٥٨) رومى خان خدا وند ١
 - (٥٥٩) لمر بثلاثمائة جواد (اكبر نامه ، ص ١٧٤)
 - (٥٦٠) سورت من مقاطعات كاتيوار ١
 - (٥٦١) بظاهر أحمد آباد

مواجهة سركنج » ونزل السلطان بهادر أيضا فى سركنج ، وتقابلا ، وحدثت أن انطلقت قذيفة من جيش ميرزا عسكرى ، فقلبت بلاط السلطان بهادر ، واضطرب السلطان بهادر ، واستدعى غضنفر للحضور لعاقبته ، فقال غضنفر اتعاقبنى قبل أن تنظم الصفوف ! ، لقد وصلنى أن ميرزا عسكرى سيفر ليلا ، وعندما حل المساء ، ترك ميرزا المعسكر بموافقة الأمراء ، وذهب الى جانبانير ، ونزل على مسافة عشرة فراسخ ، وتعقبه السلطان بهادر ، ووصل اليه ، وركب ميرزا عسكرى والأمراء الحرب السلطان بهادر ، وقام بحركة انتحارية ، وعاد ، وعندما وصلوا الى جانبانير ثار تردى بيك عليهم وتحصن ، وأخبر السلطان همايون أن ميرزا عسكرى قد سلك طريق العصيان ، ويعتزم الوصول الى آكره ، ويرفع لواء السلطنة ، وقبل أن يفر ميرزا عسكرى من أحمد آباد ، ومع أن العيون وكتاب الوقائع (٥٦٢) قد عرضوا أن الكلام الذى عرضه مير هندوبيك بصدد سلطنة ميرزا عسكرى من أن ميرزا لم يقبله ، وكتبوا الى السلطان همايون أن ميرزا يفكر فى المعارضة ، المهم توجه السلطان همايون بسرعة تامة الى آكره ولازمه ميرزا عسكرى فى نفس الطريق (٥٦٣) وعرض عليه حقيقة الأمر ، وتصالح السلطان بهادر مع تردى بيك فى جانبانير .

وفى أوائل هذه السنة جاء شاه طهماسب (٥٦٤) الى قندهار للانتقام من ميرزا (كامران) وأخلى خواجه كلان بيك القلعة ، وتوجه الى لاهور ، ويروون أن كلان بيك كان قد أقام بيتا صينيا بكامل أبته ، وعند الفرار كان مؤثنا بالابسطة النفيسة والأواني الجميلة ، مما سر الشاه وسلم الشاه قندهار للأمراء ، وذهب الى العراق (٥٦٥) وعاد ميرزا كامران من لاهور الى قندهار ولم يكن لدى التركمان مقدرة للمقاومة فخرجوا من القلعة آمين ، وذهبوا الى العراق ، ودخلت قندهار تحت سيطرته ثانية .

المهم عندما وصل السلطان همايون الى آكره ، واستقر عاما واحدا ، قضاه فى المرح واللهو ، وكان السلطان بهادر قد أرسل محمد زمان ميرزا وقت الهزيمة الى الهند ليثير الفساد ، وجاء محمد زمان

(٥٦٢) وقائع نويس .

(٥٦٣) قرب جتور (اكبر نامه ، ص ١٧٦) .

(٥٦٤) شاه طهماسب صفوى (٩٣٠ هـ - ٩٨٤ هـ) حاكم ايران .

(٥٦٥) يقصد بالعراق « ايران » .

ميرزا الى لاهور (٥٦٦) وقتما كان ميرزا كامران فى قندهار ، وحاصرها وعندما سمع خبر عودة السلطان همايون ، عاد الى الكجرات ، وكان شيرخان (٥٦٧) يستولى على ولاية بهار وجونپور وقلعة جنار اثناء وجود السلطان همايون فى ولاية الكجرات ومالره ، وكان قد قسوى نفوذه تماما وأدرك السلطان همايون أثار الله برهانه أنه من الأولى دفع فتنته ، فتوجه فى الرابع عشر من صفر سنة ٩٤٢ هـ بجيوش منظمة لصد شيرخان ، وعندما نزلت رايات السلطان همايون بظاهر قلعة جنار. (٥٦٨) جاء رومى خان الذى كان عند السلطان بهادر ملازمة السلطان ونشال الرعاية (٥٦٩) ، وتعهد بفتح هذه القلعة ، وسمح له السلطان ، وأمن أن يعدوا ما يطلبه لتسخير القلعة ، وتفقده رومى خان أطراف القلعة ، وعلم أن كل ما يتصل باليابسة من القلعة حصين تماما وإن تصل يد تدبيره الى القلعة من هذه الناحية ، وبناء على هذا أقام من ناحية النهر سفينة كبيرة ، وشرع فى إقامة سابات أعلى السفينة ، وعندما ارتفع السابات لم تستطع السفينة حمله فأقام سفينة أخرى على ناحية وأخرى على الناحية الأخرى وربطهما بالأولى ، ورفع السابات مرة أخرى ، ولم تتحمل السفينة أيضا نفس هذه الطريقة فأقام سفينة أخرى ورفع السابات الى القلعة ، ووصل السابات الى القلعة مرة أخرى ، وعندما رأى قواد هذه القلعة أن أمر الحرب ذهب من أيديهم ، ركبوا السفينة ليلا وذهبوا الى البلاط (٥٧٠) ، ونال رومى خان الانعامات من السلطان همايون ، وبأمر السلطان قطعوا يد حملة البنادق الذين كانوا فى هذه القلعة .

كان شيرخان أفغان يقاتل حاكم البنغال (٥٧١) وفر حاكم البنغال جريحا أمامه ، ولجأ الى بلاط السلطان همايون ، وتوجه السلطان الى البنغال على عجل ، فأرسل شيرخان ولديه جلال خان وخواص خان (٥٧٢) لحماية كرى الواقعة على طريق البنغال ، وكرى مكان حصين يقع على طرفه جبل مرتفع وغابة عظيمة. لا يمكن أحد أن يفكر فى الصعود

-
- (٥٦٦) ذهب الى لاهور حين كان كامران فى قندهار وحاصر شاه حسين بن شاه بيك أرغون وعاد الى الكجرات بمجرد عودة كامران (اكبر نامه ص ١٧٧)
- (٥٦٧) شير خان مؤسس دولة الأفغان السورية .
- (٥٦٨) كانت تحت سيطرة قطب خان بن شير خان .
- (٥٦٩) بعد هزيمة السلطان بهادر فى مندو (اكبر نامه ، ص ١٨٢) .
- (٥٧٠) منهم حاكم القلعة ولكنه تولى بعد عدة أيام مسعوما وتولى أمر جنار بيك ميرك (اكبر نامه ، ص ١٨٤) .
- (٥٧١) وهو سيد محمود شاه ويدعونه أبا الفضل نصيب شاه. ولكنه تولى (اكبر نامه ، ص ١٨٢) .

عليها مطلقا ، وعلى الطرف الآخر يتصل بنهر الجانج ، وكرى فى الوسط بين بهار والبنغال ، وأرسل السلطان جهانكير بيك مغل لمهاجمة كرى ، وكان هندال ميرزا قد التحق برفقة الراكب الظافر حتى منكير ، وبعد ذلك سمح له السلطان بالسفر الى آكره لصد محمد سلطان ميرزا ، وألغ ميرزا وشاه ميرزا الذين كانوا قد فروا من السلطان ، وأثاروا الفساد فى الدولة ، ولما لم يحقق محمد زمان ميرزا النجاح فى الكجرات أرسل الرسل الى السلطان وطلب الأمان ، ونال الأمان ، وتوجه الى البلاط (٥٧٣) .

عندما وصل جهانكير بيك الى كرى ، توجه جلال خان بن شيرخان بخواص خان الى هذه الناحية ، ووصلا وقت نزول الجيش ، وهزما جهانكير بيك ، فعاد جهانكير بيك الى السلطان جريحا ، ورحل السلطان ووصل الى بوابة كرى ، ولما لم يكن لدى جلال خان وخواص خان طاقة للمقاومة فرا ، وترك للسلطات كرى ، ودخل كرى ، ودخل البنغال ، ولم يستطع شيرخان مقاومته فذهب من طريق جهاركند (٥٧٤) الى رهتاس ، وتوقف السلطان ثلاثة أشهر فى البنغال (٥٧٥) وأطلق على مدينة « كور » اسم « جنت آباد » .

انتهز ميرزا هندال الفرصة فى آكره سنة ٩٤٣ هـ (٥٧٦) ورفع أواء العصيان بغواية المفسدين (٥٧٧) وقتل الشيخ بهلول وكان من مشايخ عصره وله فى علم الدعاء بالأسماء الحسنى ، وكان السنطان يحسن الاعتقاد فيه ، وبوشاية أهل الفتن الذين أرادوا الاساءة للميرزا عند السلطان همايون بحجة أنه متفق مع الأفغان ، وقرأ هندال الخطبة باسمه (٥٧٨) .

-
- (٥٧٢) خواص خان ليس ابنا لشيرخان وهو ابن غلام شيرخان (ملبقات اكبرى ، ص ٢٢٥) .
- (٥٧٣) حدث هذا قبل السلطان الى جنار . (اكبر نامه ، ص ١٧٦) طلب الأمان بعد غرق بهادرخان (بدوائى ج ١ ص ٣٥٨) .
- (٥٧٤) حاكمها راجه جيتا من يرهمن (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .
- (٥٧٥) فضل همايون طريق البنغال (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .
- (٥٧٦) ذهب الى آكره دون وداع (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .
- (٥٧٧) قال اتباعه اذا صارت الخطبة باسمك فنحن سنخدمك باخلاص ونؤيدك والا نذهب الى كامران فهو يأمل ذلك (اكبر نامه ، ص ١٨٧) .
- (٥٧٨) كان السلطان يحب هندال كثيرا فى صغره وشيئا فشيئا أخذ لا يطيق رؤيته (همايون نامه كلبدن ، ص ١٠٦) .

عندما وصل هذا الخبر الى مسامع السلطان همايون ترك البنغال لجهانكير بيك وترك معه خمسة آلاف فارس من الفرسان لمعاونته وتوجه الى آكره ، وجاء محمد ميرزا بن بديع الزمان ميرزا من الكجرات فى ذلك الوقت ملازمة السلطان وهو فى خجل شديد ، وعفا السلطان عن جرائمه ولم يعاقبه ، بسبب طول السفر وسوء طقس البنغال نفقت أكثر جياد الجنود ، ووصل الى جوسا دون اعداد كامل ، ولازمه الأمراء الذين كانوا قد توقفوا فى جونبور وجنار وأوده ، وعلم شيرخان بتفكك الجيش ، فاقرب لمواجهة السلطان ، وامتدت مدة المواجهة ثلاثة أشهر .

وعلم مرزا كامران بعد عودته من قندهار الى لاهور بعصيان مرزا هندال وعودة السلطان وقوة وغلبة شيرخان فعزم السفر الى آكره ، وكان ميرزا هندال قد توجه الى دهلى ، ودخل ميرزا فخر على ميرزا يادكار ناصر القلعة ، وتحصنا (٥٧٩) ، وعلى الرغم من سعى ميرزا هندال لم يستطع أن يفتح دهلى ، وعندما وصل ميرزا كامران نواحى دهلى لم يجد ميرزا هندال بدا من لقائه (٥٨٠) ، وخرج مير فخر على أيضا من القلعة ، وزار ميرزا كامران وقال له : « ان ميرزا يادكار ناصر لن يعطيك قلعة دهلى فمن الأفضل أن نتوجه الى آكره ، وإذا استوليت على هذه الولاية ، سوف تكون دهلى لك » ولا جرم توجه ميرزا كامران الى دهلى ، وفى هذه النواحى انفصل ميرزا هندال عن ميرزا كامران وذهب الى كور .

وعندما وصل خبر عصيان ميرزا هندال ومجىء ميرزا كامران الى دهلى الى السلطان همايون فى جوسا ، مما زاد من أسباب الفرقة ، وأرسل شيرخان الشيخ خليل وهو درويش يقال أنه مرشده ، الى السلطان همايون لكي يعقد الصلح على أن يترك كل البلاد لى ما عدا البنغال وأقسم على كلام الله ، وطلب الصلح وقبل الخطبة والمملكة السلطانية ، وأرضى ذلك خاطر السلطان همايون ، وفى صباح اليوم التالى غافل شيرخان الجيش السلطانى ، ولم يتح الفرصة لاعداد الجيوش القاهرة ووقعت الهزيمة (٥٨١) ، وتقدم الأفغان الى الجسر ، وحطموه ،

(٥٧٩) عندما علم يادكار ناصر باقتراب هندال من دهلى ترك كالبى وتحصن فى دهلى (اكبر نامه ، ص ١٨٩) .

(٥٨٠) وصل كامران الى سنبات وتردد هندال فى العودة الى آكره وعند مجىء كامران ذهب الى الور (اكبرنامه) .

(٥٨١) صعد السلطان الى جبل وأمر بابا جلاير وتردى بيك وكوج بيك أن يؤمنوا السلطانية حاجى بيك ، وقتلوا دفا على باب خيمتها وأسرت بيد الأفغان (اكبر نامه ، ص ١٩٣) .

وركبوا القوارب ، واتسعت صفحة النهر ، وكانوا يغرقون كل من يجده على صفحة النهر أو على رأس الجسر من الجيش ، وأغرق محمد زمان ميرزا فى النهر ، واندفع السلطان الى النهر بجواده ولما أوشك على الغرق أخرجته سقاء (٥٨٢) من النهر ، وتوجه الى أكره .

ولما كان كامران ميرزا قد جاء الى أكره من قبل هذا ، وكان ميرزا هندال يقضى هذه الأيام فى المور مطمئنا ، ويصدق هذا البيت عليه :
« لا يمكننى أن أرفع الرأس أمامك فجلا ، اذا سألونى ماذا تفعل بعمرك »
وعندما وصل السلطان همايون الى أكره مع عدة فرسان (٥٨٣) ، كانوا قد رافقوه أثناء الهجوم وكان منهم والد العبد الفقير (٥٨٤) ولم يعلم ميرزا كامران أصلا بالخبر ، ودخل السلطان همايون فجأة خيمسة ميرزا كامران ، وقبل الميرزا القدم الشريفة ، وامتلات عيون الأخوين بالدموع ، وجاء هندال ميرزا بعد أن عفا السلطان عن جريمته ، ولازمه ، وجاء للملازمة أيضا محمد سلطان ميرزا وأبنائه الذين كانوا قد أثاروا العصيان فترة وفروا ، وبدأ السلطان فى المشورة فأراد ميرزا كامران العودة الى لاهور فى ذلك الوقت ، وأيدى توقعات لا حصر لها ، وقبل السلطان جميع الأعداء ما عدا العودة ، وسعى خواجه كلان بيك من أجل عودة ميرزا كامران ، واستمر الجدل ستة أشهر ، وإثناء هذا مرض ميرزا كامران بأمراض خطيرة (٥٨٥) ووشى له الوشاة أن هذا المرض من السم الذى دسوه له بأمر السلطان همايون ، وتوجه الى لاهور بسبب هذه العلة ، وأرسله أمامه خواجه كلان بيك ، وتعهد أن يترك جيشه فى أكره للمساعدة ، ولكن على الرغم من ذلك قرر أن يذهب معه الجميع ، وترك ألف شخص فى أكره تحت قيادة اسكندر وكان ميرزا حيدر دوغلات كشميرى (٥٨٦) الذى كان برفقة ميرزا كامران قد توقف مع السلطان همايون ونال رعايته ، ووافق ميرزا كامران أيضا كثير من جنود أكره ، وبسبب هذا الشقاق الذى وقع بينهم ، تشجع شيرخان وتقدم الى شاطيء نهر الجانج ، وعبرت جماعة النهر ، وانتبوا كالبى وأتاوة ، وقاتل قاسم حسين سلطان أوزيك ويادكار ناصر ميرزا واسكندر سلطان مع

(٥٨٢) سأله السلطان عن اسمه فقال ، نظام ، فقال له : سأجعل اسمك مشهورا أنك نظام الدين وستجلس على عرش دهللى وعندما استرد عرشه أجلسه على العرش ساعتين وطلب منه أن يسأل ما يريد ، وتكرت كلبدن بيكم أنه نظام أو سنبل (همايون نامه ، ص ١٩٤) .
(٥٨٣) كان معه مرزا عسكري أيضا (أكبر نامه ، ص ١٩٤) .
(٥٨٤) والد نظام الدين احمد .
(٥٨٥) ادعى المرض حتى مرض فعلا (كلبدن بيكم ، ص ٤٤) وكان يشك أن أم السلطان قد دست السم له (كلبدن بيكم ، ص ١٤٠) ولكنه مرض مرضا شديدا وظل ثلاثة أشهر لا يقوى على الحركة (تاريخ رشدى اليوت ج ٥ ، ص ١٣٠) .
(٥٨٦) لم يكن كشميريا ولكنه اكتسب هذا اللقب بعد حكم كشمير بعد ذلك بستين .

الأفغان فى نواحى كالمبى ، وقتلوا أحد أبناء شيرخان ، وكان قائدا لهذا الجيش ، مع جمع غفير وأرسلوا رأسه الى أكره ، وتوجه السلطان همايون لدفع شيرخان على نهر الجانج ، وعبر النهر من أمام قنوج وظل شهرا فى مواجهة العدو ، وفى هذا الوقت وصل عدد جيش السلطان مائة ألف فارس ولم يكن جيش الأفغان يزيد عن خمسين ألف ، وفى نفس هذا المكان ، أيدى محمد سلطان ميرزا وأولاده عداوة ، وفروا من جيش السلطان للمرة الثانية ، وفر أيضا جماعة كان ميرزا كامران قد تركهم للمساعدة ، وذهبوا الى لاهور (٥٨٧) وسار على هذا المنوال ، وتفرق كثير من الجنود فى أنحاء الهندوستان ، وجاء فصل المطر وأخذت الأمطار تهطل ، وملىء المكان الذى كان قد نزل فيه الجيش بالماء ، وقرر أن يرحل من هذا المكان وينزل فى مكان مرتفع (٥٨٨) وبينما هم يفعلون هذا تقدم شيرخان بالجيش للقتال ، وكانت هذه المعركة فى التاسع من المحرم من هذه السنة ، وفر أكثر الجنود يائسين دون قتال ، واقتسم قليل من الشبان الشجعان الهيجاء ولما كانت المعركة مفقودة ، فقد وقعت الهزيمة على جيش السلطان همايون ، وكان السلطان قد انفصل عن جواده فى نهر الجانج ، وخرج من النهر بمساعدة شمس الدين محمد غزنوى (٥٨٩) الذى صار أخيرا أتكه خان السلطان أكبر ، ونال لقب « خان أعظم » وعاد الى أكره .

ويقال ان شيرخان عندما سمع بعودة السلطان همايون الى البلاط تأسف وقال « كنت أريد له الموت ، ولكنه نجا » ، وعندما اقترب الأعداء لم يتوقف فى أكره ، وتوجه الى لاهور وفى غرة ربيع الأول من هذه السنة جمع جميع سلاطين وأمراء الجغتائية فى لاهور ، وكان محمد سلطان ميرزا وأولاده قد جاءوا الى لاهور ، وفروا منها وذهبوا الى الملتان ، ورأى ميرزا هندال وميرزا يادكار ناصر السلامة فى الذهاب الى نكر تهننه (٥٩٠) وكان ميرزا كامران يفكر فى أن يذهب الى كابل على وجه السرعة حين ينفض هذا الاجتماع .

« فكر الزاهد شىء وسويداء العاشق شىء آخر »

عموما عندما تيقن السلطان همايون أنه من المحال اتحاد الأخوة والأمراء أهل الهوى ، استاء خاطره كثيرا ، وبعد مشاورات طويلة (٥٩١).

-
- (٥٨٧) تاريخ رشيدى : حيدر ميرزا دوغلات البيوت ، ج ٥ ، ص ١٢٥ .
 - (٥٨٨) كان الجيش فى مكان منخفض وأراد السلطان أن يصعد الى مكان مرتفع على الجبل ولم يستطع (بداونى ج ١ ص ٣٥٥) .
 - (٥٨٩) انقل ثمانية اشخاص (تاريخ رشيدى البيوت ، ج ٥ ص ١٢٥) .
 - (٥٩٠) نكر كوت (البيوت ج ١ (ط الهند ص ٢٤) .
 - (٥٩١) نصح دوغلات بأن يحتل الأمراء جبال سرهند وسارنك وكشمير .

أرسل ميرزا حيدر مع جماعة الى كشمير ، وقدر أن يتوجه خواجه كلان بيك أيضا يعد ميرزا حيدر ، وعندما وصل ميرزا حيدر الى « نوشهر » كان خواجه كلان بيك قد وصل الى سيالكوت ، وعلم السلطان همايون أن شيرخان قد عبر نهر سلطان پور (٥٩٢) ووصل لمسافة ثلاثين فرسخا من لاهور ، وفى غرة رجب من السنة المذكورة عبر السلطان همايون نهر لاهور ، وأقسم ميرزا كامران بعد نقض العهد (٥٩٣) بالايمان الغليظة أنه لن يعدل عما اتفق عليه ، ورافقه من أجل المصلحة والغرض حتى نواحي بهيره ، وسمع خواجه كلان بيك بهذا الخبر فجاء من سيالكوت على وجه السرعة والتحق بالمعسكر ، ودخل ميرزا حيدر كشمير ، وجاء جماعة من الكشميريين الذين كانوا مختلفين فيما بينهم ، وزاروا ميرزا حيدر ، ودخلت كشمير دون حرب وقتال تحت سيطرة ميرزا حيدر ، وصار حاكما فى مدينة كشمير فى الثانى والعشرين من رجب ، ولهذا فهو منكور فى طبقة كشمير .

انفصل ميرزا كامران وميرزا عسكرى عن السلطان همايون فى نواحي بهيره وذلك بالاتفاق مع خواجه كلان بيك ، وتوجه الى كابل ، وتوجه السلطان همايون الى السند ، (٥٩٤) وكان ميرزا هندال ويادكار ناصر فى ركابه ، وبعد عدة أيام أظهر العصيان ، وانفصل عنه لعشرين يوما ، وواجه المتاعب ، فعادا لملازمة السلطان بناء على نصيحة ميرزى البقاء ، وعلى شاطئ نهر السند وقع قحط فى المعسكر ، ولم تعبر السفن اليهم ايضا ، وارسل بخشنوى لنكاه مركبا مملوءة بالغلة الى المعسكر ، ونال كثيرا من الانعام ، وعبر الجيش النهر ، وتوجه السلطان الى بهكر ، وأقام المعسكر فى قصبه لهرى (٥٩٥) وعبر ميرزا هندال النهر ، وذهب الى قصبه « باتر » (٥٩٦) لأن كل ما يحتاج اليه الجيش يصل الى هناك بسهولة ، ومن لهرى وهى قرب بكر وحتى باتر طبريق بطول خمسين فرسخا ، وذهب ميرزى طاهر صدر برسالة الى شاه حسين أرغون حاكم تهته ، وحمل سمندر بيك الذى كان مقربا من السلطان جوادا وخلعة ورغبه فى ملازمة السلطان ، وخلصه الرسالة هى أن

(٥٩٢) نهر بياه (اليوت ط الهند ص ٢٤) *

(٥٩٣) أرسل كامران الى شير خان أنه يقدم له التأييد بشرط أن يحكم البنجاب

(أكبر نامه ، ص ٢٠٥) *

(٥٩٤) كان يود السفر الى كشمير ولكن الاضطرابات جعلته يتجه الى السند (كلبدن

بيكم ، ص ٥٠) *

(٥٩٥) لهرى أو روهرى على الشاطئ الشرقى لنهر السند فى مواجهة بهكر (اليوت

ط الهند ٣٠٥) *

(٥٩٦) باتر على مسافة خمسين فرسخا من بهكر (اليوت ٧ الهند ص ٣٥) *

المجئء الى ولاية بهكر وتهته ضرورى والغرض هو استخلاص الكجرات .
والآن ينبغى أن تاتى للملازمة لكى أستشيركم فى تسخير الكجرات ،
وأضى شاه حسين أرغون خمسة أو ستة أشهر فى المراوغة ، ورد أن
بهكر لا قائدة منها ولو اقترب المعسكر أكثر من ولاية تهته (٥٩٧) يكون
أفضل ، وإنك بذلك تكون قد قضيت خمسة أو ستة أشهر بيننا ، وبعد
ذلك يمكن الاقتراب من أجل الصالح ، ونظرا لأن الغلة فى بهار قليلة ،
فقد رحل السلطان الى باتر التى كان ميرزا هندال يتخذها مقرا له ،
ورحل منها عندما علم أن ميرزا هندال يريد الذهاب الى قندهار ، ونزل
السلطان همايون فى هذه السنة فترة محل معسكر ميرزا هندال ، وعقد
على جلالة مريم مكانى حميدة بانو بيكم والدة خليفة الهى ، وقضى عدة
أيام فى معسكر ميرزا هندال فى اللهو والمرخ ، ومنع جلالتة ميرزا هندال
من الذهاب الى كندهار ، وذهب مرة أخرى الى قسبة لهرى ، وأرسل
قراجه خان حكم قندهار رسائل الى ميرزا هندال يستدعيه الى قندهار ،
ورحل ميرزا هندال وتوجه الى كندهار ، وعندما علم السلطان بهذا الأمر
تحير من عدم اتحاد الأخوة وأراد ميرزا يادكار ناصر أيضا ، الذى
كان ينزل على مسافة عشرة فراسخ من معسكر السلطان وكان النهر
أيضا بينهما أراد الذهاب الى قندهار ، واستعرض السلطان هذا الأمر ،
فأرسل ميرابا البقا (٥٩٨) لطمانة خاطر ميرزا يادكار ومنع الأمير الذهاب
الى قندهار ، وعند العودة وعبور النهر خرجت جماعة من قلعة بهكر
وأطروا ركاب السفينة بالسهم ، وأصاب أبا البقاء سهم فى مقتل.
واستشهد ، وأبدى السلطان حزنا شديدا على وفاته ، وتاريخ استشهد
مير هو ٩٤٧ هـ « سرور كائنات » بحساب أبجد (٥٩٠) .

المهم بعد ذلك عبر ميرزا يادكار ناصر النهر ، وجاء الى معسكر
السلطان ، وبعد مشاورات طويلة قرر أن يذهب ميرزا يادكار ناصر الى
بهكر ، ولم تظهر آثار الموافقة والتأييد من الأمير وعندما توجه السلطان
الى تنه (٦٠٠) انفصل عنه جمع غفير من الجنود ، وتوقفوا فى بهكر ،
وتوقف ميرزا يادكار ناصر فى بهكر ، وقويت شوكتة لأن مزروعات ولاية
بهكر لم تصب بأفة من الآفات السماوية والأرضية فى هذه السنة ، ولم
تنقص .

رحل السلطان همايون الى نواحي قلعة « سياهيان » (٦٠١) وخرجت

(٥٩٧) تنه أو تهته .

(٥٩٨) اتفق مع الأمير على أن ينال ثلث دخل الهندوستان (أكبر نامه ، ص ٢١٢) .

(٥٩٩) أى بحساب أبجد هو خطى كل من ... ٠٠٠ تعادل سنة ٩٤ هـ .

(٦٠٠) فى غرة جمادى الآخر سنة ٩٤٧ هـ (أكبر نامه ، ص ٢١٢)

(٦٠١) سياهوان أو سيهوان (اليوت ط الهند ، ص ٢٧) .

من السفينة جماعة من الجنود الذين كانوا على مقربة من القلعة ، وهجموا على بعض الأهالي الذين كانوا قد خرجوا من القلعة ، ولم يكن لدى هذه الجماعة طاقة للمقاومة ، ودخلوا القلعة ، وجاء هؤلاء الجنود الى السلطان متعبين ، ويسروا وسهلوا للسلطان تسخير القلعة ، وعبر السلطان النهر ، وحاصر قلعة سياهيان ، ولكن قبل الوصول تحصن جماعة من أمراء ميرزا شاه حسين (٦٠٢) فى القلعة ، وسعوا لتحصين القلعة ، وعندما علم ميرزا شاه حسين باهتمام السلطان بمحاصرة القلعة ، ركب مركبا واقترب من المعسكر ، وسد طريق امداد الغلال عن معسكر السلطان ، وضاق الخناق على الجنود ، ولما كان أكثر الناس يقضون أوقاتهم فى تناول لحم الحيوانات وامتد الحصار قرابة سبعة أشهر ولم يتيسر الفتح لذا أرسل السلطان رسولا الى ميرزا يادكار ناصر فى بهكر (يخبره) أن فتح القلعة مرهون بمجيئك ، لأننا اذا توجهنا لحرب ميرزا شاه حسين ودفعه سيتخلص أهل القلعة ، ويدخلون المؤن الى القلعة ، ويجددون استعدادهم وبسبب نقص الملح والغلة لن يمكننا التوقف حول القلعة ، واذا توجهت من ناحيتك الى شاه حسين لن نستطيع المقاومة « فأرسل ميرزا يادكار ناصر فى البداية جماعة من جنوده للمساعدة لكن مجيء هذه الجماعة لم يفد بشيء ، وذهب شخص للمرة الثانية لاستدعاء المرزا وأرسل عبد الغفور « ميرمال » السلطان لاحضار المرزا ، وعندما وصل عبد الغفور عند ميرزا ناصر وذكر أسباب متاعب السلطان ، فان ميرزا يادكار ناصر وجنوده أصروا على أن الصلاح هو الاستمرار فى فتح بهيكر .

وأرسل ميرزا شاه حسين ثلاثة أشخاص الى ميرزا يادكار ناصر واقترب من مقامه ووعده بالطاعة وارسال ابنته وقراءة الفتحة باسم المرزا (٦٠٣) وسر المرزا تماما من عرضه ، وعمل على معاداة السلطان همايون ، ولما ارتاح خاطر ميرزا شاه حسين من ناحية ميرزا يادكار ناصر وكان يدرك ما عليه جيش السلطان من ضعف ، فاقترب منه أكثر واستولى على سفن معسكر السلطان ومن ناحية أخرى لم يكن ميسرا للسلطان الاستمرار فى محاصرة القلعة ، فعاد الى بهكر مضطرا (٦٠٤) وبالقرب من بهكر طلب من ميرزا يادكار ناصر سفينة للعبور ، وأرسل ميرزا اليه رسالة بموافقة أهل تته أن يأتى ليلا ويأخذ السفينة (٦٠٥) وبقي السلطان

-
- (٦٠٢) وصل الى سياهوان فى ١٧ رجب سنة ٩٤٨ هـ (أكبر نامه ص ٢١٢)
 - (٦٠٣) ذكر شاه حسين « انه رجل هرم وليس لديه اولاد. وسيعطيه ابنته تاركا لها كنوزه ويعتبره وريثا له ، وسيما عده لغزو الكجرات (أكبر نامه ص ٢١٤)
 - (٦٠٤) تتهقر فى ١٧ ذى القعدة (أكبر نامه ص ٢١٥)
 - (٦٠٥) قال له فى الصباح : ان الجنود استولوا على السفن

عدة أيام متعطلا بسبب السفن ، وأخر الأمر جاء شخصان من « زمينداران » بهكر لملازمته ، وأخرجوا عدة سفن كانوا قد أغرقوها فى النهر وعبر السلطان ، وعندما علم يادكار ناصر بعبور السلطان ظل فى غاية الحيرة والخجل (٦٠٦) وقبل أن يصل كان جماعة كبيرة من أهالى تته قد خرجوا من السفينة فقتل كثيرا منهم وقبض على جماعة ، وعاد ميرزا شاه حسين بعد هذه المعركة الى تته ، وجاء ميرزا يادكار ناصر خجلا لملازمة السلطان ، ورأى رؤوس القتلى ، ومرة أخرى عفا السلطان عن جرائمه ، بالاضافة الى أنه لم يعاقبه مطلقا .

أرسل ميرزا شاه حسين الى ميرزا ناصر عدة رسائل مرة أخرى ، وجعله فى صفة ثانية ، وطلب ميرزا شاه حسين من ميرزا يادكار ناصر هؤلاء « زمينداران » الذين كانوا قد أعطوا السفينة للسلطان همايون ، وعلم هؤلاء « زمينداران » فلجأوا الى معسكر السلطان فأرسل الميرزا رسولا الى السلطان أن لهذين الشخصين معاملات ومال فى ولاية بهكر التى احكمها ، فأمر السلطان أن يذهب عدة اشخاص برفقتهم الى ان يصبحوهما ثانية الى معسكر السلطان بعد انتهاء معاملتهما ، وعندما رأها ميرزا يادكار ناصر انتزعها فجأة من رجال السلطان ، وأرسلها الى ميرزا شاه حسين ، وسلك طريق العصيان مرة أخرى ولم يأت لملازمة السلطان ، وأخذ الناس فى الالتصاق فرادى وجماعات بميرزا يادكار ناصر وكانوا فى غاية التعب فى معسكر السلطان ، وفكر منعم خان (٦٠٧) أيضا وأخوه فى الفرار ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأمر بحبسهما ، وأراد ميرزا يادكار ناصر بسبب حقه مقاتلة السلطان ، وتوجه عازما للقتال ، وعلم السلطان أنه لا مفر من الاستعداد للحرب ، وكان ماشم بيك نامى ذو اعتبار عند الميرزا فأنه عن هذا العمل الشنيع ، وعاد دون جدوى ، وكان السلطان كلما توقف بمكان انفصل عنه الناس ، وتوجهوا الى ميرزا يادكار ناصر ، وكان هذا أسوأ الضرر الذى يتوقعه ، وأخيرا ذهب الى مالديو ، وكان من حكام الهندوستان المشهورين ، ولم يكن فى الهند حاكم مثله فى ذلك الوقت بمثل قوته وعدته ، وأرسل مالديو

(٦٠٦) لم ترد هذه الاضافة بنسخة ١ « وتوجه دون انتظار الى شاه حسين بسرعة ، ولما كان الأخير غير مستعد انقض عليه بقوة كبيرة من تته ، وقتل وأسر جمعا كبيرا ، وعاد » (اليوت ط الهند ص ٢٨) .

(٦٠٧) أصبح خاتمانان فى عهد السلطان اكبر وحكم كابل :

عدة رسائل عرض فيها اظهار الطاعة وقبول المساعدة لتسخير الهندوستان ، وتوجه السلطان من طريق جنبل مير الى ولاية مالديو (٦٠٨) وسلك حاكم جنبل مير (٦٠٩) سلوكا لا اخلاقيا فأرسل جماعة الى السلطان ، قاتلت هذه الجمع القليل الذى كان برفقة السلطان ، وهزموا هذه الجماعة الفاسدة ، وأصيب جمع من جماعات السلطان بالجروح ، وتوجه السلطان مسرعا بأقصى سرعته حتى وصل الى مالديو ، وأرسل أتكه خان (٦١٠) الى مالديو الذى كان فى جودبور (٦١١) وتوقف عدة أيام فى نفس المكان .

وعندما اقترب ميرزا هندال من قندهار ، واستقبله قراجه خان وسلمه مدينة قندهار ، وعلم ميرزا كامران بهذا الأمر ، وعاد متوجها صوب قندهار ، وحاصر قلعة قندهار أربعة أشهر وأخيرا خرج ميرزا هندال مضطرا للصلح ، وسلم ميرزا كامران قندهار لميرزا عسكري ، وأعطى غزنين لميرزا هندال ، وبعد عدة أيام عزله أيضا عن غزنين ولما كان ميرزا هندال يعلم أن ميرزا كامران مخادع ، انزوى تاركا السلطنة ، واستقبل ميرزا كامران بكابل وقندهار وغزنين ، وجعل الخطبة باسمه .

انتظر السلطان همايون على حدود ولاية راي مالديو عودة أتكه خان ، وعلم راي مالديو بوصول السلطان وأن برفقته عددا قليلا متعبا ، ولما كان ليس لديه طاقة لمقاومة شيرخان كما أن شيرخان كان قد أرسل سفارة الى مالديو وكال له بالوعد والوعيد ، وفكر راي مالديو بسبب خسته أن يقبض على السلطان اذا استطاع ويسلمه للعدو من أجل أن يرضى خاطر شيرخان الذى كانت ولاية ناكور وتوابعها قد دخلت فى حوزته ، وأرسل جمعا كبيرا الى السلطان بهذه النية ، ولكى يغافل السلطان لم ياذن لأتكه خان بالرحيل الى السلطان وأدرك أتكه خان ما فى ضميره فعاد دون اذن منه ، وأرسل أحد أمناء المكتبة الذى كان قد ذهب الى راي مالديو حين هزم السلطان فى الهندوستان أرسل رسالة من أن مالديو يفكر فى الغدر ، ومن الأفضل أن ترحلوا بسرعة من ولايته ،

(٦٠٨) توجه السلطان فى ٢١ المحرم سنة ٩٤٩ هـ الى أوج ، وفى ١٨ ربيع الأول وصل الى ديوروال وواصل على مسافة اثني عشر فرسخا من بيكانير ثم بهلودى ثم خاج جوكى (اكبر نامه ، ص ٢١٩) .
(٦٠٩) وردت باسم جيسالمير (همايون نامه وتذكرة الواقعات لجوهر) وكان حاكمها لوف كرن (اكبر نامه ، ص ٢١٩)
(٦١٠) شمس الدين محمد أتكه الذى صار خان بعد بيرم خان فى عهد اكبر وقصته منكورة فى احوال اكبر ؛
(٦١١) جودهبور .

وشدد أيضا أتكه خان بهذا الخصوص ، فرحل السلطان فى حينه الى امركوت وقبضوا على جاسوسين من الهنود كانا قد جاءا للتعسس وأحضرهما الى السلطان ، وصدر حكم السلطان بأن يقتل أحدهما الآخر ويحرر نفسه ، وأمسك كل من الشخصين بسكين وخنجر ، وكانا بالمقرب من الحاضرين ، فقتلا سبعة عشر نفسا من الناس والجياد بطعنهم ، وقتلا نفسيهما ، وكان من جملتهم الجواد الخاص ، ولما كان خيالة (٦١٢) السلطان ليس لديهم جواد آخر للسلطان طلبوا من شردى بيك بعض الجياد والابل ، ولكن لما كانت الخسة تترقب فوق هامته فقد رفض وركب السلطان جملا (٦١٣) ، ولما كان الطريق صحراوى والماء شحيح فقد تجشم جنود السلطان متاعب جمّة ، وكل لحظة كان يصلهم خبر اقتراب جند مالديو ، وأمر السلطان تيمور سلطان ومنعم جان وجماعة أخرى أن تسير خلف الجيش بتأن وببطء حتى اذا وصل الأعداء قاتلوهم ، وعندما حل المساء حدث أن ضلت هذه الجماعة الطريق وعند الصباح رؤوا جند الأعداء ، فتوجه شيخ على بيك ودرويش كوكه وقوة أخرى قوامها اثنان وعشرون شخصا من بينهم روش بيك جلائر الى الأعداء ، ولحسن الحظ وصلوا حين دخل الهنود طريق ضيق فقتل شيخ على بيك الأعداء بأول سهم ، وكان كل سهم تطلقه هذه الجماعة الصغيرة يصيب واحدا من الأعداء ، ولم يجد الأعداء طاقة للمقاومة وفر الجيش الكبير من القلعة ، واثناء الفرار قتل كثير منهم ، وسقطت ابل كثيرة فى يد جنود السلطان ، وعندما وصل خبر النصر الى السلطان قدم واجب الشكر .

عسكر السلطان على رأس بئر به ماء قليل حتى وصل الأمراء الذين كانوا قد ضلوا الطريق ليلا مما أوجب زيادة السرور ، وفى اليوم التالى أمر السلطان بالرحيل ، ولن يجدوا ماء ثلاثة أيام ، وسى اليوم الرابع وصلوا الى بئر ، وعندما وصل الدليل الى البئر ، ودقوا الطبول حتى يوقف كل شخص الداية التى يقودها ، ونظرا لعمق البئر لم تكن الصيحة تصل اليه .

المهم صار الناس بسبب العطش بلا طاقة ، ورمى أربعة أو خمسة أفراد أنفسهم على الدلو فانقطع الحبل ، فأنزلوا دلو آخر فى البئر ، وصبح الناس من التعب ، وألقى كثيرون أنفسهم فى البئر عمدا ، وفقد أناس كثيرون أرواحهم بهذا الشكل من العطش ، وعاود الرحيل فى اليوم

(٦١٢) تواجيان « المسئول عن خيول السلطان »

(٦١٣) اضافة وردت فى نسخة اليوت ولم ترد بنسخة ٦ « إن نديم كوكه كان يسير مترجلا بينما كانت أمه تتركب جوادا ، وعندما رأى السلطان يركب جملا ، جعل أمه تتركب الجمال ، وأحضر الحصان الى السلطان (اليوت ، ص ٤١)

التالى وقت الظهيرة ، ووصلوا الى نهر ، وعندما وصلت الجياد والابل
التى كانت لم تتذوق الماء عدة أيام ، الى النهر شربوا ماء كثيرا حتى
نفق كثير منهم .

عموما عاد السلطان الى أمركوت بصعوبة وأمركوت على مسافة
مائة فرسخ من تناه ، واستقبله رانا حاكم أمركوت (٦١٤) وكان يتصف
بالمروءة ، وعرض ما يمكن أن يقدمه من خدمات ، واستراح الجنود فى
هذه المدينة من المتاعب عدة أيام ، وقسم السلطان ما كان فى خزينته
على الجنود ، ولما لم يكف الجميع أخذ من تردى بيبك وآخرين مبلغا
مساعدة ، ونال الرانا وأياؤه الذين أحسنوا الخدمة الانعامات من الذهب
والخناجر ، ولما كان ميرزاشاه حسين أرغون قد قتل والد الرانا ، فان
الرانا جمع جمعا كبيرا من الأطراف والنواحي ، وسار فى ركاب
السلطان الى بهكر ، وحسب الأمر توقف فى أمركوت وأرسل خواجه
معظم أخا مريم مكاني (٦١٥) لحكم هذه الجماعة .

ولما كان عدم الوفاء هو عادة قديمة للزمان فان هذه الأيام لم تمر
على مرام السلطان ، وقد كان الاقبال عهدا لدولة السلطان الدائمة
الاتصال ، ودار الفلك السامى دورته أيضا كى تطف ما اصاب خاطره من
متاعب لعدة أيام ، وحتى يبقى له أثر حتى آخر الزمان على صفحة
الأيام ، وهو انه فى يوم الأحد الخامس من شهر رجب سنة ٩٤٩ هـ (٥١٦)
رأى ساعة سعيدة وطالعا مباركا وأضيئت دولة السلطان بنور الابن
السعيد الذى كان وجوده من زواج أبائه الاعالى وأمهاته الأسافل وترنم
لسان حال الزمان بهذا القول :

« حتى تطلأ قدمك هذه الدنيا ، عليك أن تتحمل كثيرا من الحرمان
لأن الوجود من العدم »

حمل تردى بيبك خان الخبر الى أمركوت ، وسمى السلطان بموجب
الالهام الغيبي وطبقا لما سيرد تفصيله فى مكانه اسم السلطان شاهنشاه
جلال الدين اكبر .

واصل السلطان الرحيل الى بهكر (٦١٧) وأرسل رسائل مشدده
لرعاية الأمير العالم وحين وصل السلطان همايون قرية جون توقف

(٦١٤) رانا براساد (اكبر نامه ، ص ٢٢٠) .

(٦١٥) تزوج السلطان همايون حميده بانو بيك فى جمادى الاول سنة ٩٤٨ هـ اثناء

نزوله فى كهر (همايون نامه ، ص ٥٠) .

(٦١٦) ذكرت كلبدين بيك يوم الرابع من رجب سنة ٩٤٩ هـ (همايون نامه ، ص ٥٩) .

(٦١٧) حيث كان مرزا كندال هناك فأنسن استقباله (كلبدين بيك ، ص ٦١) .

فترة هناك ، واستدعى أسرته الى المعسكر ، وفى قرية جون سعدت عيناه برؤية هذا المولود ، وتفرق الجمع الذى كان قد جاء من الأطراف فى هذه الأيام للتوقف فى جون ، وقتل شيخ على وكان قائدا وابن صاحب جود فى احدى قرى تته بيد جنود ميرزا شاه حسين ارغون ، وبدأ جنوده فى الفرار من المعسكر واحد تلو الآخر ، حتى منعم خان فر أيضا ، ولم يجد السلطان مصلحة فى التوقف فى هذا المكان وقرر السفر الى قندهار .

قدم بيزم خان (٦١٨) فى هذه الأيام من الكجرات لملازمة السلطان ، وأرسل السلطان رسولا الى ميرزا شاه حسين ، وطلب مراكز لعبور النهر ، وسر ميرزا شاه حسين سرورا عظيما من هذا الطلب ، وأرسل ثلاثين مركبا وثلاثمائة جمل ، وعبر السلطان النهر ، وتوجه الى قندهار وفى هذا الوقت أرسل ميرزا شاه حسين رسولا الى ميرزا عسكري وميرزا كامران ليخبرهما أن السلطان قد توجه الى قندهار ، وأرسل ميرزا كامران الى ميرزا عسكري (٦١٩) ليتتبع أثر السلطان ، ويقبض عليه ولما كان ميرزا عسكري كافرا بالنعمة ، فحين وصل السلطان قرب « سال وستان » خرج بسرعة من قندهار ، وأرسل « حوالى أوزبك » (٦٢٠) للملاحظة ومراقبة الطريق ، ولما كان « حوالى أوزبك » ربيب نعمة السلطان فقد أخذ جوادا قويا من ميرزا عسكري ، ووصل الى معسكر السلطان ، وعندما اقترب من « دولت خان » نزل من فوق الجواد ، ودخل خيمة بيزم خان وقال له أن ميرزا عسكري قاصدا السلطان ، وأسرع بيزم خان من فورهِ الى السلطان ، ووقف خلف الخيمة عارضا خبر قدوم ميرزا عسكري ، وقال السلطان : « ما قيمة قندهار وكابل حتى ينازع الأخوة العداة ؟ »

« ليخجل الفلك من مقامك ، وليحثوا التراب والتبن على رأسك » .

ركب السلطان الجواد فى الحال ، وأرسل خواجه معظم وبيزم خان لاحضار مريم مكاني (٦٢١) ، وعجلا ، وركبت السلطانة مريم مكاني والأمير أكبر شاه ، وأحضروا الى السلطان ، ولما كانت الجياد قليلة فى معسكر السلطان ، طلب جيادا من تردى بيك ، ونظرا لأن طائر

(٦١٨) بيزم خان تركى الاصل من قبيلة قراقيونلو ولد ببديخشان ودرس ببلغ والتحق بهمايون فى سن السادسة عشر من عمره (همايون نامه لكليدن بيكم ص ٤٤ ، ٤٥ واكبر نامه ، ص ٢٢٤) .

- (٦١٩) كان مرزا عسكري فى غزئين (همايون نامه لكليدن بيكم ، ص ٦٦) .
- (٦٢٠) جوانى أوزبك ذ أكبر نامه وهمى تعنى شباب أوزبكي .
- (٦٢١) تركها لشعبوية الطريق (كليدن بيكم ، ص ٦٦) .

نحسه كان يرفرف على هامته فقد رفض اعطاء الجياد وأيضا
مراذفته .

توجه السلطان همايون الى العراق مع عدة أشخاص (٦٢٢)
ورافقته مريم مكاني ، وكان الأمير أكبر ابن سنة واحدة ، فتركه بسبب
حرارة الجو في المعسكر ، واقترب ميرزا عسكري من المعسكر بعد فترة ،
وعلم أن السلطان قد سافر سالما ، فأرسل جماعة لحكم المعسكر ، وفي
اليوم التالي دخل الديوان بوقاحة ، وأحضر أتكه خان الأمير أكبر شاه
الى ميرزا عسكري ، وأسر تردى بيك بأمر ميرزا عسكري ، وأرسل
المحصلين لاحصاء خيام السلطان همايون وضبط أمواله ، وحمل ميرزا
عسكري الأمير الى قندهار ، وأودعه في رعاية سلطانه بيك (٦٢٣)
التي لم تقصر في العطف عليه .

توجه السلطان همايون دون تحديد للمقصد . مع اثنين وعشرين
رجلا منهم بيرم خان وخواجه معظم وبابا دوست يخشى وخواجه غازي
وحيدر محمد وأخته بكي وميرزا قلي وشيخ يوسف وابراهيم أيشك
آقاسي وحسن على بيك آيسك آقاسي ، وقطعوا مسافة من الطريق وفوجيء
بائنين أو أربعة من البلجيين الذين قادوه حتى وصلوا بمشقة بالغة
الى قلعة « بابا حاجي » وعرض الأتراك ما يملكونه وأبدوا الطاعة ،
وعلم خواجه جلال الدين محمود ؛ الذي كان قد جاء من قبل ميرزا
عسكري لتحصيل مال هذه الولاية بمجيء السلطان ، فسر سرورا جما ،
وأهداه من الجياد والبغال ما كان معه ، وفي اليوم التالي وصل حاجي
محمد كوكي الذي كان قد فر من ميرزا عسكري لملازمة السلطان ، وبسبب
عام مروءة اخوته واقربائه لم يكن وقوفه في هذه النواحي مناسبا ،
وكان ضروريا أن يتوجه جلالته الى خراسان والعراق ، وعلى حدود
ولاية سيستان قام أحمد سلطان شاملو الذي كان حاكما عليها من قبل
شاه طهاسب ، بلوازم الخدمة ، وتوقف عدة أيام في سيستان ، وقام
أحمد سلطان بلوازم الضيافة بقدر الامكان ، وأرسل نساءه لخدمة
السلطانة مريم مكاني والعمل لها كخدم ، وأهداه كل ضروريات وأمتعة
الطريق ، ودخل في ملك تابعيه ، وقبل السلطان كل ما يحتاج اليه من
الضروريات .

أشار أحمد سلطان على السلطان أنه من الأفضل الذهاب الى العراق
عن طريق طبرس كيلى نظرا لأن هذا الطريق أقرب ، وأبدى استعدادده .

(٦٢٢) استقبله على الحدود بهرام مرزا والفاس جزا وسام مرزا اخوة الشاه
واستقبله الشاه بعد ذلك بنفسه وكانت حميديه بانو بيك مع همايون . (كلدن بيك ص ٦٩) .
(٦٢٣) زوجة مرزا عسكري .

للارشاد وأن الازمك الى العراق ، وقال السلطان : انه سمع كثيرا عن
 مميزات مدينة هرات ويفضل الذهاب من هذا الطريق ، وتوجه أحمد
 سلطان في ركاب السلطان التي هرات ، وفي ذلك الوقت كان سلطان
 محمد ميرزا ابن شاه طهماسب الكبير حاكما على هرات ، وكان محمد
 خان شرف الدين اعلى تكلو يشغل منصب « ائتاليقي » الأمير ، وعندما
 علم بقرب وصول السلطان ، أرسل على الفور على سلطان أحد أمراء
 تكلو لاستقباله ، وبمجرد دخول ولاية هرات لازم السلطان وسار في
 ركابه الى مدينة هرات ، وجاء أمير ايران مع أتباعه وتابعيه لاستقباله ،
 ولم تمر دقيقة دون تقديم التكريم والتعظيم وتشرف محمد خان بتقبيل
 القدم ، ونزل المعسكر المعلا في هرات ، وقام محمد خان بلوازم الضيافة
 لدرجة أنه لم يحس بمثل هذه السعادة مع اخوته ، وسر السلطان سرورا
 جما من حسن سلوكه ، وأعد محمد خان جميع أمتعته وأسباب السلطنة
 وما يحتاج اليه السلطان للسفر حتى لا يحتاج لشيء قط الى أن
 يلتقى مع شاه طهما سب ، ولما كانت جميع أماكن وحدائق هرات مناسبة
 للنزهة فقد تفرج عليها السلطان ، ورحل الى مشهد المقدسة ، وسعى شاه
 تكلو سلطان استجلوا حاكم مشهد أيضا لتقديم لوازم الخدمة بموجب
 أمر الشاه طهما سب من أن يقدم حاكم كل مكان يصل اليه السلطان
 وما يحتاج اليه ، وتوجه من معسكر الشاه طهما سب وبأمره الملكي
 جمع غفير من الأكابر والأعيان وأشراف العراق لاستقبال السلطان ،
 وقرر أن يقدم كل واحد من الأمراء في كل مكان من دامغان حتى المعسكر
 بلوازم الضيافة ، وأرسل أمتعة الضيافة من المعسكر الملكي ، واستضافوا
 السلطان من مكان لآخر حتى نزل في قزوین ، وكان المعسكر الملكي قد
 توجه من بيلاسورليق ، وأرسل السلطان بيرم خان الى الشاه ، وذهب
 (بيرم خان) وأحضر رسالة تشتمل على تهنئة بالقدوم ومسرة
 جلالته .

تابع السلطان السير ، وفي كل مكان يصل اليه يقدم أهلها الخدمة
 حتى التقى السلطان همايون مع شاه طهما سب في مصيف سورليق ،
 ولم يدع الشاه طهما سب دقيقة دون مراعاة تقديم مراسم التعظيم
 والتبجيل ، وأعد وليمة عظيمة ، وقدم ضيافة لائقة بالطرفين .

حدث اثناء حديث الشاه أن سأل ما سبب هزيمتكم ؟ قال السلطان
 همايون عصيان وعداء الأخوة ، فتأذى خاطر بهرام ميرزا أخى الشاه
 من هذا الكلام (٦٢٤) وعقد نية العناد ، وحرص الشاه على أن يقتل

(٦٢٤) قال بهرام مرزا هذا الابن مثل ابيه ويعنى بذلك أنه فيه طبع الخيانة حيث
 ان باهر لم يقم بمعاونة الفرس في حربهم ضد الازبك اثناء حصار قلعة نخشب
 (كش) (بدائى ج ١ ، ص ٤٤٤) .

السلطان ، ولكن أخت الشاه طهما سب سلطانم (٦٢٥) التي كانت لها: اعتبار عند الشاه ، ولها تأثير كامل في جميع الأمور الملكية وكانت على خلاف ذلك ، وسعت في معاونة (السلطان همايون) بقدر المستطاع ، ولم يكن القاضي جهان قزويني « ديوان » الشاه وحكيم نور الدين محمد طيب الذي كان له اعتبار ومكانة ، لم يكونا مؤيدين للسلطان همايون لأن التقيصير منه ، وسعى الحكيم نور الدين وهو من أهل الشاه المسئول عن رعاية المصالح السلطانية في الداخل والخارج ، وفي هذا الأوقات كان الشاه طهما سب مشغولا بالصيد واطلاق السهام من أجل الترويح عن نفسية السلطان همايون ومعه جمع من الأمراء والأعيان ، وأطلق بهرام ميرزا سهما بحجة الصيد على أبي القاسم خلف بسبب الحقد الذي في نفسه منه ، وأصابه هذا السهم في مقتل ، ومرت هذه الفترة ، وأراد الشاه طهما سب سفر السلطان ، وأعد له جميع ضروريات الرحلة (٦٢٦) وأرسل ابنه شاه مراد وكان طفلا رضيعا (٦٢٧) على عشرة آلاف فارس لمساعدة السلطان ، وقال السلطان همايون : « أريد زيارة تبريز (٦٢٨) فأرسل الشاه الأوامر الى حكام هذه الأماكن كي يقدموا لوزم التكريم والتعظيم بقدر المستطاع ، وبعد زيارة السلطان لهذه الأماكن توجه الى قندهار ، وتوجه لزيارة مشهد المقدسة ، وكان يرفقته الأمراء القزلباش ، وكان بداغ خان افشار أتاليقي الأمير وقائد الجيش ، وعندما وصلوا الى قلاع كرمسير ، فدخلت تحت سيطرتهم ، وعندما وصلوا الى قندهار دأفج جماعة كبيرة كانت قد خرجت من القلعة قدر استطاعتهم لكنهم هزموا ، ونزل جيش القزلباش بظاهر قندهار ، ووصل السلطان أيضا الى ظاهر قندهار بعد خمسة أيام ، وحاصر القلعة ، واستمرت الحرب يوميا لثلاثة أشهر وقتل كثير من الطرفين .

توجه بيرم خان برسالة الى كامران ميرزا في كابل (٦٢٩) وفي الطريق اعترضه جماعة من « هزاره » فقاتلهم ، وانتصر بيرم خان ، ووصل الى كابل والتقى بميرزا كامران ، وتصادف أن التقى أيضا بميرزا هندال وميرزا سليمان ابن خان ميرزا وميرزا يادكار ناصر الذي كان قد جاء من بهكر بحال سيء ، وأرسل ميرزا كامران مهد علياء خانزاده بيكم برفقة بيرم خان الى قندهار فلربما يعقد صلحا ، وحين وصل بيرم ،

• (٦٢٥) سلطان بيكم (بداوني ج ١ ص ٤٤٥) .

• (٦٢٦) بعد أن ارتضى مذهب الشيعة (بداوني ج ١ ص ٤٤٥) .

• (٦٢٧) اتفاقا على أن تكون قندهار للأمير مراد بعد فتحها (بداوني ج ١ ، ص ٤٤٥) .

• (٦٢٨) واردييل (بداوني ج ١ ص ٤٤٦) .

• (٦٢٩) أرسله السلطان بسفارة الى مرزا سليمان بدخشي وميرزا يادكار ناصر الذي

كان قد جاء بهكر مضطربا (بداوني ج ١ ص ٤٤٦) .

خان من خانزاده بيكم الى قندهار الى السلطان همايون ، كان ميرزا عسكري أيضا مازال في حرب ونزال ، ومل جيش القزلباش من طول أيام الحصار ، وفكروا في العودة وكانوا يعتقدون أنه عندما يصل السلطان الى حدود قندهار ستلتف القبائل الجغتائية حوله ، وعندما مرت فترة ولم يأت أحد قط وشاع خبر مجيء ميرزا كامران لمساعدة ميرزا عسكري (٦٣٠) تخوف القزلباش ومن الصدق السعيدة في تلك الأيام أن عاد ميرزا كامران ، وفر ميرزا حسين خان وفضائل بيك أخو منعم خان من ميرزا كامران وجاء للامانة السلطان .

عموما سعد التركمان ، وبعد عدة أيام فر محمد سلطان ميرزا وألغ ميرزا وقاسم حسين سلطان وشيراكن بيك ، وجاءوا الى السلطان ، واطمان القزلباش ، وفر مؤيد بيك ؛ الذي كان حبيبا بالقلعة بالخيلة التي ابتدعها ، فقد نزل من قلعة قندهار بحبل ، وأكرمهم السلطان بكثير من الانعام ، وخرج جماعة أخرى أيضا من قلعة قندهار بقيادة أبي الحسن ابن أخى قراجه خان ومنور بيك بن نوربيك ، واضطرب ميرزا عسكري اضطرابا شديدا ، وطلب الأمان وأمنه جلالة السلطان لمروءته ، واستدعا أمراء القزلباش وطلب منهم أنه نظرا لوجود كثير من أهل وعيال قبيلة الجغتائي في قلعة قندهار ، فلا ينبغي أن يضايق أحد من التركمان (٦٣١) أى شخص من أهل القلعة لمدة ثلاثة أيام ، وبموجب ما قرر خرج أهل القلعة بأهليهم وزوجاتهم من القلعة في اليوم التالي ، وجاء ميرزا عسكري الى البلاط في قمة الخجل ، ولم يعانيه قط ولازمه أمراء قبيلة الجغتائي بسعادة ، والسيف على رقابهم والكفن في أيديهم ، ونالوا الانعامات .

لما كان السلطان همايون قد اتفق مع القزلباش على أن تكون قندهار لهم بعد فتحها ، وعلى الرغم من أنه لم يكن لدى السلطان ولاية أخرى تحت سيطرته ، ترك لهم قندهار ، ودخل بداغ خان وميرزا مراد ابن شاه طهما سب القلعة ، واستولى على قندهار ، وعاد أكثر أمراء القزلباش الذين كانوا قد جاءوا لمساعدته الى العراق ، ولم يبق شخص آخر في خدمة الأمير سوى بداغ خان وأبي الفتح سلطان افشار وصدقى دلى سلطان قدامور (٦٣٢) .

(٦٣٠) تكاد تتفق جمل نظام الدين احمد مع بدوانى .

(٦٣١) لم تقع القلعة تحت سيطرة السلطان ودخلها بداغ خان وميرزا مراد بناء على

الوعد الذى كان قد وعده (بدوانى ج ١ ، ص ٤٤٨) .

(٦٣٢) لم يبق مع الأمير مراد سوى بداغ خان وأميرين أو ثلاثة آخرين (بدوانى

ج ١ ، ص ٤٤٨) .

عندما حل الشتاء لم يجد الجغتائيون ملجأ ، واضطر السلطان همايون أن يرسل رسولا الي بداغ خان من أن الجنود يحتاجون الي ماوى لهم في هذا الشتاء ، ولذلك لم يستجب لطلبه وواجه الجغتائيون المتاعب ، وفر عبد الله خان وجميل بيك اللذان خرجا من القلعة ، وذهبا الي كابل ، وانتهز ميرزا عسكري أيضا الفرصة . وهرب وتبعه جمع غفير ، وقبض عليه ، وأحضره الي السلطان فحبسه ، واجتمع القادة الجغتائيون ، وقرروا بعد المشورة أنه نظرا للضرورة ينبغي الاستيلاء على قلعة قندهار من القزلباش وبعد تسخير كابل ويدخشان نعيدها اليهم مرة أخرى وفي نفس اليوم الذي عزموا فيه على هذا ، توفي ميرزا مراد ابن شاه طهما سب وفاة طبيعية (٦٣٣) وأرسلوا جماعة كبيرة لهذا الأمر ، وتقدم حاجي محمد خان بن بابا قشعة مع اثنين من خدمه الي باب القلعة ، وكان التركمان يشكون في أن السلطان سيقصد قندهار ، ولهذا منعوا أي شخص من الجغتائية لعدة أيام من دخول القلعة ، وحدث أن دخلت القلعة قافلة من الإبل حاملة العلف الي المدينة فانتهز حاجي محمد خان الفرصة ، ودخل البوابة ، فمنعه حراس البوابة ، فسل سيفه بشجاعة ، وهاجمهم ، ولم تستطع هذه الجماعة المقاومة ، وفروا ، ودخلت جماعة أخرى وراءه القلعة ، واضطرب القزلباش ، وركب السلطان ودخل القلعة ، وجاء بداغ خان مضطربا الي البلاط ، وسمح له السلطان بالسفر الي العراق (٦٣٤) واستولى الجغتائيون على قندهار واطمان خاطرهم .

توجه السلطان همايون بعد ذلك لتسخير كابل وعين بيرم خان على حكومة قندهار (٦٣٥) واتفق ميرزا يادكار ناصر وميرزا هندال على أن يقرأ الي ميرزا كامران ، وفي الطريق لحق بهم الكثير من الخسائر من قبيلة « هزاره » فجاءا للآزمة السلطان ، واتفقا على الرحيل معه ، ووصل السلطان همايون الي كابل ، ووصل زنبيل بيك أيضا للآزمته وأخذ الجيش ينفصل عنه يوما بعد يوم ، ويلتحق بالسلطان ورحل في هذه النواحي ، وخرج ميرزا كامران بجيشه وأتباعه عازما الحرب ، مع المعسكر الخالي ونزل على مسافة نصف فرسخ من جيش ميرزا كامران ، وفي هذه الليلة فر أكثر جنود ميرزا كامران وجاءوا الي معسكر السلطان ؟

-
- (٦٣٣) مرض ابن شاه ومات (همايون ثامه - كلبدين بيكم ص ٧٤) .
 - (٦٣٤) سمع السلطان له بالسفر الي العراق « ايران » (بداوني ج ١ ص ٤٤٨) .
 - (٦٣٥) ترك السلطان حميد بأنو بيكم أيضا في قندهار مع بيرم خان (همايون ثامه لكلبدن بيكم ، ص ٧٤) .

« آه عندما يعود الزمان ، ويعود القلب والبخت رفيقان لي »

اضطرب ميرزا كامران ، وأرسل جماعة من المشايخ الى البلاط ، وطلب العفو ، ووافق السلطان على العفو عن جرائمه بشرط أن يأتي للملازمة ، ولم يوافق ميرزا كامران على ملازمته ، وفر الى قلعة كابل ، وجاء جميع جنوده الى معسكر السلطان ، وفي نفس الليلة فر ميرزا كامران من طريق « هستي حصار » الى غزنين ، وعلم السلطان بفراره ، فأصدر أوامره الى ميرزا هندال لتعقبه ، ودخل بالنفس والنفيس كابل ، وعندما حل المساء ، أضاء جميع الكابليين المدينة كلها بالمصابيح من فرط سعادتهم (٦٣٦) .

« الليلة الظلماء صارت مضاعة ، مما جعل المؤذن يظن أن الصبح قد حان » وبمجرد أن نزل على باب القلعة ، أحضرت حضرة بيكمان الأمير العالم جلال الدين أكبر ميرزا لرؤيته وأضاءت عين السلطان برؤية قرة العين وقدم لوازم الشكر ، وكان هذا الفتح في العاشر من رمضان سنة ٩٥٣ هـ وكان الأمير قد بلغ في ذلك الوقت سن الرابعة وشهرين وخمسة أيام (٦٣٧) وذكر البعض أنه كان في سنة ٩٥٢ هـ والعلم عند الله .

توجه رسول بعد الفتح الى معسكر الجيش ؛ الذي كان في قندهار ، وجاء ميرزا يادكار ناصر للملازمة مريم مكاني في كابل ، ومد السلطان الموائد العظيمة في هذه الأيام ، وتم ختان الأمير ، وقضى السلطان بقية هذه السنة في اللهو والمرح ، وفر ميرزا كامران وتوجه الى غزنين ، ولم يسترح في المدينة فاتجه الى الهزاريين ، وأرسل السلطان ميرزا الخ بيك الى حكومة « زمينداران » لطاردة ميرزا كامران ، ولم يجسد ميرزا كامران مجالا للتوقف في زمين داور ، وذهب الى بهكر (٦٣٨) عند ميرزا شاه حسين أرغون ، وأعطى ميرزاشاه حسين ابنته الى ميرزا كامران ، وأمده بالمعونة .

توجه السلطان همايون الى بدخشان في السنة التالية ، ولما كان ميرزا سليمان بن خان ميرزا لم يحضر للملازمة السلطان على الرغم من استدعائه ، ولذا صمم على التوجه الى بدخشان ، وسافر اليها .

(٦٣٦) كان هذا الفتح في العاشر من رمضان المبارك سنة ٩٥٢ هـ (بداوني ج ١ ص ٤٤٩) .

(٦٣٧) استدعى السلطان همايون زوجته الى كابل لختان الأمير الذي بلغ الخامسة من عمره (كلبدين بيكم ، ص ٧٧) .

(٦٣٨) الى تهته وبهكير (كلبدين بيكم ص ٧٦) ، الى بهكر (بداوني ج ١ ص ٤٤٩) .

وكان ميرزا يادكار ناصر قد عاود العصيان مرة أخرى ، وفكر فى الفرار وعلم السلطان بهذا الأمر فأمر بحبسه ، وبعد عدة أيام قتلوا محمد قاسم بموجب أمره (٦٣٩) وعير السلطان خلف هندكوه ونزل فى « شهر كران » (٦٤٠) وجمع ميرزا سليمان أيضا جيش بدخشان وحارب وفى قول هجوم ، هزم ، وفر فى الصحراء وعلى الجبال ، وتوجه السلطان الى « طالقان وكشم » (٦٤١) وبينهما أعتلت صحة السلطان واشتد المرض عليه يوما بعد يوم حتى ضج الناس ، ولم يكن يعلم أحد أنه على قيد الحياة سوى المقربين ، وبدأ تذمر فى الجيش لهذا الأمر ، وكان قراجه خان يحافظ على ميرزا عسكري وشرع أهالى بدخشان فى العصيان فى كل ناحية ، وبعد شهرين استرد السلطان صحته ، وأرسل خبير الشفاء الى الأنحاء ، فسكتت جميع الفتن ، ووصل مضمون هذا البيت الى مسامع عقل أهل الزمان :

« من هذه العاقبة التى نالها السلطان الموفق ، تفتحت الحديقة من نسيم الربيع »

انتقل المعسكر السلطانى الى نواحي قلعة ظفر ، وهناك قتل خواجه معظم أخو السلطانة مريم مكائى خواجه رشيد الذى كان قد جاء فى ركاب السلطان من العراق ، وفر الى كابل ، ولكنه سجن هناك حسب الأمر .

عندما علم ميرزا كامران فى بهكر أن السلطان قد توجه الى بدخشان ، جمع جمعا اتفق معه ، وأغاروا على غور بند وكابل ، وفى الطريق تقابل مع تجار استولى على جياذ كثيرة منهم ، وجعل لكل رجل من جمعه جوادين ، ووصل الى نواحي غزنين ، وجاء اليه جماعة من أهالى غزنين وأدخلوه القلعة (٦٤٢) وقتل زاهد بيك حاكمها والذى كان فى نوم الغفلة ، (٦٤٣) وبأمر الميرزا قطعوا طريق كابل حتى لا يطير الخبر الى هناك ، وجمع جمعه فى غزنين وتوجه الى كابل على وجه السرعة ، وكان محمد قلى طغار وقضائل بيك والقوة التى معها فى كابل فى غفلة ، وحين علموا أن ميرزا كامران دخل المدينة ، وقتل محمد قلى طغار على الفور وكان حبيسا فى الصمام ، ودخل ميرزا كامران قلعة

(٦٣٩) تم قتل محمد قاسم (أكبر نامه من ٣٠٠) .

(٦٤٠) تير كران قرية فى أندراب (أكبر نامه ، من ٣٠٠) .

(٦٤١) أن جيش السلطان توجه الى ظفر (كلبدن بيك ، من ٧٨) وبين ظفر وكشم.

مرض السلطان (أحمد يادكر) .

(٦٤٢) أخذوه بالقوة (أكبر نامه ، من ٣٠٨) .

(٦٤٣) كان شملا (أكبر نامه ، من ٣٠٨) .

كابل ، وقبض على فضائل بيك ومهتر وكيل ، وسمل عينيها ، وأرسل
أناسا لحماية نساء السلطان والأمير العالم .

وصل هذا الخبر للسلطان همايون وهو فى نواحي قلعة ظفر فأرسل
السلطان فرمانا الى ميرزا سليمان بحكومة بدخشان وقندوز اللتين كانتا
قد أعطيتا لميرزا هندال ، وتوجه على الفور الى كابل ، وجمع ميرزا
كامران ما يستطيع جمعه من قوة ، والتحق به شيرافكن ، وجاء شير على
نامبى من قواد ميرزا كامران من « ضحاك وغوزيند » ، واهتم بتحصين
الطريق ، وعبر السلطان نهر « وادى الضحاك » وقتل شير على كما
هو محدد ، وهزمه ، وعبر الجيش سالما من المضيق ، وأساء شير على
مؤخرة الجيش مرة أخرى ، فنزل السلطان فى قرية « أفغانان » وفى
اليوم التالى خرج شير أفكن بيك وجميع رجال ميرزا كامران للقتال ،
ووقعت المعركة فى « النك يرت جالاک » وفى البداية تعب رجال السلطان
همايون ، وأخيرا وبسبب بسالة ميرزا هندال وقراجه خان وحاجى محمد
خان ، هزم رجال ميرزا كامران هزيمة منكرة ، وأسر شيرافكن بيك ،
وبعد ما رآه السلطان قتله الأمراء ، وقتلوا كثيرا من جيش ميرزا كامران
فى هذا اليوم ، وأطاح السيف بالمبقية التى هربت الى القلعة ، وقاتل شير
على الذى كان متصفا بالمشجاعة يوميا بقدر استطاعته ، وذات مرة
التقى شير على بحاجى محمد خان وجها لوجه ، وأصيب حاجى محمد
خان بطعنة ، وتصادف أن علم أن قافلة معها جياد كثيرة قد وصلت
الى جاركان (٦٤٤) فأرسل ميرزا كامران شير على لهذه المهمة ، وذهب
مع جماعته لاحضار هذه الجياد الى المدينة ، وذهب أكثر رجال ميرزا
كامران لمرافقة شير على لهذه المهمة ، وعلم السلطان همايون بهذا الأمر ،
فاقترب من القلعة ، وسد طريق الذهب والاياب على أهل القلعة تماما ،
ولم يجد شير على وهذه الجماعة طريقا عند العودة لدخول القلعة ،
وكلما أراد ميرزا كامران أن يقاتل من أجل أن يدخل شير على وهذه
الجماعة التى كانت خارج القلعة الى القلعة وكلما أراد الناس الخروج
يواجهون بضرب المدفعية والبنادق ، وجاء باقى صالح وجلال الدين بيك ؛
وهما من الرجال أصحاب الشأن لدى ميرزا كامران لملازمة السلطان
همايون ، ويئس شير على ورفاقه من دخول المدينة ، وضاف الحصار
على القلعة فأمر ميرزا كامران بنذالته أن يعرضوا الأمير أكبر على شرفة
القلعة وعلى الأماكن التى تصل إليها القذائف والطلقات ، وكانت ماهم

(٦٤٤) فى مدخل وادى فوريند شمال كابل. (اليوت ط الهند ، ص ٥٦) .

أنكه تحتضنه وتجلس ، وتعرض نفسها للمواجهة (٦٤٥) وتجعل ظهرها ناحية العدو وحفظه الحق سبحانه وتعالى .

المهم خرج جماعة من أهل كابل من القلعة وفروا ، وتوجه كل واحد الى ناحية ، وأرسل السلطان همايون جيشا لتعقبهم (٦٤٦) وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا طائفة ، واضطرب ميرزا كامران ، وحضر الجنود من الأطراف والنواحي للآزمة السلطان همايون ، وأرسل ميرزا سليمان مساعدة من بدخشان ، وجاء ميرزا ألغ من قندهار ، ووصل قاسم حين سلطان وجماعة من رجال سترطغاي (٦٤٧) من قندهار للمساعدة .

أراد ميرزا كامران الصلح ، فقبل السلطان بشرط أن يلازمه ، ولكن ميرزا كامران كان خائفا من الملائمة وفكر في الفرار ، ولما كان الأمراء الجغتائيون غير راضين بأسر ميرزا كامران لكرم أصله لذا أرسلوا رسالة من أن السلطان همايون سيضرب القلعة خلال يومين ، وليس هناك مصلحة في التأخير وكان ميرزا كامران يكره مايوس بيك (٦٤٨) وقراهه بيك فقتل أبناء مايوس بيك الثلاثة الصغار ، ورماه من أعلى جدار القلعة الى أسفلها واستاء الناس في الداخل والخارج من خسة ميرزا كامران ، وربط سردار بيك بن قراهه بيك خان على جدار القلعة ، وكان السلطان همايون يحب قراهه خان كثيرا ، واقترب قراهه خان من القلعة ، وصاح انه اذا قتل ابني فأننى سأقتل ميرزا كامران وميرزا عسكري عوضا عنه بعد الاستيلاء على القلعة ، ويئس ميرزا كامران من كل شيء ، وفتح فتحة في جدار القلعة من ناحية خواجه خضر وعبر منها وكان الأمراء خارج القلعة قد أشاروا عليه بذلك ، وأرسل السلطان حاجي محمد خان على جماعة لتعقب جان بيك في الخارج ، واقترب حاجي محمد خان من ميرزا كامران وقال ميرزا كامران بلهجة تركية « لقد قتلت والد بابا قشعة » وكان حاجي محمد مستعدا دائما للقتال ، ولكنه عندما علم بذلك عاد ، ولزم الأمير العالم أكبر شاه والده ، وقسدم السلطان الشكر لله ، وتصدق كثيرا على الفقراء والمساكين .

عندما وصل ميرزا كامران الى سفح جبل كابل متعبا وفي حالة يرثى لها ، واجه « الهزاريين » وانتهبوا كل ما كان معه ، وأخيرا عرف

-
- (٦٤٥) نفس عبارات بداوني (مختضب التواريخ ج ١ ، ص ٤٥٠)
 - (٦٤٦) بقيادة حاجي محمد خان (بداوني ج ١ ، ص ٤٥٠)
 - (٦٤٧) سرم طغاي (البيوت ط الهند ، ص ٥٧)
 - (٦٤٨) ناموس بيك (البيوت ط الهند ، ص ٥٧)
 - (٦٤٩) لازم مرزا كامران السلطان همايون (بداوني ص ٤٥١)

أحدهم ميرزا كامران ، فأخبر قائده ، وحمله قواد الجماعة الى الضحاك وباميان حيث كان هناك شير على تابع الميرزا مع قلة من رجاله ، ومكث فى هذه النواحي لمدة أسبوع ، واجتمع قرابة مائة وخمسين فارسا حول الأمير ، وتوجه ميرزا كامران الى غورى ، وقاتل ميرزا كامران ، ومعه ثلاثمائة فارس وألف من المشاء ميرزا بيك بيرلاس حاكم غورى ، وهزم حاكم غورى ، ووقعت جياد وأسلحة هذه الجماعة بيد جيش الميرزا .

عموما جمع الأمير كامران جيشا وتوجه من هناك الى بلخ ، والتقى مع بير محمد خان حاكمها ، وجاء بير محمد خان بنفسه لمساعدة الميرزا فى بدخشان ، واستولى كامران على غورى بغلان (٦٥٠) وقدم الجنود من الأطراف والنواحي للالزمة بكامران ، وعاد بير محمد خان الى ولايته وتوجه الميرزا الى سليمان ميرزا ابراهيم ميرزا (٦٥١) ولم يستطيعا مقاومته ، ونهبا من طالقان الى كولا ب ، وأهتم ميرزا كامران بحكم بعض ولاية بدخشان .

أصاب الغرور قواجه وأمراء آخرين من الذين التحقوا فى هذه الأيام بالسلطان وقدموا خدمات جليلة ، وارتكبوا أعمالا غير متوقعة مع السلطان همايون منها : قتل خواجه غازى الوزير والسعى لتعيين خواجه قاسم محله ، وأساء هذا التصرف اساءة بالغة ، لخاطر السلطان . ولم يجب السلطان دعواهم واتفق الأمراء فيما بينهم ، أن يركبوا وقت تناول الطعام ، ويرمون شارة السلطان التى كانت فى « خواجه ريواج » ويتوجهون الى بدخشان ، وبعد طلوع الصباح تجمع جميع الجيش وركب . السلطان همايون وتبعهم ، وطارد المعارضون بهجومه حتى غوربند ، وعبروا من كابل ، وجاء أناس الى السلطان همايون ومعهم جماعة منهم ، فعاقبهم جميعا ، وعندما حل المساء عاد السلطان الى كابل لأن هذه الجماعة سافرت الى بدخشان وتوجهت الى مرزا كامران ، وتركوا ثمر على شعالى لكى يرسل لهم أخبار المعسكر السلطاني ، وعزم السلطان السفر الى بدخشان ، وأرسل فرامين الى ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم . وميرزا هندال ، وتوجه ميرزا ابراهيم من طريق قلعة برنان (٦٥٢) ولما كان مطلعا على أمر ثمر على شعال فقد توجه اليه وقتله ، ووصل للالزمة السلطان فى قراباغ كابل .

(٦٥٠) بعض ولايات بدخشان (بداونى ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥١) استولى على بدخشان من مرزا سليمان وابنه ابراهيم دون قتال (بداونى .

ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥٢) بريان (البيوت ط ١ الهند ، ص ٥٩) .

أرسل ميرزا كامران شير على فى هذه الأيام بكامل استعداد له لصد ميرزا هندال ، وقبض جنود ميرزا هندال على شير على ، وفى هذا الوقت وصل ميرزا هندال للامانة السلطان ، ورأى السلطان شير على وهو مقيد ، وعفا عنه السلطان لمروءته ، وأنعم عليه بغورى ، وترك ميرزا كامران قراجه خان مع جماعة كانوا قد جاءوا من كابل فى كشم ، وذهب هو الى طالقان (٦٥٣) وأرسل السلطان همايون ميرزا هندال وحاجى محمد كوكى مع جماعة الى كشم ، وأرسل قراجه خان الى ميرزا يخبره أن ميرزا هندال برفقته قوة قليلة والسلطان بعيد عنه ، لذا ينبغي الأمانة عليهم ، ولم وافقه على صد ميرزا هندال فان الحرب ستكون سهلة بعد ذلك مع السلطان أيضا ، وجاء ميرزا كامران بسرعة الى كشم ، ووصل الى شاطيء نهر طالقان حيث عبر النهر ، وفى أول هجوم حقق النصر ونهب جميع أمتعة ميرزا وجماعته ، ووصل السلطان أيضا فى ذلك الوقت الى شاطيء النهر ، وتوقف فترة حتى تم اعداد المعبر ، وبعد عبور النهر ، وصلت مقدمة الجيش الى ميرزا كامران ، وقبضت على شيخهم خواجه خضرى واسماعيل بيك دولدى (٦٥٤) وأحضروهم عند السلطان وعاد ميرزا كامران قاصدا طلائع السلطان ، وعندما وصل كل منهما الى الآخر ، ورأى الميرزا الرايات السلطانية فر الى طالقان ، تاركاً خلفه ما كان قد نهبه وما كان يمتلكه ، وفى اليوم التالى وصل الى طالقان ، وجاء ميرزا سليمان فى ذلك الوقت للامانة السلطان ، وطلب ميرزا كامران المساعدة من الأوزبك ، ولما يئس منهم اضطرب أشد الاضطراب ، وصار عاجزا فطلب الاذن (٦٥٥) وأنعم عليه السلطان وقبل التماسه ، بشرط أن يرسل الأمراء المتمردين (٦٥٦) الى البلاط ، وطلب ميرزا كامران العفو عن جريمة مايوس بيك ، وأرسل الأمراء الآخرين اليه ، وجاءوا الى البلاط بخجل وندم ، وعفا السلطان عن جرائمهم مرة أخرى .

خرج ميرزا كامران من القلعة ، وابتعد فرسخين ، ولما لم يعد فى خطر من أن يلحقه ضرر من السلطان ، وخجل أشد الخجل من هذا الكرم، عزم ملازمة السلطان ، وعاد ، وعندما عرضوا على السلطان هذا الامر،

(٦٥٣) وردت بالمخطوط طانغان ، ص ٢١٥ .

(٦٥٤) وردت بالمخطوط راولدى ، ص ٢١٥ .

(٦٥٥) سمح له بالسفر الى مكة (بداونى ج ١ ص ٤٥١) .

(٦٥٦) منهم قراجه خان . جاء والسياف على رقبته (أكبر نامه ص ٣٢٥) .

سر السلطان سرورا جما ، وأرسل الأمراء (٦٥٧) لاستقباله ، وعند إقائه عطف عليه كثيرا وأعد أسيايا امارة ميرزا كامران مرة أخرى ، وتوقف فى نفس هذا المكان ثلاثة أيام وأعد الولائم والاحتفالات ، وبعد عدة أيام أقطع ميرزا كامران ولاية كولاى (٦٥٨) وأبقى ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم فى كشم ، وتوجه المعسكر العظيم الى كابل (٦٥٩) ونزل فى أوائل فصل الشتاء فى كابل وطلب العناية بالجنود واعداد الجيش .

توجه السلطان همايون من كابل فى اخر هذه السنة لتسخير بلخ ، وأرسل رسولا لاستدعاء ميرزا كامران وميرزا عسكري من كولاى ، ولما نزل السلطان فى بدخشان ، جاء ميرزا هندال وميرزا ابراهيم ملازمة السلطان ، وتوقف ميرزا ابراهيم بموجب التماس ميرزا سليمان فى كشم ، وعاد ميرزا كامران وميرزا عسكري ثانية الى العصيان ، ولم يأتيا للملازمة ، وتوجه السلطان الى نواحي قلعة أيبك وتحصن اناليق بير محمد حاكم بلخ (٦٦٠) مع مجموعة من الأمراء ذوى الشأن فى قلعة ايبك ، وحاصر السلطان القلعة ، واضطرب الأوزيك ، وخرجت الأمهات ، ولم يأت ميرزا كامران اليه ، وجمع السلطان الأمراء واستشارهم من أنه ربما يتوجه ميرزا كامران الى كابل عندما يتوجه الجيش الى بلخ ، وقال السلطان عندما نعزم على الهجوم فلنتوكل ، وتوجه ركب السلطان الى بلخ ، وكان الأمراء والقواد قد اضطربوا بسبب عدم مجيء ميرزا كامران ، وعندما وصل الى نواحي بلخ ، ووقت نزول الجيش وصل شاه محمد سلطان أوزيك مع ثلاثمائة فارس ، وتوجهت جماعته لصددهم ، ووقعت معركة حامية ، وقتل كابلى أخو محمد قاسم خان فوجى فى المعركة ، وأسر أحد قواد الأوزيك ، وفى اليوم التالى خرج بير محمد خان من المدينة ، وكان عبد العزيز خان بن عبيد خان سلطان حصار (٦٦١) قد جاء أيضا لمساعدته وبعد منتصف النهار وصل الجيشان فى المواجهة ، ووقعت المعركة ، وأعد السلطان نفسه ، وأوقع ميرزا سليمان وميرزا هندال وحاجى محمد سلطان الهزيمة على طلائع المتمردين الذين فروا الى المدينة ، وتراجع بير محمد خان ورفاقه أيضا ، ودخلوا المدينة ، وعاد الجيش الجفتائى الذى كان قريبا من المدينة وقت غروب الشمس ، ولما كان أهل وزوجات الأمراء الجفتية

• (٦٥٧) عسكري وهندال

• (٦٥٨) عرفت باسم ختلان (اكبر نامه ، ص ٣٢٨)

• (٦٥٩) أراد عسكري أن يذهب معه وأخذ مقاطعة كاراتاجن (اكبر نامه ص ٣٣٧)

• (٦٦٠) وهو جواجه ماك (اكبر نامه ، ص ٣٤٧)

• (٦٦١) وردت بالمخطوط « سلاطين حصار » ، ص ٢١٧

فى كابل قد استاعوا بسبب عدم مجىء ميرزا كامران ، واجتمع امراء السلطان فى هذه الليلة التى دخلت فى صباحها بلخ تحت سيطرة السلطان وعرضوا عليه : « أنه ليس مناسبا للسلطان ان يمر على نهر بلخ والصلاح فى أن تذهب الى جانب « دره كز » وتحدد مكانا حصينا للمعسكر ، وسوف يأتى أهالى بلخ وحصار فى وقت قصير ملازمك » ، وتشددوا الى درجة ان قبل السلطان الرحيل ، ولما كان « دره كز » بجانب كابل واعتقد العدو والصدىق أنه لن يعود ، وتشجع الأوزيك وتمقبوه ، وكان ميرزا سليمان وحسين قلى سلطان مهسروا يؤمنون مؤخرا الجيش ، فقاتلا طليعة الأعداء ، وهزما ، وكان الجنود الذين ذهبوا الى كابل قد سار كل واحد منهم الى الناحية التى يريدونها ، وانفلت الأمر ، ووصل ثلاثون ألف شخص من الأعداء ، وهجم السلطان فى هذه المعركة على الأعداء بالنفس والنفيس ، وأصيب السلطان بجرح من حرية شخص كان قريبا ، وترجل السلطان وخرج بقوة ساعده من بين الجميع ونجا ميرزا مندال وتردى بيك خان ومنعهم بيك خان ومجموعة أخرى من الأمراء المقاتلين بالسلامة وأبدى شاه بداغ خان وتولك خان توجين شجاعة فى هذه المعركة .

جاء السلطان سالما الى كابل ، وقضى بها بقية هذه السنة ، وكان ميرزا كامران ما يزال فى كولاى وعارض جاكى على بيك كولاى ميرزا كامران وأغار بجيش كبير على نواحى كولاى ، وأرسل مرزا كامران ميرزا عسكرى لقتاله ، وهزم ميرزا عسكرى ، وتوجه مرة أخرى بأمر أخيه للقتال ، وعاد مثل المرة السابقة ، وتوجه ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم من كشم وقندوز اليه ، ولم يكن لدى مرزا كامران من طاقة لمقاومتها ، واقترب من « روستاق » وهاجمته جماعة من الأوزيك ، وسلبوا أكثر جياده ، وعرض ميرزا كامران على مرافقيه أن يسلكوا طريق ضحاك وباميان الى « هزاره » ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأرسل جماعة كبيرة من أمرائه وجيشه الى ضحاك وباميان لكي يحافظوا على هذه الولاية ، وأرسل قراجه خان وقاسم حسين سلطان وجماعة أخرى من الأمراء المتمردين الذين كانوا فى ملازمة السلطان ، وأرسلوا شخصا الى ميرزا كامران كى يسلك طريق قبجاق حتى يلتحقوا به وقت المعركة ، وعندما اتجه ميرزا كامران وانفصل قراجه خان ورفاقه الذين تمرغت رؤوسهم فى تراب الخسة عن السلطان ، ووقفوا يقاتلون بجوار ميرزا كامران ، ومع أنه كان مع السلطان عدد قليل من الرجال الا أنهم ثبتوا بشجاعة ، ووقعت معركة حامية ، وقتل فى هذه الحرب بير محمد أخته بيكى وأحمد بن ميرزا قلى وجرح ميرزا قلى ، وسقط عن صهوة جواده ، وعلى الرغم من بسالة السلطان لكنه أصيب بجرح سديف فى

راسه المباركة، وجرح أيضا جواده الخاص، وأبعد السلطان عنه الأعداء بضرب السهام وخرج سالما، وتوجه الى ضحاك وياميان، والتحققت به الفوة التي كانت قد ذهبت الى هذا الطريق، واستولى ميرزا كامران مرة أخرى على كابل.

توجه السلطان مع حاجي محمد خان وجماعة أخرى في ركابه الى يدخشان، وأرسل شاه بداغ وتولك قوجين ومجنون فاقشال وجميع آخر مجموعهم عشرة أشخاص للاستطلاع بجانب كابل ولم يعد للملازمة السلطان من هذه الجماعة سوى تولك قوجين، وتعجب السلطان من خسة تابعيه، وأقام في نواحي اندراب، وعندما علم سليمان ميرزا وإبراهيم ميرزا وميرزا هندال بمجيء السلطان جاءوا للملازمة بجيوشهم، وبعد أربعين يوما توجه السلطان الى كابل، وفي المنطقة التي هزم فيها ميرزا كامران، وقراجه خان وجيش كابل (٦٦٢) اصطف الطرفان، وفي تلك الوقت فر خواجه عبد الصمد المصور من جيوش ميرزا كامران ولازم السلطان ونال التكريم، وهزم كامران ميرزا الذي رفض الطاعة، وفر بحال سيء الى سفح جبل مندو (٦٦٣)، وأسر قراجه خان الغدار وقت هروبه، وأحضره عند السلطان، وأثناء الطريق رأى قنبر على بهاري الذي كان قد قتل أخوه بأمر خواجه قراجه خان في قندهار فانتزعت الفرصة وقتل قراجه خان، وسقط ميرزا عسكري في هذه المعركة، بين جنود السلطان، وسار السلطان ظافرا منصورا الى كابل، وقضى سنة في كابل للراحة.

فر جماعة من المتمردين مرة أخرى وتوجهوا الى ميرزا كامران وتجمع حوله قرابة ألف وخمسمائة فارس، وذهب حاجي محمد خان دون إذن السلطان الى غزنين، واضطر السلطان التوجه الى لغمان لصد ميرزا كامران، ولم يستطع مقاومته، وفر الى السند بمساعدة افغان مهمندوخيل داودي وزمينداران لغانات وقام السلطان بالصياد لفترة في نواحي لغانات وعاد الى كابل ومرة أخرى دخل ميرزا كامران بين الأفغان، وتوجه السلطان مرة ثانية لدفعه، وأصدر أمرا الى بيرم خان حاكم قندهار لكي يتوجه بسرعة الى غزنين ويقبض على حاجي محمد خان، وأرسل حاجي محمد خان رسولا الى ميرزا كامران حتى يصل اليه في غزنين: «لأنني عبد تابع لك وولاية غزنين تتعلق بكم»، وتوجه ميرزا كامران من ولاية بشاور الى طريق بنكش وكريديز الى

(٦٦٢) أكبر نامه، ص ٣٦٣.

(٦٦٣) مندرود (اليوت ط الهند، ص ٦٤).

غزنيين ، وكان بيرم خان قد وصل الى غزنيين قبل وصوله ، وذهب حاجى محمد خان اليه مضطرا ، وعادا سويا الى كابل ، وعلم ميرزا كامران فى الطريق بخبر توجه حاجى محمد خان الى كابل فعاد الى بشاور .

عاد السلطان همايون من لغمان الى كابل ، وقبل ان يدخل السلطان كابل بعدة ايام فر حاجى محمد خان منها وتوجه الى غزنيين ، وأرسل السلطان بيرم خان مع أكثر الأمراء لمطاردته ، وجاء حاجى محمد خان ثانية مع بيرم خان الى البلاط ، وأكرمه السلطان ، وحسب الأمر حمل خواجه جلال الدين محمود ميرزا عسكرى الى بدخشان وسلمه لميرزا سليمان حيث أذن له بالسفر الى مكة عبر بلخ ، وأرسله ميرزا سليمان الى بلخ ، وانتهت ايام حياة ميرزا عسكرى فى هذه الرحلة فى بلاد الروم (٦٦٤) واحتفظ الأفغان بميرزا كامران بينهم حتى يتكون لديه جيش ، وعزم السلطان همايون مرة أخرى على مطاردته ، وقتل حاجى محمد وأخاه بسبب كثرة جرائمهما ، وفى هذه المرة اغار ميرزا كامران بالاتفاق مع الأفغان على معسكر السلطان ليلا ، واستشهد ميرزا هندال فى هذه الليلة (٦٦٥) وتاريخ شهادته يؤخذ من « شبيخون » (٦٦٦) .

لم تفد حملة ميرزا كامران بفائدة ، وهزم ، وانعم السلطان همايون بخيل وحشم ميرزا هندال للأمير العالم جلال الدين أكبر ميرزا ، وعينه على غزنيين وتوابعها .

توجه السلطان بعد ذلك الى الأفغان الذين لم يستطيعوا أن يوفرُوا الحماية لميرزا كامران ، ويأس من الجميع ، ففر الى الهندوستان ، وذهب الى سليم خان (٦٦٧) ونهب السلطان جميع تابعيه وعاد الى كابل ، وبعد عدة ايام استراح فيها الجنود ، عزم السلطان التوجه الى الهندوستان من طريق بنكش وكرديز ، وأدب جميع المتمردين الذين كانوا فى اطراف النواحي وعبر السلطان نهر السند من بين دنكوت ونيلاب .

عندما أحس ميرزا كامران بالنية السيئة لسليم خان حاكم الهندوستان ، فر ولجا الى جبل سيالكوت ، ووصل بجهد جهيد الى ولاية سلطان آدم كهكهر ، واعتنى سلطان آدم به ، وعرض الحقيقة خفية على السلطان (٦٦٨) فأثنى عليه السلطان ، وأمر باحضاره ، وذهب منعم

(٦٦٤) تولى عسكرى بين دمشق ومكة ولم يصل الى هدفه (بداونى ص ٤٥٢) .

(٦٦٥) ذكر بداونى ذلك (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٤) .

(٦٦٦) اى « غارة » وهى تعادل سنة ٩٥٨ هـ .

(٦٦٧) وأخيرا ذهب يائسا الى سليم شاه (بداونى ، ص ٤٥١) .

(٦٦٨) قبض آدم كهكهر عليه وأرسله الى السلطان (همايون نامه لكلبدن بيكم ،

ص ٩٥) .

خان الى منزل سلطان آدم ، وأحضر ميرزا كامران الى نواحي برهاله
 للازمة السلطان ، وعفا عنه السلطان بناء على القول « عفو الاقتدار من
 علو الاقتدار ، وتسام السلطان لمرورته عن جرائم ميرزا كامران العديدة ،
 لكن القواد والأمراء الجفتائىة الذين أضيروا بالمتاعب والمحن بسبب
 الخلاف مع ميرزا كامران اتفقوا أن يحضروا عند السلطان ويقرروا أن
 بقاء اصل قبيلة الجفتائى في أمان ينحصر في فناء ميرزا كامران ،
 وما أكثر ما شهدت من العصيان المتكرر ونقض العهد من ميرزا كامران ،
 وأنه لا شك أن السلطان يوافق على سمس على عينية وقسام على دوست
 باريكى وسيد محمد بكته ، وغلام على شش انكشت بفصد عين
 أميرزا من محلها (٦٦٩) ووجدوا تأريخ هذه الواقعة في « بيشتير » (٦٧٠)
 وسمح لميرزا كامران بالسفر الى الحج بعد هذه الموافقة ، وزوده
 بأمتعة الرحلة ، ووصل الى مكة ، وهناك ودع الحياة (٦٧١) .

وصل السلطان الى جوار قلعة رهناس (٦٧٢) وأراد تسخير
 كشمير وفي هذه الأثناء ، عرفوا أن بيرانه حاكم هذه الجبال لا ينفاد
 الى أى من السلاطين بسبب مناعة بلاده ، وربما يحمى طريق الخروج ،
 ولم تسقط كشمير أيضا بيده ، وسيصعب أمره ، ولم يهتم السلطان
 بكلامهم لعلو همته وسار ، وفي ذلك الوقت وصل خبر مجيء سليم خان
 أفغان الى الهندوستان من هذه الناحية ، وبسبب قلة الجيش توجهه
 السلطان فجأة الى كابل بالأمراء والقواد الذين لم يكونوا موافقين على
 التوجه الى كشمير ، وعندما علم السلطان أنه ليس هناك شخص يوافق
 على هذا الهجوم عاد الى كابل ، وعبر نهر السند ، وأشار بتعمير قلعة
 بكرام ، وأتم جميع الجنود هذه القلعة بجد وجهد تام في وقت قصير ،
 وعين اسكندر خان أوزيك لحكم هذه القلعة ، وجاء السلطان الى كابل ،
 وأذن للأمير جلال الدين أكبر ميرزا بالسفر مرتين الى غزني ، وذهب
 خواجه جلال الدين محمود وجماعة أخرى من الأعيان في ركاب الأمير
 الظافر الى غزني .

وصل خبر وفاة سليم خان بعد مدة والخلافات بين الأفغان في
 الهندوستان (٦٧٣) ، ولما كان الوشاة قد عرفوا أن بيرم خان يريد

• (٦٦٩) أمر السلطان سيد محمد بسمل عيني ميرزا كامران (كلبدن بيكم ، ص ٩٦) .

• (٦٧٠) تاريخ خطا لأن بيتشر = ٩١٢ .

• (٦٧١) توفي سنة ٩٦٤ هـ (بداوى ج ١ ص ٤٥٣) .

• (٦٧٢) رهناس الجديدة في نواحي البنجاب وقد بناها شير خان .

• (٦٧٣) ساد الهرج والمرج بين الأفغان في الهندوستان وملوك الطوائف بعد وفاة

ساييم شاه (بداوى ج ١ ص ٤٥٥) .

العصيان: (٦٧٤) فقد أمر السلطان بالتوجه الى قندهار واستقبله بيرم خان ، وأظهر الولاء والاخلاص ، وعند العودة عين السلطان منعم خان على قندهار ، وعرض عليه منعم خان انه طالما ينوى مهاجمة الهندوستان فان تغيير وتبديل الحكام سيكون سببا فى تفرقة الجيش ، وبعد فتح الهندوستان فان هذا العمل يكون لائقا كما يقتضيه الحال ، وهكذا عين بيرم خان على حكومة قندهار واقطع بها درخان أخى على قلى خسان سيستان (٦٧٥) وعاد المعسكر العظيم الى كابل ، واهتم بالاعداد لمهاجمة الهندوستان :

ركب السلطان ذات يوم للتنزه والصيد كما هو معتاد ، وقال طالما أن عزيمة السفر الى الهندوستان فى خاطرى الآن فالأشخاص الثلاثة الذين يقع نظرى عليهم سأخذ قالا من السؤال عن أسمائهم وسأل أول شخص عن اسمه الذى يسمى به فقال اسمى « دولت خواجه » فاستبشر السلطان ، وعندما قطع مسافة ظهر قررى آخر سأله عن اسمه قال اسمى « مراد خواجه » ، قال السلطان ما أسعدنى لو يكون الثالث « سعادت خواجه » وعندما قطع مسافة أخرى من الطريق ، رأى شخصا قال ان اسمه « سعادت خواجه » وتعجب الجميع من هذه القضية العجيبة واستبشروا بفتح الهندوستان .

وفى ذى الحجة سنة ٩٦١ هـ ، وضع السلطان همايون قدم السعادة فى الركاب وعزم تسخير الهندوستان ، وعندما نزل فى بشاور ، وصل بيرام خان حاكم قندهار بموجب الأمر (٦٧٦) وعبرت الزايات الظافرة نهر السند ، وتقدم بيرام خان وخضر خواجه خان وتردى بيك خان واسكندر ، سلطان وجماعة أخرى من الأمراء فى المقدمة (٦٧٧) وفر تاتار خان كاشى حاكم رهتاس ، وعلى الرغم من حصانة القلعة الا انه لم يجد طاقة للمقاومة ، ولم يأت آدم كهكهر مع سابق خدمته للالزمة السلطان لخسته ، وواصل السلطان رحلته الى لاهور ، وبمجرد أن علم الأفغان بوصول الموكب الظاهر الى لاهور ، فروا :

(٦٧٤) وشى الوشاة أن بيرم خان قد ظهر عليه عدم الوفاء (بداونى ج ١ ص ٤٥٥) .

(٦٧٥) أكد ذلك بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٦) .

(٦٧٦) أراد السلطان أن يعزل بيرم خان عن قندهار ويسلمها لمنعم خان . ونظرا

لأنه صار وشيكا فتح الهندوستان فقد رأى من المناسب أن يعيده لحكم قندهار ضمنا لاتحاد

القواد (بداونى ج ١ ص ٤٥٨) .

(٦٧٧) خرج بيرم خان من قندهار وعبر السند والتحق بخضر خواجه وتردى بيك

واسكندر أوزبك (بداونى ج ١ ص ٥٤٥٨) .

« مع أن الراية العالمية الظاهرة كانت ما تزال بعيدة ، لكن النصر والظفر كان مرددا في الأفواه »

ودخل السلطان المدينة دون نزاع (٦٧٨) وتوجه الأمراء بسرعة الى جالندهر وسرهند ، وسقطت قرى البنجاب وسرهند وحصار تماما في يد الجنود الجغتائية بالقتال ، وفي ذلك الوقت تجمع جمع من الأفغان بقيادة شهباز خان ونصير خان أفغان في ديبالبور ، وأرسل السلطان مير أبا المعالي وعلى قلى سيستانى لصددهما ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على الأفغان ، وتهبوا أموالهما وأهليهما وزوجاتهما ، وأرسل سكندر أفغان الذى كان يسيطر على دهلى ثلاثين ألف شخص بقيادة تاتار خان وحبیب خان (٦٧٩) لصد أمراء سرهند ، وتجمع الأمراء الجغتائية في جالندر وعلى الرغم من كثرة العدو وقلة الصديق قرر الحرب ، ورحل السلطان وعبر نهر ستلج ، وعلم جيش الأفغان بعبورهم آخر اليوم ، فتوجهوا بهزيمة قتالهم ، واستعد الأمراء الجغتائية للقتال على الرغم من قوة اعداء ، وتقابل الجيشان وقت الغروب ، ووقعت معركة حامية وبدأ المغول في اطلاق السهام ، وبسبب ظلمة الليل لم يكن حملة السهام يرون المغول ، وأضرم الأفغان النار في كل مكان كان قريبا منهم لاضطرابهم ، ولما كانت أكثر بيوت الهندوستان مغطاة بالقش فقد استعلت النيران ، واضاعت الميدان أكثر ، وخرج حملة السهام المغول على ضوء النار واستعدوا بجميع أسلحتهم :

« هكذا صنعت لنفسك فجا ، وما دام عطشنا فانه حفر بئرا وسقط فيه »

ولم يستطع الاعداء الذين كانوا هدفا للسهام في ضوء النهار المقاومة وفرروا ، ووقع الفتح العظيم وسقطت أفيال وأمتعة كثيرة في يد جيش المغول ، وعندما وصلت بشرى الفتح الى لاهور سر السلطان سرورا جما ، وأثنى على الأمراء كثيرا ، واستولى على البنجاب كلها وسرهند وقلعة فيروزه واستولى المغول أيضا على بعض قرى دهلى (٦٨٠) .

عندما علم سكندر أفغان بهزيمة جيشه ، توجه بثمانين ألف فارس وأفيال كثيرة ومدافع عديدة عازما الانتقام ، ووصل الى سرهند ، وأقام حول معسكره خندقا وقلعة ، وأحكم الأمراء الجغتائية قبضتهم على مدينة سرهند ، وأظهروا استماتة بقدر المستطاع ، وأرسلوا رسائل الى

(٦٧٨) في ٢ ربيع الثانى سنة ٩٦٢ هـ .

(٦٧٩) حبیب خان وتاتار خان كاسى ونصیب خان طنجوى (بداونى ج ١ ص ٤٥٩) .
(٦٨٠) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٦٠) .

لاهور ، وطلبوا مجيء السلطان همايون (٦٨١) فتوجهت الرايات العالية بالفتح والظفر الى سرهند وعند اقتراب الوصول استقبله الأمراء ونظموا الصفوف ، وتقدموا بكامل الاستعداد لمواجهة العدو الذى كان أضعافاً مضاعفة لجيش المغول ، وبعد عدة أيام أبدى الطرفان شجاعة وجلدا واستماتة ، وذات يوم اصطفت الطلائع التابعة للأمير العالم جلال الدين محمد أكبر ميرزا ، وهجم من ناحية بيرام خان خانان وهجم من الناحية الأخرى سكندر خان وعبد الله خان أوزيك وشاه أبو المعالى وعلى قلى وبهادر خان على الأعداء ، وأبدى كل أمير من امراء فى هذا اليوم شجاعة واستماتة الى درجة كبيرة وتفوق طاقة البشر ، وحققوا النجاح ، ووقعت الهزيمة (٦٨٢) على جيش الأفغان الذى كان قرابة مائة ألف شخص من طائفة قليلة ، وفر سكندر ، وتعقب الجيش الظافر الأعداء ، وقتل كثيراً منهم ، واستولوا على غنائم كثيرة ، وعاد الجيش ظافراً ومنتصراً الى السلطان ، وقام بمراسم التهاني وكتب الأدباء بموجب الحكم رسالة فتح باسم الأمير العالم الذى تحقق النصر بحسن شجاعة تابعة وأرسلها الى الأطراف والأكناف ، وتوجه سكندر خان أوزيك الى دهلى ، وتوجه المعسكر الظافر من طريق سامانه الى عاصمة الهندوستان ، وفرت جماعة من الأفغان الذين كانوا فى دهلى بأقصى سرعة ، ودخل سكندر خان المدينة ، وأرسل مير أبا المعالى الى لاهور لدفع سكندر الذى فر الى جبال سواك (٦٨٣) .

جاء السلطان دهلى فى رمضان (٦٨٤) وجعل الخطبة والسكة مرة أخرى فى أكثر سواد الهندوستان باسم جلالته ، وقضى بقية هذه السنة فى اللهو والمرح .

لما كان شاه أبو المعالى الذى ذهب لدفع سكندر لم يسلك سلوكاً طيباً مع الأمراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم ، وأطلق يده أيضاً فى الخزانة العامرة ، وقوى نفوذ سكندر يوماً بعد يوم ، ووصل هذا الخبر الى السلطان فأرسل بيرام خان « أتاليقى » الأمير العالم فى ركب

-
- (٦٨١) استدعى الأجراء السلطان من لاهور الى سرهند (بداونى ج ١ ص ٤٦٠) .
 - (٦٨٢) أقاموا منارة من رؤس القتلى (بداونى ج ١ ص ٤٦١) .
 - (٦٨٣) فر اسكندر أفغان الى جبل سواك (بداونى ج ١ ص ٤٦١) .
 - (٦٨٤) أتجه المعسكر العظيم من طريق سامانه الى حاضرة الهندوسان ، ووصل الى دهلى فى رمضان سنة ٩٦٢ هـ (بداونى ٢/١) .

الأمير لدفع سكيندر ، وأصدر أوامره أن يتوجه شاه أبو المعالي الى حصار فيروزه (٦٨٥) .

جمع قنبر ديوانه جماعة من دواب وسنبل في هذه الأيام ، وفام بالذهب والسلب ، وتجمع حوله أناس من المغامرين ومحدودي التفكير من كل جانب ، فأرسل السلطان على قلى خان سيستاني لصدده وتحصن فى قلعة بداون ، وسعى على قلى عدة أيام وأخيرا استولى على القلعة ، وأسر قنبر بيك ، وقتله ، وأرسل رأسه الى البلاط (٦٨٦) .

ومن الحوادث العجيبة ما كان فى السابع من ربيع الأول ، وقرب صلاة المغرب وحين كان السلطان همايون قد صعد أعلى سلم المكتبة ، ومكث فترة ، وحين النزول كان المؤذن قد بدأ يؤذن للصلاة ونزل السلطان على الدرجة الثانية مكيرا ، وحين نقل قدمه المباركة التوت وانفلتت عن السلم وهوى على الأرض (٦٨٧) واضطرب أهل المجلس ، وأدخلوا السلطان الذى كان فاقد الوعي الى داخل القصر ، وبعد لحظة أفاق ، وتحديث ، وسعى الأطباء فى معالجته كثيرا ، ولكن لم تأت بفائدة وفى اليوم التالى ساء حال السلطان ، وانقضى أمر العلاج ، وأرسلوا نظر شيخ جوتى (٦٨٨) الى الأمير العالم فى البنجاب ، وأطلعه على الحقيقة ، وفى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٦٣ هـ وعند الغروب أجاب داعى الحق مليبا ، وسعد بالرياض الرضوانية ، ومن الصدق العجيبة أن هذا المصراع صار تأريخا لوفاة السلطان .

« هوى السلطان همايون من السطح » (٦٨٩)

امتدت أيام سلطنة السلطان همايون خمسة وعشرين سنة ، وبلغ عمره المبارك احدى وخمسين سنة ، وكانت ذاته المليكة وصفاته مزينة بالكمال الانسانى ، وامتاز عن سلاطين الآفاق بالشجاعة والبطولة ، ولن تف ثروة الهندوستان كرمه ، وكان فريدا فى علم النجوم والرياضة.

(٦٨٥) أبدى شاه أبو المعالي سلوكا سيئا مع الأمراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم وعلى الخزانة والخالصة ولهذا عين السلطان همايون بييرا خان لدفع اسكيندر وشاه ابا المعالي لحصار فيروزه (بداوتى ج ١ ص ٤٦٣) .

(٦٨٦) كان هذا فى ربيع الاول سنة ٩٦٣ هـ (بداوتى ١/٤٦٥) .

(٦٨٧) سمع الناس صرخة وحاول الجلوس فلم يستطع (كلبدن بيك ص ٥٥) .

(٦٨٨) نظر شيخ جولى (بداوتى ١/٤٦٦) .

(٦٨٩) « همايون بانشاه از يام افتاد » وهى سنة ٩٦٢ هـ ، وذكر أبو الفضل ذلك سنة ٩٦١ هـ (اكبر نامه ص ٤٤٢) ، وذكر بداوتى أن تاريخ وفاته هو « أى آه بادشاه من از يام افتاد » أى سقط سلطاني من على السطح - وهى تعادل سنة ٩٦٠ هـ .

يقرض شعرا جيدا ، ويقضى دائما أول الليل حتى الصباح فى صحبة قدوة الناس من الفضلاء والعلماء والأكابر وكانت الآداب مرعية فى مجلس السلطان رعاية كاملة ، وزين جل وقته بالبحث العلمى فى عهده وكانت مروءته عالية لدرجة أن ميرزا كامران وأمراء الجغتائية كرروا العصيان ، وأسروا ، وعفا عن جرائمهم ، وكان فى كل الأوقات متوضئا ، ولم يكن يذكر اسم الله (٦٩٠) على لسانه قط دون وضوء ، وذات يوم استدعى مير عبد الحى صدر الملقب بعبدل (٦٩١) ، وعندما فرغ من الوضوء طلب بالمعذرة لانه طالما لا أكون متوضئا لا أستطيع أن أقول اسمك وحى هو اسم الله ، كانت ذاته المليكة صفات جامعة للكلمات الصورية والمعنوية ، رحمة الله عليه .

المهم كان شيخ جونى الذى توجه الى البنجاب وقت شدة مرض السلطان قد وصل الى كلانور الى الأمير العالم ، وعرض القصة الغربية ، ولكنهم أرسلوا بعده خبر وفاة السلطان ، واتفق الأمراء الذين كانوا فى الركاب الظافر للأمير تحت قيادة بيرام خان خانان أن يجلسوا الأمير على السلطنة بعد تقديم التعازى ، وفى الثامن من ربيع الثانى ، أعدوا احتفالا عظيما فى قسبة كلانور (٦٩٢) .

« وطلا السلطان مسند الحكم ، وأمن الناس والعالم من ارضائب »

« دخل الى بلاط الله ، وفتح الأمن الملكى الأبواب »

ولما كان ذكر تغلب وتسلط شيرخان أفغان وسليم خان وسائر الأفغان على بلاد الهندوستان سابقا لأيام حكم السلطان أكبر فلا مفر من أن يذكر المؤرخ هذا ، ولا جرم من أن ينعطف عنان القلم الى ذكرهم ، وسيذكر أحوال خير العالمين السلطان بعد اتمام أحوال هذه الجماعة .

ذكر أحوال شيرخان :

هو شيرخان شاه المذكور على الألسنة والأفواه ، اسمه فريد واسم أبيه حسن ، وحسن من طائفة افغان السورية ، وحين ارتقى السلطان

(٦٩٠) لم يكن اسم الله أو الرسول يجرى على لسانه مطلقا دون وضوء (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩١) وكان يقول لأصحاب الاسماء المركبة من « عبد » والاسماء الحسنى مثل عبد الله ، فكان يكتفى فقط بعبدل ، اذا لم يكن طاهرا (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩٢) سعد بيرم خان بالا ينشر الخبر بين الجنود الذين يطاردون سكندر فى جبل سوارك وأجلس جلال الدين محمد الأكبر على العرش فى يوم الجمعة الثانى من ربيع الأول سنة ٩٦٢ هـ (بدوانى ٨/٢) .

بهلول السلطنة ، استدعى كثيرا من الأفغان من ولاية « روه » وهى موطن الأفغان ، وروه عبارة عن جبل يمتد من سواد « ديجور » الى قصبية « سور » من ناحية الطول وهى من توابع بهكر ، ومن ناحية العرض فهى من « حسن ابدال » حتى « كابل » وتقع قندهار على حدود هذا الجبل .

جاء والد حسن سور ويدعى ابراهيم الى الهندوستان ، وكان يعمل فى خدمة امراء السلطان بهلول (٦٩٣) وقضى فترة فى حصار فيروزه وفترة اخرى فى قرية نارنول ، وعندما انتهى عهد بهلول ووصل ابنه اسكندر الى السلطنة ، حكم جمال خان وكان من امراء السلطنة سكندر جونبور (٦٩٤) ، وقضى حسن أبو فريد عمرا فى ملازمته ، واهتم جمال خان بحسن سور واقطعه قرية بهرام من خواص بور تانده وهى من توابع رهتاس ، وجعل برفقته خمسمائة فارس ، وكان لحسن ثمانية ابناء هم : فريد ونظام من أم واحدة وأمهما من نسل الأفغان ، والأبناء الآخرون كانوا من الجوارى ، ولم يكن حسن يألف والدة فريد كثيرا ، ولم يهتم به مثل ابنائه الآخريين (٦٩٥) ، واستاء فريد من أبيه ، وترك خدمته وذهب لملازمة جمال خان ، وكتب حسن الى جمال خان ان يليب خاطر فريد ، ويرسله اليه « فانى أريد أن أعلمه شيئا وأهذب اخلاقه » ، وكلما طلب جمال خان من فريد أن يذهب الى أبيه الذى كان راسمال سعادته ، لكنه لم يقبل ، وقال : ان جونبور مدينة مثل سهرام وهناك علماء أكثر ، وسوف أهتم هناك بطلب العلم » ، وقضى فترة هناك ، وقرأ أشياء كثيرة ، وأطلع على الكافية مع الحواشى الأخرى والكتب ، وقرأ أيضا الكلستان والبوستان وسكندرنامه التى كان أهل الهند يقرأونها هذه الأيام ، وأطلع أيضا على السير والتواريخ ، وبعد سنتين أو ثلاثة جاء حسن الى جونبور ووسط أقربائه كى يحضروا فريدا ، ويزيلون الخلاف ، وعين حسن فريد على رئاسة العمل فى مقاطعته ، وأرسله الى المقاطعة ، وقال لوالده وقت السفر : « انه لكى أحكم العالم وخاصة الامارة فلا بد من العدل ، واذا أرسلتنى الى المقاطعة فلن أتجاوز عن العدل ، وأكثر تابعيك وأقربائهم يتجاوزون طريق العدل ، وأنا لا اريد المحاباة ، وأقسم على هذا » ، وذهب الى المقاطعة ، وسلك بينهم

(٦٩٣) عمل فى خدمة محبت خان حاكم البنجاب (تاريخ شير شاه . عباس خان سروانى اليوت ج ٤ ص ٣٠٧) .
(٦٩٤) عمل حسن والد شير خان لدى جمال خان فى ولاية سهرام وخواصبور (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) .
(٦٩٥) كان حسن لا يحب أم فريد ويفضل عليها الحوارى (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) .

سلوك العدل والكفاءة ، ورعا العدل بين الأقرباء ولم يكن قد رأى « مقدمو » (٦٩٦) بعض القرى الذين كانوا متمردين وأهل فتنه فريدا ، فحذر هذه الجماعة ، واستشار رجاله ، وقالوا جميعا ان الجيش برفقه أبوك وينبغى أن تصبر حتى يأتى أبوك ، وأمر فريد أن يصنعوا مائتين من السروج وطلب من « مقدم » كل قرية جوادا عاريا ، واستدعى جزء من الجيش كان يقيم فى هذه النواحي وكان بعضهم من المشاة ، وزودهم بالنفقة واللباس ووعدهم بالخير ، وأركب كل واحد على جواد عار ، وذهب الى المتمردين ، وخرّب أملاكهم ، وأسرمهم .

كان بعض المتمردين الذين اشتبهوا فى نواحي الولاية بالقسوة والمكانة والمتانة اعتمادا على الغاية ، لم يكن قد رأوا فريدا ، فالحقوا الضرر بولايته وقراها ، وقويت شوكتهم ، فذهب اليهم ، ونزل على مقربة من أماكنهم ، وأقام لنفسه قلعة ، وأخذ يقطع كل يوم من الغابة حتى وصل الى القلعة وحاصرهم وهزمهم وأسر وقتل خلقا كثيرين وعندما فعل هذا صار جميع المتمردين فى هذه النواحي طائعين له ، وفرض عليهم المال ، وعمر بركناته ، وصار صاحب مكانة وشوكة .

وجاء حسن الى المقاطعة بعد فترة وشاهد تعمير القرى وتنظيم الطرق ، فسر وأثنى عليه ويروون أنه كان لحسن جارية له منها ثلاثة أبناء هم : سليمان وأحمد ومدا ، وكان حسن عاشقا ومحبا لهذه الجارية ، وذات يوم قالت لحسن : كنت قد وعدتني أنه حينما يكبر أبناؤك سأوليهم « داروغكى » الولاية (٦٩٧) ، وآآن قد وصلوا سن البلوغ ، وينبغى أن تفى بوعدك ، وكان حسن قد أخبر ابنه فريد أكبر الأبناء وأطلعه على الأمر ، فهم فريد هذا المعنى ، وعزله عن حكومة الولاية ، وعين حسن سليمان وأحمد بوظيفة « داروغكى » وأعتذر لفريد ، وقال : « طالما أصبحت صاحب تجربة وخبرة فأننى أريد أن يصير أخوتك أيضا ناضجين » ، وفى آخر الأمر ستحل أنت محلى .

المهم عندما استقر سليمان وأحمد على حكومة الولاية ، يؤس فريد ، وترك ملازمة والده ، وتوجه الى اكره ، واستقر فى خدمة دولت خان وكان من أمراء السلطان ابراهيم الكبار ، وقام بخدمته مدة طويلة (٦٩٨) ، وسر منه ، وذات يوم سأل دولت خان فريد ، قل لى أى

• (٦٩٦) رؤساء القرى

• (٦٩٧) حاكم

• (٦٩٨) وعهد اليه ببعض القرى (تاريخ شير شاه ، ص ٢٢٤)

مطلب أو أمنية تتمناها أقدمها لك ، قال فريد : ان أبى صار هرما ،
وابتلى بسحر جارية هندية ، ويسبب سيطرة هذه الجارية فان ولاية
ومقاطعات أبى وجيشه قد ساء حالهم واضطرب ، فلو أن الولاية لى ،
وكل من الآخرين أحدهما يكون بخدمة السلطان مع خمسمائة فارس
والآخر يكون مسئولاً عن قرية والجيش ويكسون فى خدمة أبى ، وذات
يوم عرض دولت خان هذا الكلام على السلطان فقال أى رجل سىء ذلك
الذى يستولى على التاج والسلطان من الأب ، فقال دولت خان هذا الكلام
لفريد ، وسرى عنه وقال اننى سأعرضه عليه ثانية فى وقت مناسب ،
وسيتحقق طلبك ، وعين له وظيفة يومية زيادة ، وظل فريد برفقة دولت
خان لخلقه الطيب ومعرفته الواسعة ومروءته ، حتى توفى حسن والده ،
وعرض دولت خان خبر وفاة حسن على السلطان ابراهيم ، فأقطع
مقاطعة أبيه الى فريد وأخيه ، وصدر لقرير فرمانا بحكومة سهرام
وخراس بورتانده ، وذهب فريد الى مقاطعته ، واهتم بتنظيم الجيش
والزرعية ولم يستطع سليمان مقاومة فريد (٦٩٩) وفر ، وذهب الى محمد
خان سور الذى كان يحكم جونه ولديه ألف وخمسمائة فارس وقال محمد
خان سليمان : « شاع الخبر أن باير بادشاه قد دخل الهندوستان وستقع
الحرب بين السلطان ابراهيم والبادشاه ، فاذا انتصر السلطان ابراهيم ،
فسأحملك اليه فى سفارة ، واستاء سليمان وقال : « اننى لا أستطيع
أن أنتظر كل هذا ، وأنهم يتبعون أمى وزوجاتى وأرسل محمد خان الى
فريد ، وأشار بالصلح بين الأخوين » ، وقال فريد « اننى أقبل ما ورثه
سليمان فى حياة أبيه ، ولكننى لا أرضى أن يشاركنى فى حكومتى ،
فما من سيفين يوضعان فى غمد واحد ، وما من حاكمين فى مدينة واحدة ،
ولما لم يرض بمطلب سليمان لمشاركته فى الحكم سرى محمد خان عن
سليمان وقال له : « هدىء من روعك فاننى سأخذ الحكومة من فريد
بالقوة ، وأعطيتها لك » .

وعندما علم فريد بهذا الأمر ، تدبر أمره ، وكان منتظرا ما يحدث
بين السلطان باير والسلطان ابراهيم وعندما سمع بخير مقتل السلطان
ابراهيم ونصر البادشاه ، ذهب للالزمة بهادر (٧٠٠) ابن دريا خان
الذى كان قد لقب نفسه بالسلطان محمد ، واستولى على ولاية بهار
ورفع لواء السلطنة ، وانتظم فى ملك تابعيه .

(٦٩٩) صدر فرمان السلطان ابراهيم لودى بأن يستولى فريد على البلاد التى كانت
فى حوزة أبيه ، ولم يكن يناسبه العداة سوى أخيه سليمان الذى أراد مقاسمته ، فقال له :
ليست هذه بلاد روه حتى تقاسمنى فيها (تاريخ شير شاه ، ص ٣٢٧) .

(٧٠٠) بهادر خان (اكبر نامه ص ١٧٠) ، بهار خان بن دريا خان نوحانى (بداونى

٣٥٨/١) .

ذات يوم ذهب السلطان محمد للصيد ، وفجأة برز أسد ، وواجه فريد الأسد ، وقتل الأسد بطعنة سيف ، وأثنى عليه السلطان محمد ولقيه بشير خان (٧٠١) ، وبالتدريج حظى شيرخان بالقرب تماما من السلطان ، وفوض السلطان محمد شيرخان بالنيابة عن ابنه جلال الذى كان صغيرا فى السن ، وجعله أتاليق (٧٠٢) ، وبعد مدة سمح لشيرخان بالسفر الى مقاطعته على أن يزوره فى المواعيد المحددة حسب الاتفاق ، وذات يوم شكوا السلطان محمد من شيرخان وقال فى المجلس : « لقد تخلف عن الموعد ولم يأت للزيارة » ، قال محمد خان حاكم جونه : « انه ينتظر قدوم السلطان محمد بن السلطان سكندر » ، فتغير مزاج السلطان محمد وقال (محمد خان) ان علاجه هو أن سليمان أخاه الذى كان يحل محل أبيه فى حياته ، وفر منه مدة وهو الآن عندي ، فلو أنعمت عليه بمقاطعة شيرخان ، فان شيرخان سيأتى اليك سريعا ولم يرض السلطان محمد بعزله عن ولايته ، بسبب حقوق خدمته وعدم وجود جريمة ظاهرة » ، وقال لمحمد خان : ان الطريقة المناسبة هو أن نقسم المقاطعة بين الأخوين لكى تهدأ الفتنة والفساد ، ولما كان محمد خان قد جاء من ولاية جونه وأرسل شادى علامة الى شيرخان ، وأرسل معه رسالة من أن أحمد وسليمان أخواك منذ مدة عندي فأرسل حصتهما ونصبيهما الى ، فرد شيرخان انها ليست بلاد روه التى هى ملك لكل شخص ولكنها بلاد الهندوستان ، كل من يستحق السلطان تكون له ، وحتى اليوم فان أسلوب السلاطين انهم يقسمون مال الميث بين الأخوين حسب الشرع ، لسكن لا يجوز على ما حققته من عملى وأنعموا به على من حكومة وانعام .

« لا يورث الملك للانسان دون أن يقاتل ويصادق كثيرا »

واننى أحكم سهرام وخواصبور تانده بأمر السلطان ابراهيم ، وعندما ذهب شادى الى محمد خان روى له ما ذكر ، فاضطر محمد خان ، وأمر أن يذهب شادى بكل قوته مع سليمان ، ويستولى على خواصبور تانده ، ويسلمها لسليمان ، واذا امتنع شيرخان حاربه ، وهزمه ، وخذ منه المقاطعة وسلمها لسليمان ، واترك قوة كبيرة لمساعدة سليمان ، وتعال » .

حدث أنه فى ذلك الوقت ان كان « سكه » غلام شيرخان وهو أبو خواص خان وكان « داروغه » خواص بور تانده من قبل شيرخان ، وسمع شيرخان بمجىء شادى سليمان فكتب الى « سكه » لا تقصر فى

(٧٠١) ورد نفس القول عند بداونى ٣٥٨/١) .

(٧٠٢) حمله أتاليق ابنه جلال خان (بداونى ٣٥٨/١) .

المقاومة والدفاع ، ووصل شادى وسليمان الى خواصبور ، وخرج ملك سكه للحرب ، وقتل وهزم جيش شيرخان ، فجاء الى سهرام ، ولم يبق لشيرخان طاقة للمقاومة ، وأراد ان يتوجه الى ناحية أخرى ، وقال البعض ينبغي أن تذهب الى السلطان محمد ، ويعلم شيرخان أن محمد خان من الأمراء الكبار ، والسلطان محمد لن ينساني ، وعزم أن يتوجه الى السلطان جنيد برلاس (٧٠٣) الذى كان يحكم كره مانكبور من قبل السلطان بابر بادشاه ، وتشاور مع أخيه نظام (٧٠٤) واستقر رايه على ذلك . وازسل الرسل والرسائل الى السلطان جنيد ، وتعاهد وقدم الهدايا الكثيرة ، واعد السلطان جنيد جيشا ، أخذ شيرخان للمساعدة ، وتوجه الى مقاطعته ، ولما لم يكن لدى محمد خان مقدرة للمقاومة ، فر ، وتحصن بجبل رهتاس ، واستولى شيرخان على قريتين بالاضافة الى قرية جونيه ، رقرى آخى فى هذه النواحي ، وأثنى شيرخان على مساعديه وأنعم بالانعامات والذهب وأرسلهم بالتحف والهدايا اللائقة الى السلطان جنيد ، واستدعى أقوامه وقبيلته الذين كانوا قد هربوا وتحصنوا وفي الجبل ، وقويت شوكته تماما ، كتب الى محمد خان حيث كان الهدف الانتقام من الأخوة ، وقال : « أعلم أنك بمثابة عمى فأخرج من متاعب الجدل ، ويكفينى مقاطعتى وما أخذته من السلطان ابراهيم » وجاء محمد خان أيضا وصار رهينة لمنة شيرخان (٧٠٥) وعندما تجمع لشيرخان قوته ، ترك نظام أخاه على المقاطعة ، وذهب الى السلطان جنيد برلاس فى كره *

تصادف فى هذه الأيام أن ذهب سلطان جنيد للالزمة السلطان بابر بارشاه ، ورافقه ، ولازم شيرخان السلطان بابر ، ودخل ضمن أتباعه ، وكان شيرخان فى الركاب الظافر فى رحلة جنديرى ، وعندما قطع الجيش مسافة ، اطلع على نظام وسلوك المغول ، وذات يوم قال لرفاقه : انه من السهل اخراج المغول من الهندوستان ، قالوا وما دليلك ، قال : ان السلطان نفسه يقلل المعاملات ويثسق فى الوزراء ، والوزراء ينفذون بالرشوة ولا يراعون حق السلطنة ، وعيب الاتفاق أنهم لا يتفقون مع بعضهم ، فلو تحقق المراد ، وأوحد الأفغان سويا ، وأرفع الخفاق من بينهم ، فضحك رفاقه من هذا الادعاء الذى يستحيل فى هذا الوقت ، وسخروا منه *

(٧٠٣) كان جنيد برلاس ملازما للسلطان بابر وحاكما لكره وهانكبور (بداونى

٣٥٨-٣٥٩) *

(٧٠٤) اخوه الشقيق من أم وأب واحد (بداونى ٣٥٨/١) *

(٧٠٥) ندس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٨) *

وذات يوم في مجلس السلطان بابر ووثقت تناول الطعام ، كانوا قد وضعوا طبقا من عضلة الحيوان امام شيرخان عجز عن تناوله فسل سكيننا ، وجعل لحم العضلة قطعاً ، وتناولها بالملعقة ، ووقف السلطان على هذا الأمر ، فقال لمير خليفة : « ان هذا الأفغانى يتصرف تصرفات غريبة » ، وعندما علم بما كان قد قام به مع محمد خان اثنى على نكائه وفهمه ، وعلم شيرخان بحديث السلطان لمير خليفه ، وادرك ان هذه النظرة نظرة غيرة وبالإضافة الى ما لديه من وهم منه ، ففر من المعسكر في نفس الليلة ، وذهب الى مقاطعته وكتب الى السلطان جنيد برلاس : « انه وصلنى ان محمد خان قد قال للسلطان محمد ان شيرخان عند المغول وينبغى ان ترسل الى مقاطعته جيشنا ، ولما كنت اعلم انه لن يتيسر لى نرصة السفر بسرعة وكان الوقت ضيقا ، ووصلت بسرعة الى المقاطعة ، واننى لم اخرج من زمرة تابعى الدولة » (٧٠٦) .

المهم لما كان شيرخان خائفاً ويائساً من ناحية المغول فقد ذهب بموافقة اخيه ثانية الى السلطان محمود ، وأكرمه السلطان محمود وعينه أتاليقياً ابنه جلال خان ، وحسب المقدور فقد توفى السلطان محمود فى هذه الأيام ، وحل جلال خان الصغير السن محله ، وسيطرت والدة جلال خان دود أنام (٧٠٧) على المهام ، وبموافقة شيرخان ، وفى نفس هذه الأيام توفت أم جلال خان ايضاً واستقرت حكومة ولاية بهار من حيث الاستقلال بشيرخان (٧٠٨) وارسل مخدموم عالم وهو من أمراء البنغال وحاكم أمارة حاجى بور الى شيرخان موافقته ، فتغير خاطر سلطان البنغال منه ، وارسل قطب خان وكان من الأمراء الكبار لتسخير ولاية بهار واستئصال مخدموم عالم ، وكلما أراد شيرخان عقد الصلح لا يجد فائدة ، وأخيراً اتفق مع الأفغان على القتال ، وقرر الحرب ، وعندما التقى الطرفان ، ووقعت معركة حامية ، قتل قطب خان ، وانتصر شيرخان ، واستولى شيرخان على أفيال وخزائن وحشم البنغال ، وزادت قوته وسيطرته ، ومن ناحية أخرى كان النوحانيون الذين كانوا فى الأصل لا يقبلون شيرخان ويقصدون قتله ، وسعوا عند جلال خان الذى كان نوحانياً ايضاً ، وانفصلت جماعة من أتباعه ، وعلم شيرخان بهذا الأمر ، فأبعده جلال خان فقال لجلال خان ان أمرائك ينافقون لأنهم يحسدوننى ، فان لم تسع فى علاج الأمر فانه ينبغى أن أتبعك عنك ، قال

(٧٠٦) أيد بداونى هذه الرواية (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٩) .
(٧٠٧) سيطرت دودى على مهام البلاد ولكن سرعان ما توقفت (عباس خان . تاريخ شير شاه ، ص ٢٤٢) .
(٧٠٨) كان شيرخان وصبا على جلال خان الذى كان طفلاً (بداونى ج ١ ص ٣٦٠) .

جلال خان ، هل يكون صالحا لك الا اخرج ؟ قال شيرخان ، ينبغي تقسيمهم الى فرقتين فترسل فريقا لتحصيل ذهب القرى والاخرى لمواجهة العدو الذى فى البنغال ، وارك تايغو جلال خان والنوحانيين من جلال خان ان يترك شيرخان ايضا تحت سيطرة حاكم البنغال ويذهب هو الى البنغال ، وان يرسل الى سلطان البنغال ابراهيم خان بن قذلب خان لمساعدته ضد شيرخان ، وتحصن شيرخان فى القلعة التى اقامها حوله ، وكان يرسل كل يوم قوة للقتال وهزم جيش الأعداء حتى طلب ابراهيم خان مساعدة اخرى من البنغال ، وعلم شيرخان بعد ذلك انه سيحضر الى العدو وساعدة اخرى فأعد رجاله واستعد للقتال ، وهيا رجاله وقت السحر ، وخرج من القلعة ، وتوجه الى جيش البنغال ، ونظم الفرسان وحملة البنادق والافياء ، وتقابلا وهجم شيرخان ورجاله عليهم ، وجعل خاصة رجاله فى خلف تل فى الخفاء ، وقرر ان يحتموا بالتل وهم يمتطرون العدو أثناء المواجهة حتى يخرج فرسانهم عن مرمى البنادق ، فيهاجموهم ، وحدث هذا حين هجم الجيش الذى كان مختفيا فجأة ، احدث دمارا على البنغاليين ، واحتمى ابراهيم خان ولقى حتفه (٧٠٩) وخرج جلال خان جريحا من تحت الأقدام ، وذهب الى البنغال ، واستولى شيرخان على كل حشم واقبال ودفعية البنغاليين ، وصار ملك بهار خالصا ، وارتقى السلطنة .

يروون ان تاج خان كان يحكم فى ذلك الوقت حكومة قلعة جنار من قبل السلطان ابراهيم لودى ، وكان له امرأة وهى « لادمك عقيمة » كان تاج خان يحبها ويعشقها كثيرا ، وكان أبناء تاج خان من النسوة الأخريات بصدد قتل « لادمك » حقا وحسدا ، وحدث أن كان أحد أبناء تاج خان وهو اشجعهم جميعا قد رمى لادمك بسهم ، ولم تصيبها الرمية ، وفامت جلبة من انهم قتلوا لادمك ووصل تاج خان والسيف مسلولا فى يده ، وقصد ابنه ، ولما ايقن الابن انه لا خلاص من ابيه فبادر بقتل الأب ، وانعمد أسفا سيفه ، وقتل تاج خان ، ولما كان اولاد تاج خان غير قادرين على حكم القلعة والولاية والجيش ، وعلم شيرخان بهذا الأمر وكان مجاورا ، وتحدث مع مير أحمد ترکان ، وبعد عودة الرسل قرر ان يعقد شيرخان عقد زواج على لادمك (٧١٠) واستولى على قلعة جنار ، واستولى شيرخان بزواجه لادمك على القلعة بخزائنها ودفائنها .

(٧٠٩) الحق ابراهيم خن باييه واستولى شيرخان على حشم واقبال ودفعية البرتغاليين واستقل بولاية بهار (منتخب التواريخ ج ١ ، ص ٣٦٠) .
(٧١٠) وكانت امرأة ذات جمال ، فتزوجها وأضاف ذلك قوة الى قوته وشوخته (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦١) .

« عندما يضيق الأمر ، يجعل زمام قلبه تحت ارادة رجاله »
« يصل نور العين من الريحان ، ولا يتيسر للمشاهدين الرؤية من بعيد »
اجا السلطان محمود بن سكندر لودى خلال هذه الأحوال الى سنكا
من صدمة جيوش السلطان باير وجاء مع راناسنكا وحسن خان ميواتى
وحكام آخرين لهاجمة السلطان باير ، ووقعت الحرب فى نواحى خانوه ،
رهزموا ، وقد ذكر ذلك فى محله ، وحدث ان أرسل السلطان محمود الى
اكثرأمرء اللوديين الكبار الذين كان يسمع عنهم فى ولاية تهته ، وليوا
طالبه ، وجاء السلطان محمود الى تهته ، وجلس بسعى الأمراء ثانية على
كرسى الحكم ، ودخل ولاية بهار من هناك بجيش جرار وعندما رأى
شيرخان أنه لا مفر من أن يتبع الافغان السلطان محمود ، فذهب لملازمته ،
وقدم الطاعة ، وقسم السلطان محمود ولاية بهار بينهم أيضا ، وترك
قسما لشيرخان ، واعتذر من أنه ترك ولاية جونبور تحت سيطرة المغول ،
وأريد منك ولاية بهار مستقلة ، وأخذ شيرخان من السلطان محمود موثقا ،
وبعد فترة سمح له بتنظيم شئون جيش مقاطعته ، وجاء الى سهسرام ،
وكان السلطان محمود قد ذهب لحرب المغول فى ولاية جونبور ، وأرسل
رسولا لاستدعاء شيرخان ، فأرسل شيرخان اليه رسالة : اننى سأتبعك
بعد اتمام شئون الجيش » ، وقال أمراء السلطان محمود : انه طالما أن
شيرخان رجل مكار ومحتال فمن المناسب أن تذهب الى مقاطعته وتأخذه
معك ، وتوجه السلطان محمود الى سهسرام بجيشه ، واستقبله شيرخان ،
وقدم لوازم الخدمة والضيافة ، وتوقف السلطان محمود هناك عدة ايام ،
ثم توجه الى جونبور ، ولم يستطع أمراء السلطان باير الذين كانوا فى
جونبور مقاومته ، ورحلوا ودخلت جونبور ونواحيها تحت تصرف
الأفغان ، واستولوا حتى ولاية لكهنوتى .

توجه السلطان همايون فى ذلك الوقت الى نواحى كلينجر ، وعندما
عرضوا عليه ، غلبة وطغيان الأفغان فلوى عنان السفر لدفع ورفع هذه
الطائفة ، وواجه السلطان محمود وبين بايزيد وأمراء الأفغان ، واستاء
شيرخان من قيادة بين بايزيد وتمنى له الهزيمة ، وأن يرى رأى العيان
هزيمته فأرسل رسالة فى الخفاء لأمير هندوبيك (٧١١) وكان من أمراء
وقواد المغول الكبار من انه لما كانت تابع للسلطان باير فاننى سأسعى
لهزيمة الأفغان وقت الحرب ، وسأنسحب بجيشى ، ونفذ ما قاله وقت

(٧١١) أرسل رسالة الى هندوبيك فوجين بأنه سيتقهقر وقت الحرب (بداوى : منتخب
التواريخ ج ١ ، ص ٣٦١) .

الحرب وأنشاء اصطفااف صفوف الطرفين ، وتقهر ور ، وتسبب فراره فى ان حقق جيش أتباع السلطان همايون الفتح والنصر ، وذهب السلطان محمود الى ولاية تته ، وانزوى ، ونرك القتال حتى توفى سنة ٤٤٩ هـ (٧١٢) فى ولاية اوريسا ، وتوجه السلطان همايون بعد الفتح الى آكره ، وارسل مير هندوبيك الى شيرخان لى يسلمه قلعة جنار ، واعذر شيرخان عن تسلّم القلعة المذكورة ، وعاد مير هندوبيك للالزمة السلطان ، وعندما بلغ هذا الخبر الى السلطان همايون ، توجه بالنفس والنفس لفتح جنار وارسل جماعة من الأمرء فى المقدمة لى يقوموا بالحصار ، وارسل شيرخان رسالة الى السلطان همايون ، «أننى وصلت الى الحكم بمساعدة ورعاية السلطان باهر ، وكنت سببا فى نصر جلالتك فى حرب السلطان محمود وبين بايزيد ، فاذا سلمتني جنار سارسل قطب خان ابنى مع جيش اليكم ليقدم لوازم الخدمة » ، ولما كانت غلبسة واستيلاء السلطان بهادر كجراتى قد وصلت الى مسامع السلطان فى ذلك الوقت فكان من اللائق أن يتركه ، وارسل شيرخان ابنه قطب خان مع عيسى خان حجاب الذى كان بمثابة وزير له اليه (٧١٢) ، وعاد السلطان همايون ، واهتم بالسلطان بهادر ، وكان ابن شيرخان فى الركاب الطافر حتى الكجرات ، وفر من الكجرات وذهب الى أيه ، وانتهب شيرشاه الفرصة ونظم ولاية بهار ، وجمع جيشا كبيرا وبلغ درجة كبيرة من القوة والشكيمة (٧١٤) .

عندما عاد السلطان همايون من رحلة الكجرات ، جاء الى آكره وعلم بخبر طغيان وغلبة شيرخان ، ورأى أن دفعه مهما ، وتحركت راية المتح الى جنار ، وترك شيرخان غازى خان وقوة لحراسة قلعة جنار ، وذهب الى جبال « مهره كند » وعندما مرت ستة أشهر فى حصار القلعة ، اقام رومى خان المسئول عن مدفعية السلطان ، ومدفعية على المرتفعات ، وأصاب أهل المدينة بالاندى ، وتدخل أولياء الدولة للمصلح مع القلعة كما ذكر ، وترك السلطان همايون دوست بيك على القلعة ، وتوجه الى شيرخان ، وفى المدة التى كان مشغولا فيها بحصار جنار أرسل شيرخان ابنه جلال خان وخواص خان وأكثر جنوده لتسخير البنغال واستولى عليها .

(٧١٢) توفى فى بته سنة ٩٤٩ هـ (بداونى) منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٦٢) .

(٧١٣) منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٢ .

(٧١٤) حتى أصبح جيشه يعادل جيش السلطان مرتين (منتخب التواريخ ج ١ ،

ص ٣٦٢) .

عندما وصل السلطان همايون الى كرى وهى على حدود البنغال ارسل جهانكير قلى بيك وامراء آخرين على المطلاع ، وكان جلال خان ابن شيرخان فى كرى ، وتقاتل مع امراء السلطان وهزم ، وأرسل السلطان همايون جيوشه مرة اخرى ، واقترب بنفسه أيضا ، وفتحت كرى ، وذهب جلال خان الى آبيه ، وعندما ترك السلطان همايون كرى ، اخلى شيرخان المدينة المذكورة وذهب الى « جاركند » وارسل رسالة الى راجه قلعة رهتاس (٧١٥) من انه نظرا لأن المغول خلفى فأعطنى مامنا فى القلعة ، وارضاه بالكلمة والحكاية واعد ألف كيس ووضع فى كل كيس مقاتل شجاع بالسلاح ، وصعد الى أعلى القلعة ، ووضع النساء فى بعض الاكياس التى كانت فى المقدمة ، وتسرع حراس القلعة بفحص الاكياس ، فأرسل شيرخان رسالة الى الراجه لكى لا يعلم أحد بالمحصات اللاتى هن سبب عزتنا ، وأمر الراجه بمنع الفحص وعندما دخلت جميع الاكياس ، أخذ الافغان فى القتال ، وتوجهوا الى بيت الراجه ، وأرسلوا قوة الى البوابة ، واستعد شيرخان أيضا بجيوشه ، ووصل الى البوابة ولم يكن فى الهندوستان قلعة حصينة مثل قلعة رهتاس ، واستولى عليها فى النهاية بسهولة ، وترك نساءه وماله فى القلعة ، وارتاح خاطره .

« يفتح الأمر الصعب بالقوة ، فالازهار تزهر بعد فترة فى الشجر »

توقف السلطان همايون ثلاثة أشهر فى مدينة كور المذكورة (٧١٦) فى كتب السلف بلكنوتى ، قضاها فى لهو ومرح ، وفى هذا الوقت وصل خبر أن ميرزا هندال قد رفع لواء العصيان فى آكره وميوات وقتل الشيخ بهلول ، وجاء مرزا كامران لتسكين هذه الفتنة فى آكره ، وترك السلطان جهانكير قلى بيك وخمسة آلاف فارس قوى فى كور ، وعاد .

ولما كان جيش السلطان قد تعب بسبب كثرة الأمطار والأوجال ، ونفقت وضاعت أكثر الجياد والجنود ، وكان الجيش يسير بحالة سيئة انتهز شيرخان الفرصة ، وانتظر بجيش جرار على على الطريق ، وتقابل فى ذواحي « جوسا » ، وأقام حول جيشه حصنا ، وانتظر ، وبعد أن ارسل الرسائل مع الشيخ خليل الى السلطان همايون ، وأرسل رسالة « انك تركت اتباع الدولة حتى كرى ولاية بهار واننى جعلت الخطبة والسكة باسمك ، ولما كان قد سبق أن اتفقنا على الصلح ، وأمن جنود

(٧١٥) قلعة رهتاس الشرقية فى بهار .

(٧١٦) وكان السلطان همايون قد عقد صلحا بأن يكون البنغال ملكا لشيرخان ثم

توغل فيها (تاريخ شيرشاه ، ص ٣٦٨) .

السلطان فى الايام السابقة (٧١٧) ، ولم يكن هناك جسرا على نهسر جوشان ، وفى صباح يوم السبت سنة ٩٤٦ هـ حارب شيرخان بجيوش منظمة وافيال ضخمة ، ولم تفتح الفرصة للسلطان للاستعداد ووقعت الهزيمة ، وتوجه السلطان همايون فى غاية التعب الى آكره .

« لا يستخرج الجواهر من الحجر طول العام ، فاحيانا يعقد الصلح و احيانا القتال »

« لا يتحقق النجاح طول العام ، و احيانا تستنزل العروس »

عاد شيرخان الى البنغال ، وقاتل جهانكير قلى بيك الذى كان هناك مع جيش عدن مرات ، وجعلهم طعاما للسيوف ، ولقب نفسه بشيرشاه ، وجعل السكة والخطبة باسمه ، وتوجه فى السنة التالية بقوة وكثرة كى آكره ، وفى هذا الوقت الذى ينبغى أن يتضافر الجميع حتى الغرياء ، ونفصل مرزا كامران عن خدمة السلطان همايون ، وذهب الى لاهور ، ورفع الأمراء الجفتية أس الفساد بالاضافة الى ما سبق ، وعلى الرغم من هذا الحال فقد خرج السلطان همايون لمواجهة شيرشاه وأسرع الى قنوج ، وعبر النهر ، وفى هذا المكان وصل جيش السلطان قرابة خمسين الف فارس ، وفى يوم عاشوراء سنة ٩٤٧ هـ انتقل جيش السلطان واراد النزول فى مكان ، لكن شيرخان قام بالقتال ، ولم يحارب جيش المغول ، ووقعت الهزيمة ، وقفز السلطان همايون بفرسه فى النهر ، وواجه متاعب جمّة وتوجه الى لاهور ، فتعقبه شيرخان حتى لاهور ، فتوجه السلطان همايون الى السند وأسرع مرزا كامران الى كابل ، ولما كان شيرخان قد تعقبه حتى وصل الى خو شاب ، وجاء اسماعيل خان وغازى خان وفتح خان من بلوج ودوالى وكانوا قادة طائفة بلوج ، وزاروا شيرخان ، وتفقد شيرخان جبال تته وحول جبل باللماته ، وأقام قلعة فى المكان الذى عليه قلعة رهتاس الحالية ، وترك خواص خان وهيبت خان ونيازى مع جيش كبير ، وعاد الى الهندوستان .

عندما عاد شيرخان الى آكره علم أن خضر خان ترك وكان حاكما من قبله على البنغال ومتزوجا من أخت السلطان محمود البنغالى قد استقر وأراد أن يسلك سلوك السلاطين ، ورأى شيرخان أنه من الواجب تدارك هذه الواقعة قبل وقوعها ، وتوجه الى البنغال ، وأسرع خضر خان المكور لاستقباله ، فحبسه ، وأقطع شيرخان ولاية البنغال (٧١٨) لعدة

(٧١٧) هجم شيرشاه على المعسكر بينما السلطان همايون يقرأ الفاتحة مع رجاله الذين جاءوا لعقد الصلح (بداونى ج ١ ص ٣٥١) .

اشخاص ، وقسمها على ملوك الطوائف ، وجعل قاضي الفضيلة الذي كان من علماء ولاية كره ويتصف بحسن الدين والأمانة ومشهورا على الألسنة والأقواء بقاضي النصيحة ، آمينا للولاية ، وتزك صلاح وقساد الولاية في قبضة اقدار وعاد الى كره .

توجه شيرخان في سنة ٩٤٩ هـ لتسخير ولاية مالوه وعندما وصل الى كواليار ، حاصر شجاع خان وهو من امراء كواليار ، وجاء أبو القاسم بيك الذي كان في القلعة من قبل السلطان همايون وزار شيرخان وسلمه القلعة (٧١٩) وعندما وصل الى مالوه ، دخل ملوخان حاكم مالوه الذي كان من اتباع سلاطين الخليج في الصلح ، ويدون سابق انذار جاء للهجوم وبعد عدة ايام تسلس الخوف اليه فسلك طريق الفرار ، فترك شيرخان حاجي خان على حكومة مالوه ، وجعل شجاع خان أيضا على حكومة سواني ، وتركه هناك ، وتوجه الى رنتهپور ، وعاد لتعقب ملوخان ، وقاتله ، وهزمه حاجي خان شجاع خان ، وعندما انعقد النصر باسم شجاع خان استدعى شيرخان حاجي خان اليه ، وأرسل شجاع خان على حكومة مالوه ، وعندما وصل الى نواحي رنتهپور أرسل الرسل البلاغ واستولى على القلعة من ولاية السلطان محمود خلجي سلما ، وعاد من هناك الى كره .

يروون انه عندما وصل خبر فرار ملوخان الى شيرخان ، قال شيرخان مصراعا على البديهة وقال الشيخ عبد الحى ابن الشيخ جمال كنبو المصراع الثانى ، ولما لم يكن خاليا من الظرف فيجدر اثباته .

« ماذا فعل معنا ملوغلام عبيدى ، انه حديث المصطفى لا خير فى العبيد » (٧٢٠)

عموما استقر شيرخان فى كره عام كامل ، نظم فيه ملك بلاده وأرسل الى هيبب خان فرمانا بان يتوجه الى الملتان الى ملوخان ويستولى على الملتان ، وتوجه هيبب خان وقاتل فتح خان بلوج وانتصر ، واستولى على الملتان وعندما وصل هذا الخبر الى شيرخان اثنى عليه ولقبه باعظم همايون .

رفع بورن مل بن راجه سلهدى بوربيه فى سنة ٩٥٠ هـ ، وهو من طائفة راجبوت كهلوت بور ، ورفع علم السيطرة فى قلعة رايسين ، واستولى على أكثر قرى هذه الناحية ، وأدخل الفين من النساء الهندو

(٧١٩) ورد هذا أيضا عند نعمت خان (مخزن أفغانى البيوت ج ٥ ص ١١٤) .
(٧٢٠) أورد بداونى نفس البيت (منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٦٥) .

والمسلمات ضمن حريمه ، وكان يستخدمهم فى حفلات الرقص (٧٢١) وتحرك عرق الحمية عند شيرخان ، وتوجه لتسخير قلعة رايسين ، ولما طال الحصار عقد الصلح ، ونزل من القلعة بورن مل وزوجاته ونساؤه مع أربعة آلاف راجبوتى (٧٢٢) من الميارزين ، وأبنى علماء عصره خاصة امير سيد رفيع الدين صفوى بقتل بورنمل على الرغم فى وجود القسم والامان ، نظم شيرخان الجيش والأفيال الضخمة ، وارسلهم الى حيث ينزل بورنمل ، وهجموا على جيشه ووضع بورنمل والراجبوت قلوبهم على الموت ، ٠٠٠ وقتلوا أنفسهم بأيديهم ، وقتلوا أبناءهم وحرقوهم وافنؤهم ، وعاد شيرخان الى آكره ، واستقر عدة أشهر ، وجدد تنظيم الجيش ثانية ، بالقلعة والخندق ، وكان يقدم لهم كل لوازم السعادة والامان ، وعندما وصل الى الصحراء ، تعذر إقامة القلعة ، فأمر بفكره الصائب وعقليته السديدة أن يملأوا أجولة بالرمال ، ويضعوها فوق بعضها البعض ويقيمون تحصينا ، وتوجه أولا الى مالديو الذى كان حاكما على ولاية مكور وجودبور ويمتاز بين ملوك الهندوستان بكثرة الجيش والحشم ، وفى ذلك الوقت اجتمع خمسون ألف فارس راجبوتى تحت لمواء راى مالديو (٧٢٣) ، وأرسل شيرخان وهو فى نواحي أجمير ولمدة شهر عدة رسائل الى راى مالديو ، وجعل هذه الرسائل تصل بشكل ما الى راى مالديو ، وقال أمراء الراجبوت ان هذا العمل هو نتيجة لكر وزيف شيرخان فانه يريد أن يخضع راى مالديو حتى لا نستطيع أن نقوم على الحرب ، وفى النهاية قرر كويتا وأمراء مالديو الآخرون الحرب وانفصلوا عن راى مالديو بعشرين ألف فارس ، وأسرعوا لمواجهة ومقاتلة شيرخان وأرادوا الاغارة ليلا ، فضلوا الطريق ، وعند الصبح الصادق وصل خمسة أو ستة آلاف شخص (٧٢٤) وبعد المواجهة وقعت معركة حامية ، ووصل الأمر الى القتال بالخناجر والسكاكين ، ونزل الراجبوت عن الجياد ، وجمعوا أنفسهم ، والتفت حولهم جيش شيرخان من كل ناحية ، وقتل كويتا وأكثر الراجبوت ، ويروون أنه فى هذه المعركة قتل احدى عشر ألف نفر من الراجبوت ، وقتلوا أيضا جمعا كبيرا من الأفغان ، وبعد هذا النصر الذى لم يكن له بدا ، عاد ، وجاء الى رنتهبور ، ولما كانت قلعة رنتهبور قد اقطعها لابنه الكبير عادل

٠ (٧٢١) استخدم بداونى نفس العبارة (منتخب للتواريخ ج ١ ص ٣٦٦)

٠ (٧٢٢) عشرة آلاف (بداونى ج ١ ص ٣٦٦)

٠ (٧٢٣) بينما كان شيرشاه يحصن نفسه (بداونى ج ١ ص ٣٦٧)

٠ (٧٢٤) أربعة آلاف شخص أرادوا الاغارة ليلا فضلوا الطريق حتى شروق الشمس

(بداونى ج ١ ص ٣٦٨)

خان (٧٢٥) استأذن عادل خان عدة أيام ليضع أمتعته هناك حتى يصل بعدها ، ونهض شيرخان من هناك الى قلعة كالينجر وهى من قلاع الهندوستان الحصينة .

تحصن راجه كالينجر الذى كان مخالفا ، وحاصر شيرخان القلعة وسعى لعمل النقب واعداد المجانيق والسايط ، وعندما وصل السايط الى القلعة ، وقاتل شيرخان من جميع النواحي ، وأمر الجفنائية الذين دخلوا القلعة ان يضعوا البارود فى المكان الذى يقف فيه ، وتصانف ان هوى جزء من جدار القلعة ، وانكسر ، واشتعلت النيران فى الأجزاء الأخرى ، وأصيب شيرخان والشيخ خليل (٧٢٦) وملا نظام دانشمند ، ودريا خان سروابى بالحروق ، وبلغت حاله الى درجة المرجل ، وفى كل نفس كان يتنفسه كان يصيح ويرغب الجيش فى القتال ، وأرسل المقربين منه للاهتمام بالحرب ، وفى آخر اليوم سمع خبر فتح القلعة ، وودع الحياة (٧٢٧) وقضى خمس عشرة سنة فى الحكم والامارة وحكم الهندوستان خمس سنوات .

امتاز شيرخان بالعقل والدهاء والتدبير الصائب ، امتدت دولته من البنغال وستاركانو حتى نهر السند الذى يشتهر بنهر نيالاب وهى الف وخمسمائة فرسخ ، واقام فى كل فرسخ عمارة ، وحفر بنا ، وبنى مسجدا من الطوب والكلس ، وعين له اماما ومقرئا ، وجعل لهما وظيفة محددة وعين على أحد أبواب العمارة مسلما لخدمة المسلمين بالماء والطعام ، وعلى الباب الثانى هنديا لخدمة الهنود الذين كانوا يترددون دائما (٧٢٨) وترك فى كل عمارة جوادين يشتهران ببلغة أهل الهند باسم « داك جوكى » (٧٢٩) حيث كانوا يرسلون خبر نيالاب يوميا الى أقصى البنغال ، واقام على هذا الطريق من الجانبين أشجارا مثمرة من أشجار « أينه وكهرثى » وغيرها كى يستظل بها الناس القادمون والغادون ، وفعل نفس الحال فى الطريق من آكره حتى مندو ، وكان قد أقام أيضا فى كل فرسخ عمارة ومسجدا ، وبلغ الأمن درجة أنه لو أن تاجرا يحمل حملا مليئا بالذهب نام فى الصحراء ليلا لم يكن فى حاجة الى حارس ، ويروون أنه عندما رأى « أينه » قال لقد وصلت بالسلطنة

(٧٢٥) قطع شيرشاه رنتهبور لابنه عادل خان بعد فتحها (بداونى ج ١ ص ٣٦٩) .

(٧٢٦) أورد داونى نفس هذا الاسم محررا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٧٢) .

(٧٢٧) لم يأت الحنديل وماء الورد بفائدة (بداونى ج ١ ص ٢٧٢) .

(٧٢٨) للغرباء والفقراء وأهل السبيل (بداونى ج ١ ص ٣٦٣) .

(٧٢٩) خيول البريد .

الى صلاة العشاء وتحسر ، وكان يروى شعرا هزليا بلهجة هندوستانية ، وهذا البيت المسجوع عنه « ليكن الله باقيالك دائما أيها الملك ، طالما أن شيرشاه بن حسن سور قائم » وكان يقضى كل أوقاته فى تصريف أمور الناس وتنظيم الجيش ورعاية الرعيّة ، وكان يسلك طريق العدل والانصاف والاستقامة .

« يبقى لكل شخص اسما بعد الموت ، مهما كان فى الحياة موفقا »

« وكلمة « زآتش مرد » (٧٣٠) هى تاريخ وفاته » .

ذكر احوال سليم خان بن شيرخان :

حين توفى شيرخان كان ابنه جلال خان فى قصبه ديوان وتوابع تهته ، وكان عادل خال ابنه الكبير وليا للعهد ، ومازال فى قلعة رنتهپور ، وراى الأمراء انه ليس ضروريا مجيء عادل خان بسرعة وان وجود حاكم امر ضرورى ، وأرسلوا رسولا لاستدعاء جلال خان ووصله الخبر بعد خمسة ايام وجلس فى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٥٢ هـ فى قلعة كالينجر بسعى عيسى خان حجاب والأمراء الآخرين (٧٣١) ولقب باسلام شاه ، وهو مشهور على لسان اهل الهند باسم سليم شاه ، وعلى لسان جيش المغول بسليم خان .

المهم عندما حل سليم خان محل أبيه ، وأرسل الى أخيه الكبير عادل خان عوضا مكتوبا من انه طالما أنت بعيد وأنا قريب فاننى أحافظ على الجيش لتسكين الفتنة حتى مجيئك ، ولا مناص لى من طاعتك والولاء لك ، وتوجه من كلينجر الى آكره ، ووصل الى نواحى قصبه « كوره » ، ووصل خواص خان من مقاطعته ، ولازمه ، وأقام الحفلات ، وأجلس سليم خان (٧٣٢) .

أرسل سليم خان وكان محبا للدنيا (٧٣٣) رسالة أخرى الى عادل خان بعد ذلك أظهر المحبة وطلب ملاقاته ، وكتب عادلخان الى سليم خان الذى كان مؤيدا من قطب نائب وعيسى خان نيازى وخواص خان وجلال خان أنه ما هو الصالح الذى تراه فى مجيئك وبقائى أنا ؟ وكتب الى

(٧٣٠) مات من النار - وهى تعادل سنة ٩٥٢ هـ .

(٧٣١) اكد بداونى ما ورد بهذه العبارة (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٧٤) .

(٧٣٢) جلس على العرش ١٥ ربيع أول سنة ٩٥٢ هـ (عبد الله : تاريخ داودى اليوت

ج ٥ ، ص ٤٧٨) .

(٧٣٣) أبدى ولعه بالأمور الدنيوية (بداونى ج ١ ص ٣٧٦) .

سليم خان أنه لو جاء هؤلاء الأربعة أشخاص فانهم يسرون عنى ، وأستطيع أن أستعد للقاءك ، وأرسل سليم خان الأربعة أشخاص الى عادل خان ، وسروا بالقول والفعل عن عادلخان ، وانتظروا حتى يأذن لهم بالسفر فى أول لقاء ، حتى يذهب كل واحد الى مقاطعته فى الهندوستان ، وتوجه عادل خان لملاقة سليم خان برفقة الأمراء ، وعندما وصلوا الى فتحيبور سيكرى ، واستقبل سليم خان فى سنكارپور (٧٣٤) وكأذوا قد اعدوا هذا المكان للقاء بأمر سليم خان ، وظهرت علامات المحبة الأخوية بين الطرفين وجلسا سويا فترة ، وتوجها الى آكره ، وعندما اعتذر سليم خان عن سوء تفكيره فى أخيه وقرر الا يسمح بمرافقة عادل خان أكثر من شخصين الى قلعة آكره ، وان يمنعوا رجاله على البواب من الدخول ودخل جمع كبير بمرافقة وتدبير سليم خان ، وكان ضروريا ان يظهر سليم خان النفاق ، وقال اننى أهتم بأمر الأفغان والآن اتركهم لك ، واجاسه على العرش ، وأظهر السرور والمداهنة ، ولما كان عادل خان يفضل المجون واللهو ويعلم مكر وخداع سليم خان ، نلم يقبل ونهض وأجلس سليم خان على العرش ، وسلم عليه وبارك له بالسلطنة ، وقام الأمراء بتقديم لوازم التأييد ، وقرر ان يبقى فى مكانه راتئاء ذلك عرض قطب خان وعيسى خان وخواص خان العهد والقسم الذى وقع بينهم وهو ان يستأذنوا عادل خان فى أول لقاء ، وان يذهبا الى مقاطعاتهم ، وأصدر سليم خان فرمانا بان يكون لهم ما أرادوا ، ورافق عيسى خان خواص خان وسمح لعادل خان بالسفر ، ويعسد شهرين ارسل سليم خان غازى محلدار (٧٣٥) الذى كان من المقربين ومن أقربائه لكى يقبض على عادل خان ويقيده ، وأرسل معه قيادا من الذهب وسمع عادل خان بهذا الخير (٧٣٦) فذهب الى خواص خان الذى كان فى ميوات ، وأخبره بنقض سليم خان للعهد ، وعرض عليه الأمر فاغتاظ خواص خان وطلب غازى محلدار ، وقيده بنفس القيد ، ورفع لواء العصيان وأرسل الأمراء الذين كانوا برفقة سليم خان رسائل واتفق معهم فى الخفاء وتوجهوا بجيش جرار الى آكره ، واغتاظ قطب خان وعيسى خان من سليم خان وكانوا ضمن أهل العهد والقسم ، وارسلوا لعادل خان للمجئ ، وقرر أنه عندما يحل الليل يصل عادل خان الى آكره حتى يبتعد الناس العزل عن سليم خان ، ويستطيعوا ان يأتوا

(٧٣٤) شكارپور (بداونى ج ١ ص ٢٧٥) •

(٧٣٥) غازى محلى (بداونى ج ١ ص ٢٧٧) •

(٧٣٦) فقر من بيانه الى ميوات عند خواصخان ، وطلب غازى محلى وقيده بنفس

القيد (بداونى ج ١ ص ٢٧٧) •

اليه ، وتصادف أنه عندما وصل عادل خان وخواص خان الى فتحبور سيكري ، ذهبوا الى هناك للقاء الشيخ سليم (٧٣٧) وكان من مشايخ عصره ، ولما كان المغرب قد حل ، توقف خواص خان لأداء الصلاة التي كانت فى هذه الليلة ، ووصلوا عشاء الى نواحى آكره (٧٣٨) ، وعلم سليم خان بالمجىء ، فاضطرب وقال لقطب خان والأمراء الآخرين ، اذا كنت قد ارتكبت خطأ فى حق عادل خان فلماذا لم يكتب الى خواص خان وعيسى خان كى أتراجع عن تفكيرى ؟ ورأى قطب خان اضطراب سليم خان فقال : لا تخف لم يتعسر الأمر عن العلاج واننى أتعهد بتسكين هذه القنتة ، وأذن سليم خان لقطب خان والأمراء الآخرين الذين كانوا متفقين مع قطب خان لكى يذهبوا الى عادل خان ، وكان هدفه أن يبعد هذه الجماعة عنه ، ويفر الى قلعة جنار لاجساد الخزانة ، وبعد الجيش مرة أخرى ، ويهتم بالحرب والنزال ، ونهاه عيسى خان عن هذا العزم . وقال له : لو أنك لا تعتمد على أناس آخرين فان الفين من أتباعك الخواص فى ايام الامارة ليسوا أهلا للثقة ، وعلى الرغم من هذه القدرة والقوة فان من العجب الا نعتد على الله ولا نفر دون قتال ، وكل ما يملكه الأمراء من معارضة فى الخفاء سينعكس على العدو بالحزم والحذر ، ومن اللائق أن تسبقهم بنفسك بكل الجيش وتقف فى ميدان الحرب ، وتثبت القدم ، ولن يخالفك أى شخص قط .

قوى قلب سليم خان ، فقرر الهجوم ، فاستدعى قطب خان والأمراء الأمراء الآخرين الذين أذن لهم وقال : سأسلمكم بيدى للعدو ، وفكروا فى الحق ، وبعد ذلك خرج مستعدا للقتال ، ووقف ورأى الرجال الذين اتفقوا مع عادل خان أن سليم خان فى المعركة فتقهقروا عن الذهاب ، وعادوا اليه فى الحال ، ووقعت معركة فى ظاهر بلدة آكره ، وأنعم التأييد الالهى على سليم خان ، ووقعت الهزيمة على عادل خان وخواص خان وجيشهما وتوجه عيسى خان وخواص خان الى ميوات وذهب عادل خان وحيدا الى تهته ، ولم يعلم أحد قط بأمره .

أرسل سليم خان بعد ذلك جيشا لتعقب خواص خان وعيسى خان نيازى ، ووقعت معركة فى فيروزبور وميوات ، ووقعت الهزيمة على جيش سليم خان ، ولم يستطع مقاومة عيسى خان وخواص خان بعد

(٧٣٧) الشيخ سليم جشتى المقيم فى سيكري (بداونى ج ١ ص ٣٧٧) .

(٧٣٨) اتفق الامراء مع عادل خان على أن ينسحب من الميدان فى ظاهر آكره ، فيتعقبه سليم خان وعند العودة يخرج عليه الافغان فى كهاتم بور من كمين (بداونى ج ١ ص ٣٧٨) .

ذلك ، وذهبوا الى جبل كماؤن ، وأرسل سليم خان قطب خان نائبه وجيش
لمهاجمتهما واستقر في سفح كماؤن ، وكان قد أغار على ولاية دامن كوه
وانتهبها وخربها ، وعزم سليمان خان السفر الى جنار في هذا الوقت ،
وأثناء الطريق قتل جلال خان خداد لاهتمام عادل خان به ، وعندما وصل
الى جنار استولى على الخزانة وأرسلها الى كواليار ، وعاد ، واستقر
في آكره .

ولما كان قطب خان ضمن أحداث فتنة استدعاه عادل خان فقد فر
من الخرف والوهم الذي سيطر عليه من جبل كماؤن (٧٣٩) وأرسل
سليم خان الى أعظم همايون بلاهور أمرا يطلب فيه قطب خان ، وأرسل
أعظم همايون قطب خان ، وحبسه سليم خان ، وسجنه مع شهبازخان
نوحاني زوج أخت سليم خان وعدة أشخاص آخرين مجموعهم أربعة
عشر شخصا ، وأرسلهم الى قلعة كواليار ، واستدعى شجاع خان حاكم
مالوه وأعظم همايون ، وجاء شجاع خان لزيارته ، واعتذر أعظم
همايون ، وسمح لشجاع خان بالسفر ، وعاد الى مالوه .

توجه سليم خان بعد ذلك لاحتضار الخزانة من قلعة رهتاس وجنار،
وكان سعيد خان أخو أعظم همايون قد قدم اليه والتحق به وأثناء الطريق
فر منه (٧٤٠) وذهب الى لاهور ، وعاد سليم خان أيضا من الطريق
وجاء الى آكره ، وأمر بإعداد الجيش وتوجه الى دهلي ، وعندما وصل
هذا الخبر الى شجاع خان ، جمع قوة من خاصته ، وتقدم الى سليم
خان ، واستماله ، وكان سليم خان قد قضى عدة أيام في دهلي يعسد
الجيش وعزم السفر الى لاهور ، وأسرع أعظم همايون وطائفة من
التمردين (٧٤١) بالاتفاق مع خواص خان وجيش البنجاب لاستقباله ،
وتقابل الطرفان في نواحي قصبه ابناله .

ويقولون : أنه عندما اقترب سليم خان من جيش النيازيين نزل ،
وذهب مع عدد من المقربين لاستطلاع الجيش النيازى ، وصعد ريسوة ،
وعندما وقعت عيناه على الجيش النيازى ، وقف مكانه وقال : سأنزل
في مواجهة الجيش المتمرد ، وصف الجيوش وعزم التوجه الى الحرب ،

(٧٣٩) فر قطب الى لاهور عند هيبث خان نيازى الذى سلمه الى سليم شاه مع
ثلاثة عشر أو أربعة عشر أميرا منهم محمود خان بن عادل خان ، وحبسهم في كواليار
(بداونى ج ١ ص ٢٧٩) .

(٧٤٠) وسد طريق لاهور (بداونى ج ١ ص ٢٨٠) .

(٧٤١) سعيد خان وأعظم همايون وخواص خان وعيسى خان (بداونى ج ١ ص ٣١٠) -

وجمع أعظم همايون اخوته وخواص خان للمشورة فى ليلة الحرب ،
وتحدثوا فى مجال تنصيب حاكم ، وكان خواص خان يريد أن تكون
الحكومة لعبدل خان ابن شيرخسان الكبير ، واتفقوا على ما يقوله
النيازيون .

« الملك لا يورث لأحد ، دون أن يضرب سيف وله أصدقاء كثيرون »

وكان خواص خان يستاء من رغبتهم ، وحين اصطفت الصفوف ،
وتقاتل الطرفان انسحب خواص خان دون قتال ، وحارب النيازيون كما
هو محدد ولم يقصروا فى القتال ، ولما لم يكن هناك اخلاص فقد وقعت
الهزيمة على جيش النيازيين (٧٤٢) وانقصر سليم خان .

« يصادق الشخص الذى يكون له السلطان والذى يسلمه الرحمن »

أراد سعيد خان أخو أعظم همايون ومعه عشرة أشخاص من
رفاقه المسلحين أن يصل الى سليم خان بحجة التهنة ولم يكن معروفا
لأحد ، وعرفه سائس الفيل ، فأطلق عليه حربته من وسط حلقة الأفيال
والجيش الخاص لسليم خان فأصابه .

المهم فر النيازيون ، وذهبوا الى دنكوت قرب موه وتعقبهم سليم خان.
حتى وصل الى قلعة رهناس (٧٤٣) وأرسل خواجه وليس شروانى (٧٤٤)
وجيش جرار لمهاجمة النيازيين (٧٤٥) وعاد الى آكره ، وجاء من هناك
الى كواليار .

وفى هذا الوقت كان شجاع خان قد ذهب ذات يوم الى سليم خان
على سطح قلعة كواليار ، وأعد عثمان (٧٤٦) وهو شخص كان شجاع
خان قد قطع يده اثناء الطريق أعد كميناً وانتهاز الفرصة ، وهجم عليه
فجأة ، فأصاب شجاع خان بجرح ، وعاد شجاع خان الى منزله جريحا
واستغل هذه الحادثة للغواية بالخروج على سليم خان ، وفر من كواليار
وتوجه الى مالوه وتعقبه سليم خان حتى مندو (٧٤٧) وعبر شجاع خان

(٧٤٢) فر عيسى خان الى دار من كره وفر خواص خان مع خمسمائة أو ستمائة.
الى لامور (بداونى ج ١ ص ٢٨٢) .

(٧٤٣) رهناس الغربية .

(٧٤٤) ويس سروانى (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٥) فى دنكوت سنة ٩٥٥ (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٦) سزوال خان (بداونى ج ١ ص ٢٨٢) .

(٧٤٧) حتى بانس وله حيث دخل سزوال خان بين الامالى (بداونى ج ١ ص ٢٨٢) .

نهر نسوالة ، وترك عيسى خان سور مع عشرين ألف فارس فى أجين وعاد .

ومن القضايا التى حدثت فى سنة ٩٥٤ هـ أنه أرسل خواجه ويتسى (٧٤٨) لمهاجمة أعظم همايون ، وحارب (الرانا) فى نواحي دنكوت ، وأصابهم بهزيمة ، وتعقبه أعظم همايون حتى وصل الى سهرند ، وعندما وصل هذا الخبر الى سليم خان ، أعد جيشا عظيما ، وأرسله لصد النيازيين ، وعاد أعظم همايون وذهب الى دنكوت ، وعندما اقترب جيش سليم خان ووقعت معركة فى نواحي دنكوت قرب سنيله ، ووقعت الهزيمة على الفئة الباغية ، وأسرت زوجات وأم أعظم همايون ، وأرسلوا الأسرى الى سليم خان (٧٤٩) ، ولجأ النيازيون الى « كهكران » ودخلوا فى جبل يتصل بكتمير (٧٥٠) وتحرك سليم خان بجيش جرار لتسكين فتنة النيازيين ، وجاء الى البنجاب ، وقاتل كهكران لمدة سنتين ، وفى نفس هذا الوقت صعد شخص من ممر ضيق الى أعلى قلعة مانكوت حيث كان سليم خان وبنيده سيف مسلول ، وضرب سليم خان ، وقفز سليم خان بكل قوته ومهارته وضربه وقتله وعرف سيفه الذى كان قد أهدها الى اقبال خان ، وعندما غلب كهكران ولم يبق لهم قوة ، دخل أعظم همايون كشمير ، وتعقبهم سليم خان ، وتحمل المشقة حتى قتل أعظم همايون وسعيد خان وشهباز خان ، وأرسل حاكم كشمير رؤوسهم الى سليم خان ، وعاد سليم خان بعد أن جمع جيشه .

فى هذا الحين كان مرزا كامران قد فر من السلطان همايون ولجأ الى سليم خان ، ولم يسلك سليم خان معه سلوكا طيبا بسبب التكبر (٧٥١) ، وفر مرزا كامران من عنده ، ودخل جبل سواك ومن هناك ذهب الى ولاية كهكر ، وهذه القضية المذكورة بالتفصيل فى وقائع السلطان همايون .

عموما توجه سليم خان الى دهلى واستقر عدة أيام ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن السلطان همايون قد وصل الى شطاطىء نهر نيلاى ،

(٧٤٨) ويس سروانى (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٩) الذى أرسلهم الى كواليار (بداونى ج ١ ص ٢٨٦) .

(٧٥٠) دخل النيازيون كشمير حيث وقعوا فى مصيدة الكشميريين (بداونى ج ١ ،

ص ٢٨٨) .

(٧٥١) أيدى سليم شاه تكبرا ولم يخسن استقباله (بداونى ج ١ ص ٢٨٠) واستهان

الافغان به عندما اقام مائدة وحضرها المرزا كان الافغان يتكلمون عليه بلهجة هندية ويقولون « موروا » فلما سأل عن معناها قالوا تعنى شخص عظيم الشأن « فقال كامران لسليم شاه أنت موروا » فعدلوا عن ذلك (بداونى ج ١ ص ٤٠١) .

ويقولون ان سليم خان قد نهض وركب من ساعته وتوجه اليه ونزل في اليوم-الأول على مسافة ثلاثة فراسخ ، وعندما أعد المدفعية التي برققته ، وأسرع بتوجيه نيران العربات في هذه المواضع ، وأمر أن يصطف المشاة محل نيران العربات ، وأخذ كل « تولى » ألف أو ألفين من المشاة ، وتوجه بسرعة فائقة الى لاهور ، وعاد السلطان همايون سريعا ، وعاد سليم خان أيضا من لاهور ، واستقر في كواليار .
وقطع جماعة من المفسدين طريقه بحجة تقديم الاعتذار وحسب الاتفاق

ذات يوم حدث أن ذهب سليم خان الى هذه النواحي للصيد ، عاد سليم من طريق آخر ، وبقيت هذه الجماعة الفاسدة محلها ، وعندما علم سليم خان بحقيقة الأمر ، قتل بهاء الدين محمود الذي كان قد ذهب معهم ، واستقر سليم خان في كواليار ، وسجن وقتل كل أمير من امرائه أصحاب الشوكة والغلبة .

في اول سنة ٩٦٠ هـ ظهر خراج في مقعده ، ومن شدة ما نزف دم توفى ، ومدة حكومته تسع سنوات .

اقام سليم خان حن نيل آب حتى البنغال عمارة أخرى بين عمائر (٧٥٢) شيرخان ، وفي كل عمارة كان يطبخ الطعام ويقدمه للفقراء ، وتوفى في هذه السنة السلطان محمود كجراتي ونظام الملك بحرى وتاريخ هذه الواقعة هي « زوال خسروان » (٧٥٣) .

ومن القضايا الغربية التي وقعت في زمان سليم خان حادثة الشيخ علائى وتفصيلها على سبيل الاجمال هي أن والد الشيخ علائى ويسمى الشيخ حسن وهو غير الشيخ سليم وكان في قصبه بيانه ويقوم بارشاد الطلاب على طريق المشيخة ، وعندما طوى لباسه الى عالم البقاء ، كان الشيخ علائى هو أرشد أولاده ويتصف بالفضائل والكمال ، وحل محل أبيه ، وعمل بارشاد الطلاب وحدث أن كان الشيخ عبد الله نيازي وكان من المريدين المشهورين للشيخ سليم جشن عائدا من السفر من مكة ، واختار دعوة المهدوية (٧٥٤) وهي عقيدة سيد محمد جونيورى،

(٧٥٢) أمر أن يبنى في كل فرسخ يقصل بين كل قصرين بناها شيرشاه بناية أخرى بنفس الأسلوب بها مسجد ومقرئ وسقاية وطعام يعده مسلم وهندى (يداوى ج ١ ص ٢٨٥) -

(٧٥٣) زوال خسروان تعادل سنة ٩٦١ هـ .

(٧٥٤) حسب المهدى المنتظم الذى سيأتى آخر الزمان ويملا الأرض عدلا بعدما ملئت جورا وهي عقيدة شيعية تقوم على الاعتقاد فى امام خفى سيظهر آخر الزمان (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٦٤) .

المهدى الموعود ، واقام فى بيانه ، ولما كان الشيخ علانى قد خدع به ، رحب به ورافقه ، وترك طريق الأباء والأجداد وأخذ يدعو الناس بدعوة المهديية ، وعلى عادة هذه الطائفة أقام خارج المدينة بجوار الشيخ عبد الله وكان يقضى مع الجماعة الكبيرة من احبابه وأصحابه الذين التقوا القرآن المجيد حتى يدع اى شخص كان حاضرا مجلسه من أداء عمله حوله على الطريقة والتنزيه وكان يقوم كل يوم وقت الصلاة بتفسير أو ينرك اهله وزوجاته ويدخل دائرة المهديية ، أو يتوب عن المعاصى ويجعله مريدا مجازا لسيد محمد وإذا كان مشغو بالزراعة والتجارة فينفقها فى سبيل الله ، وفرق كثيرا من هؤلاء حتى فرق الأب عن الابن والأخ والمرأة عن زوجها وسلكوا طريق الفقر والفناء ، وكان شريكا فى النذور والفتوح التى تاتى اليه ، ويشتركون فى الأكل سويا ، حتى اذا لم يصلهم شىء لدرجة أنهم كانوا يقضون يومين أو ثلاثة فى فاقة ، ولا يظهرون ، ويقضون أوقاتهم فى حرمان ، وكانوا دائما مستعدين بالسيف ، والدروع وسائر الأسلحة ، وإذا رأوا فى المدينة والسوق شىئا غير مشروع ، منعه بالرفق والهدوء أولا فان لم يستجب أصحابه كانوا يمنعونه قهرا وجبرا ، وكانوا يحاولون مساعده كل شخص يوافق أحكامهم ٠٠ ولكثرة النزاع مع العوام والخراس فكر الشيخ عبد الله السفر الى الحجاز ، ولما كان الشيخ علانى نفس الوضع والحالة فقد توجه بستمائة أو سبعمائة ، ووصل الى خواص بور الواقعة على حدود ٠٠ بور ، خرج خواص خان المعروف لاستقباله ، ودخل ضمن مريديه ، وأخيرا استاء منه بسبب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى هذا الوقت الذى كان سليم خان يحكم أكره وعاد الشيخ علانى لبعض الأمور التى استدعت عودته ، وجاء الى بيانه ، وحضر بموجب طلب سليم خان الى بلاطه (٧٥٥) ولم يلتزم بعبادات وآداب الملوك وسلم على سليم خان السلام المشروع ورد عليه السلام كآرامها ، وكان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانپورى المشهور بمخدوم الملك ينكر الشيخ وكان قد أفتى بقتله ، وأحال سليم خان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانپورى الفتح تانيسرى والعلماء الآخريين لهذه العصر ، وفى هذه المجالس غلبهم الشيخ علانى بقوة طبعه ، وأحيانا كان يغير ويبدل معانى القرآن ، وأثر فى سليم خان ، وقال له اجعلنى محتسبالك فى بلادى عن هذه الدعوة ، واعطنى الأذن لحكم هذه البلاد ، ولم يقبل الشيخ علانى هذا الأمر حتى

٠ (٧٥٥) كان سليم شاه يخشاه ويهابه (بداونى ج ١ ص ٤٠٢)

ان سليم خان نفذ فتوى ملا عبد الله بطرده الى « هندية » (٧٥٦) ودخل يهار خان شروانى الذى كان يحكم هناك من قبل سليم خان ، ومعه جيش كبير فى دائرة الاعتقاد والاخلاص له ، فأشار مخدم الملك على سليم خان بان يستدعيه من هذه الحدود ، وجمع سليم خان العلماء مرة ثانية وعرض القضية ، فقالوا لسليم خان ان هذا الرجل يدعو بدعوى المهدوية ، وسيصير السلطان المهدي لكل البلاد ، وقد التفت الجيش كله حوله وانهم يسارعون فى الدخول فى دعوته ، وهناك احتمال للفساد فى الدولة ، ولم يستمع سليم خان لكلام مخدم الملك ، وارسل الشيخ علائى مرة ثانية الى بهار عند الشيخ بده طبيب دانشمند الذى كان يعتقد فيه شيرخان ، ووضع يده أمام قدمه حتى يعمل بفتواه ، وتوجه سليم خان الى البنجاب واهتم بتعمير مانكوت وعندما وصل الشيخ علائى الى بهار تبعه الشيخ بده ، وأرسل مخدم الملك رسالة الى سليم خان ، وأصيب الشيخ علائى فى هذه الأثناء بمرض الطاعون الذى شاع فى ذلك الوقت ، وأصيب فى حلقه بجرح بمقدار ما كان يفتى ، وأحضره مثالا وعندما أحضره الى سليم خان لم يكن لديه قوة للكلام ، فلم يسمع حديثه ، ويئس سليم خان فأمر أن يضربوه بالسوط ، واسلمت روحه لقبايض الأرواح فى السوط الثالث (٧٥٧) وكانت هذه القضية فى سنة ٩٥٥ هـ وتاريخها « ذاكر الله » (٧٥٨) .

ذكر أحوال السلطان محمد عدلى :

عندما توفى سليم خان جلس ابنه فيروز خان وكان فى سن الثانية عشر (٧٥٩) على العرش بموافقة الأمراء فى قلعة كواليار ، ولم تمر ثلاثة أيام حتى نهض مبارزخان ابن نظام خان سور وهو ابن أخو شيرخان وعم سليم خان وأخو زوجته وقتل فيروز خان ابن اخته (٧٦٠) وتمكن من كرسى الحكم والبلاد بموافقة الوزراء والأمراء ، وروى عن الثقة أن سليم خان قبل أن يموت قال لزوجته المسماة « بي بي بانى » فى أكثر من مرة « اذا كنت تحبين ابنك فيروز خان فاسمحي لى ان أقضى على أخيك مبارزخان لأنه اذى فى طريقه ، ولو كنت تحبين أخيك

(٧٥٦) على حدود الدكن (بداونى ج ١ ص ٤٠٢) .

(٧٥٧) اضطرب سليم شاه عندما قرأ الشيخ قوله تعالى « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرفنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » فسأل سليم معنى قوله من الحاضرين فقالوا : « انه يدعوك بالكفر » فأمر بضرب مدة ساعة حتى لفظ أنفاسه . (بداونى ج ١ ص ٤٠٥) .

(٧٥٨) هذا تاريخ خطأ لأنه يعادل سنة ٩٧٨ هـ .

(٧٥٩) العاشرة من عمره (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

فانفضى يدك من ابنك لأن الأخطار تكون عليه من مبارز خان « وكانت زوجته تقول « دع مبارز خان يقضى عمره النفيس فهو يقضى أوقاته فى التسبيح ، وليس له فى السلطنة شىء ، وكلما لامها سليم خان فى هذا الصدد ، لا فائدة ، وفى النهاية بعد وفاة سليم خان بثلاثة أيام ، اقتحم مبارز خان محل فيروز خان ، وأراد قتله ، وعلى الرغم من أن أخته كانت تتالم وتتشفع لابنها ، وتقول : « دع الطفل وسأحمله الى مكان بعيد ولن يحمل اسم السلطنة مطلقا » (٧٦١) ولم يرحمه مبارز خان الظالم ، وهذا هو المضمون :

« ان ملك العالم كله لا يساوى عند الانسان قطرة دم تقطر على الأرض .»

وقتل هذا الطفل المسكين الضعيف بقسوة (٧٦٢) وقرأ الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان محمد عادل ، وكان عسوام الناس يسمونه « عدلى وأندبلى » (٧٦٣) .

ولما كان قد سمع فى الأساطير والتواريخ من بذل وكرم السلطان محمد تغلق ، ففكر فى تقليده وفى أول جلوسه فتح الخزينة فترة ، وأنعم على الناس ، واستمال الناس ، وكان كل عقد يرميه من الذهب لا يقل عن خمسمائة قطعة من العملة ، وأرسل لكل بيت عقدا ، وأعطى كل صاحب بيت خمسمائة قطعة .

جعل (عدلى) وزارته فى يد شمسير خان غلام شيرخان ، وهو أخو خواص خان المشهور ، ودولت خان نوحانى « نومسلم » مربيه مسئولاً عن النوحانيين ، وفى هذه الأيام رفع « هيموى » (٧٦٤) وهو يقال يقطن قسبة ريوارى من توابع ميوات ، الى درجة اوسئول (٧٦٥) عن الأسواق وأمور الجيش ونال مركز مرموق عند عدلى ، وصار من المقربين للبلباط ، ولم يكد يمر شهر واحد من جلوس عدلى حتى هبت الفتنة من سباتها فى أطراف ولايات الهند (٧٦٦) وقام ملوك الطوائف

(٧٦٠) بربريائى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦١) دع روح هذا الطفل البريء وخذ روحا بدلا منه لانه لا شان له بالسلطنة

(بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٢) وقد سعى سليم شاه لقتل عادل خان عدة مرات وأنتته عن ذلك زوجته

أخت عادل خان (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٣) حرفة العامة « أندهللى » بمعنى أعمى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٤) هيمون (بداونى ج ١ ص ٤١٧) .

(٧٦٥) شحتكى (بداونى ج ١ ص ٤١٨) .

(٧٦٦) رفض الأمراء الأفغان طاعته (بداونى ج ١ ص ٤١٨) .

عند استماع خبر وفاة سليم خان وقتل فيروز خان وعدم انتظام أمور عدلى حتى استقل كل واحد بولايته ، وذات يوم عقد عدلى حكومته فى قلعة كواليار ، وحضر الأمراء البارزين اليه ووزع عليهم المقاطعات ، وأمر عدلى أن يعزل شاه محمد فرملى الذى كان على ولاية قنوج وسلمها الى سمرست خان سربتى (٧٦٧) ، وأثناء الحديث نهض سكندر خان بن شاه محمد المذكور وكان شابا شجاعا وصاح فى الديوان قائلا « الآن تبدل حالنا ، تسحب منا الولاية وتسلمها لمطائفة السويتين باعة الكلاب » وقامت معركة كلامية ، وكان أبو شاه محمد مريضا فى ذلك الوقت ، وكان يمنع ابنه عن الحديث الخشن والحاد ، وكان الابن يقول للأب ان شيرخان وضعك ذات مرة فى قفص حديدى قاصدا قتلك ، وفى النهاية تشفع لك سليم خان ليخلصك من الموت ، والآن فان طائفة سور تريد استئصالك ، ولا تريد أن تفهم هذا المعنى ، ولا يريدون أن يتركوك فى سلام ، فلماذا ينبغي أن تتحمل هذا الضرر عنهم » ووضع سمرست سربتى وكان طويل القامة قوى الجثة يده على كتف سكندر يتملقه ويداهنه وهو يقول « لماذا كل هذه الصحبة يابنى » وهو يقصد أن يقبض على سكندر بهذه الوسيلة ، فأدرك سكندر قصده فأمسك الخنجر بيده ، وطعن كتف سمرست عدة طعنات حتى مات بيد الأجل (٧٦٨) وفقد وعيه وقتل أيضا البعض وجرح البعض الآخر ، ونهض عدلى فى هذه الجلية ، وفر الى الحرم ، وتعقبه سكندر ، وأغلق عدلى الباب من الداخل بالمزلاج ، وتخلص بمائة حيلة وألقى أكثر أمراء عدلى فى الديوان سيوفهم ، وفروا ، وظل سكندر مثل المجنون فكان يضرب ويقتل ويرمى فى كل مكان يذهب اليه ، وظل ساعة أو اثنين على هذا الحال ، وأثناء ذلك سل ابراهيم خان زوج أخت على سيفه وضرب سكندر (٧٦٩) وهجم عليه آخرون أيضا واقتصوا من سكندر ، وأنهى دولت خان نوحانى أيضا على شاه محمد فرملى بضربة سيف واحدة .

حدث أنه فى نفس هذا اليوم الذى وقعت فيه المعركة ، كان تاج خان كررانى أخو سليمان وعماد كررانى قد خرج من ديوان عدلى ، وخرج من قلعة كواليار ، وعندما سار فى الطريق مع شاه محمد سأل كل منهما الآخر عن أحواله ، وقال تاج خان له « لقد خرجنا من هذه المعركة تعال معى ورافقنى فان الأمر قد تغير » ، ولم يقبل شاه محمد.

(٧٦٧) بداونى ج ١ ص ٤١٩ .

(٧٦٨) بداونى ج ١ ص ٤٢٠ .

(٧٦٩) ضرب اسكندر ابراهيم خان سور ودولت خان (بداونى ج ١ ص ٤٢٠) .

حديثه وذهب الى عدلى (٧٧٠) وذكر له ما حدث ، ففر تاج خان من كواليار ، وتوجه الى البنغال ، وعين عدلى جيشا لتعقبه ، وسافر ايضا بنفسه ، ووصل عدلى الى تاج خان فى نواحى « جهترامو » (٧٧١) ، وهى على مسافة اربعين فرسخا من آكره ، وثلاثين فرسخا من قنوج ، وقاتل تاج خان ، ووقعت الهزيمة على تاج خان ، فذهب الى جنار وفى الطريق قبض على بعض عمال عدلى ، واستولى على ما وجده من نقد وأجناس أخرى .

كان عماد وسليمان وخواجه الياس يحكمون بعض قرى شاطيء نهر الجانج وخواصبور تانده ، فالتحقوا به ، وأعلنوا العصيان ، وذهب عدلى من كواليار الى جنار ، وقاد الجيش الى الكرائيين ، وتقابل الطرفان على شاطيء النهر ، وفى هذا الوقت قال هيمنون البقال لعدلى ذات يوم : « اذا جعلت برفقتى قطيع القبيلة ، اعبر النهر ، واذهب الى الكرائيين ، واقضى عليهم » ، وفعل عدلى ما طلب ، وانتصر هيمنون على الكرائيين ، وفى هذا المكان علم ابراهيم خان بن غازى خان سور ، وزوج أخت عدلى وهو من بنى أعمام شيرخان ، علم من زوجته أن عدلى بصدد سجنه ، ففر من جنار ، وتوجه الى ابيه غازى خان الذى كان يحكم حكومة بيانه وهندون ، وأرسل عدلى عيسى خان نيازى لتعقب ابراهيم والتقى سويا بالقرب من كالى ، وتقابلا ، وهزم عيسى خان نيازى ، وانتصر ابراهيم خان فتوجه الى دار الملك دهلى ، وقرأ الخطبة باسمه ، وتوجه من هناك الى آكره ، واستولى على أكثر البلاد (٧٧٢) .

عندما رأى عدلى أن ابراهيم استولى على نصف بلاده ، نفض يده من الكرائيين ، وتوجه الى ابراهيم خان ، وعندما وصل الى نهر جون ، أرسل ابراهيم رسولا الى عدلى ، « اذا أرسلت راي حسن جلوانى وبهادر خان سروانى ، الملقب بأعظم همايون وعدة أمراء كبار آخرين ، فانتى أستطيع أن أحضر اليك بناء على العهد والميثاق » ، وأرسل عدلى هذه الجماعة ، واتفق ابراهيم خان معهم جميعا على عصيان عدلى ، وعلم عدلى بهذا الأمر ، ولم يكن مستعدا للقتال ، وعاد الى جانب جنار ، ولقب ابراهيم خان نفسه بالسلطان ابراهيم ، ورفع لواء السلطنة .

(٧٧٠) بداونى ج ١ ص ٤٢٠ .

(٧٧١) جهيرا متو (بداونى ج ١ ص ٤٢١) .

(٧٧٢) بعد معركة كالىس لقب نفسه بالسلطان ابراهيم ورفع لواء المعارضة ،

وقرأوا الخطبة باسمه فى آكره وبعض الديار (بداونى ج ١ ص ٤٢٢) .

وفى هذه الأيام لقب أحمد خان سور نفسه بالسلطان سكندر (٧٧٣) وهو أيضا من بنى عمومة شتيرخان ، وزوج الأخت الثانية لعدلى ، وكان من أمراء البنجاب الكبار ، وبمساعدة وعون تاتار خان كانسى وحبيب خان ونصيب خان ، وكانوا من أمراء سليم خان الكبار ، رفع لواء الفتنة والفساد ، وذهب الى ابراهيم خان ، والتقى الفريقان قرب قرية « مزه » ، وهى على مسافة عشرة فراسخ من آكره ولما كان جيش سكندر لم يتعد العشرة آلاف (٧٧٤) وكان ابراهيم خان صاحب سبعين ألف فارس ، ويروون أن ابراهيم خان كان قد سلم الاعلام والطبول لمائتى شخص ، والتمس سكندر الدخول فى الصلح على أن يدع له البنجاب ، وكان ابراهيم خان مغرورا معتمدا على كثرة حشمه ، فلم يهتم بعرض سكندر ، وصف الصفوف للحرب ، وانتصر سكندر فى نهاية الأمر بمقتضى قوله تعالى : « كم من فئة قليلة (٧٧٥) ٠٠٠٠٠٠ الخ » وهزم ابراهيم ، وفر وذهب الى سنبل (٧٧٦) ، ووفق اسكندر واستولى على آكره ودهلى .

وعلم أن السلطان همايون قد خرج من كابل الى الهندوستان أثناء ذلك ، واستولى على لاهور ، ونظم سكندر الجيوش ، وتوجه الى لاهور ، وكان ابراهيم الذى ذهب الى سنبل (٧٧٧) قد أعد جيشا جديدا وتوجه الى كالبى ، وتصانف أنه فى ذلك الوقت أرسل عدلى هيمنون البقال الذى كان وزيرا له بجيش جرار وخمسمائة فيل ضخمة ومدفعية الى آكره ودهلى ، وعندما وصل هيمنون الى نواحى كالبى أدرك أن صد ابراهيم أهم فأسرع لمواجهته ، ووقعت معركة حامية انتصر فيها هيمنون ، وفر ابراهيم ، وذهب الى أبيه فى بيانه ، وتعبه هيمنون ، وحاصر بيانه ، وامتدت أيام الحصار ثلاثة أشهر ، وعندما رفع سكندر خان حاكم البنغال راية العصيان وكان قد توجه بجيوش هذه البلاد لتسخير جونيور وكالبى وآكره ، واستدعى عدلى هيمنون ، وترك هيمنون الحصار ، وتوجه اليه (٧٧٨) وعندما وصل الى قرية منداكر على مسافة ستة فراسخ من آكره تعقبه ابراهيم من آكره ، ووقعت معركة ، هزم فيها

(٧٧٣) (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٧٤) اثنى عشر ألف فارس (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٧٥) البقرة : ٢٤٩ .

(٧٧٦) بداونى ج ١ ص ٤٢٥ .

(٧٧٧) ذكر بداونى هذا ايضا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٢٥) .

ابراهيم فعاد الى ابيه ثانية (٧٧٩) ومن هناك دخل ولاية تهته (٧٨٠) وقاتل راجه مجند تهته ، وأسر ، وأجلسه الراجه على العرش بكل تعظيم ، وقدم له لوازم الخدمة على طريقة التابعين ، وظل ابراهيم خان هناك حتى استدعى جماعة من قوم « ميانى » ، الذين كانوا يقيمون على حدود رايسين بسبب النزاع الذى كان بينهم وبين بازبهادر حاكم مالوه ، وأرادوا أن يجعلوه حاكما ، واستعدوا لمواجهة بازبهادر ولحق ابراهيم وتحرك من ولايته ودركاوتى رانى حاكم ولاية كرهه أيضا لمساعدة ابراهيم ، وأرسل بازبهادر عدة أشخاص الى رانى لكى ترتد عن هذا الادعاء ، وأن تعود الى ولايتها فليس لابراهيم مصلحة أيضا فى هذا ، وذهب ابراهيم من هناك الى أوديسه أقصى البنغال حتى استولى سليمان كررانى على أوديسه سنة ٩٥٥ هـ ، وجاء اليه بالعهد وامان ، ورأى سليمان ، وقتل بيد سليمان (٧٨١) .

المهم ذهب هيمنون الى عدلى منتصرا ظافرا ، ووصل عدلى ومحمد خان كوريه (٧٨٢) الى قرية جركته وهى على مسافة خمسة عشر فرسخا من كالمبى ، ووقعت معركة حامية ، وقتل محمد خان (٧٨٣) وحظى عدلى بالنصر والفتح ، وذهب عدلى بعد ذلك الى جنار ، وأرسل هيمنون لمقابلة جيش السلطان اكبر فى آكره ودهلى ، وترك سكندر خان أوزبك وقياخان كتك والأمراء الآخرون الذين كانوا فى آكره المدينة وتوجهوا الى دهلى ، وتوجه عيسى الى دهلى ، وتقاتل مع تردى بيكه وهزم (هيمنون) فى بانى بت وقتل بيد رجال الدولة المغاوير ، طبقا لما ذكر فى محله ، وكان عدلى فى نواحى جنار حيث كان ابن محمد خان كوريه الملقب بخضر

(٧٧٨) ورد هذا عند بداونى ج ١ ص ٤٢٧ .

(٧٧٩) أسهب بداونى فى سرد المعارك التى وقعت بين ابراهيم خان وغازى خان واسكندر خان وهيمنون بينما اقتصد نظام الدين احمد فى روايته (بداونى ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٣) .

(٧٨٠) آلور (بداونى ج ١ ص ٤٢٦) .

(٧٨١) استدعاه سليمان كررانى بالعهد القسم وعندما ذهب اليه أسره وقتله سنة ٩٥٥ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٨٢) خضرخان بن محمد كوريبه الذى حل محل ابيه على كور (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٨٣) أى سنة ٩٦٢ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٢٤) .

خان قد جعل الخطبة والسكة باسمه ، وسمى نفسه بالسلطان بهادر ،
وجاء الى عدلى للانتقام لدماء ابيه وقاتل عدلى وقتله (٧٨٤) وزالت
دولة الأفغان وصعد كوكب الدولة وعظمة جلالة السلطان اكبر على
ممالك الهند ، وكانت مدة حكومته (عدلى) قرابة ثلاث سنوات .

(٧٨٤) تاريخها « كوريه بكشت » اى قتل كوريه وتعادل سنة ٩٦٣ هـ . وقد أوردها
بداونى سنة ٩٦٢ هـ (منتخب التواريخ) .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	امساء
٥	منهج ترجمة طبقات أكبر
٩	مصطلحات
١٣	ترجمة طبقات
١٥	ديباجة
٢١	مقدمة
٤٩	طبقة سلاطين دهلى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٣٤٢٥

ISBN — 977 — 01 — 4329 — 4

كتاب المسلمون فى الهند من الفتح العربى إلى الاستعمار
البريطانى وعنوانه الاصلى (طبقات اكبرى) تاليف نظام الدين
أحمد بخشى وترجمه عن الفارسية الدكتور / احمد عبدالقادر
الشاذلى وهذا الكتاب يتناول أكثر من عصر، ويدور بأحداثه فى
أقاليم شتى، ويمتد بأحداثه من القرن الأول الهجرى حتى القرن
العاشر الهجرى، وقد جهد المترجم جهداً عظيماً إذ قام بتحقيق
كثير من الأعلام والمسميات وضبط للسنوات وبعض الفاظ
الكتاب مضاهياً بمصادر أخرى. ولينظر القارئ بعين المحب
للمعرفة ليكتشف الأهمية التى يضيفها هذا الكتاب للمكتبة.